

شيعة

سنة

المهدوي، ابن ظفر

بقي بن مخلد
يحيى بن سلام

ابن عجيبة
ابن بروجان

مناهج التفسير
أما المباح حادها ما

هود بن محكم

ابن عربي

في

المغرب العربي

ابن حيون
ابن عرفة

دراسة سبعة عشر تفسيراً مغارياً
مقتطف من رسالة الدكتوراة

ابن باديس
أبو بكر
الجزائري

خواجه

صوفية

تأليف

ابن بزينة
الثعالبي

د. محمد بن مرزوق بن طرهوني

المكي
الناصرى

١٤٢٠ هـ

ابن
عاشور

مكي بن
أبي طالب

هذا الكتاب
مقتطف من رسالة الدكتوراه
المقدمة من المؤلف إلى قسم التفسير من كلية أصول الدين
بجامعة الأزهر
لعام ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م
بإشراف
فضيلة الأستاذ الدكتور : عبد الغفور محمود مصطفى
تحت عنوان
(التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا)
والتي نال بها المؤلف
درجة الدكتوراه بمرتبة الشرف الأولى

دراسة أمثلة للتفسير بالمأثور بالمنطقة



تفسير يحيى بن سلام من خلال تفسيره ومختصره لابن أبي زمنين

مؤلف هذا التفسير هو يحيى بن السلام بن أبي ثعلبة البصري ثم القيرواني ت ٢٠٠هـ وهو من أئمة القيروان ولو أنه مولود بالكوفة ونشأ بالبصرة وقد صنف تفسيره بالقيروان ومنها انتشر^(١).

التعريف بالتفسير :

وتفسير ابن سلام مشهور باسمه وهو من التفاسير المخطوطة غير الكاملة^(٢) وقد رجعت إلى بعض أجزاء منه بمكتبة المخطوطات بالجامعة الإسلامية بعضها مصورة برقم ٦١٠، ٦١١ ، وبعضها على ميكروفيلم برقم ١٣٤٥، ١٣٤٤، ١٣٤٣، ١٣٤٦، وهي نسخة عن دار الكتب القومية برقم ٢٤٧٩١/ب ، ٢٤٧٩٢/ب .

وتفسير ابن سلام اهتم به عدة من الباحثين^(٣) فحاولوا تحقيق بعض أجزائه ولكن لم أقف على شيء طبع من ذلك حتى الآن .

وقد جاء تفسير ابن سلام من طرق : منها طريق ابنه محمد (ت ٢٦٢هـ) الذي كانت له عناية كاملة ومعرفة بالحديث ، ومنها طريق أبي داوود بن موسى بن جرير الأزدي العطار (ت ٢٧٤هـ) ، الذي اشتهر بطلب العلم منذ صغر سنه ، وقد عمر ، وعن طريقه انتشر تفسير ابن سلام بالأندلس وبالمشرق .

وتفسير ابن سلام اختصره عالمان أندلسيان هما أبو عبد الله محمد بن عيسى بن أبي زمنين^(٤) ، وعبد الرحمن بن مروان القنازعي ت ٤١٣هـ ، ولم يصلنا غير مختصر ابن أبي زمنين وقد اطلعت عليه في مكتبة المخطوطات بالجامعة الإسلامية النسخة المصورة برقم ٣١٣١ ، والميكروفيلم برقم ٤٤٩٨، ١٣٥٠، وقال في مقدمته :

(١) تقدمت ترجمته في الوافدين برقم (١٠٣)

(٢) قد ذكرت مواضع نسخ الكتاب في ترجمة يحيى بن السلام .

(٣) منهم حمود صمود والبشير ورشيد الغزي تحت إشراف الدكتور محمد طالي (انظر مقدمة تفسير هود ٢٦/١ الحاشية ، وانظر مقدمة التصاريح ص ٨٣)

(٤) من علماء الأندلس ولد بغرناطة سنة ٣٢٤هـ وتوفي بألبيرة سنة ٣٩٩هـ وله ترجمة في طبقات المفسرين للداوودي ١٦١/٢ ، الدياج ص ٢٦٩ . والكتاب منه نسخة بمكتبة القرويين وأخرى بالمتحف البريطاني .

قرأت كتاب يحيى بن سلام في تفسير القرآن ، فوجدت فيه تكرارا كثيرا وأحاديث ذكرها يقوم التفسير دونها ، فطال بذلك الكتاب ...فاختصرت في هذا الكتاب مكرره وبعض أحاديثه ورددت مافيه من غير كتاب يحيى مالم يفسره يحيى ، وأتبع ذلك إعرابا كثيرا ... الخ .^(١)

ولهذا التلخيص أهمية كبيرة إذا يساعد على تلافي ما لحق تفسير ابن سلام من نقص، إذ الموجود منه ، في مختلف قطعه ، يقارب ثلثيه .^(٢)

وهناك كتاب ثالث يعتبر اختصارا لتفسير ابن سلام وإن لم يصرح صاحبه بذلك إلا أنه عبث ببعض النصوص العقدية لتوافق معتقده ألا وهو تفسير هود بن محكم الهواري الإباضي وسوف يأتي الحديث عنه مفصلا في الفصل القادم .

وقد تكلم عن منهج ابن سلام في تفسيره عدة^(٣) ، سوف أخص كلامهم وأزيد عليه مايتيسر إلا أنني لن أطيل في بيان منهجه لأنني سوف أتعرض له مرة ثانية ضمنا عند حديثي عن منهج هود الهواري . ومقدمة تفسير ابن سلام مفقودة وجاء على بعض أجزاءه : الجزء الحادي والعشرون والثاني والعشرون من تفسير يحيى بن سلام البصري رحمه الله رواية أبي الحسن علي ابن الحسن عن أبي داود وأحمد بن موسى عن يحيى بن سلام سماع لعبد الرحمن بن مروان بن عبد الرحمن . وفيها خرم كثير وتكرار في بعض المواضع.

وقد ذكر ابن أبي زمنين أنه سيبدأ اختصاره بما بدأ به يحيى بن سلام وهو قوله : حدثنا سفيان الثوري عن عبد الأعلى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار.^(٤)

كما يتبين من نقل ابن أبي زمنين أن مقدمة ابن سلام تضمنت ذكر حد الناسخ والمنسوخ والمكي والمدني وبعض مايتعلق بنزول القرآن وترتيب الآيات داخل السور وماجاء في البسملة .

(١) المقدمة ق ٢ ، ولم أنقل في هذا المبحث من مختصر ابن أبي زمنين إلا ما صرح فيه أنه عن يحيى .

(٢) انظر التفسير واتجاهاته ص ٥٣

(٣) منهم حسين شواط في مدرسة الحديث في القيروان ١٢/٢، ووسيلة بلعيد في التفسير واتجاهاته بإفريقية ٥٧ ، وعبد السلام الكنوني في المدرسة القرآنية في المغرب ص ١٣٥، وبالْحاج شريقي في مقدمة تفسير هود بن محكم ١/٢٦ ، وابن عاشور في التفسير ورجاله ص ٣٦ . وكتبت عنه رسالة علمية باللغة التركية بعنوان "يحيى بن سلام ومنهج تفسيره" أعدها إسماعيل جراح أوغلو بكلية الإلهيات بجامعة أنقرة ١٩٧٠ م .

(٤) المقدمة ق ٢

ونقل ابن أبي زمنين عن يحيى أيضا قوله في مقدمته : ولا يعرف تفسير القرآن إلا من عرف اثنتي عشرة
خصلة : القرآن المكي والمدني والناسخ والمنسوخ والتقديم والتأخير والمقطوع والموضوع والخاص والعام
والإضمار والعربية^(١) .

المنهج العام للتفسير :

وتفسير يحيى بن سلام تفسير أثري على منهج القدماء وهو حلقة بين التفاسير المتقدمة الخالية من أي
تدخل من المفسر مثل تفسير ابن جريج ومجاهد وغيرها وبين تفسير ابن جرير الطبري الذي استفاد في
ذكر اللغويات والقراءات والترجيحات.

وهذا التفسير يعتبر أقدم تفسير بالمأثور موجود إلى اليوم حيث لم يصل إلينا ما ألف من تفاسير قبله^(٢) .
ومنهج يحيى فيه أنه يذكر الآية ثم يسوق الأحاديث والآثار الواردة فيها بإسناده إلى أصحابها ، وربما علق
السند ولم يذكره كاملا ، ويتعرض أحيانا للقراءات وبعض اللغويات .

المنهج التفصيلي للمؤلف :

أولا : يذكر ابن سلام أسماء السور مجردة فيقول مثلا : سورة التوبة ثم يسوق الروايات ، لا يتعرض لأسماء
أخرى للسورة أو لعد آيها ومواضع الوقوف منها ونحو ذلك .
وهو يذكر مكة أم مدنية ومن أمثلة ذلك^(٣) :

قال : تفسير سورة الرعد وهي مكة ماعدا آية واحدة مدنية ﴿ولا يزال الذين كفروا تصيهم بما صنعوا
قارعة﴾^(٤) إلى آخر الآية

وقال : تفسير سورة الجمعة ، وهي مدنية كلها

() انظر للعلوم التي يحتاج إليها المفسر : التيسير في قواعد التفسير ص ١٤٤-١٤٨ ، الإتيان ٢/٢٢٥-٢٣٥ ولم أجد
فيما ذكره أهل العلم المقطوع والموضوع ويبدو - والله أعلم - أنه أراد علمين من علوم الحديث لهما أثر في التفسير
بالمأثور وهما :

المقطوع : وهو الموقوف على التابعين قولاً وفعلاً ، والموضوع : وهو المختلق المصنوع من الحديث (انظر الباعث الحثيث
ص ٣٨، ٦٥)

() باستثناء التفسير المنسوب إلى مجاهد (ت ١٠١هـ) والأقرب فيه أنه لأدم بن أبي إياس (ت ٢٢١هـ) وما فيه عن مجاهد
هو أغلب مروياته كما حققه فضيلة الدكتور حكمت بشير ياسين (انظر مجلة الجامعة الإسلامية ١٤١٢هـ - ملحق رقم
٢)

() يلاحظ أن النسخة التي رجعت إليها هنا وفي بعض المواضع الأخرى غير مرقمة الصفحات

() الرعد : ٣١

تفسير سورة المزمل ، وهي مكية كلها
تفسير سورة الممتحنة ، وهي مدنية كلها
تفسير سورة الحواريين () ، وهي مدنية كلها ، وهكذا

ثانيا : موقفه من العقيدة :

ومن خلال تفسيره ، يبرز مذهبه العقائدي المتمثل في اتباع السلف الصالح ، والابتعاد عن التأويل ، والرد على المبتدعة وأصحاب الضلالات .

وهو على مذهب السلف في الإمساك عن الخوض في آيات الصفات فقد فسر قوله تعالى ﴿ ثم استوى على العرش ﴾ () بأنه مثل قوله تعالى ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ () . ()

وساق آثارا في العرش وماهيته فقال :

عن أبيه عن ابن آمنة عن الحسن قال : قال رسول الله ﷺ : " بين السماء السابعة وبين العرش كما بين سماءين " () .

عن أبيه عن المعلی بن هلال عن عمار الدهني عن سعيد بن جبیر عن ابن عباس قال : الكرسي الذي وسع السموات والأرض لموضع القدمين ولا يقدر قدر العرش إلا الذي خلقه () .

وقال في قوله تعالى : ﴿ وهو معكم ﴾ () : حاضرکم ﴿ أينما كنتم والله بما تعملون بصير ﴾ () .

() يعني سورة الصف . ٣

() (الرعء : ٢) ٤

() طه : ٥ ٥

() ق ٦٥٦ ٦

() (إسناده ضعيف لإرساله . وقد روي عن العباس نحو ذلك مطولا أخرجه أحمد ٢٠٧/١ وغيره ، وقد حسن إسناده الذهبي ، وروي عن ابن مسعود أخرجه ابن مهدي وغيره (انظر : كتاب التوحيد مع فتح المجيد ص ٥١٣-٥١٤ ، وانظر : العرش وما روي فيه ص ٥٥-٥٦)

() (أخرجه ابن خزيمة في التوحيد ص ٧١ وعبد الله بن أحمد في السنة ص ٧١ وغيرهما . وقال الذهبي : رواه ثقات . وقال الألباني : صحيح . (انظر مختصر العلو ص ١٠٢)

() (الحديد : ٤) ٩

() (الحديد : ٤) ٢

وذكر في تفسير قوله تعالى ﴿ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا﴾ (١) أن النضر سمع أبا قلابة يقول لأيوب : يا أيوب احفظ مني ثلاثا : لا تقاعد أهل الأهواء ولا تستمع منهم ولا تفسرن القرآن برأيك فإنك لست بذلك في شيء وانظر هؤلاء الرهط من أصحاب النبي فلا تذكرهم إلا بخير (٢) .

ثم يقول زيادة في التأكيد على ذم اتباع أهل الأهواء ومجادلتهم : ثلاث ارفضوهن : مجادلة أصحاب الأهواء وشتم أصحاب رسول الله ﷺ والنظر في النجوم (٣) .

كما تعرض أيضا إلى رأي السلف في القدر فأكد أن كل شيء بقدر وأن الخوض في القدر منهي عنه ، فقد روى عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : “إذا ذكر القدر فأمسكوا ، وإذا ذكرت النجوم فأمسكوا ، وإذا ذكر أصحابي فأمسكوا” (٤) .

وفي قوله تعالى ﴿الذي له ملك السموات والأرض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدره تقديرا﴾ (٥) روى أثرا عن علي قال : كل شيء بقدر حتى هذه ووضع طرف أصبعه السبابة على طرف لسانه ثم وضعها على ظفر إبهامه اليسرى .

وفي مبحث الإيمان تعرض ابن سلام إلى أن الشرك بالله يوجب النار وأنه لا ينجي منها إلا الإيمان بالله الواحد الأحد ، وذكر جملة أحاديث وآثار وجميعها تفيد أن المشرك في النار وأن الموحد في الجنة (٦) ، وذلك عند تفسير قوله تعالى ﴿ومن جاء بالسيئة﴾ (٧) .

ويؤكد ابن سلام على أهمية أعمال المؤمنين وعلى أنها المعيار الذي يحدد المنزلة التي ينالونها في الجنة خلافا لما شاع عنه من تهمة الإرجاء (٨) .

(١) الحشر : ١٠

(٢) ق ٣٤٦

(٣) ق ٣٤٧

(٤) ق ٣٤٦ ، أخرجه الطبراني في الكبير ٢/٢٧٨ ، وأبو نعيم في الحلية ٤/١٠٨ وفي إسناده مسهر بن عبد الملك قال الحافظ : لين الحديث (التقريب ٦٦٦٧) ولكن للحديث طرق وشواهد يرتقي بها للصحة (انظر : السلسلة الصحيحة رقم ٣٤ ، صحيح الجامع رقم ٥٥٩)

(٥) الفرقان : ٢

(٦) ق ٧٦

(٧) النمل : ٩٠

(٨) سبق وأن تحدثت عنها في ترجمته .

فقد ذكر في تفسير قوله تعالى : ﴿ولكل درجات مما عملوا وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون﴾ (١) أن للمؤمنين درجات في الجنة على قدر أعمالهم وللمشركين درجات في النار على قدر أعمالهم (٢) . كما أكد على القيام بالفرائض والاشتغال بذكر الله وذلك في تفسيره لقوله تعالى : ﴿رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله﴾ (٣) ونقل عن السدي أن هؤلاء كانوا إذا سمعوا المؤذن تركوا بيعهم وقاموا إلى الصلاة وذكر الله (٤) .

وفي موضوع البعث والحساب يوم القيامة يورد ابن سلام أخبارا مطولة فيها تفصيلات لما يلقاه المؤمنون من جزاء حسن ينتهي بهم إلى منازلهم في الجنة وما يناله الكافرون والمشركون من عقاب وسوء مصير يفضي بهم إلى جهنم خالدين فيها وقد أوضح ابن سلام (٥) هذه المعاني عند تفسيره لقوله تعالى ﴿وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسبياً﴾ (٦) .

كما نقل ابن سلام أحاديث متعددة في فضل الصحابة رضي الله عنهم ومن ذلك : عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : “ إن في السماء الدنيا ثمانين ألف ملك يستغفرون لمن أحب أبا بكر وعمر رضي الله عنهما ، وفي السماء الثانية ثمانون ألف ملك يلعنون من أبغض أبا بكر وعمر ، ومن أحب جميع أصحاب رسول الله ﷺ فقد برئ من النفاق ” (٧) .

ثالثا : موقفه من تفسير القرآن بالقرآن :

إن تفسير القرآن بالقرآن كثير في تفسير يحيى فمن ذلك

قول يحيى : قوله : ﴿من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له﴾ (٨) وتفسيره في سورة البقرة ﴿مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم﴾ (٩) .

(١) الأحقاف : ١٩ ٩

(٢) ق ٥٦٥ ٣

(٣) النور ٣٦ ١

(٤) ق ٥٤ ٢

(٥) ق ٧ ٣

(٦) الإسراء : ١٣-١٤ ٤

(٧) ق ٩٩ ، رواه الخطيب والديلمي وأبو نعيم وقد حكم بوضعه غير واحد منهم الخطيب والشوكاني (انظر الفوائد المجموعة ص ٣٣٨)

(٨) البقرة : ٢٤٥ ٦

وقال : قوله تعالى : ﴿ يغشي الليل النهار ﴾ () وهو كقوله : ﴿ يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل ﴾ () .

وقال : قوله ﴿ هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ﴾ () فيها إضمار خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ، اليوم منها ألف سنة كقوله ﴿ وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون ﴾ () .
وقوله : ﴿ للتي هي أقوم ﴾ () وقال في المزمّل ﴿ وأقوم قبلاً ﴾ () : أصوب .

وقوله : ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴾ () تفسير الحسن : ألا يعذب قوم باستئصال حتى يحتج عليهم بالرسول كقوله ﴿ وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا ﴾ () وكقوله ﴿ وإن من أمة إلا خلا فيها نذير ﴾ () يعني الأمم التي أهلكتها الله بالعذاب .

وقوله : ﴿ كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا ﴾ () يقول : هي كقوله تعالى ﴿ فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا ﴾ () () .

وقال في تفسير قوله تعالى ﴿ ومن آياته منامكم بالليل ﴾ () : هي كقوله عز وجل ﴿ ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ﴾ () .

٣	() البقرة : ٢٦١ ، ق ٨٤/ب/٧
٣	() الأعراف : ٥٤
٣	() الزمر : ٥
٤	() الحديد : ٤
٤	() الحج : ٤٧
٤	() الإسراء : ٩
٤	() المزمّل : ٦
٤	() الإسراء : ١٥
٤	() القصص : ٥٩
٤	() فاطر : ٢٤
٤	() مريم : ٧٨
٤	() النبأ : ٣٠
٤	() ق ٢٤
٥	() الروم : ٢٣
٥	() القصص : ٧٣ ، ق ٨٠

كما فسر قوله تعالى ﴿وَإِذ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ () قال :
هو كقوله ﴿وَيَاقُومِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تَوَبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ () وكقوله : ﴿وَلَوْ أَنَّ
أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا
يَكْسِبُونَ﴾ () ()

رابعاً : موقفه من تفسير القرآن بالسنة :

ومن الأحاديث المرفوعة التي ذكرها يحيى في قوله في تفسير قوله تعالى ﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا﴾ () :
وحدثني حماد عن محمد بن زياد عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ : “ناركم هذه جزء من سبعين
جزءاً من نار جهنم” قيل : يارسول الله ! إن كانت لكافية . قال : “فإنها فضلت عليها بتسعة وستين
جزءاً .” ()

وقال في قوله ﴿لَهُ مَعْقَبَاتٌ﴾ () :

... عن نعيم بن عبد الله عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ “يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل والنهار
فيجتمعون عند صلاة الصبح وعند صلاة العصر فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم كيف تركتم عبادي فيقولون
أتيناهم وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون” () .

وقال في تفسير قوله تعالى ﴿وَجِئْتِكَ مِنْ سَبَأٍ﴾ ()

وحدثني ابن لهيعة عن عبد الله بن هبيرة عن عبد الرحمن بن وعله أنه سمع ابن عباس يقول : سئل رسول
الله ﷺ عن سبأ أرجل أم امرأة ؟ فقال : “بل هو رجل ولد عشرة فباليمن منهم ستة وبالشام أربعة ،

() (إبراهيم : ٧ ٢

() (هود : ٥٢ ٣

() (الأعراف : ٩٦ ٤

() (ق : ٣٥٧ ٥

() (التوبة : ٨١ ٦

() (ق : ٥٩٨ ، أخرجه بنحوه البخاري - بدء الخلق - باب صفة النار ٩٠/٤ والترمذي - كتاب صفة جهنم - باب
ما جاء أن ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً ٧٠٩/٤ .

() (الرعد : ١١ ٨

() (أخرجه البخاري - التوحيد^٩ - باب قوله تعالى ﴿تَعْرَجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ ١٥٤/٩ ، ومسلم - المساجد
ومواضع الصلاة - باب فضل صلاة الصبح والعصر ٤٣٩/١

() (النمل : ٢٢ ٦

فأما اليمانيون فمدحج وحمير وكندة وأثمار والأزد والأشعريون ، وأما الشاميون فلخم وجذام وعاملة
وغسان ” ()

وقال في تفسير قوله تعالى ﴿إني وجدت امرأة تملكهم﴾ ()

وحدثني المبارك عن الحسن عن أبي بكرة قال قال رسول الله ﷺ : “لن يفلح قوم تملكهم امرأة” ()

وقال في تفسير قوله تعالى ﴿ونفخ في الصور﴾ ()

عثمان عن نعيم به عبد الله عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : “أنا أول من تنشق عنه الأرض
فأجد موسى متعلقا بالعرش فلا أدري أصعق فيمن صعق أم أجزأته الصعقة الأولى” ()

وقال : وقال بعضهم ﴿وتقلبك في الساجدين﴾ () كان رسول الله ﷺ يرى في الصلاة من خلفه كما

يرى من بين يديه قال يحيى : سمعت سعيدا يذكر عن قتادة عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ

“أحسنوا الركوع والسجود إذا ماركتهم وإذا ماسجدم والذني نفسي بيده إني لأراكم من بعد ظهري كما

أراكم من بين يدي” . حماد عن ثابت البناني عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ : “استوا

والذني نفسي بيده إني لأراكم من ورائي كما أراكم من بين يدي” . ()

وقد اشتمل تفسير يحيى من ذلك على ثروة كبيرة من الحديث حتى إن ابن زنين قد صرح في مقدمة

المختصر أن الدافع لاختصاره هو كثرة ما اشتمل عليه من الأحاديث .

وهو لا يلتزم بإخراج الصحيح بل ربما أورد أحاديث ضعيفة بل وموضوعة كما تقدم ، ومن ذلك أيضاً

قوله : ﴿الذنين يأكلون الربا لا يقومون...﴾ ()

() ق ٢٣ ، أخرجه أحمد ٣١٦/١ والحاكم في المستدرک - كتاب التفسير - سورة سبأ ٤٢٣/٢ وقال الحاكم :

صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وسكت الذهبي . وله شاهد من حديث فروة بن مسيك (انظر مرويات الإمام أحمد في

التفسير ٤٤٥/٣)

() النمل : ٢٣

() ق ٢٤ ، أخرجه البخاري - كتاب الفتن - باب ٥٣/١٣ من طريق الحسن به بلفظ : ولوا أمرهم امرأة .

() الزمر : ٦٨

() ق ٣٩ ، أخرجه مسلم - كتاب الفضائل - باب من فضائل موسى عليه السلام ١٨٤٤/٤ بأطول منه .

() الشعراء : ٢١٩

() ق ١٨ ، أخرجه البخاري - كتاب الصلاة - باب إقبال الإمام على الناس عند تسوية الصفوف ٢٠٨/٢ وباب

إلحاق المنكب بالمنكب ٢١١/٢ وباب الخشوع في الصلاة ٢٢٥/٢ ، ومسلم - كتاب الصلاة - باب الأمر بتحسين

الصلاة ٣١٩/١

() البقرة : ٢٧٥

نا حماد عن أبي هارون العبدى عن أبي سعيد الخدرى أن رسول الله ﷺ حدث عن ليلة أسرى به فكان في حديثه أنه أتى به على سابلة آل فرعون حيث ينطلق بهم إلى النار يعرضون عليها غدوا وعشيا فإذا رأوها قالوا : ربنا لاتقيمن الساعة لما يرون من عذاب الله قال : “فإذا أنا برجال بطونهم كالبيوت يقومون فيقعون لظهورهم ولبطونهم فيأتي عليهم آل فرعون بأرجلهم . . . قلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ فقال : هؤلاء أكلة الربا ” ثم تلا هذه الآية ﴿الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس﴾ ()

ومارواه أيضا عن أبي الأشهب والمبارك عن الحسن قال : قال رسول الله ﷺ : “ثلاثة من حفظهن هو عبد لي حقا ، ومن ضيعهن فهو عدو لي ؛ اتتمن الله ابن آدم على ثلاث : الصلاة ، ولو شاء قال : قد صليت . وعلى الصوم ، ولو شاء قال : قد صمت . وعلى الغسل من الجنابة ، ولو شاء قال : قد اغتسلت .” ثم تلا هذه الآية ﴿يوم تبلى السرائر﴾ () . ()

وأما أسباب النزول فهو يهتم بذكرها وأمثلتها كثيرة ومن ذلك :

قال في تفسير قوله عز وجل ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما ألهمكم إله واحد﴾ () : حدثني الفرات عن طاووس أن رجلا قال : يا رسول الله ! إني رجل أقف المواقف ، أريد وجه الله ، وأحب أن يرى مكاني ، فلم يرد عليه رسول الله شيئا ، فنزلت هذه الآية () . ()

وقال يحيى : عاصم بن حكيم عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن ابن مسعود قال : لما نزلت هذه الآية ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم﴾ () قال أصحاب

() أخرجه ابن إسحاق (انظر سيرة ابن هشام ٢/٣٨) وابن جرير ١١/١٥ والبيهقي في دلائل النبوة ٢/٣٩٠ وابن عدي في الكامل ٦/٢١٢٣ وابن عساكر في تاريخ دمشق ١/٥٨١ من طريق أبي هارون به مطولا ولم يسمه ابن إسحاق وقد ضعفه ابن كثير والذهبي (انظر البداية ٣/١١١ ، السيرة النبوية ص ١٨١) وأبو هارون اسمه عمارة بن جوين قال الحافظ : متروك ومنهم من كذبه ، شيعي (التقريب ٤٨٤٠) (انظر صحيح السيرة النبوية ٢/٤٠٤).

() الطارق : ٩

() ق ٩٢ ، وهو حديث قدسي^١ إسناده ضعيف لإرساله وأخرج البيهقي في شعب الإيمان عن أبي الدرداء نحوه وزاد : الزكاة . وأخرج ابن المنذر عن عطاء نحو ذلك من قوله (انظر الدر المنثور ٦/٣٧٥).

() الكهف : ١١٠

() ق ٢١ .

() ضعيف لإرساله أخرجه ابن أبي حاتم وابن أبي الدنيا في كتاب الإخلاص عن طاووس به ، وقال السيوطي : مرسل . وأخرجه الحاكم من طريق طاووس عن ابن عباس موصولاً وصححه على شرط الشيخين وله شواهد عن مجاهد وغيره (انظر لباب النقول ص ٢٢) ولم يذكره صاحب الصحيح المسند من أسباب النقول .

النبي ﷺ : وأينا لم يظلم نفسه ؟ فنزلت هذه الآية ﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾ () . ()

وعند تفسيره لقوله تعالى ﴿أم اتخذ عند الرحمن عهدا﴾ () ، قال : أخبرني صاحب^٦ عن الأعمش عن أبي الضحاك عن مسروق عن خباب بن الارت قال : كنت قينا في الجاهلية ، فعملت للعاصي بن وائل حتى اجتمع لي عنده دراهم فأتيته أتقاضاه ، فقال : والله لا أقضيك حتى تكفر بمحمد ، فقلت : لا أكفر بمحمد حتى تموت ثم تبعث ، قال : وإني لمبعوث ؟ . قلت : نعم . قال : فسيكون لي ثم مال وولد فأقضيك ، فأتيت النبي ﷺ فأخبرته ، فأنزل الله تبارك وتعالى هذه الآية إلى قوله ﴿ويأتينا فردا﴾ () . ()
وأما تعرضه لفضائل السور والآيات فمن أمثلته :

ذكر في آخر آية من سورة البقرة وهي قوله ﴿لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما كسبت﴾ () ، أنها دعاء غفر الله به للنبي ﷺ ، ثم نقل حديثا من طريق قتادة عن النبي ﷺ أنه قال : “ إن الله كتب كتابا قبل أن يخلق السموات والأرض بألفي سنة ، فوضعه تحت العرش فأنزل منه آيتين فحتم بهما سورة البقرة ، لا تقرأ في بيت ، فيقره الشيطان ثلاث ليال ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه﴾ () إلى آخر السورة .^٢

() الأنعام : ٨٢	٥	٧
() لقمان : ١٣	٦	٧
() ق ٨٢ ، أخرجه البخاري - كتاب التفسير : تفسير سورة لقمان - ﴿لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم﴾ رقم ٤٧٧٦ ، ومسلم - كتاب الإيمان - باب صدق الإيمان وإخلاصه رقم ١٢٤ كلاهما من طريق الأعمش به .		
() مريم : ٧٨	٨	٧
() مريم : ٨٠ .	٩	٧
() ق ٢٤ .	٠	٨
() البقرة : ٢٨ .	١	٨

() البقرة : ٢٨٦، ٢٨٥، ٢٨٤، ٢٨٣، ٢٨٢، ٢٨١، ٢٨٠، ٢٧٩، ٢٧٨، ٢٧٧، ٢٧٦، ٢٧٥، ٢٧٤، ٢٧٣، ٢٧٢، ٢٧١، ٢٧٠، ٢٦٩، ٢٦٨، ٢٦٧، ٢٦٦، ٢٦٥، ٢٦٤، ٢٦٣، ٢٦٢، ٢٦١، ٢٦٠، ٢٥٩، ٢٥٨، ٢٥٧، ٢٥٦، ٢٥٥، ٢٥٤، ٢٥٣، ٢٥٢، ٢٥١، ٢٥٠، ٢٤٩، ٢٤٨، ٢٤٧، ٢٤٦، ٢٤٥، ٢٤٤، ٢٤٣، ٢٤٢، ٢٤١، ٢٤٠، ٢٣٩، ٢٣٨، ٢٣٧، ٢٣٦، ٢٣٥، ٢٣٤، ٢٣٣، ٢٣٢، ٢٣١، ٢٣٠، ٢٢٩، ٢٢٨، ٢٢٧، ٢٢٦، ٢٢٥، ٢٢٤، ٢٢٣، ٢٢٢، ٢٢١، ٢٢٠، ٢١٩، ٢١٨، ٢١٧، ٢١٦، ٢١٥، ٢١٤، ٢١٣، ٢١٢، ٢١١، ٢١٠، ٢٠٩، ٢٠٨، ٢٠٧، ٢٠٦، ٢٠٥، ٢٠٤، ٢٠٣، ٢٠٢، ٢٠١، ٢٠٠، ١٩٩، ١٩٨، ١٩٧، ١٩٦، ١٩٥، ١٩٤، ١٩٣، ١٩٢، ١٩١، ١٩٠، ١٨٩، ١٨٨، ١٨٧، ١٨٦، ١٨٥، ١٨٤، ١٨٣، ١٨٢، ١٨١، ١٨٠، ١٧٩، ١٧٨، ١٧٧، ١٧٦، ١٧٥، ١٧٤، ١٧٣، ١٧٢، ١٧١، ١٧٠، ١٦٩، ١٦٨، ١٦٧، ١٦٦، ١٦٥، ١٦٤، ١٦٣، ١٦٢، ١٦١، ١٦٠، ١٥٩، ١٥٨، ١٥٧، ١٥٦، ١٥٥، ١٥٤، ١٥٣، ١٥٢، ١٥١، ١٥٠، ١٤٩، ١٤٨، ١٤٧، ١٤٦، ١٤٥، ١٤٤، ١٤٣، ١٤٢، ١٤١، ١٤٠، ١٣٩، ١٣٨، ١٣٧، ١٣٦، ١٣٥، ١٣٤، ١٣٣، ١٣٢، ١٣١، ١٣٠، ١٢٩، ١٢٨، ١٢٧، ١٢٦، ١٢٥، ١٢٤، ١٢٣، ١٢٢، ١٢١، ١٢٠، ١١٩، ١١٨، ١١٧، ١١٦، ١١٥، ١١٤، ١١٣، ١١٢، ١١١، ١١٠، ١٠٩، ١٠٨، ١٠٧، ١٠٦، ١٠٥، ١٠٤، ١٠٣، ١٠٢، ١٠١، ١٠٠، ٩٩، ٩٨، ٩٧، ٩٦، ٩٥، ٩٤، ٩٣، ٩٢، ٩١، ٩٠، ٨٩، ٨٨، ٨٧، ٨٦، ٨٥، ٨٤، ٨٣، ٨٢، ٨١، ٨٠، ٧٩، ٧٨، ٧٧، ٧٦، ٧٥، ٧٤، ٧٣، ٧٢، ٧١، ٧٠، ٦٩، ٦٨، ٦٧، ٦٦، ٦٥، ٦٤، ٦٣، ٦٢، ٦١، ٦٠، ٥٩، ٥٨، ٥٧، ٥٦، ٥٥، ٥٤، ٥٣، ٥٢، ٥١، ٥٠، ٤٩، ٤٨، ٤٧، ٤٦، ٤٥، ٤٤، ٤٣، ٤٢، ٤١، ٤٠، ٣٩، ٣٨، ٣٧، ٣٦، ٣٥، ٣٤، ٣٣، ٣٢، ٣١، ٣٠، ٢٩، ٢٨، ٢٧، ٢٦، ٢٥، ٢٤، ٢٣، ٢٢، ٢١، ٢٠، ١٩، ١٨، ١٧، ١٦، ١٥، ١٤، ١٣، ١٢، ١١، ١٠، ٩، ٨، ٧، ٦، ٥، ٤، ٣، ٢، ١، ٠ .

كما ذكر فضل بعض الآيات من سورة الكهف ، وهو ما جاء في حديث أبي الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ : “ من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من فتنة الدجال ” () .
ويروي ابن سلام حديثاً آخر عن فضل خاتمة سورة الكهف عن قتادة أيضاً وهو قوله : “ من حفظ خاتمة سورة الكهف كانت له نورا يوم القيامة من لدن قرنه إلى قدمه ” () .

خامسا : موقفه من تفسير القرآن بأقوال السلف :

كثيرا ما يفسر يحيى الآيات بأقوال الصحابة والتابعين مسندة وغير مسندة :

ففي قوله تعالى ﴿ له معقبات ﴾ ()

قال يحيى : عبد القدوس بن مسلم عن ليث عن مجاهد قال : مامن آدمي إلا ومعه ملكان يحفظانه في ليله ونهاره ونومه ويقظته من الجن والإنس والدواب والسباع والهوام ... ()

وقال في قوله عز وجل ﴿ وتوكل على العزيز الرحيم الذي يراك حين تقوم ﴾ () : قال قتادة : الذي يراك

قائما وجالسا وفي صلاتك . قال ﴿ وتقلبك في الساجدين ﴾ () قال قتادة : في الصلاة وقال بعضهم :

﴿ الذي يراك حين تقوم ﴾ في الصلاة وحدك ﴿ وتقلبك في الساجدين ﴾ في صلاة الجميع وقال بعضهم :

﴿ الذي يراك حين تقوم ﴾ في الصلاة قائما ﴿ وتقلبك في الساجدين ﴾ في الركوع والسجود قال يحيى :

أحد هذين الوجهين تفسير السدي وفتادة ... وتفسير ابن مجاهد عن أبيه : الذي يراك حين تقوم أينما

كنت . ()

() أخرجه مسلم - كتاب صلاة المسافرين - باب فضل سورة الكهف ٥٥٥/١ ، وأحمد ١٩٦/٥ ، ٤٤٩/٦ ، ٤٤٦ ، وغيرها .

() أخرجه هكذا مرسلا عبد الرزاق في المصنف ٣٧٧/٣ وأصله حديث أبي الدرداء السابق ذكره فقد جاء من طريقه موصولا عند أبي عبيد في فضائل القرآن ص ١٧٧ .

() الرعد : ١١

() في إسناده ليث بن أبي سليم قال الحافظ : صدوق اختلط لُجدا ولم يتميز حديثه فترك (التقريب ٥٦٨٥) ولكن أخرجه ابن جرير ١١٥/١٣ من طرق أخرى عن مجاهد بنحوه، وقد جاء هذا التفسير عن غيره من السلف أيضا (انظر الدر ٥٤،٥٥/٤) .

() الشعراء : ٢١٩

() الشعراء : ٢٢٠

() (١٨) وفي مختصر ابن أبي زمنين ١٢٩/ب : ﴿ الذي يراك حين تقوم ﴾ يعني حين تقوم في الصلاة وحدك ﴿ وتقلبك في الساجدين إنه هو السميع العليم ﴾

وقال في قوله ﴿ياموسى لا تخف إني لا يخاف لدي﴾ () : قال قتادة : عندي ﴿المرسلون إلا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فإني غفور رحيم﴾ () تفسير الحسن : ﴿ لا يخاف لدي المرسلون ﴾ في الآخرة وفي الدنيا لأنهم أهل الولاية وأهل المحبة ﴿إلا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء﴾ فغفر الله له وهو قتل ذلك القبطي لم يتعمد قتله ولكن تعمد وكزه . ()

قال : قوله عز وجل : ﴿وأدخل يدك﴾ () قال السدي : يعني يده بعينها ، ﴿في جيبك﴾ () قال قتادة : أي في جيب قميصك ﴿تخرج بيضاء من غير سوء﴾ () قال : من غير برص ، وهو تفسير السدي .

قال : قوله ﴿ماكان للنبي والذين آمنوا... الجحيم﴾ () أخبرنا سعيد عن قتادة وهشام عن قتادة قال : كان أنزل في سورة بني إسرائيل ﴿وقل لهما قولاً كريماً واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً﴾ () ثم أنزل هذه الآية ﴿ماكان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين﴾ () إلى آخر الآية فلا ينبغي لمسلم أن يستغفر لوالديه إذا كانا مشركين ولا يقول رب ارحمهما () . وقال الحسن : ﴿من بعد ماتبين لهم أنهم أصحاب الجحيم﴾ () ماتوا على الكفر .

قال يحيى : يقول : اللهم اهده ولا يقول : اللهم اغفر له . ()

() النمل : ١٠

() النمل : ١١

() وفي ابن أبي زمنين ١٣٠/أ : إني لا يخاف لدي المرسلون أي عندي إلا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فإني غفور رحيم أي فإنه لا يخاف عندي وكان موسى ممن ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء غفر الله له وهو قتل ذلك القبطي لم يتعمد قتله ولكن تعمد وكزه .

قال محمد : قوله ﴿إلا من ظلم﴾ قال : هو استثناء ليس من الأول والله أعلم : لكن من ظلم من المسلمين وغيرهم ثم تاب .

() النمل : ١٢

() النمل : ١٢

() النمل : ١٢

() التوبة : ١١٣

() الإسراء : ٢٣-٢٤

() التوبة : ١١٣

() هو مذكور بنحوه في الناسخ والمنسوخ لقتادة ص ١٨١ ، وقد ذكره النحاس في ناسخه ص ١٨١ .

() التوبة : ١١٣

() ق ٦٠٥

وفي قوله تعالى ﴿وآخرين منهم لما يلحقوا بهم﴾ ()
 قال يحيى : عن صاحب له عن فطر بن خليفة عن مجاهد قال : ﴿وآخرين منهم لما يلحقوا بهم﴾ :
 إخوانهم من العجم () .

وقال : قوله ﴿كما أنزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين﴾ () تفسير الحسن يقول : أنزلنا
 عليك القرآن كما أنزلنا على المقتسمين والمقتسمون أهل الكتابين الذين اقتسموه فجعلوه كتباً بعد إذ كان
 كتاباً واحداً فجعلوه كأعضاء وحرفوه عن مواضعه ثم قالوا : هذا من عند الله . وكتب الله كلها القرآن .
 وقال : قول الله تعالى : ﴿لمسجد أسس على التقوى من أول يوم﴾ ()

حدثني إبراهيم بن محمد عن محمد بن المنكدر عن عبد الله بن جعفر عن علي وعمر
 قالا : المسجد الذي أسس على التقوى مسجد النبي عليه السلام () .

وقال في تفسير قوله تعالى : ﴿رفع السموات بغير عمد ترونها﴾ ()
 سعيد عن قتادة عن ابن عباس : لها عمد ولكن لا ترونها () .

وفي قوله ﴿فلا أقسم بمواقع النجوم﴾ () قال : أقسم بمواقع النجوم إن هذا القرآن ﴿لقرآن كريم﴾ على
 الله ﴿في كتاب مكنون﴾ عند الله بأيدي الملائكة السفرة الكرام البررة ﴿لا يمسه إلا المطهرون﴾ () يعني
 من الذنوب وهم الملائكة وهو تفسير السدي .

قوله عند تفسير قول الله تعالى : ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾ () .

() الجمعة : ٣
 () إسناده ضعيف لأن فيه مبهما وقد أخرجه ابن جرير ٩٥/٢٨ من غير هذه الطريق عن مجاهد وعزاه السيوطي
 لسعيد بن منصور وعبد بن حميد وغيرها (الدر ٢٣٨/٦) .

() الحجر : ٩٠-٩١
 () التوبة : ١٠٨
 () ق ٢١ ، وفي إسناده إبراهيم بن محمد بن أبي يحيى الأسلمي قال الحافظ : متروك ، (التقريب ٢٤١) وانظر
 (تهذيب الكمال ٦٣/١) وقد روي ذلك عن غير واحد من الصحابة (انظر الدر المنثور ٣/٣٠٠) ورواه الترمذي مرفوعاً
 - كتاب التفسير ٥/٢٨٠ وقال : حسن صحيح غريب .

() الرعد : ٢
 () إسناده ضعيف لانقطاعه فتادة لم يسمع من غير أنس من الصحابة (انظر التهذيب ٨/٣٥١) وقد فسرها بذلك
 تلميذ ابن عباس : مجاهد (انظر التفسير المنسوب إليه ١/٣٢٣)

() الواقعة : ٧٥
 () الواقعة : ٧٩
 () المجادلة : ١١

هشام عن قتادة عن مطرف بن عبد الله قال : فضل العلم أعجب إلي من فضل العبادة . قيل : لم ؟ قال : لأنه أروع لله عن محارمه (١) .

عاصم بن حكيم عن هلال بن خباب قال : قلت لسعيد بن جبير : متى هلاك هذه الأمة ؟ فقال : إذا هلك فقهاؤها هلكوا (٢) .

سادسا : موقفه من السيرة والتاريخ وذكر الغزوات :

ذكر ابن سلام عدة روايات في الإسراء مستقاة من السيرة في بداية سورة الإسراء ومن ذلك قوله : وقال بعض من رواه : يا محمد نسألك عن غيرنا هل رأيتها في الطريق ؟ قال : نعم قال : أين ؟ قال : مررت على غير بني فلان بالروحاء وقد أضلوا ناقة لهم وهم في طلبها فذكر قصة طويلة .

ومن مواضع تعرضه للسيرة بيانه لقوله عز وجل ﴿ لا يجل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ﴾ (٣) بالاستناد إلى رواية الكلبي حيث ذكر أن الرسول ﷺ لما تزوج أسماء بنت النعمان الكندية وكانت من أحسن البشر ، فقالت نساء نبي الله : لئن تزوج رسول الله علينا الغرائب ، ما له فينا حاجه ، فحبس الله نبيه على أزواجه اللائي عنده ، وأحل له من بنات العم والعمة والحال والحالة ما شاء . (٤)

وفسر قوله عز وجل ﴿ وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطأوها ﴾ (٥) ، بما رواه من أن النبي ﷺ ، لما حاصر بني النضير وقطع نخلهم ، فرأوا أنه قد ذهب بعيشهم فصالحوه على أن يجلبهم إلى الشام . (٦)

سابعا : موقفه من الإسرائيليات :

والإسرائيليات في تفسير يحيى كثيرة لأنه ينقل عن الكلبي في مواضع عدة ومن ذلك قوله في تفسير قوله عز وجل : ﴿ قيل لها ادخلي الصرح ﴾ (٧)

(٨) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ٣٢/١ من طريق قتادة به نحوه وإسناده صحيح . هشام : هو ابن سنبر الدستوائي قال الحافظ : ثقة ثبت (التقريب ٧٢٩٩) وفتادة : ثقة مشهور .

(٩) ق ١٢٧ ، أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ١٥٣/١ من طريق هلال به وعاصم : قال الحافظ : صدوق (التقريب ٣٥٥) وهلال : قال الحافظ : صدوق تغير بأخرة (التقريب ٧٣٣٤) فالإسناد حسن .

١	١	٤	() الأحزاب : ٥٢
١	١	٥	() ق ٩١
١	١	٦	() الأحزاب : ٢٧
١	١	٧	() ق ١١٨
١	١	٨	() النمل : ٤٤

وقال الكلبي : إن الجن استأذنوا سليمان وقالوا : ذرنا فلنبن لها صرحا من قوارير -والصرح قصر - ننظر كيف عقلها وخافت الجن أن يتزوجها سليمان فتطلع سليمان على أشياء كانت الجن تخفيها من سليمان ، قال قتادة : وكان أحد أبويها جنيا قال يحيى : فلذلك تخوفوا ذلك منها ، قال الكلبي : وأذن لهم فعمدوا إلى الماء فحجزوه في أرض فضاء ثم أكثروا فيه من الحيتان والضفادع ثم بنوا عليه سترة من زجاج ثم بنوا عليه صرحا - قصرا ممردا - من قوارير - والمرد الأملس - ثم أدخلوا عرش سليمان - أي سرير سليمان - وعرشها وكراسي عظماء الملوك ثم دخل الملك سليمان ودخل معه عظماء جنده ثم قيل لها : ادخلي الصرح وفتح الباب فلما أرادت الدخول إذا هي بالحيتان والضفادع فظنت أنها مُكرِّ بها لتغرق ثم نظرت فإذا هي بالملك سليمان على سريريه والناس عنده على الكراسي فظنت أنها مخاضة فكشفت عن ساقها وكان بها سوء فلما رآها سليمان كرهها فلما عرفت الجن أن سليمان قد رأى منها ماكانت تكتم من الناس قالت لها الجن : لاتكشفي عن ساقيك ولا قدميك... الخ .

وقال ابن مجاهد عن أبيه : وكانت أم بلقيس جنية وكان قدم بلقيس كحافر حمار وقال قتادة : وكان مؤخر رجلها كحافر الدابة . ()

وفي قوله تعالى ﴿إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض﴾ () :

قال : عن كعب الأحبار قال : إن يأجوج ومأجوج ينقرون كل يوم بمنقرهم في السد ، فيشرعون فيه ، فإذا أمسوا قالوا : نرجع غدا فنفرغ منه ، فيصبحون وقد عاد كما كان ، فإذا أراد الله تبارك وتعالى خروجهم قذف على ألسن بعضهم الاستثناء ، فقالوا : نرجع غدا إن شاء الله ، فنفرغ منه ، فيصبحون وهو كما تركوه ، فينقرونه فيخرجون على الناس .

ومما يتصل بهذا المبحث روايته لبعض الأخبار المتعلقة بتوضيح مبهمات القرآن فقد ذكر في تفسير الرجل ، والمدينة من قوله تعالى ﴿وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى﴾ () أن الرجل هو حبيب النجار ، وأن المدينة هي أنطاكية () .

() ق ٢٨ ونقله أيضا ابن أبي زمنين ١٣٢/أ عن الكلبي
() الكهف: ٩٠
() القصص: ٢٥
() ق ٦٥٧

ثامنا : موقفه من اللغة :

يقوم بتفسير بعض المفردات التي لا رواية فيها ومن ذلك قوله :

قال يحيى : ﴿الدين﴾ () في اللغة الجزاء ، ومن كلام العرب دنته أي جازيته (٢) .

وقال : قوله عز وجل ﴿إنه هو السميع العليم﴾ () لا أسمع منه ولا أعلم منه . ()

وقال يحيى : قوله : ﴿وإذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولو الطول

منهم﴾ () ذوو السعة والغنى في البقاء والتخلف عن الجهاد ، ﴿وقالوا ذرنا نحن مع القاعدین﴾ ()

النساء () .

وأقول : هذا فيه نظر وإنما النساء أردن بقوله : الخوالب ، وأما القاعدون فهو جمع مذكر سالم أريد به

المتخلفون من المعذورين () .

وقال يحيى عند تفسير قول الله عز وجل : ﴿بئسما اشتروا به أنفسهم﴾ () : وكل شيء في القرآن

"اشتروا" فهو شراء إلا هذه الآية ، وكل شيء في القرآن "شروا" فهو بيع () .

وقال ﴿طوبى لهم﴾ () أي : حسناً لهم وهي كلمة من كلام العرب . ()

ومن تعرضه أيضا لبعض النواحي اللغوية قوله : ﴿سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو

مستخف بالليل وسارب بالنهار﴾ () فيها تقديم وتأخير : سواء من أسر القول منكم ومن جهر به

... قوله : ﴿له معقبات﴾ () لهذا المستخفي وهذا السارب ، ﴿من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من

١	٢	٣	٤ () الفاتحة :
١	٢	٤	() انظر ابن أبي زمنين ٧/ب
١	٢	٥	() الشعراء : ٢٢٠
١	٢	٦	() ق ١٨
١	٢	٧	() التوبة : ٨٦
١	٢	٨	() التوبة : ٨٦
١	٢	٩	() ق ١٩
١	٣		() انظر تفسير الطبري ١٠/٢٠٧-٢٠٨
١	٣	١	() البقرة : ٩٠
١	٣	٢	() انظر ابن أبي زمنين ١١/ب
١	٣	٣	() الرعد : ٢٩
١	٣	٤	() ق ٦٦٨
١	٣	٥	() الرعد : ١٠
١	٣	٦	() الرعد : ١١

أمر الله ﴿ () فيها تقديم وتأخير : له معقبات من بين يديه ومن خلفه من أمر الله ، أولئك يحفظونه () .

وتعرض ابن سلام إلى بعض الألفاظ الواردة في القرآن والتي هي من أصل أعجمي فنسبها إلى أصولها .
 مثل لفظة (المشكاة) في قوله تعالى ﴿الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح﴾ ()
 قال : المشكاة : الكوة في البيت التي ليست بنافذة وهي بلسان الحبشة () . ولفظة (المنسأة) في قوله
 تعالى ﴿ فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته ﴾ () قال : وهي العصا
 بالحبشية () . وقال في أصل لفظة (القسطاس) في قوله تعالى : ﴿ وأوفوا الكيل إذا كلتم بوزن القسطاس
 المستقيم ﴾ () بالقسطاس : العدل بالرومية ()
 ولم أقف على استدلال ليحيى بالشعر فيما رجعت إليه من تفسيره () .

١	٣	٧	() الرعد : ١١
١	٣	٨	() ق ٢٧
١	٣	٩	() النور : ٣٥
١	٤	٠	() ق ٥٣
١	٤	١	() سبأ : ١٤
١	٤	٢	() ق ٩٣
١	٤	٣	() الإسراء : ٣٥
١	٤	٤	() ق ٩

() وقد وقعت صاحبة التفسير واتجاهاته في مآزق كبير ويبدو أنها لا تحفظ القرآن حيث نسبت لابن سلام أنه يحتج
 للتفسير اللغوي بالشعر العربي القديم وقالت : فقد ذكر في تفسير معنى (أسفا) من قوله تعالى ﴿ فلعلك باخع نفسك
 على آثارك إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا ﴾ (الكهف : ٦) : غضبا وهو تفسير قتادة ثم قال : مثل قوله :

..... فلما آسفونا أغضبونا

انظر التفسير واتجاهاته ص ٩٥

فظنت أن قوله : فلما آسفونا أغضبونا شطرا من بيت شعر عربي ووصفته بأنه قديم والمراد كما هو واضح تفسير كلمة
 آسفونا من قوله تعالى ﴿ فلما آسفونا انتقمنا منهم ﴾ (الزخرف : ٥٥) بأن معناها : أغضبونا . وهو موافق لما رواه ابن
 جرير ٨٤/٢٥ عن قتادة وغيره .

تاسعا : موقفه من القراءات : ()

لقد وصف الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور منهج ابن سلام بقوله : ... يتدرج من اختيار المعنى إلى اختيار القراءة التي تتماشى وإياه ، مشيراً إلى اختياراته في القراءة بما يقتضي أن له رواية ، أو طريقاً ، لا يبعد أن تكون راجعة إلى قراءة أبي عمرو بن العلاء البصري ، لأن يحيى بن سلام بصري النشأة . ()
ويؤيد كلامه هذا ما جاء في تفسير يحيى لقوله تبارك وتعالى ﴿ أن لهم النار وأنهم مُفْرَطُونَ ﴾ () حيث قال : معجلون إلى النار ... وبعضهم يقرأ هذا الحرف ﴿ وأنهم مُفْرَطُونَ ﴾ يعني أنهم مفْرَطُونَ : قولهم : ﴿ يا حسرتنا على ما فرطنا فيها ﴾ () ، ثم قال : وكذلك قرأتها عند أبي عمرو .
وقد كان له مصحف معتمد رجح البعض أنه مصحف البصرة () ظهر ذلك عند تفسيره لقوله تعالى ﴿ الزانية والزاني ﴾ () حيث قال يحيى : وأما الرجم فهو في مصحف أبي بن كعب وفي مصحفنا . ()
وكثيراً ما يشير يحيى في تفسيره إلى أوجه القراءة المختلفة ، غير أنه لا يصرح بأسماء أصحاب تلك القراءات إلا قليلاً ، ولا غرابة في ذلك ، فقد ذكر ابن الجزري أنه روى الحروف عن أصحاب الحسن البصري ومنهم الحسن بن دينار وغيره . وقال : وله اختيار في القراءة من طريق الآثار . () ومن نماذج ذلك ما يلي :

() انظر دراسة خاصة بالقراءات عند يحيى بن سلام من خلال تفسيره عند هند شليبي في القراءات بإفريقية ص ١٥١-١٨٥

١	٤	٧	() التفسير ورجاله ص ٢٧
١	٤	٨	() النحل : ٦٢
١	٤	٩	() الأنعام : ٣١
١	٥		() انظر القراءات بإفريقية ص ١٧٦ .
١	٥	١	() النور : ٢
١	٥	٢	() ق ٤٩

() غاية النهاية ٣٧٣/٢ ورواية الحروف لم أقف على من حُد لها حدا ولكنها غير عرض القراءات قطعاً ، وربما يتضح معناها مما ذكره ابن الجزري في ترجمة يحيى بن سعيد الكوفي حيث قال : قال يوسف القطان : قلت لجرير بن عبد الحميد كيف أخذتم هذه الحروف عن الأعمش ؟ قال : إذا كان شهر رمضان جاء أبو حيان التميمي وحمزة الزيات مع كل واحد منهما مصحف فيمسكان على الأعمش المصحف ويقرأ ويجتمع الناس ويسمعون قراءته فأخذنا الحروف من قراءته . غاية النهاية ٣٧٢/٢-٣٧٣

وقال القاري : كان رسول الله ﷺ قد تلقى أحرف القرآن السبعة ... ثم علق قائلاً : الحرف لغة الوجه ومعناه هنا وجه القراءة وعند الصحابة كانوا يستعملون هذا الاصطلاح مرادفاً للقراءة فقول عمر بن الخطاب : سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان فإذا هو يقرأها على حروف كثيرة ، أي على قراءات كثيرة ، ويقولون : حرف زيد وحرف

قوله ﴿ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون﴾ (١)، أشار يحيى إلى أن أنها تقرأ بالتخفيف والتثقيل أي :
يَكْذِبُونَ من الكذب ، وَيُكْذِبُونَ من التكذيب . (٢)

قوله ﴿وأتموا الحج والعمرة لله﴾ (٣) قال يحيى : مقراً العامة بالنصب فيهما . وذكر قراءة أخرى وهي :
نصب الحج ورفع العمرة ، وذكر أن هذه القراءة تتفق مع قول من ذهب إلى أن الحج فريضة والعمرة
تطوع . (٤)

قوله ﴿قالوا ساحران تظاهرا وقالوا إنا بكل كافرون﴾ (٥) قال : يعنون موسى ومحمدا ﷺ في تفسير
الحسن ، وقال سعيد بن جبير : يعنون موسى وهارون عليهما السلام . (٦)

قوله ﴿فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون﴾ (٧) قال : وهي تقرأ زُبْرًا وزُبْرًا فمن قرأها
زُبْرًا يقول : قطعاً ، ومن قرأها زُبْرًا يقول : كتباً . (٨)

قوله ﴿وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية﴾ (٩) قال : وهي تقرأ على وجهين : ﴿قرن﴾ و
﴿قرن﴾ ، فمن قرأها ﴿وقرن﴾ فمن قبل القرار ، ومن قرأها ﴿وقرن﴾ فمن قبل الوقار . (١٠)

أبي وحرف ابن مسعود ، كل ذلك معناه القراءة التي يرويها هؤلاء ، فالنسبة إليهم كنسبة الحديث النبوي إلى رايه .
سنن القراء ومناهج المجودين ص ٣٢ .

وتعبير روى الحروف ونحوه متكرر عند ابن الجزري بكثرة في غايته انظر أمثلة لذلك
٢/٢٧٤، ٢٦١، ١٦٨، ١٠٨، ١٠٦، ٣٦ ويلاحظ أن هذا التعبير غالباً ما يكون في المتقدمين قبل تسبيع السبعة .

(١) البقرة : ١٠
(٢) انظر مختصر ابن أبي زمنين ل٤/ب
(٣) البقرة : ١٩٦
(٤) انظر مختصر ابن أبي زمنين ل٧/٢١/ب
(٥) القصص : ٤٨

(٦) ق ٣٤ ويلاحظ هنا أنه اعتمد قراءة الحسن وأهل البصرة وغيرهم : ساحران بفتح المهملة بعدها ألف ، والقراءة
الأخرى وهي قراءة أهل الكوفة : سحران بكسر المهملة بدون مد ثم سكون وهما قراءتان سبعيتان . انظر : إتخاف
فضلاء البشر ص ٣٤٣

(٧) المؤمنون : ٥٣
(٨) قراءة العشرة بضم الباء وقرأ بالفتح الأعمش قال أبو حيان : جمع زبرة . انظر البحر المحيط ٦/٣٣٨
(٩) الأحزاب : ٣٣
(١٠) ق ١٢٠ والقراءة الأولى بفتح القاف والثانية بكسرها وهما قراءتان سبعيتان .

قوله ﴿ سورة أنزلناها وفرضناها وأنزلنا فيها آيات بينات لعلكم تذكرون ﴾ () قال: وهي تقرأ على وجهين : ﴿ فرضناها ﴾ و ﴿ فَرَضْنَاهَا ﴾ على التخفيف والتثقيل ثم قال : فرض فيها فرائضه قال قتادة : وحد فيها حدوده وسن فيها سننه يعني ما فرض في هذه السورة وسن فيها . وقال السدي : وفَرَضْنَاهَا : يعني بينها . ()

قوله ﴿ حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة ﴾ () ، قال : وهي تقرأ على وجهين : ﴿ حمئة ﴾ و ﴿ حامية ﴾ ثم قال : حدثني المعلى عن محمد بن عبيدالله عن ابن أبي مليكة قال : تمارى ابن عباس وعمرو بن العاص في ﴿ عين حمئة ﴾ فقال ابن عباس : حمئة ، وقال عمرو : عين حامية فجعلا بينهما كعب الحبر فقال كعب : نجدها في التوراة تغرب في ماء وطين كما قال ابن عباس . () ثم أشار ابن سلام إلى معنى ما جاء في قول كعب الأحبار فقال : يعني بالحماً : الطين المنتن () ، ومن قرأها حامية يقول حارة . ()

وهو يتعرض للقراءات الشاذة المخالفة لرسم المصحف :

ومن هذا النوع ما ذكره في قراءة قوله تعالى : ﴿ فإما ترين من البشر أحدا فقولي إني نذرت للرحمن صوما ﴾ () قال : قال سعيد عن قتادة : كانت تقرأ في الحرف الأول : صمتا () وبلغني عن أنس بن مالك أنه كان يقرأها ﴿ صوما ﴾ صمتا . ()

قوله ﴿ أن بورك من في النار ومن حولها ﴾ () قال : قال قتادة : ﴿ ومن حولها ﴾ الملائكة وهي في مصحف أبي بن كعب : نودي أن بورك من في النار ومن حولها . ()

١	٦	٤	() النور : ١
١	٦	٥	() ق ٤٩
١	٦	٦	() الكهف : ٨٦
			() أخرج ابن جرير نحوه ١١٧/١٦ من طريق عطاء ابن أبي رباح عن ابن عباس . وعزاه السيوطي أيضا لسعيد بن منصور وابن المنذر (انظر الدر المنثور ٢٧٢/٤)
١	٦		() انظر المفردات في غريب القرآن ص ١٣٣
			() ق ١٩ ، وهما قراءتان سبعيتان انظر لتوجيههما بنحو مما هنا : إتخاف فضلاء البشر ص ٢٩٤
١	٧	٠	() مريم : ٢٦
١			() أخرجه ابن جرير ٧٥/١٦ من طريق يزيد بن زريع عن سعيد به مثله وفيه زيادة .
١	٧	٢	() ق ٢٢
١	٧	٣	() النمل : ٨

قوله : ﴿ له معقبات من بين يديه ومن خلفه ﴾^(١) . قال : سعيد عن قتادة قال : هي في قراءة أبي بن كعب : له معقبات من بين يديه ورقيب من خلفه .

وأما اختيار يحيى في القراءات الذي أشرنا إليه آنفا حفظ لنا بعض حروفه ابن أبي زمنين في مختصره ومن ذلك قوله :

﴿ واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ﴾^(٢) قال محمد : قراءة يحيى : ﴿ واتخذوا ﴾ بكسر الخاء .

وقوله ﴿ ومن يعش عن ذكر الرحمن ﴾^(٣) قال محمد : قراءة يحيى : يعش ، بفتح الشين .^(٤)

وقوله ﴿ في غيابة الجب ﴾^(٥) قال محمد : كل شيء غيب عنك شيئاً فهو غيابة ، وكذلك قرأ يحيى : ﴿ غيابة الجب ﴾^(٦) .

عاشرا : موقفه من الفقه والأصول :

وهو يتعرض للفقهيات دائما في نقوله عن الصحابة والتابعين وأحيانا من كلامه هو كما في تفسير قوله تعالى ﴿ ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ﴾^(٧) بعد أن ذكر الآثار والكلام في الرجم قال يحيى : ولا تحصن الأمة ولا اليهودية ولا النصرانية ولا يحصن المملوك الحرة ولا يحصن الحر إذا كانت له امرأة لم يدخل بها ولا تحصن امرأة لها زوج لم يدخل بها وإذا أحصن الرجل أو المرأة فوطئ مرة واحدة ثم زنا بعد ذلك وليس له امرأة يوم زنا أو زنت امرأة ليس لها زوج يوم زنت فهما محصنان يرجمان وإذا زنا أحد الزوجين وقد أحصن ولم يحصن الآخر رجم الذي أحصن منهما وجلد الذي لم يحصن منهما مائة ولا تحصن أم الولد وإن ولدت له أولادا وإذا زنا الغلام أو الجارية وقد تزوجا وقد دخل الغلام بامرأته أو دخل على الجارية زوجها ولم يكن الغلام احتلم ولم تكن الجارية حاضت فلا حد عليهما لا رجم ولا جلد حتى يحتلم أو تحيض ... الخ كلامه فهو أطول من ذلك.^(٨)

١	٧	٤	() ق ٢٠
١	٧	٥	() الرعد : ١١
١	٧	٦	() البقرة : ١٢٥
١	٧	٧	() الزخرف : ٣٦
١	٧	٨	() ل ٣١٥/أ
١	٧	٩	() يوسف : ١٠
١	٨	١٠	() ل ١٥٢/أ
١	٨	١	() النور : ٢
١	٨	٢	() ق ٧٣٥

وأطال أيضا في المواييث تحت قوله تعالى ﴿يوصيكم الله في أولادكم...﴾ () الآيات ، إطالة مملة لأ
علاقة لها بالتفسير حيث عدد حالات تفصيلية:

ومن ذلك قوله : أخ لأب وأم نصفه حر وأخ لأب حر فنصف المال للأخ لأب وأم لأن نصفه حر
والنصف الثاني للأخ للأب

وقوله : رجل ترك ثلاثة بنين أحدهم حر ونصف الآخر حر ... الخ

وعقد أبوابا : ميراث الملاعنة في قول ابن مسعود وعلي ...

وللأرحام في قول ابن مسعود ... الخ .

وكثيراً ما يذكر يحيى اختياره من بين ما يورده من الروايات ، معبراً عن ذلك ، بقوله : " وبه يأخذ يحيى "
ومن ذلك :

أنه أورد عدة روايات في نفقة المطلقة ثلاثاً وسكنها ، ثم أورد الرواية عن عمر رضي الله عنه بأن لها السكنى والنفقة
، وقال على إثرها : " وبه يأخذ يحيى " . ()

كما ساق يحيى عدة روايات تتعلق بنفقة الحامل المتوفى عنها زوجها ، وفي آخرها أورد رواية عن جابر بن
عبد الله والحسن وسعيد بن المسيب وعطاء ، قالوا : الحامل المتوفى عنها لا نفقة لها ثم قال : " وبه يأخذ
يحيى " . ()

ومن رواياته في النسخ :

ما تقدم في قوله ﴿ماكان للنبي والذين آمنوا....الجحيم﴾ ()

قال : أخبرنا سعيد عن قتادة وهشام عن قتادة قال : كان أنزل في سورة بني إسرائيل ﴿وقل لهما قولا

كرهما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا﴾ () ثم أنزل هذه الآية

﴿ماكان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين﴾ () إلى آخر الآية ، فلا ينبغي لمسلم أن يستغفر

لوالديه إذا كانا مشركين ولا يقول : رب ارحمهما . ()

() النساء: ١١-١٢ ٣

() ق٥٣ ٤

() ق٥٣ وانظر أيضا ق ٢٠ ٥

() التوبة : ١١٣ ٦

() الإسراء : ٢٣-٢٤ ٧

() التوبة : ١١٣ ٨

() سبق تخريجه وتخريج الآيات في موقف المؤلف من تفسير القرآن بأقوال السلف .

وللمؤلف استطرادات في بعض الأحيان سوى ماتقدم في الفقهيات ومن ذلك إطالته في الحديث عن الجمعة وخطبتها في تفسير سورة الجمعة فساق أحاديث وآثاراً جانبية لا علاقة لها بالتفسير ومنها قوله : ابن لهيعة عن عبد ربه بن سعيد عن أخت لعمره بنت عبد الرحمن قالت : حفظت هذه السورة ق والقرآن المجيد من في رسول الله ﷺ عن ظهر قلب وهو على المنبر كل يوم جمعة . ()

() ابن لهيعة مشهور وفيه كلام كثير ، وعبد ربه قال الحافظ^٩ : ثقة (التقريب ٣٧٨٦) وأخت عمرة هي أم حارثة بنت النعمان وقد أخرج حديثها هذا غير واحد من طرق أخرى ومنهم مسلم - كتاب الجمعة - باب تخفيف الصلاة والخطبة ٥٩٥/٢ من طريق يحيى بن سعيد عن عمرة عن أختها به نحوه .

تفسير بقي بن مخلد

من خلال نقول من تفسيره وكتابه في الحوض والكوثر



مؤلف هذا التفسير هو بقي بن مخلد بن يزيد الأندلسي أبو عبد الرحمن القرطبي ت ٢٧٦هـ وهو من الوافدين على المنطقة دخل إفريقية وسمع بها من الإمام سحنون وجماعة من أهلها . ()

التعريف بالتفسير :

وتفسير بقي بن مخلد من التفاسير المفقودة ويبدو أنه فقد فيما فقدته الأمة من تراث مع الهجمات الصليبية على الأندلس () ، والكتاب له مكانة كبيرة عند أهل العلم . قال الداوودي : ولبقي بن مخلد تفسير القرآن ، ومسند النبي ﷺ ليس لأحد مثله . ()
ووصفهما الذهبي بقوله : لانظير لهما . ()

وقال الحميدي : قال لنا أبو محمد علي بن أحمد : فمن مصنفات أبي عبد الرحمن كتابه في تفسير القرآن فهو الكتاب الذي أقطع قطعا لا استثناء فيه أنه لم يؤلف في الإسلام مثله ولا تفسير محمد بن جرير الطبري ولا غيره ومنها في الحديث مصنفه الكبير ... ومنها مصنفه في فتاوى الصحابة والتابعين ومن دونهم ... إلى أن قال : فصارت تواليف هذا الإمام الفاضل قواعد للإسلام لا نظير لها . ()
وقد اختصر تفسيره هذا عبد الله بن محمد بن حسن بن عبد الله بن عبد الملك أبو محمد القرطبي المتوفى سنة ٣١٨هـ ولم يصلنا هذا المختصر أيضا .

() تقدمت ترجمته في الوافدين^١ برقم ٢٠

() انظر بقي بن مخلد القرطبي^٢ ومقدمة مسنده ص ٥٠

() طبقات المفسرين ١/١١٧

() انظر السير ١٣/٢٨٥ . ٤

() بغية الملتبس وجذوة المقتبس ١/٣٠٢، ٣٠١

وتفسير بقي يرويه ابن عبد البر عن شيخه أحمد بن عبد الله بن محمد الباجي عن أبيه عن عبد الله بن
يونس بن محمد المرادي القبري عن بقي به . ()

وسوف أعطي عرضا موجزا عن تفسيره من خلال النقول التي وقفت عليها في كتاب التمهيد لابن عبد
البر كما رواها عنه ، ومن خلال بعض الروايات التفسيرية التي رواها بقي في كتابه : ماروي في الحوض
والكوثر .

منهج المؤلف العام في تفسيره :

يبدو من خلال ماوقفنا عليه من نصوص تفسيرية أن منهج بقي في تفسيره هو سرد الروايات التفسيرية
المسندة إلى النبي ﷺ وإلى الصحابة والتابعين ذات العلاقة بتفسير الآية ، ويسوق الطرق ومختلف الألفاظ
أحيانا ولا يتدخل بتعليقات من عنده على نصح كتب الأئمة المتقدمين المقتصرين على التفسير بالمأثور
أمثال عبد الرزاق وعبد ابن حميد والنسائي وابن أبي حاتم وغيرهم ، وتتضمن هذه الروايات نصوصا لغوية
وأسباب نزول وناسخا ومنسوخا وغير ذلك .

المنهج التفصيلي للمؤلف :

أولا : موقفه من العقيدة :

ذكر بقي بعض الروايات التي تخدم أبوابا من أبواب العقيدة ، وهي تدلل على عقيدة سلفية ومن ذلك
مارواه في عذاب القبر :

قال () : حدثنا إسحاق بن أبي إسرائيل قال حدثنا هشام بن يوسف عن ابن جريج قال أخبرني ابن
طاوس ، عن أبيه : ﴿ ثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا ﴾ () لا إله إلا الله ﴿ وفي
الآخرة ﴾ المسألة في القبر . ()

() انظر جهود ابن عبد البر ص ١٢٧
() انظر التمهيد ٢٢٢/٢٤٩
() إبراهيم : ٢٧
() أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٤٣٢/٢ وابن جرير في تفسيره ٢١٨/١٣ وذكره النحاس في معاني القرآن ٣/٥٣٠
والسيوطي في الدر ٥/٣٣ .

ومارواه في إثبات الشفاعة للنبي ﷺ قال :

حدثنا يحيى بن عبد الحميد قال : حدثنا قيس عن عاصم عن زر ، عن ابن مسعود ﴿عسى أن يعثك ربك مقاما محمودا﴾ () : الشفاعة () .

كما قال ابن عبد البر () محيلا القارئ إلى أقاويل العلماء في قوله تعالى ﴿ فلما تجلى ربه للجبل ﴾ () :
فلينظر في تفسير بقي بن مخلد ومحمد بن جرير وليقف على ما ذكرا من ذلك ففيما ذكره كفاية .
وفي بعض القضايا المتعلقة بالروح :

قال ابن عبد البر () : ﴿ الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها ﴾ () فروي عن ابن عباس وسعيد بن جبيرة أنهما قالوا : تقبض أرواح الأموات إذا ماتوا ، وأرواح الأحياء إذا ناموا ، تتعارف ماشاء الله أن تتعارف ؛ فيمسك التي قضى عليها الموت التي قد ماتت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى .
ذكره بقي بن مخلد عن يحيى بن عبد الحميد الحماني عن يعقوب القمي عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبيرة . وذكره أيضا عن يحيى بن رجاء عن موسى بن أعين عن مطرف عن جعفر عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس ومعنى حديثهما واحد . ()

إسحاق : قال الحافظ ابن حجر : صدوق تكلم فيه لوقفه في القرآن (التقريب ٣٣٨) . وهشام : قال الحافظ : ثقة (التقريب ٧٣٠٩) ، وابن طاوس : اسمه عبد الله قال الحافظ : ثقة فاضل عابد (التقريب ٣٣٩٧) ثقتان وابن جريج وطاوس مشهوران وقد صرح ابن جريج بالسماع فأمننا تدليسه فالإسناد حسن .

() الإسراء : ٧٩

() في إسناده يحيى بن عبد الحميد الحماني قال الحافظ : حافظ إلا أنهم اتهموه بسرقة الحديث (التقريب ٧٥٩١) وقد أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه عن ابن مسعود معناه مطولا ، كما رواه أحمد والحاكم وغيرهما عنه مرفوعا بمعناه (انظر الدر المنثور ٢١٨/٤) .

() التمهيد ١٥٣/٧

() الأعراف : ١٤٣

() التمهيد ٢٤١/٥

() الزمر : ٤٢ .

() أخرجه ابن جرير في تفسيره ٩/٢٤ وأبو الشيخ في العظمة ٣/٨٨٤-٨٨٥ كلاهما من طريق يعقوب القمي عن سعيد بن جبيرة به من قوله . ويعقوب : قال الحافظ : صدوق يهيم (التقريب ٧٨٢٢) وجعفر : مثله (التقريب ٩٦٠) فالإسناد إلى سعيد حسن .

ثانيا : موقفه من تفسير القرآن بالسنة :

وتحت قوله تعالى ﴿ طوبى لهم وحسن مآب ﴾ () وقفت على رواية لبقلي قال :

نا ابن ذكوان ، قال : حدثنا مروان ، قال : نا معاوية بن سلام ، قال : حدثني أخي زيد بن سلام أنه سمع جده أبا سلام قال : حدثني عامر بن زيد البكالي أنه سمع عتبة بن عبد السلمي يقول : جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ما حوضك هذا الذي تحدث عنه ؟ قال : “ هو ما بين البيضاء إلى بصرى ، ويمدني الله فيه بكرع ” () لا يدري أحد ممن خلق الله أين طرفه ” . قال : فكبر عمر . فقال : أما الحوض فيرد عليه فقراء المهاجرين الذين يقتلون في سبيل الله ويموتون في سبيل الله ، وأرجو أن يوردني الله الكراع فأشرب منه . قال رسول الله ﷺ : “ إن الله وعدني أن يدخل من أمتي الجنة سبعين ألفا من غير حساب ، ويشفع كل ألف لسبعين ألفا وحثا لي بكفه ثلاث حثيات ” قال : فكبر عمر ، فقال : سبعون ألفا كلهم يشفعون في آبائهم وأبنائهم وعشائرتهم ، وأرجو أن يجعلني الله في إحدى الحثيات الثلاث . فقال : يا رسول الله وهل في الجنة شجر ؟ قال : “ نعم ، فيها شجرة تدعى : طوبى ، بطنان ” () الفردوس . ” قال : يا رسول الله وأي شجرنا تشبهه ؟ قال : “ شجرة بالشام يقال لها : الجوزة ، تنبت على ساق واحد وينتشر أعلاها . ” قال : يا رسول الله فما غلظها ؟ قال : لو ركبت على جذعة من إبلك ما أحطت بها حتى يتكسر مشفرها ” () من السير ” . قال : يا رسول الله هل فيها عنب ؟ قال : “ نعم . ” قال : فما عظم العنقود ؟ قال : “ مسيرة الغراب شهرا لا يفتت ، ولا يقع . ” قال : فما عظم الحبة ؟ قال : “ هل يجد أبوك تيسا عظيما فيسلخ جلده ، فقال لأمك : أفر ” () لنا هذه الجلد نصنع به ما شئنا ” فقال : يا رسول الله إن هذه الحبة تشبعتني وأهل بيتي ! قال : “ نعم وعامة عشيرتك ” () .

() الرعد : ٢٩ ٧

() الكراع : طرف من ماء الجنة (انظر لسان العرب ٥/٣٨٥٨)

() يُطْنان الجنة : وسطها (لسان العرب ١/٣٠٤)

() المشفر للبعير كالشفة للإنسان (لسان العرب ٤/٢٢٨٨) ١

() أفرى الشيء : أصلحه . وفرى المزادة يفريها إذا خرزها وأصلحها . (انظر لسان العرب ٥/٢٧:٣٤)

() أخرجه أحمد في المسند ٤/١٨٤، ١٨٣ عن طريق عامر بن زيد البكالي به مختصرا . وقال الهيثمي : رواه الطبراني في الأوسط وفي الكبير وأحمد باختصار عنهما وفيه عامر بن زيد البكالي وقد ذكره ابن أبي حاتم ولم يجرحه ولم يوثقه وبقية رجاله ثقات . (مجمع الزوائد ١٠/٤١٣) وأخرجه ابن جرير في التفسير ١٦/٤٤٢ (طبعة شاكر) من طريق أبي سلام عن عامر بن زيد وجود إسناده المحقق ، ثم صحح إسناده الإمام أحمد اعتمادا على كون ذكر ابن أبي حاتم للرجل يعد توثيقا وفيه نظر . وعزاه السيوطي في الدر ٤/٥٩ أيضا لابن أبي حاتم وغيره . وعامر ذكره الحافظ وقال : هو معروف ، واعتبره ثقة عند ابن حبان (انظر تعجيل المنفعة ص ٢٠٤ وفيه تصحيف) .

وتحت تفسير سورة الكوثر وقفت على تلك الروايات لبقى بن مخلد قال :
 نا أبو الأصبع ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن جعفر بن عمرو ، عن عبد الله ابن مسلم الزهري ،
 عن أنس بن مالك ،
 ونا الحزامي ، قال : نا معن بن عيسى ، عن ابن أخي ابن شهاب ، عن أبيه عبد الله ابن مسلم ، قال :
 أخبرني أنس ،
 وقرئ على يحيى وأنا أسمع : عن الليث ، عن ابن الهادي ، عن عبد الله بن مسلم ، عن ابن شهاب ،
 عن أنس ،
 ونا يونس بن عبد الأعلى ، قال : نا يحيى بن بكير ، قال حدثني الليث ، عن ابن الهادي ، عن عبد
 الوهاب ، عن عبد الله بن مسلم عن ابن شهاب ، عن أنس أن رجلا قال : يا رسول الله ما الكوثر الذي
 أعطاك ربك ؟ قال : “نهر في الجنة أشد بياضا من اللبن ، وأحلى من العسل ، ما بين صنعاء إلى أيلة
 ترده طير لها أعناق كأعناق الإبل” .

فقال عمر : والله يا رسول الله إنها لناعمة ! قال : “ آكلها أنعم منها” () .
 قال أبو الأصبع في حديثه : قيل : يا رسول الله ، ولم يذكر : أشد بياضا من اللبن ، وأحلى من العسل .
 وقال الحزامي في حديثه : فيه طيور أعناقها كأعناق الجزر” .

وقال : نا ابن فضيل عن المختار بن فلفل ، قال : سمعت أنسا يقول ،
 ونا أبو بكر ، قال : نا علي بن مسهر عن المختار ، عن أنس قال : بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين
 أظهرنا إذ غفا إغفاءة ، ثم رفع رأسه متبسما . فقلنا : ما أضحكك يا رسول الله ؟ قال : “نزلت علي
 آفا سورة” فقرأ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم ، إنا أعطيناك الكوثر ، فصل لربك وانحر ، إن شانئك هو
 الأبت﴾ () . ثم قال : “هل تدرون ما الكوثر؟” . قلنا : الله ورسوله أعلم . قال : “فإنه نهر وعدنيه
 ربي ، عليه خير كثير ، هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة ، آنيته عدد النجوم ، فيختلج العبد منه ،
 فأقول : يا رب هو من أمتي . فيقول : لا تدري ما أحدثوا بعدك” () .

() أخرجه أحمد ٢٢٠/٣ ، والترمذي - صفة الجنة - باب ما جاء في صفة طير الجنة ٦٨٠/٤ ، وابن جرير
 ٣٢٤/٣٠ من طريق ابن أخي ابن شهاب به وقال الترمذي : حسن غريب .

() سورة الكوثر ١-٣
 () أخرجه مسلم - كتاب الصلاة - باب حجة من قال البسمة آية ١٢/٢-١٣ ، وأحمد ١٠٢/٣ من طريق
 المختار به .

ولم يذكر يحيى في حديثه : "بيننا رسول الله بين أظهرنا" ، وقال : فيما قال لهم ، وإما قالوا له : لم ضحكت ؟ ، وقال : "وعدني ربي في الجنة ، عليه خير كثير ، عليه حوض" .

نا هذبة بن خالد، قال : نا همام ، قال : نا قتادة ، عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال : "بيننا أنا أسير في الجنة ، إذا بنهر حافتاه الدر المجوف . فقلت : "ما هذا يا جبريل ؟" قال : هذا الكوثر الذي أعطاك ربك . قال : "فضرب الملك بيده ، فإذا طينته مسك أذفر" () () .

ونا هذبة قال : نا حماد بن سلمة ، عن ثابت قال : أخبرني أنس في ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾ قال : قال رسول الله ﷺ : "الكوثر نهر في الجنة يجري على وجه الأرض ، حافتاه قباب" () .

نا يحيى بن عبد الحميد . قال : نا عبد العزيز بن محمد ، عن حرام بن عثمان ، عن الأعرج ، عن المسور بن مخزومة عن أسامة بن زيد أن الرسول ﷺ أتى بيت حمزة بن عبد المطلب إلى الباب ، فتبعته ، فسلم ، فردت عليه امرأته السلام - وكانت امرأة من بني النجار - فقال النبي ﷺ : "أثم أبو عمارة ؟" . قلت : لا والله يا رسول الله بأبي أنت وأمي ، خرج الساعة عامداً إليك ، فأظنه أخطأك في بعض أزقة بني النجار . أفلا تدخل يا رسول الله ؟ . فدخل ، فقدمت إليه حيساً ، فأكل منه . فقالت : يا رسول الله هنيئاً لك ومريئاً ، لقد جئت وأنا أريد أن آتيك فأهنتك وأمرتك ؛ أخبرني أبو عمارة أنك أعطيت نهرًا في الجنة يدعى الكوثر . قال : "أجل ، وعرضته ياقوت ومرجان وزبرجد ولؤلؤ" . قالت : أحب أن تصف لي حوضك بصفة أسمعها منك ؟ قال : "هو ما بين أيلة وصنعاء ، فيه أباريق مثل عدد النجوم ، وأحب واردها علي قومك يا بنت قهد" - يعني الأنصار - () .

ومن مواضع اهتمام بقي بأسباب النزول قوله تعالى : ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾ ()

() أذفر : أي طيب الريح (لسان العرب ٣/١٥٠٤)

() انظر الحديث الآتي .

() أخرجه البخاري - كتاب التفسير - سورة إنا أعطيناك الكوثر ٦/٢١٩ ، ومسلم - الفضائل - باب إثبات حوض نبينا ﷺ ٤/١٨٠١ ط . فؤاد ، وأحمد ٣/٢٤٧ ، ١٠٣ ، وابن جرير ٣٠/٣٢٣ من طرق عن أنس بألفاظ مختلفة .

() أخرجه ابن جرير ٣٠/٣٢٥ من طريق حرام بن عثمان عن لعبد الرحمن الأعرج عن أسامة بنحوه ولم يذكر المسور ، وفي إسناده حرام بن عثمان ، قال مالك ويحيى : ليس بثقة ، وقال الشافعي : الرواية عن حرام حرام (انظر لسان الميزان ٢/١٨٢) وعزاه السيوطي أيضاً لابن مردويه (الدر المنثور ٦/٤٥٠)

() آل عمران : ١٦٩

قال ابن عبد البر^(١) في سبب نزول هذه الآية : ذكر بقي بن مخلد ، قال^٢ : حدثنا عثمان بن أبي شيبة ، قال : حدثنا عبد الله بن إدريس ، عن محمد بن إسحاق ، عن إسماعيل بن أمية عن أبي الزبير عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : لما أصيب إخوانكم يوم أحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ، ترد أثمار الجنة ، وتأكل من ثمرها ، وتأوي إلى قناديل من ذهب مذلة في ظل العرش ، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقبلهم ، قالوا : من يبلغ إخواننا عنا أنا أحياء في الجنة نرزق ، لئلا ينكلوا عن الحرب ولا يزهّدوا في الجهاد ؟ قال : فقال الله عز وجل : أنا أبلغهم عنكم ، فأنزل الله تعالى : ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً ﴾^(٣) الآية .^(٤)

وفي سبب نزول قوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم ﴾^(٥) قال ابن عبد البر^(٦) وذكر بقي بن مخلد ، قال : حدثنا إبراهيم بن محمد الشافعي قال : حدثنا سفيان بن عيينة عن ابن أبي خالد قال : سمعت عبد الله بن أبي قتادة قال : نزلت في أبي لبابة : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم ﴾ قال سفيان : هكذا قرأ .^(٧)

(١) التمهيد ٦١/١١
(٢) آل عمران : ١٦٩
(٣) أخرجه أحمد في المسند ٢٥٦/١-٢٦٦ وابن جرير في تفسيره ٤/١٧٠ كلاهما من طريق ابن إسحاق عن إسماعيل بن أمية بهذا الإسناد . وجاء في المسند تصريح ابن إسحاق بالسمع .
وأخرجه أبو داود في السنن - كتاب الجهاد - باب فضل الشهادة ١٥/٣ ، وأحمد في المسند ١/٢٦٢ ، والحاكم في المستدرک - كتاب التفسير - سورة آل عمران ٢/٢٩٧ ، والواحدي في أسباب النزول ص ١٢٨ كلهم من طريق عبد الله بن إدريس عن ابن إسحاق به وعندهم في الإسناد (سعيد بن جبیر) بين أبي الزبير وابن عباس وقد صححه الحاكم على شرط مسلم ، وسكت الذهبي . والحديث حسنه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود ٣/٤٧٩ وذكره ابن كثير ١/٤٠٣ من رواية المسند الأولى ، وأشار إلى زيادة (سعيد ابن جبیر) في الإسناد عند أبي داود والحاكم ثم قال : وهذا أثبت .

(٤) الأنفال : ٢٧
(٥) التمهيد ٨٣/٢٠
(٦) أخرجه ابن جرير في تفسيره ٩/٢٢٢ من طريق ابن عيينة ، عن إسماعيل بن أبي خالد
الأحمسي به دون ذكر القراءة ، وذكره السيوطي في الدر ٣/١٩٣ وعزاه أيضاً لسعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ ، وإسناده فيه ضعف لإرساله لأن عبد الله ابن أبي قتادة من التابعين إلا أن له شواهد كثيرة ذكرها السيوطي .

ثالثا : موقفه من تفسير القرآن بأقوال السلف :

قال ابن عبد البر^(١) : روى بقي بن مخلد ، حدثنا يحيى بن عبد الحميد ، قال : حدثنا هشيم عن العوام بن حوشب ، عن الشعبي عن عبد الله بن مسعود **﴿واعتصموا بحبل الله جميعا﴾**^(٢) قال : حبل الله : الجماعة .

قال بقي : وحدثنا عثمان بن أبي شيبة ، قال : حدثنا محمد بن الحسن الأسدي ، عن هشيم ، عن العوام بن حوشب ، عن الشعبي ، عن عبد الله في قوله : **﴿واعتصموا بحبل الله جميعا﴾** قال : الحبل الذي أيد الله به : الجماعة^(٣) .

قال بقي : وحدثنا أبو كريب ، حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن أبي حصين ، عن الشعبي عن ثابت بن قطبة قال : قال ابن مسعود في خطبته : أيها الناس عليكم بالطاعة والجماعة ، فإنها حبل الله الذي أمر به ، وإن ما تكروهون في الجماعة خير مما تحبون في الفرقة^(٤) .

وقال ابن عبد البر^(٥) : وقال بقي : وحدثنا ابن المسيب ، قال حدثنا ابن المبارك ، عن ابن جريج ، عن مجاهد في قوله : **﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا﴾**^(٦) الآية ، قال : يرزقون من ثمر الجنة فيجدون ريحها^(٧) .

(١) التمهيد ٢٧٢/٢١-٢٧٣^٢

(٢) آل عمران : ١٠٣^٨

(٣) أخرجه سعيد بن منصور في سننه ١٠٨٤/٣ وابن جرير في تفسيره ٣٠/٤-٣١ والطبراني في الكبير رقم ٩٠٣٣ كلهم من طريق هشيم ، عن العوام - به نحوه . وذكره الهيثمي في المجمع ٦/٣٢٦ وحكم على سنده بالانقطاع ، وذلك لأن الشعبي لم يسمع من ابن مسعود (انظر جامع التحصيل ص ٢٤٨) ويبدو أن الوساطة هو ثابت بن قطبة كما سيأتي .

(٤) أخرجه ابن جرير في تفسيره ٣٢/٤ من طرق تلتقي عند ثابت بن قطبة به ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره رقم ١١٠٢ من طريق ثابت به . وذكره السيوطي في الدر ٢/٦٠ ونسبه إليهما فقط وثابت بن قطبة ذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٤٥٧/٢ ، والبخاري في التاريخ ١٦٨/٢ ولم يذكر فيه جرحا ولا تعديلا ، وذكره ابن حبان في الثقات ٩٢/٤ وقال العجلي : ثقة (تاريخ الثقات ص ٩٠) وروى عنه جماعة فالأثر صحيح .

(٥) التمهيد ٦١/١١^١

(٦) آل عمران : ١٦٩^٢

(٧) أخرجه ابن جرير في تفسيره ٣٩/٢٣ من طريق عيسى بن ميمون ، عن ابن أبي نجيح ، عن

مجاهد بنحوه . وإسناده صحيح رجاله ثقات كما في التقريب (٢٦٦٢ ، ٥٣٣٤) وذكره السيوطي في الدر ٢/٩٦ .

قال : وحدثنا محمد بن عبيد ، قال : حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر عن قتادة في قوله : ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا﴾ الآية ، قال : بلغنا أن أرواح الشهداء في صورة طير بيض ، يأكلون من ثمار الجنة . ()

وقال ابن عبد البر () : ذكر بقي بن مخلد قال : حدثنا سفيان بن وكيع قال : حدثنا جرير عن منصور ، عن مجاهد في قوله : ﴿وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا﴾ () قال : صلاة الفجر يجتمع فيها ملائكة الليل وملائكة النهار . ()

وذكر بقي قال : حدثنا محمد بن المثني قال حدثنا محمد بن جعفر قال حدثنا شعبة ، عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة عن عبد الله أنه قال في هذه الآية : ﴿وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا﴾ قال : تدارك الحرسان ، اقرأوا إن شئتم : ﴿وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا﴾ . قال : تنزل ملائكة الليل وتصعد ملائكة النهار . ()

وقال ابن عبد البر () : ذكر بقي بن مخلد قال : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، قال : حدثنا غندر عن شعبة ، عن أبي رجاء ، عن الحسن في قوله : ﴿ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا﴾ () قال : الحسد . ()

() أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ١٣٩/١ وابن جرير في تفسيره ٣٩/٢ من طريقه عن معمر عن قتادة به ، وأخرجه ابن جرير أيضًا ١٧٢/٤ من طريق يزيد بن زريع عن سعيد عن قتادة وإسناده صحيح رجاله ثقات مشاهير .

() التمهيد ٧١/٨ ، ٥١/١٩

() الإسراء : ٧٨

() إسناده ضعيف فيه سفيان بن وكيع قال الحافظ : سقط حديثه (التقريب ٢٤٥٦) إلا أنه جاء من غير طريقه فقد أخرجه البخاري معلقًا ٢٥١/٨ بلفظ قال مجاهد : صلاة الفجر . وأخرجه ابن جرير في تفسيره ١٤١/١٥ من طرق عن مجاهد به ، وذكره السيوطي في الدر ٣٢٢/٥ وزاد نسبه إلى ابن المنذر وابن أبي شيبة .

() إسناده منقطع لأن الجمهور على أن أبا عبيدة لم يسمع من أبيه (انظر جامع التحصيل ص ٢٤٩) وقد قبل روايته عنه جماعة منهم الدارقطني وليس المجال هنا متسعًا للفصل في ذلك (وانظر تهذيب التهذيب ٧٦/٥) .

أخرجه ابن جرير في تفسيره ١٤٠/١٥ بالإسناد نفسه عن شيخه محمد بن المثني . وذكره السيوطي في الدر ٣٢٣/٥ وزاد نسبه إلى سعيد بن منصور وابن المنذر والطبراني .

() التمهيد ١٢٢/٦

() الحشر : ٩

رابعاً : موقفه من القراءات :

وربما تعرض بقي للقراءات أثناء سوق الروايات وقد تقدم معنا في أسباب النزول مارواه بقي من طريق سفيان بن عيينة عن ابن أبي خالد في قراءة ﴿وتخونوا أمانتكم﴾ () ، يعني : بالإفراد () .^٢

خامساً : موقفه من الفقه والأصول :

ومن مرويات بقي التي وقفت عليها ما يتعلق بقضية النسخ ، قال ابن عبد البر () :
بقي بن مخلد قال : حدثنا يحيى بن عبد الحميد قال : حدثنا يزيد بن هارون قال : حدثنا سفيان بن حسين ، عن الحكم ، عن مجاهد قال : لم ينسخ من المائدة إلا هاتان الآيتان : ﴿فإن جاءوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم﴾ () نسختها : ﴿وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم﴾ () وقوله : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام﴾ () نسختها : ﴿فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم﴾ () . () .^{٢ ٢ ٤ ٤ ٩ ٨}

هذا ما استطعت الوقوف عليه من مرويات بقي التفسيرية ، ولعل الله ييسر الوقوف على هذا التفسير العظيم فيخرج للنور بعد غيابه تلك القرون الطويلة .

() أخرجه البخاري معلقاً - كتاب التفسير - باب ﴿ويؤثرون على أنفسهم﴾ ٥٠٠/٨ وابن جرير في تفسيره ٤٢/٢٨ من طريق شعبة وابن علية عن أبي رجاء به واسمه محمد بن سيف قال الحافظ : ثقة (التقريب ٥٩٤٨) فالإسناد صحيح .

() (الأنفال: ٢٧) ٢ ٤ ٢
() قراءة الأفراد قراءة شاذة نقلها أبو حيان عن مجاهد وقال : روي ذلك عن أبي عمرو ١٠٠هـ وقرأ العشرة ﴿أماناتكم﴾ بالجمع (وانظر البحر المحيط ٤/٤٨٦) .

() (التمهيد ٣٨٨/١٤) ٤ ٤ ٢
() (المائدة: ٤٢) ٥ ٤ ٢
() (المائدة: ٤٩) ٦ ٤ ٢
() (المائدة: ٢) ٧ ٤ ٢
() (التوبة: ٥) ٨ ٤ ٢

() أخرجه أبو عبيد في النسخ والمنسوخ ص ١٣٦ رقم ٢٤٧ وأثن جرير في تفسيره ٢٤٥/٦ كلاهما من طريق يزيد بن هارون به نحوه .

وأخرجه أيضاً أبو عبيد في النسخ والمنسوخ ١٣٥ رقم ٢٤٤ والنحاس في ناسخه ٢٩٥/٢ رقم ٤٥٥ وابن الجوزي في نواسخ القرآن ص ٣١٢ من طريق هشيم عن منصور بن زاذان ، عن الحكم به مختصراً والحكم هو ابن عتيبة قال الحافظ : ثقة ثبت فقيه إلا أنه ربما دلس (التقريب ١٤٥٣) وهو من الطبقة الثانية من المدلسين الذين اغتفر لهم تدليسهم (انظر تعريف أهل التقديس ص ٨٠٢٠) فالإسناد صحيح .

دراسة أمثلة للتفسير بالرأي بالمنطقة



المبحث الأول : أمثلة الرأي المحمود



تفسير المهدي

من خلال كتابه التفصيل والتحصيل



مؤلف هذا التفسير هو أبو العباس أحمد بن عمار بن أبي العباس المهدي التونسي ت ٤٣١ هـ وهو من أهل المنطقة ولد بالمهدية من بلاد القيروان (١).

التعريف بالتفسير :

كتاب "التفصيل الجامع لعلوم التنزيل" من التفاسير المخطوطة (٢) ، ولا يوجد منه إلا الجزء الأول وهو مصور عن المكتبة الوطنية بباريس برقم ٥٩٤ ، ويبدأ من تفسير قوله تعالى ﴿ ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ﴾ (٣) الباب الرابع في شرح خفي إعراب سورة البقرة ووجوه قراءاتها ، وينتهي عند تفسير سورة التوبة الباب الأول في ذكر ما فيها من الأحكام والناسخ والمنسوخ (٤).

وأما كتاب "التحصيل لفوائد كتاب التفصيل الجامع لعلوم التنزيل" فهو كتاب مخطوط أيضاً ومنه عدة نسخ (٥) ومنه نسخة مصورة غير كاملة على الميكروفيلم بمكتبة الجامعة الإسلامية برقم ١٣١٧، ١٣٧٠ عن دار الكتب الظاهرية قد رجعت لها .

-
- (١) تقدمت ترجمته في أهل المنطقة برقم ٢٠ .
- (٢) ذكرت مواضع نسخه عند ترجمة المؤلف .
- (٣) البقرة: ٣٥ .
- (٤) التفصيل ٢٩١/١ .
- (٥) ذكرت مواضعها في ترجمة المُصنّف .

وقد اشتغل المهدوي وهو بالأندلس بتأليف كتاب (التحصيل) ، الذي هو اختصار لكتابه (التفصيل) الذي أدخله معه الأندلس .

ويبدو أن تأليف هذا المختصر كان بسبب عدم الإقبال عليه في الأندلس والتشكيك في علمه وخاصة ما يتعلق بتفسيره الكبير . وفي رواية أخرى ذكر بعض المؤرخين أنه قدم كتابه هذا إلى الوالي فطلب إليه اختصاره ، وقد سجل المهدوي هذا في مقدمة (التحصيل) فقال : أمر الموفق ... باختصار كتاب التفصيل الجامع لعلوم التنزيل بمؤلف لخزائنه العالية أدام الله فيها بدوام أيامه النعم المتوالية ، بعد حصوله لديه ، ووقوفه عليه ، ليكون هذا الاختصار ، قريب المتناول لمن أراد التذكار ، كما كان الجامع خزانة جامعة لمن أراد المطالعة فبادرت إلى امتثال أمره ولم أقصر .

المنهج العام للتفسير () :

وتفسير المهدوي تفسير فقهي نحوي مولع بالقراءات وتوجيهها ولا يغفل الاعتماد على المأثور . أما المنهج العام الذي سار عليه المصنف في كتابه التفصيل فهو منهج غريب تفرد به ولم يرتضه ابن عطية إذ رأى فيه تشبها للنظر ومشعبة للفكر () . وهو كما قال حيث قام المهدوي بتقسيم الكتاب إلى خمسة أبواب فيأتي للسورة المعتمز تفسيرها فيجعل الباب الأول في أحكامها وناسخها ومنسوخها . ()
والباب الثاني في تفسيرها ومعانيها وغريبها ومشكلها وما يتعلق بذلك . ()

والباب الثالث في ذكر ما فيها من الحروف التي اختلف القراء فيها . ()

والباب الرابع في ذكر خفي إعرابها وشرح وجوه قراءتها . ()

والباب الخامس في ذكر مواضع نزولها واختلاف العادين في عددها وتسمية رءوس آياتها . ()

() ممن تكلم عن منهج المهدوي في تفسيره عبد السلام الكنوني في المدرسة القرآنية ص ١٩٩-٢٠٦ ووسيلة بلعيد

في التفسير واتجاهاته ص ١٢٦-١٦٥ ، ٢١٢-٢٧٦

() انظر المحرر الوجيز ١/٣٤ ٦

() انظر كمثل سورة النساء : التفصيل ١/٨٥ . ٢

() انظر كمثل التفصيل ١/١٨١ . ٢

() انظر كمثل التفصيل ١/١٢٩ . ٢

() انظر كمثل التفصيل ١/١٣٨ . ٢

() انظر كمثل التفصيل ١/١٥٠ . ٢

وأما كتاب التحصيل فقد سلك فيه نفس المنهج تقريبا إلا أنه لم يطبقه على السورة بأكملها وإنما على مقاطع منها كل على حدة وفي ذلك يقول :

وأجعل ترتيب السور مفصلة ليكون أقرب متناول ، فأقول : القول من أول السورة كذا إلى موضع كذا منها ، فأجمع من آيها عشرين آية أو نحوها ، بقدر طول الآي، وقصرها ، ثم أقول الأحكام والنسخ ، فأقولها ثم أذكر التفسير ، فأذكره ، ثم أقول القراءات ، فأذكرها ، ثم أقول الإعراب والتوجيه فأذكره ، ثم أذكر الجزء الذي يليه، حتى آتي إن شاء الله تعالى إلى آخر الكتاب على شرطه فيه ، فأذكر آخر كل سورة موضع نزولها واختلاف أهل الأمصار في عددها . ()

فهو يذكر الآية أو الآيات ، ويبدأ خدمته لها بذكر النسخ والأحكام إن وجد : ففي سورة مريم مثلاً قال :

القول من أولها إلى قوله تعالى : ﴿ ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون ﴾ () لأحكام فيها ولا نسخ .

وفي سورة الكهف قال : القول من أولها إلى قوله تعالى ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً ﴾ ()

وصدر الكلام عليها بقوله ليس فيها نسخ وليس فيها من أحكام سوى قوله تعالى ﴿ ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله واذكر ربك إذا نسيت ﴾ () فذكر ما يتعلق بها من أحكام .

وبانتهاه بذكر ما يتعلق في الآيات بالنسخ والأحكام يتابع المهدي شرحه لها تحت عناوين ثلاثة :

التفسير ، القراءات ، الإعراب .

في التفسير يستهل الكلام على السورة بما ورد في فضلها .

ثم ينتقل مباشرة إلى تفسير السورة مقسمة إلى مجموع آيات يحددها ويفسرها ثم ينتقل إلى مجموعة آيات أخرى . لا يفسر كل كلمة في الآية بل يقتصر منها على ما يراه في حاجة إلى التفسير ويقدمه بقوله : والمعنى .

القراءات : ثم يفرغ للقراءات التي يخصص لها عنوانا مستقلا بعد تفسير السورة

٢	٦	٢	() التحصيل ٢/١ .
٢	٦	٣	() مريم : ٣٤
٢	٦	٤	() الكهف : ٣٠
٢	٦	٥	() الكهف : ٢٣-٢٤

الإعراب : يسير على خطته في التفسير والقراءات فيفرع له بعدهما بعنوان مستقل : الإعراب فلا يعرب إلا ما يراه في حاجة إلى إعراب وما فيه اختلاف في القراءات لمقتضى الاختلاف في الإعراب .
إلا أن طريقته هذه في تقسيم الكلام في كل سورة إلى (مدخل - تفسير - قراءات - إعراب) لم يسر عليها في سور : الفيل - الكافرون - النصر - القارعة - الناس حيث قال : ليس في حروفها اختلاف ولا إعراب مشكل .

المنهج التفصيلي للمؤلف :

أولاً : بالنسبة للمكي والمدني وعد الآي ونحو ذلك فهو يهتم به ومن ذلك : قوله في آخر سورة البقرة : هذه السورة مدنية وعددها في الكوفي مائتان وست وثمانون وفي البصري سبع وثمانون وفي بقية العدد خمس وثمانون اختلافها إحدى عشرة آية . ()
وقال : الأنعام : هذه السورة مكية وقد روي عن ابن عباس وغيره ثلاث آيات منها نزلت بالمدينة من قوله تعالى ﴿ أتل ﴾ () إلى قوله ﴿ تتقون ﴾ () ونزلت جميعها سواهن ^٦ جملة بمكة ... عددها في ^٦ المدنين والمكي مائة آية وسبع وستون آية وفي البصري والشامي ست ، وفي الكوفي خمس اختلف فيها في أربع آيات ... فذكرهن .

وفي سورة الانفطار قال : هذه السورة مكية تسع عشرة آية بإجماع . ()

وفي سورة الكوثر : هي مكية وقيل إنها نزلت بالحديبية وعددها ثلاث آيات بإجماع . ()
ثانيا : موقفه من العقيدة :

يلاحظ أنه يميل للتأويل في باب الصفات

قال المهدي في تفسير قوله تعالى : ﴿ ثم استوى إلى السماء ﴾ ()

قيل معناها : أقبل عليها ، وقيل : صعد أمره ، وقيل : قصد إلى خلقها بالإرادة ، وبعد إيراده لما روي في تفسير الآية أشار إلى تنزيه الله سبحانه وتعالى عن الانتقال والحركة فقال : ولا يجوز أن يحمل شيء مما

٢	٦	٦	() التحصيل ١/١٥٥ .
٢			() الأنعام : ١٥١ ويعني قوله تعالى ﴿ قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ... ﴾ الآية
٢	٦	٨	() الأنعام : ١٥٣
٢	٦	٩	() التحصيل ٤/١٨٢ .
٢	٧	١٠	() التحصيل ٤/٢١٣ .
٢	٧	١	() البقرة : ٢٩ .

جاء في ذلك على انتقال ولا حركة ولا زوال ، وإنما يحمل ذلك على علو قدرته وأمره ، وما يجوز أن يوصف به تعالى .

وقال عند قوله سبحانه ﴿مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدي﴾ () قال : اليدان صفة من صفات الله عز وجل .

وقيل : عبر باليدين عن القدرة

وقيل : عبر بهما عن القوة

وقيل : ذكرت للتأكيد على ماتستعمله العرب من نحو قولهم : هذا جنته يداك ، فمعنى ﴿لما خلقت بيدي﴾ على هذا : لما خلقته .

وقال في قوله تعالى ﴿بل عجبئ ويسخرون﴾ () في قراءة الضم : ويجوز أن يكون إخبار الله تعالى عن نفسه بالعجب محمولاً على أنه ظهر من أمره وسخطه على من كفر به ؛ ما يقوم مقام العجب من المخلوقين ، كما يحمل إخباره تعالى عن نفسه بالضحك لمن رضي عنه - على ما جاء في الخبر عن النبي عليه السلام - على أنه أظهر له من رضاه عنه ما يقوم له مقام الضحك من المخلوقين مجازاً واتساعاً .

ونقل المهدوي في تفسير قوله تعالى ﴿وهو الله في السموات وفي الأرض يعلم سركم وجهركم﴾ () ، عن الحسن البصري قال : اجتمع أربعة أملاك فقال أحدهم : جئت من الأرض السفلى . قالوا : فأين تركت ربنا ؟ قال : ثم . وقال أحدهم : جئت من المشرق . قالوا : فأين تركت ربنا ؟ قال : ثم وقال أحدهم : جئت من المغرب . قالوا : فأين تركت ربنا ؟ قال : ثم .

ثم علق المهدوي على هذا الخبر مؤكداً على تنزيه الله تعالى عن المكان . قال : وهذا كله إنما يحمل على ما يجوز أن يوصف به الباري سبحانه مما قدمناه في أول الكتاب ، لا على وجه التحيز وشغل الأمكنة وغير ذلك مما يوصف به المخلوقون ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

واهتم المهدوي بمسألة الشفاعة وحللها ، وذكر مفهومها اللغوي وقرر مذهب أهل السنة والجماعة فيها وذلك عند تفسير قوله تعالى ﴿واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة﴾ () .

قال المهدوي : سميت الشفاعة شفاعة لأن طالبها جاء بأخر معه يشفع ، والشفع هو : الزوج ، وهذا عام في اللفظ خاص في المعنى خوطب به اليهود لأنهم زعموا أن آباءهم يشفعون لهم ، ويبين ذلك قوله

٢	٧	٢	() ص : ٧٥
٢	٧	٣	() الصافات : ١٢
٢	٧	٤	() الأنعام : ٣ .
٢	٧	٥	() البقرة : ١٢٣ .

تعالى في موضع آخر ﴿ ولا يشفعون إلا لمن ارتضى ﴾ () ثم أنهى المهدي مبحث الشفاعة برأي بعض المعتزلة الذي أنكر الشفاعة إنكاراً كلياً ، وبين أن في هذا رداً للكتاب والسنة .

كما ذكر مذهب أهل السنة والجماعة في قضية مرتكب الكبيرة عند تفسير قوله تعالى ﴿ إن تائبوا كبائر ماتنهم عنه نكفر عنكم سيئاتكم ﴾ ()

فقال : أعلم الله تعالى أنه يكفر الصغائر باجتنايب الكبائر وروى ابن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال في الكبائر : أن تدعو لله ندّاً وقد خلقك ، وأن تقتل ولدك من أجل أن يأكل معك ، وأن تزني بحليلة جارك ، وتلا ﴿ والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ﴾ () ()

وذكر آثاراً عن ابن عباس وابن عمر ثم ذكر حكم مرتكب الكبيرة عند أهل السنة فأوضح أنها تغفر لمن أفلح عنها وتاب قبل الموت ، وأضاف أنها قد تغفر لمن مات عليها من المسلمين مستشهداً بقوله تعالى ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ () .

ويقصد بذلك من مات على الذنوب ، فانتفاء الغفران مرتبط بالشرك ، وأما من لم يشرك ومات على ذنوبه فهو من أهل الغفران تحت المشيئة .

ثالثاً : موقفه من تفسير القرآن بالقرآن :

ومن مواضع تفسيره القرآن بالقرآن قوله في تفسير قوله تعالى ﴿ إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما ﴾ () : لا يوصف الله تعالى بالاستحياء على حد ما يوصف به المخلوقين ، والمعنى لا يخشى ، كما

() الأنبياء : ٢٨	٦	٧	٢
() النساء : ٣١ .	٧	٧	٢
() الفرقان : ٦٨ .	٨	٧	٢
() أخرجه البخاري - كتاب التفسير - باب ﴿ والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ﴾ رقم ٤٧٦١ ، ومسلم - كتاب الإيمان - باب كون الشرك أقبح الذنوب رقم ٨٦ .			
() النساء : ٤٨ .	٠	٨	٢
() البقرة : ٢٦ .	١	٨	٢

جاء يخشى بمعنى يستحيي ، كقوله ﴿وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه﴾ () ، قاله جماعة من المفسرين واختاره الطبري . ()

وقال في قوله ﴿وقالوا قلوبنا غلف﴾ () أي قلوبنا مستورة عما تقول كقوله ﴿وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه﴾ () ()

ويستدل على معنى اللفظة القرآنية بما جاء في مواضع القرآن ، ففي تفسير الإخوة من قوله تعالى : ﴿ولأبويه لكل واحد منهما السدس ..﴾ () إلى قوله ﴿فإن كان له إخوة فلأمه السدس﴾ () ، يذهب إلى أن الإخوة في قول سائر العلماء ، اثنان فأكثر ، يجربون الأم عن الثلث ويردونها إلى السدس . وقد قال إخوة ، لأن الاثنتين جماعة ، بدليل قوله ﴿وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب﴾ () وكانا ملكين اثنتين ، وقوله تعالى لموسى وهارون ﴿إنا معكم مستمعون﴾ () وقوله في داود وسليمان ﴿وكنا لحكمهم شاهدين﴾ () ، وذلك كثير ... () .

رابعا : موقفه من تفسير القرآن بالسنة :

وهو يعتمد على الحديث في تفسير كتاب الله بجانب القرآن إلا أن منهجه فيه يقوم على حذف الأسانيد وإهمال التخريج بالإضافة إلى عدم اشتراط الصحة فرما ذكر حديثنا ضعيفا .

قال في تفسير قوله تعالى ﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم﴾ ()

٢	٨	٢	() الأحزاب: ٣٧ .
٢	٨	٣	() التحصيل ١٧/١ .
٢	٨	٤	() البقرة : ٨٨ .
٢	٨	٥	() فصلت: ٥ .
٢	٨	٦	() التحصيل ٤٧/١ .
٢	٨	٧	() النساء : ١١ .
٢	٨	٨	() النساء: ١١ .
٢	٨	٩	() ص: ٢١ .
٢	٩	١٠	() الشعراء: ١٥ .
٢	٩	١	() الأنبياء: ٧٨ .
٢	٩	٢	() التحصيل ٢١٢/١ .
٢	٩	٣	() النساء : ٣١ .

وروى ابن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال في الكبائر : أن تدعو الله ندا وقد خلقك ، وأن تقتل ولدك من أجل أن يأكل معك وأن تزاني بجليلة جارك ، وتلا ﴿والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر...﴾ () . ()

وفي تفسير ﴿هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل..﴾ () ذكر عن رسول الله ﷺ أنه قال : “باب التوبة مفتوح من قبل المغرب، عرضه مسيرة سبعين عاماً ، فإذا طلعت الشمس منه لم تقبل لأحد توبة” وتلا الآية السابقة . ()

وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ : أن العلامات التي لا ينفع الإيمان بعدها طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الأرض . ()

وأورد في تفسير قوله تعالى ﴿إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس﴾ () عن أبي عبيدة بن الجراح أن النبي ﷺ قال : قتلت بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبياً من أول النهار في ساعة واحدة ، فقام مائة رجل واثنا عشر رجلاً من أبناء بني إسرائيل فأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر فقتلوا جميعاً في آخر النهار من ذلك اليوم وهم الذين ذكر الله عز وجل في هذه الآية . ()

وفي تفسير قوله تعالى ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها﴾ () ذكر أن الشافعي تأول هذه الآية بأن الإنسان يأخذ من مال من خانه بمقدار ما خانه من غير علم ، واستشهد على ذلك بقول النبي ﷺ لهند زوج أبي سفيان : خذي من ماله ما يكفيك وولديك . ()

() الفرقان : ٦٨ . ٤ ٩ ٢

() التحصيل ٢٢٥/١ ، والحديث تقدم تحريجه من الصحيحين . ٢

() الأنعام : ١٥٨ . ٦ ٩ ٢

() التحصيل ١٠/٢ ، أخرجه أحمد في مسنده ٢٤١/٤ ، والترمذي - كتاب الدعوات ٢ - باب فضل التوبة والاستغفار ٢٦٩/٤ ، وعبد الرزاق في مصنفه ٢٠٤/١ ، والحميدي في مسنده ٣٨٨/٢ ، والنسائي في تفسيره رقم ١٩٨ من حديث صفوان بن عسال المرادي ، وقال الترمذي : حسن صحيح .

() أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب الإيمان - باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان ١٣٨/١ ، والترمذي - كتاب التفسير سورة الأنعام ٢٦٤/٥ وغيرهما .

() آل عمران : ٢١ . ٩ ٩ ٢

() التحصيل ١٦٢-١٦٣ : أخرجه ابن جرير ٢١٦/٣ ، وابن أبي حاتم ١٦١/٢ ، والبغوي في تفسيره ٣٣١/٢ بأطول منه ، وضعف إسناده محقق تفسير ابن أبي حاتم وقد ذكره القرطبي ونسبه للمهدوي (الجامع ٤٦/٤) .

() الشورى : ٤٠ . ١ ٢

وفي قوله تعالى : ﴿ وأقم الصلاة لذكري ﴾ () ذكر أن أنس بن مالك روى عن النبي ﷺ أنه قال :
“من نسي صلاة أو نام عنها فليصلها إذا ذكرها فإن الله تعالى يقول : ﴿ وأقم الصلاة لذكري ﴾ ” ()

وهو من المهتمين بإيراد أسباب النزول ومن ذلك :

في قوله عز وجل ﴿ ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى
فريق منهم وهم معرضون ﴾ () قال : روي أن النبي ﷺ دعا اليهود إلى كتاب الله عز وجل فقال له نعيم
بن عمرو ، والحارث بن زيد : على أي دين أنت يا محمد ؟ فقال له : “على ملة إبراهيم ودينه” ، قال :
فإن إبراهيم كان يهوديا . فقال لهم النبي ﷺ : “فهلتموا إلى التوراة فهي بيننا وبينكم” فأبيا من ذلك
فنزلت الآية () .

وفي قوله تعالى : ﴿ يسألونك عن الأنفال ﴾ () قال : عن ابن عباس قال : قال النبي ﷺ يوم بدر :
“من أتى مكان كذا وكذا فله كذا” فأسرع الشباب وبقي الشيوخ فجاء الشباب يطلبون ماجعل لهم
فنازعهم الشيوخ فنزلت () .

وفي قوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ﴾ () قال : قال ابن عباس : نزلت في
قوم من المسلمين مروا براع ، فقال : سلام عليكم ، فقالوا : إنما تعوذ ، فقتلوه () .

() التحصيل ٥٦/٤ . أخرجه البخاري - كتاب الأحكام - باب القضاء على الغائب ٨٦/٩ ، ومسلم - كتاب
الأفضية - باب قضية هند ١٢٩/٥ من حديث عائشة .

() طه : ١٤

() أخرجه البخاري - كتاب مؤاقيت الصلاة - باب من نسي صلاة فليصل إذا ذكرها رقم ٥٩٧ ، ومسلم - كتاب
المساجد - باب قضاء الصلاة ٤٧٧/١ .

() آل عمران : ٢٣ .

() التحصيل ١٦٣/١ . أخرجه ابن جرير ٢١٧/٣ من طريق سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس ، وأخرجه ابن
أبي حاتم ١٦٦/٢ عن عكرمة مرسلا ولعله سقط منه ابن عباس وخرجه محققه بحسن إسناده إلى ابن عباس .
() الأنفال : ١ .

() أخرجه أبو داود - كتاب الجهاد - باب في النفل ٢٩/٣ ، وابن حبان (موارد الظمان

ص ٤٣١) ، والحاكم - كتاب قسم الفيء ١٣٢/٢ ، وانظر أيضا ٢٢١/٢ ، ٣٢٦ ، وصححه ابن حبان والحاكم
وسكت الذهبي .

() النساء : ٩٤ .

() التحصيل ٢٤٧/١ . أخرجه البخاري - كتاب التفسير سورة النساء - باب ﴿ ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام
لست مؤمنا ﴾ رقم ٤٥٩١ ، ومسلم - كتاب التفسير رقم ٣٠٢٥ بأطول منه .

﴿واذكر ربك إذا نسيت﴾ (١) قال : روي أن ذلك إنما نزل بسبب أن النبي ﷺ لما سأله اليهود عن ذي القرنين وعن خبر صاحب موسى وعن الروح قال : غداً أخبركم ولم يقل إن شاء الله فأبطأ عنه الوحي بضع عشرة ليلة ، ثم جاءت سورة الكهف (٢).

وربما ذكر أكثر من رواية في سبب نزول الآية من غير ترجيح ومن ذلك :

في قوله تعالى ﴿ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء﴾ (٣) ذكر أنها إما نزلت في عامر بن طفيل وأربد بن قيس حين أرادوا الغدر بالنبي ﷺ فأرسل الله على أربد صاعقة فمات ، وأصاب عامر الطاعون في عنقه فمات (٤).

وقيل : نزلت في يهودي قال للنبي ﷺ : أخبرني من أي شيء ربك ؟ أمن لأولئ أو من ياقوت ؟ فجاءت صاعقة فأحرقتة ، روي ذلك عن مجاهد وأنس (٥).

وهو يتعرض لفضايا السور والآيات ومن ذلك :

عند تفسيره لقوله تعالى ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله..﴾ (٦) قال : روي أن النبي ﷺ قال : “كتب الله كتابا قبل أن يخلق السماوات والأرض بألفي عام فأنزل منه آيتين ختم بهما سورة البقرة ولا تقرأن في دار ثلاث ليال ، فيقربها الشيطان” (٧).

وقال : جاء في الخبر أن سورة الأنعام نزل معها سبعون ألف ملك مع آية واحدة منها اثنا عشر ألف ملك وهي ﴿وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو﴾ (٨) الآية ونزلت سورة الأنعام جملة (٩).

(١) الكهف : ٢٤

(٢) أخرجه ابن المنذر عن مجاهد مرسلًا مطولا ، وهو ضعيف لإرساله . وأخرج ابن مردويه بعضه عن ابن عباس (انظر الدر ٢٣٩/٤).

(٣) الرعد : ٣١ .

(٤) التحصيل ٤/٤٤ . أخرجه ابن جرير ١٣/١٢٦ عن ابن جرير مرسلًا وهو ضعيف لإرساله . وعزاه السيوطي أيضًا لأبي الشيخ (انظر الدر ٤/٦٠) وأخرجه ابن جرير ١٣/١١٩ مطولا جدًا عن ابن زيد مرسلًا وهو ضعيف أيضًا لإرساله .

(٥) التحصيل ٤/٤٤ . حديث أنس أخرجه البزار (انظر كشف الأستار ٣/٥٤) ، والنسائي في التفسير رقم ٢٧٩ وأبو يعلى في مسنده ٣/٥٤ ، وابن جرير ١٣/١٢٥ ، والواحدي في أسباب النزول ص ٢٠٤ وغيرهم . قال الهيثمي : رجال البزار رجال الصحيح غير دليم ابن غزوان وهو ثقة (مجمع الزوائد ٧/٤٢) وقال الألباني : صحيح (وانظر الصحيح المسند من أسباب النزول ص ٨٩) ورواية مجاهد أخرجه ابن جرير ١٣/١٢٥ .

(٦) البقرة : ٢٨٥ .

(٧) تقدم تحريجه ص ٦٢٩ .

(٨) الأنعام : ٥٩ .

وقال في سورة الكهف: روى وهب بن منبه أن النبي ﷺ قال: "ألا أخبركم بسورة عظيمة ملأت ما بين السماء والأرض وما جاء فيها من الأجر مثل ذلك؟" قالوا: يا نبي الله أي سورة هي؟ قال: "سورة الكهف من قرأ بها يوم الجمعة أعطي نورًا بين السماء والأرض ووقى بها فتنة القبر" (١).

وعن أنس عن النبي ﷺ: "من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى وزيادة ثلاثة أيام" (٢).

خامسا: موقفه من تفسير القرآن بأقوال السلف

يلاحظ اهتمام المهدي بإيراد الأقوال المختلفة عن علماء الصحابة والتابعين ومن ذلك:

قوله تعالى ﴿كأنهن بيض مكنون﴾ (٣)

قال: قال ابن عباس: يعني اللؤلؤ المكنون.

وعن الحسن وابن يزيد: شبهن ببيض النعام يكن تحت الريش من الريح والغبار.

سعيد بن جبير والسدي: شبهن ببطن البيض قبل أن يقشر وتمسه الأيدي (٤).

قوله تعالى ﴿طوبى لهم وحسن مآب﴾ (٥)

عن ابن عباس: طوبى شجرة في الجنة، ونقل عنه أيضًا: أنها الجنة (٦).

قوله ﴿وذروا ظاهر الإثم وباطنه﴾ (٧)

(١) في نزولها جملة معها سبعون ألف ملك ما أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن ص ٣٤٠، والطبراني ١٢/٢١٠ عن ابن عباس وله شواهد كثيرة وأخرج الحاكم- كتاب فضائل القرآن ٢/٣١٤ عن جابر ﷺ قال: لما نزلت سورة الأنعام سبح رسول الله ﷺ ثم قال: "لقد شيع هذه السورة من الملائكة ماسد الأفق". وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم. وانظر موسوعة فضائل سور وآيات القرآن (١/٢٥٥-٢٦١)

(٢) أخرج ابن الضريس في فضائل القرآن ١٠٣/أ نحوه وفيه زيادة عن إسماعيل بن رافع مرسلًا وهو ضعيف لإرساله وروي نحوه عن عائشة أخرجه ابن مردويه. انظر الدر المنثور ٤/٢٠٩.

(٣) جاء ذلك في حديث عائشة المتقدم ذكره، ولم أقف عليه من حديث أنس. وفي مغفرة ٣

ما بين الجمعتين لقارئها ما أخرجه ابن مردويه عن ابن عمر وفيه: وغفر له ما بين الجمعتين. وقال المنذري: إسناده لا بأس به (الترغيب ١/٥١٣).

(٤) (الصفات: ٤٩). ٢

(٥) (التحصيل ٨/٤). ٣

(٦) (الرعد: ٢٩). ٤

(٧) (التحصيل ١٥١/٢). ٥

(٨) (الأنعام: ١٢٠). ٦

قال قتادة : يعني علانيته وسره . ابن جبير : الظاهر ما نهي عنه من قوله : ﴿ولاتنكحوا مانكح آبائكم من النساء﴾ () والباطن الزنا . ابن زيد : الظاهر التجرد في الطواف ، والباطن الأخدان .^٢

قوله : ﴿وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم﴾ () يعني أن إبليس يوصي إلى مشركي قريش يقول لهم : كيف تعبدون ربا لا تأكلون ما قتل ؟ قاله ابن عباس .

قوله : ﴿الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجًا قِيمًا﴾ ()^٩
قال ابن عباس : أي لم يجعل له ملتبسًا . وعنه أيضًا : لم يجعله مخلوقًا .

وقيل : لم يجعل له اختلافاً . والعوج : العدول عن طريقي الاستقامة .
ومعنى قوله قِيمًا في قول ابن عباس : عدلاً ، الضحاك : مستقيماً ، ابن إسحاق : معتدلاً لا اختلاف فيه . وقيل : معناه قِيمًا على الكتب يصدقها .

قوله ﴿واذكر ربك إذا نسيت﴾ () قال ابن عباس : المعنى استثنى في يمينك إذا ذكرت أنك نسيت في حال اليمين قال : وله أن يستثنى ولو بعد سنة . وقال أبو العالية : يستثنى متى ذكر . عكرمة : المعنى واذكر ربك إذا غضبت .

قوله تعالى : ﴿يغاثوا بماء كالمهل﴾ () قال : المهل كل شيء أذيب حتى أماع .^٢

ابن عباس : دردي الزيت () ، ومجاهد : الدم والقيح ... سعيد بن جبير : هو الذي انتهى حره .
وقيل : هو ما أذيب من الذهب والفضة والرصاص والنحاس . الضحاك : هو ماء جهنم ، هو أسود ، وشجرها أسود وأهلها سود . وقيل : هو عكر القطران يشوي الوجوه أي يحرقها .

قوله تعالى : ﴿يوم يأتي بعض آيات ربك﴾ ()^٣
عن ابن عباس وغيره قال : يعني بعد طلوع الشمس من مغربها .

قوله تعالى ﴿ويمنعون الماعون﴾ ()^٤

٣	٢	٧	() النساء : ٢٢
٣	٢	٨	() الأنعام : ١٢١
٣	٢	٩	() الكهف : ١
٣	٣	٠	() الكهف : ٢٤
٣	٣	١	() الكهف : ٢٩
٣	٣		() دُردي الزيت وغيره : ما يقي في أسفله . لسان العرب ١٣٥٥/٢
٣	٣	٣	() الأنعام : ١٥٨
٣	٣	٤	() الماعون : ٧ .

عن ابن عمر والحسن وغيرهما أن الماعون : هو الزكاة ، وعن ابن المسيب أنه المال بلغة قريش . وعن ابن مسعود وابن عباس وغيرهما : ما يتداوله الناس نحو الفأس والقدر () .

قوله تعالى : ﴿ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون﴾ ()

عن ابن عباس وغيره : سمي صلصالا لأنه يصلصل أي يصوت .

مجاهد : هو مثل الخزف الذي يصلصل وعنه أيضا : هو المنتن () .

وربما تعرض المهدوي إلى نقد بعض الآثار والتعليق عليها قال في تفسير قوله سبحانه ﴿فقلنا لهم كونوا قردة

خاسئين﴾ () : إن مجاهدا خالف جميع من سبقه من أهل التفسير عندما ذهب إلى القول بعدم المسخ

المادي ، وتأول ذلك بأن المراد هو المسخ لقلوبهم، وظاهر الآية يشير إلى المسخ بدون تأويل وهذا ما

يستفاد من تفسير ابن عباس الذي روي عنه أنهم مسخوا قردة فأقاموا ثلاثة أيام ثم ماتوا () .

سادسا : موقفه من السيرة والتاريخ وذكر الغزوات :

يلاحظ أن المهدوي يهتم بذكر حوادث السيرة وبعض التفاصيل الدقيقة للغزوات أثناء تفسيره ومن ذلك

ما جاء في قوله تعالى ﴿لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة﴾ () قال : يعني بيعة

الرضوان التي كانت في الحديبية بايع المسلمون النبي ﷺ تحت شجرة على الموت ، وكانوا ألفا وستمائة

وقيل فيما زاد على الألف : إنه خمسمائة ، وقيل : ثلاثمائة ، وعن ابن عباس : ألف وخمسمائة وعشرون

. ثم نقل الأخبار في تعيين الفتح القريب في قوله تعالى ﴿وأثابهم فتحًا قريبًا﴾ () ، يعني فتح خيبر ، عن

أبي ليلي وغيره ، وقيل : هو فتح مكة () .

وفي قوله تعالى ﴿كمن مثله في الظلمات﴾ ()

() التحصيل ٢١٢/٤ ٥ ٣ ٣

() الحجر : ٢٦ . ٦ ٣ ٣

() التحصيل ١٦٢/٢ ٧ ٣ ٣

() البقرة : ٦٥ . ٨ ٣ ٣

() التحصيل ٣٩/١ ٩ ٣ ٣

() الفتح : ١٨ . ١٠ ٤ ٣

() الفتح : ١٨ . ١ ٤ ٣

() التحصيل ٨٨/٤ ٢ ٤ ٣

() الأنعام : ١٢٢ ٣ ٤ ٣

قال : روي أن أبا جهل رمى النبي ﷺ بفرث فأخبر بذلك حمزة قبل إسلامه فغضب للنبي ﷺ فمر أبا جهل فعلاه بقوس كان في يده وأسلم حمزة ﷺ ونزلت الآية في ذلك .
وقد تقدم في أسباب النزول طرف مما يتعلق بالسيرة أيضًا .

سابعا : موقفه من الإسرائيليات :

وليس المهدي من المكثرين من ذكر الإسرائيليات في تفسيره إلا أنه ربما تعرض لها لاسيما عند تعيين بعض من أجهم ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه ﴾ () حيث ذكر أن الرجل عند الحسن : قبطي ابن عم لفرعون، وأما السدي فيجعله إسرائيليًا يكتم إيمانه من آل فرعون ، وذكر بعض المفسرين أن اسم هذا الرجل حبيب ، وقيل : سمعان وقيل : حزقيل .
ثم يعلق المهدي على هذه الروايات بقوله : ومن جعل الرجل قبطيًا فمن عنده متعلقة بمحذوف ، صفة لرجل ، والتقدير : وقال رجل مؤمن منسوب من آل فرعون، ومن جعله إسرائيليًا فمن متعلقة ببيكتم في موضع مفعول ثان ليكتم .

ويختار المهدي التفسير الأول وهو تفسير الحسن محتجًا لذلك بقوله تعالى ﴿ يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض ﴾ () ، قال : وفي قول الرجل يقوم دليل على أنه قبطي () .

ثامنًا : موقفه من اللغة :

يتضح لدارس تفسير المهدي أحاطته الواسعة بفنون اللغة وأساليبها واستعمالاتها ، وامتلاكه لقواعد اشتقاقها وتصريفها ، ومعرفة غريبها ، وقدرته الفائقة على توجيهه القراءات القرآنية ، وحل مشاكل الإعراب الخفية .

ويتسم منهج المهدي في تناول شرح المفردات اللغوية في التفسير باعتماد علماء اللغة والنحو ، الذين سبقوه في الظهور ، وخاصة من اشتهر منهم بالعناية بالتفسير اللغوي للقرآن كسيبويه والفراء وأبي عبيدة والأصمعي والمبرد وغيرهم

قال في تفسير قوله تعالى : ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ () : وأصل اسم الله الذي هو " الله " عند سيبويه (لاه) دخلت عليه الألف واللام للتعظيم ، لا للتعريف ولسيبويه أيضا قول آخر : أن أصله (إله) فحذفت الهمزة .. الخ . ()

() غافر : ٢٨ . ٤

() غافر : ٢٩ . ٥

() التحصيل ٤٠/٤ - ٤١ . ٦

وفي قوله تعالى ﴿وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة﴾ () ذكر أن اشتقاق آدم من الأدمة في اللون ، وهي السمرة فلا يصرف على هذا الوجه ، إذا سمي به ، ثم نكر عند سيوييه . وقيل : هو مشتق من أديم الأرض : وهو وجهها فيصرف إذا سمي به في المعرفة والنكرة () .

وفسر السبات بأنه الراحة في قوله تعالى ﴿وجعلنا نومكم سباتا﴾ () ، وقال : يقال : سبتت المرأة شعرها : إذا حلتها وأرسلته . وقيل : إن أصل السبات الانقطاع عن العمل من أجل الراحة . ومنه يوم السبت () .

وفي شرح قوله تعالى : ﴿والذين كفروا فتعسا لهم وأضل أعمالهم﴾ () قال ثعلب : التعس : الشر . وقيل : هو البعد .

ابن السكيت : التعس ، أن يخز على وجهه ، والنكس أن يخز على رأسه . والتعس أيضا : الهلاك () . وقال في قوله تعالى ﴿لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون﴾ () :

والغول في اللغة : الأذى والمكروه . يقال غاله الشراب واغتاله ، إذا أذاه وذهب بعقله ، والنزيف : السكران ، وهو المنزف أيضا ، يقال : نزع الرجل : إذا ذهب عقله من السكر . وحكى أبو عبيدة : أنزع ، إذا سكر .

وقال في قوله تعالى ﴿ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم قل إن الهدى هدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم﴾ () : إن (أو) عند الفراء تدل على حتى ، وتدلل على (إلا أن) وذهب إلى نفس المعنى الكسائي واستدل بقول العرب : لا نلتقي أو تقوم الساعة .

أما عند الأخفش فهي عاطفة على ﴿ولا تؤمنوا﴾ أي ولا تصدقوا أن يحاجوكم عند ربكم () .

٣	٤	٧	() الفاتحة : ١
٣	٤	٨	() التحصيل ٥/١
٣	٤	٩	() البقرة: ٣١ .
٣	٥	١٠	() التحصيل ١٩/١
٣	٥	١١	() النبأ : ٩
٣	٥	١٢	() التحصيل ١٧٠/٤
٣	٥	١٣	() محمد: ٩ .
٣	٥	١٤	() التحصيل ٨٣/٤
٣	٥	١٥	() الصافات : ٤٧
٣	٥	١٦	() آل عمران : ٧٣ .
٣	٥	١٧	() التحصيل ١٧٥/١

وفي قوله تعالى ﴿وفتحت أبوابها﴾ () ، قال :

الواو إثباتها عطف جملة وحذفها للضمير العائد من الجملة الثانية .

وقيل : الواو في قصة أهل الجنة زائدة ، وقيل : زيادة الواو دليل على أن الأبواب، فتحت لهم قبل أن يأتوا لكرامتهم على الله عز وجل ، والتقدير : حتى إذا جاؤوها وأبوابها مفتحة . وحذف الواو في قصة أهل النار ، لأنهم وقفوا على النار وفتحت بعد وقوفهم ، إذلالا وترويعا لهم وهو قوله تعالى ﴿حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها﴾ () ، ثم ذكر أن الواو زيدت في قصة أهل الجنة الذين فتحت لهم الأبواب ﴿وفتحت أبوابها﴾ ، لأن أبواب الجنة ثمانية . أما أبواب جهنم فهي سبعة ، ووقع التفريق بينهما - الجنة وجهنم - بزيادة الواو () .

وفسر قوله تعالى ﴿وإذا العشار عطلت﴾ () بأن العشار من النوق : الحامل التي بلغت عشرة أشهر في حملها وواحد عشر ، وقد تسمى بذلك إلى أن تلد ، وبعيد ذلك . والعشار أعز ما يكون عند العرب ، واهتمامهم بها أشد فأخبر أنها تعطل يوم القيامة () .

وهو لا يكثر من الاستدلال بالشعر ففي قرابة ستين صفحة لم يذكر سوى بيتين من الشعر تقريبا .

ومن مواضع استدلاله بالشعر في قوله سبحانه ﴿وتراهم يعرضون عليها خاشعين من

الذل ينظرون من طرف خفي﴾ ()

قال : وقيل : إن الطرف هاهنا العين ، والمعنى ينظرون من عين ضعيف النظر ، والعرب تستعمل هذا في المريب ومنه قول الشاعر :

فغض الطرف إنك من نمير

.....

وقال في تفسير آية ﴿ولتعرفنهم في لحن القول﴾ () ، أي في فحواه ومعناه ، ومنه قول الشاعر :

وخير الكلام ما كان لحنا

.....

أي ما عرف بالمعنى ولم يصرح به .

٢	٥	٨	() الزمر : ٧٣ .
٣	٥	٩	() الزمر : ٧١ .
٣	٦	٠	() التحصيل ٣٧/٤
٣	٦	١	() التكوير : ٤ .
٣	٦	٢	() التحصيل ١٧٨/٤
٣	٦	٣	() الشورى : ٤٥ .
٣	٦	٤	() محمد : ٣٠ .

وقد ذكرنا أنه يفرد فصلاً يقول فيه : الإعراب ويرتبه بناء على القراءات التي ذكرها ، ويمثل قسم الإعراب جانباً هاماً من تفسير المهدي .

والمهدي في حل مشكل إعراب القرآن يعرض الوجوه المختلفة ، وينتقد بعضها أحياناً ، مع تعليل سبب الاعتراض ، ولا يكتفي بإعراب مشكل الآية بل يعلل الإعراب ويختار ما يراه أسلم في الذوق العربي ، وأقرب إلى منطق القواعد النحوية .

ففي سورة الكهف بعد أن انتهى من ذكر فضلها والتفسير والقراءات قال : الإعراب : قوله : ﴿قيماً﴾^(٦) منصوب على الحال من الكتاب . وقوله : ﴿ولم يجعل له عوجاً﴾^(٦) اعتراض^٢ بين الحال وبين ذي الحال الذي هو الكتاب . وقيل إن ﴿قيماً﴾ منصوب بإضمار فعل ، المعنى : ولكن جعله قيماً فهو مفعول ثان لجعل المضمرة فيوقف على هذا التقدير على الكتاب ولا يوقف عليه على التقدير الأول وقيل : انتصابه على تقدير : ﴿الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً﴾^(٦) أنزله قيماً . فهو منصوب على الحال من الهاء المضمرة في الفعل المضمرة .

وسكوت حفص على ﴿عوجاً﴾ إيدان بأن الجملة معترضة وفرار من أن يتوهم في وصله أن ﴿قيماً﴾ وصف لعوج . وسكوته على ﴿مردنا﴾^(٦) ليدل على أن هذا ما وعد الرحمن .

وفي سورة طه : بدأ بعد التفسير الإعراب فقال قوله : ﴿إلا تذكرة لمن يخشى﴾^(٦) : مفعول له على تقدير فعل مضمرة ، التقدير : ما أنزلنا القرآن لتشقى ، ما أنزلناه إلا تذكرة ، ولا يجوز حمله على الفعل الأول ، لأن ثم مفعولاً آخر ، فلا يكونان لفعل واحد .

وأجاز بعض النحويين أن يكون بدلاً من ﴿لتشقى﴾^(٦) وأنكره أبو علي (يعني الكسائي) من أجل أن التذكرة ليست بتشقى . ويجوز أن ينتصب على أنه مصدر على التقدير : أنزلناه به تذكرة .

وفي سورة المسد بعد أن تكلم عن التفسير والقراءات قال : الإعراب :

فتح الهاء وإسكانها من أبي لهب لغتان ، ﴿وامراته حمالة الحطب﴾^(٦) يجوز أن تكون ابتداء وخبره فيمن رفع ﴿حمالة﴾ يكون : ﴿في جيدها حبل من مسد﴾^(٦) فيوقف على ماتقدم على ﴿ذات لهب﴾ ويجوز

٢	٦	٥	() الكهف : ٢
٣	٦	٦	() الكهف : ١
٣	٦	٧	() الكهف : ١
٣	٦	٨	() يس : ٥٢
٣	٦	٩	() طه : ٣
٣	٧	١٠	() طه : ٢
٣	٧	١١	() المسد : ٤

أن تكون "وامراته" معطوفة على المضمر في ﴿سيصلى﴾ () فلا يوقف على ﴿ذات لهب﴾ ويوقف على ﴿امراته﴾ وتكون ﴿حمالة الحطب﴾ خبر مبتدأ محذوف ومن نصب ﴿حمالة﴾ فعلى الذم كأنها اشتهرت بذلك فجاءت الصفة للذم لا للتخصيص .

وفي إعرابه لقوله تعالى ﴿قل اللهم مالك الملك﴾ () ، نقل عن سيبويه أن الميم من ﴿اللهم﴾ هي عوض عن ياء النداء ، ولا توصف لفضة ﴿اللهم﴾ ، وقوله : ﴿مالك الملك﴾ منصوب على النداء . ونقل عن الزجاج والمبرد وغيرهما أنه صفة . وأشار المهدوي إلى أن أبا علي اختار رأي سيبويه لأنه أبين ولأنه ليس في الأسماء الموصوفة شيء على حد اللهم ، فإذا خالف أصل ما عليه الأسماء الموصوفة ، ودخل في حيز الأصوات وجب ألا يوصف . ثم نقل المهدوي تعليلاً أبي علي لهذا الإعراب المتمثل في أن ﴿اللهم﴾ اسم منادى ، وأن الأصل عدم وصف المنادى المعرفة المفرد، فلما وصف بسماع كما حكى سيبويه عن العرب من قولهم : ياتيمم أجمعين ، وضم إلى اسم الله تعالى صوت ، وصيغ معه ، وكان حكم الأصوات ألا توصف ، وكان قياس المضموم إليه هذا الصوت قبل ضمه ، ألا يوصف ، صار بمنزلة صوت مضموم إلى صوت ... ()

وقال في إعراب قوله عز وجل : ﴿جنات عدن مفتحة لهم الأبواب﴾ () : في ﴿مفتحة﴾ ضمير الجنات ، والأبواب بدل منها ، بدل البعض من الكل أو بدل الاشتمال ، لأن الأبواب بعض الجنات ، وهي مشتملة عليها .

والفراء يذهب إلى أن ﴿الأبواب﴾ مرفوعة بلفظة مفتحة والألف واللام في مقام الضمير والتقدير : مفتحة لهم أبوابها .

وأنكر أبو علي القولين معا وقال : لو جاز ماذهب إليه الفراء لم يقولوا : هند حسنة الوجه ، ولقالوا هند حسن الوجه . كما قالوا : هند حسن وجهها ، ففي ذلك دليل على أن الألف واللام لا تسد مسد الضمير في اللفظ ، وإن كان المعنى عليه ... الخ ()

وهو لا يهتم كثيرا بالنكات البلاغية ، وإنما يشير إلى بعضها أثناء تفسيره بايجاز ، ففي أسلوب التمثيل تناول تفسير قوله تعالى ﴿وأما ماينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال﴾ () فأوضح

٢	٥	(المسد : ٥)
٣	٢	(المسد : ٢)
٤	٢٦	(آل عمران : ٢٦) .
٥	١٦٧/١	(التحصيل ١٦٧/١)
٦	٥٠	(ص : ٥٠)
٧	٢٩/٤	(التحصيل ٢٩/٤)

أن هذا مثل ضربه الله للحق في ثباته ، والباطل في زواله ليعلم أن الباطل وإن قوي وعلا ، فإنه إلى اضمحلال وانقراض كالعقار الذي يذهب جفاء والماء في الآفة هو الحق والزيد الرابي هو الباطل ، والأودية مثل القلوب... الخ ()

وعني المهدي بأسلوب الحذف في القرآن ، وأشار إلى ماورد في ذلك ، والحذف حسب رأي سيبويه وابن عطية والزرکشي وغيرهم ، من مجاز القرآن ، وهو أنواع منه حذف المفعول ، وحذف المضاف ، وحذف الجواب () .

ومن أمثلة الحذف ما ذكره المهدي في تفسير قوله تعالى ﴿ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض ..﴾ () فأوضح أن الجواب محذوف ، كأنه قال : هذا القرآن ، ثم أورد رأي الفراء في تعيين الجواب المحذوف وهو : لو فعل لهم هذا لكفروا . كما نقل عن بعض النحاة رده لتعيين الجواب المحذوف الذي هو : هذا القرآن . وذلك لأن الآية لم تأت لتفضيل القرآن ، بل سيقت في معرض ذم الكفار ، والدليل ما جاء قبلها في القرآن ، وهو قوله تعالى ﴿وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربي﴾ () ، وما جاء بعدها ﴿أفلم ييأس الذين آمنوا﴾ () ()

تاسعا : موقفه من القراءات :

ورغم كثرة تأليف المهدي في القراءات إلا أنه خصص لها بابا في التفسير بكتابه التفصيل والتحصيل ، وهو الباب الثالث كما أدمجها مع الإعراب ، في الباب الرابع ثم جعل لها في آخر التفسير قسما خاصا بأصولها .

وقد قال في مقدمة كتابه :

٣	٧	٨	() الرعد : ١٧ .
٣	٧	٩	() التفصيل ١٤٧/٢
٣	٨	٠	() انظر البرهان ١٠٣/٣
٣	٨	١	() الرعد : ٣١ .
٣	٨	٢	() الرعد : ٣٠ .
٣	٨	٣	() الرعد : ٣١ .
٣	٨	٤	() التحصيل ١٥١/١

ابن كثير : ﴿ يجعل صدره ضيقاً حرجاً ﴾ بالتخفيف وشدد الباقون ، وكذلك الاختلاف في الفرقان () .
نافع وأبوبكر : ﴿ حرجاً ﴾ بكسر الراء وفتح الباقون .

ابن كثير : ﴿ كأنما يصعد في السماء ﴾ أبوبكر ﴿ يصاعد ﴾ الباقون ﴿ يصعد ﴾ ()
ابن هرمز والحسن : ... الخ وذكر فيمن ذكر من القراء : أبا رجاء وطلحة بن مصرف وأبا السمال وابن
رثاب والنخعي .

ثم تكلم عن توجيهها جميعاً

وقال : فيها عشر ياءات إضافة فذكرها وفيها محذوفتان فذكرهما .

وبعد أن انتهى من تفسير سورة الكهف قال : القراءات .

كان حفص عن عاصم يسكت على قوله ﴿ عوجاً ﴾ () سكتة خفيفة وكذلك ﴿ مرقداً ﴾ ()

نافع وابن عامر : ﴿ مرفقاً ﴾ ، والباقون : ﴿ مرفقاً ﴾ () .

ابن عامر : ﴿ تزور ﴾ () عن كهفهم () ، عاصم وحمة والكسائي : ﴿ تزاور ﴾ بالتخفيف ، والباقون :

﴿ تزاور ﴾ بالتشديد ، وروى الجحدري : ﴿ تزاور ﴾ () .

وفي سورة الأنبياء بعد أن انتهى من التفسير قال : القراءات .

معاذ بن جبل : " وباللّٰه لأكيدن أصنامكم " () ، الكسائي : ﴿ فجعلهم جذاذا ﴾ () بكسر الجيم ،

وابن عباس وأبو نهيك وأبو السمال بفتحها .

أبو حيوة : " ثم نكسوا على رؤوسهم " () بتشديد الكاف .

() يعني قوله : ﴿ وإذا ألقوا منها مكانا ضيقاً ﴾ آية: ١٥ ، وآية الأنعام رقمها ١٢٥

() الأنعام: ١٢٥ وقراءة ابن كثير بإسكان الصاد المهملة وتخفيف العين بدون ألف وقراءة أبي بكر شعبة بتشديد
الصاد والألف أصلها " يتصاعد" أدغمت التاء في الصاد (انظر إتخاف فضلاء البشر ص ٢١٦)

() الكهف: ١

() يس: ٥٢

() قراءة نافع وابن عامر بفتح الميم وكسر الفاء والباقيين بكسر الميم وفتح الفاء. وهما بمعنى واحد^٣ (انظر إتخاف فضلاء
البشر ص ٢٨٨ ، الغاية في القراءات العشر ص ١٩٤)

() بإسكان الزاي وتشديد الراء بدون ألف كتشمر (انظر إتخاف فضلاء البشر ص ٢٨٨)

() الكهف: ١٧

() بألف بعد الواو على وزن تهمارّ ووافقته على ذلك أبو رجاء وأيوب السخيتاني وابن أبي عبيدة وهي قراءة شاذة
(انظر البحر المحيط ١٠٧/٦ وإملاء مامن به الرحمن ص ١٠٠)

() وهي قراءة شاذة وقرأ الجمهور ﴿ وتالله لأكيدن أصنامكم ﴾ الأنبياء: ٥٧

() الأنبياء: ٥٨

وقال أيضا : القراءات الواردة في سورة (ص) من قوله تعالى ﴿واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار﴾ (١) إلى آخر آية من السورة .

ابن كثير ﴿واذكر عبادنا إبراهيم﴾ على التوحيد . والباقون ﴿عبادنا﴾ بالجمع .

الحسن وعيسى الثقفي والأعمش : "أولي الأيد والأبصار" (٢) ، بغير ياء .

نافع وهاشم عن ابن عامر ﴿بخالصة ذكرى الدار﴾ (٣) بالإضافة والباقون بتنوين خالصة .

ابن كثير وأبو عمرو ﴿هذا ما يوعدون ليوم الحساب﴾ (٤) بياء (٥) والباقون بتاء (٦) .

حفص وحمزة والكسائي ﴿حميم وغساق﴾ (٧) بالتشديد ، وكذلك الذي في ﴿عم يتساءلون﴾ (٨) ، والباقون بالتخفيف .

أبو عمرو : ﴿وأخر من شكله أزواج﴾ (٩) جمع أخرى . والباقون ﴿وأخر﴾ مفرد مذكر .

... الخ ما ذكره من القراءات .

ثم ذكر بعد هذه القراءات المختلفة ، أن سورة ص تضمنت ست ياءات إضافة ، وقع الاختلاف فيها ،

فأما حفص فقد فتح ﴿ولي نعمة واحدة﴾ (١٠) ﴿ما كان لي من علم﴾ (١١) الخ

ثم أشار إلى أن في السورة يائين محذوفتين وهما قوله تعالى ﴿بل لما يذوقوا عذاب﴾ (١٢) وقوله ﴿فحق

عقاب﴾ (١٣) وقد أثبت الياء سلام ويعقوب (١٤) .

٤	() وهي قراءة شاذة وقرأ الجمهور ﴿ثم نكسوا﴾ الأنبياء : ٦٥ بالتخفيف .
٤	() ص : ٤٥
٤	() قراءة شاذة والجمهور قرأها ﴿أولي الأيدي والأبصار﴾ ص : ٤٥
٤	() ص : ٤٦
٤	() ص : ٣٥
٤	() يعني تحتية
٤	() يعني فوقية
٤	() ص : ٥٧
٤	() يقصد قوله : ﴿إلا حميما وغساقا﴾ النبأ : ٢٥
٤	() ص : ٥٨
٤	() ص : ٢٣
٤	() ص : ٦٩
٤	() ص : ٨
٤	() ص : ١٤
٤	() التحصيل ٢٨/٤

وفي سورة المسد قال : القراءات .

ابن كثير : ﴿يدا أبي هُب﴾ () بإسكان الهاء ، وفتح الباقون ، الأعمش : "وما اكتسب" () وهو خلاف المرسوم .

ومن مواضع اهتمامه بتوجيه القراءات :

قوله تعالى ﴿بل عجبت ويسخرون﴾ () قال : من فتح التاء فهو على الخطاب للنبي عليه السلام ، ومن ضم ، جاز أن يكون على معنى أن حالهم إذا تأملتموها كانت مما يقول القائل منكم : عجبت . ويجوز أن يكون على إضمار القول كأنه قال : قل يا محمد : عجبت . وإضمار القول كثير () .

وقد رد المهدي عدة قراءات لمخالفتها للمصحف ومن ذلك قراءة من حذف الكاف في قوله تعالى ﴿ونادوا يا مالك﴾ () ، وقراءة : "وهو الذي في السماء الله وفي الأرض الله" () .

وربما أحال القارئ على القسم المخصص لأصول القراءات في آخر الكتاب ، فقد ذكر في إشباع كسرة الكاف في قراءة قوله تعالى ﴿مالك يوم الدين﴾ () ، أن أحمد بن صالح روى عن ورش عن نافع ، إشباع كسرة الكاف وقال : وذلك مذكور في باب في آخر الكتاب () .

ومن مواضع تناوله لموضوع الوقوف في القرآن :

ذكر في قوله تعالى ﴿أفلا تبصرون أم أنا خير من هذا...﴾ () ، أن الوقف على ﴿أفلا تبصرون﴾ وقال : وروي عن عيسى الثقفي ويعقوب الحضرمي أنهما وقفا على (أم) ، على أن يكون التقدير : أفلا تبصرون أم تبصرون؟ ، فحذف تبصرون الثاني . وقيل من وقف على (أم) جعلها زائدة ، وكأنه وقف

٤	١	٥	() المسد : ١
٤	١	٦	() قراءة شاذة وقراءة الجمهور ^٦ ﴿وماكسب﴾ المسد: ٢
٤	١	٧	() الصافات: ١٢ .
٤	١	٨	() التحصيل ٢٥/٤
٤	١	٩	() الزخرف: ٤٨ .
٨	٢	١٠	() التحصيل ٦٧/٤ ، وقراءة الجمهور ﴿وهو الذي في السماء إليه وفي الأرض إليه﴾ الزخرف : ٨٤
٤	٢	١١	() الفاتحة: ٤ .
٤	٢	١٢	() التحصيل ٧/١
٤	٢	١٣	() الزخرف: ٥١-٥٢ .

على «تبصرون» من قوله «أفلا تبصرون» ، ولا يتم الوقف على «تبصرون» عند الخليل وسيبويه لأن (أم) تقتضي الاتصال بما قبلها (٤).

عاشرا : موقفه من الفقه والأصول :

وكما ذكرنا فإن المهدي يفرّد الأحكام والنسخ بالقسم الأول عند تفسيره الآيات وهو لا يصرح باختياره لأحد الآراء الفقهية ، وهو المنهج الذي سلكه في تناوله لأغلب المسائل الخلافية . غير أنه يمكن ملاحظة ميله إلى مذهبه المالكي إذ كثيرا ما يورد رأي مالك في الصدارة ثم يعقبه برأي الشافعي تلميذه قبل ذكر رأي أبي حنيفة .

في قوله تعالى «واستشهدوا شهيدين من رجالكم» (٢) قال : يعني الأحرار خاصة في قول أكثر العلماء .

ولا تجوز شهادة العبد عند مالك والشافعي وأبي حنيفة وغيرهم .

وأجازها شريح وابن حنبل وإسحاق وغيرهم .

وأجازها الشعبي والنخعي في الشيء اليسير .

ثم أشار المهدي إلى شهادة الصبيان واختلاف أئمة الفقه حولها فصدر ذلك برأي مالك ، الذي يجيز شهادتهم فيما بينهم في الجراح خاصة ما لم يختلفوا ، ولا تجوز شهادة الواحد منهم على كبير أو لكبير على صغير .. ولم يجز الشافعي وأبو حنيفة وأصحابه شهادة الصبيان .

ثم تعرض إلى الاختلاف حول شهادة القاذف إذا تاب ، وهي التي أجازها مالك والشافعي ، ولم يجزها أبو حنيفة وأصحابه ، وبين أن أكثر العلماء يجيزون شهادة من أتى حدا من الحدود كشرب الخمر وغيره إذا تاب وحسنت توبته .

وبعد أن أورد المهدي أقوال العلماء في تعيين من تقبل شهادتهم واختلافهم في ذلك ، انتقل إلى موضوع آخر له اتصال بالشهادة ، وهو شهادة أهل الأهواء ، وهل تقبل شهادتهم ومن يردّها من الأئمة ، ومن يعمل بها منهم ، قال : ولم يجز مالك شهادة القدرية ، وأجاز الشافعي وأبو حنيفة شهادة أهل الأهواء . ثم تكلم بعد ذلك عن نوع آخر من الشهود فقال : وتجوز شهادة لاعب الشطرنج في قول مالك ، والشافعي وغيرهما ، قال الشافعي : إلا أن تشغله عن الصلاة .

أما شهادة شاهد الزور فلا تقبل أبدا عند مالك ، وتقبل شهادته عند الشافعي وأبي حنيفة إذا تاب . ولا تقبل عند مالك وأبي حنيفة والشافعي شهادة الولد للوالدين ولا الوالدين للولد .

(٤) التحصيل ٦٤/٤ ٤ ٢ ٤

(٥) البقرة: ٢٨٢ . ٥ ٢ ٤

وعقب المهدي على ذلك بذكر من يقبل هذه الشهادة وهم أبو ثور وابن راهويه وغيرهما .
ثم تعرض إلى حكم شهادة أحد الزوجين لصاحبه فأوضح أن مالكا لا يقبلها ، في حين قبلها الشافعي
وأبو ثور وغيرهما .

كما أورد القول في شهادة الأعمى التي أجازها مالك وغيره ولم يجزها الشافعي وأبو حنيفة^(٦) .
وفي قوله تعالى ﴿وَأَتَوْنَا نِسَاءَ صَدِقَاتِنَا نَحْلَةً﴾^(٧) ذكر اختلاف العلماء حول هذا الموضوع ، بعضهم^٢
لا يضبطه بمقدار ، يكثر ويقل بحسب ما تواصلوا به ، وهو مذهب الحسن البصري وعمرو بن دينار
والثوري والشافعي وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وأبي ثور وابن المسيب ، ويجمعون على أنه لو
أصدقها سوطا حلت به ... وحدد مالك المهر بربع دينار ، وحدد أبو حنيفة وأصحابه أقل المهر بعشرة
دراهم .

وذكر ابن جبير أنه يجب أن يكون خمسين درهما ، والأوزاعي يكتفي بمهر قدره درهم
وكل هذا يستفاد مما نقل عن الرسول ﷺ ، وصحابته والتابعين من إكثار في المهر وإقلال وتوسط .
وقد سأل أبو سلمة بن عبد الرحمن عائشة رضي الله عنها عن صداق النبي ﷺ ، الذي كان يقدمه
لنسائه ، فقالت : اثنتي عشرة أوقية ونش^(٨) . قال مجاهد : الأوقية أربعون درهما ، والنش عشرون
درهما .

وروي أن الحسن بن علي لما تزوج إحدى نسائه أرسل إليها مائة جارية ، ومع كل جارية ألف درهم .. .
وتزوج عمر بن الخطاب ابنة علي بن أبي طالب على أربعين ألف درهم .
وأصدق ابن عمر صفية عشرة آلاف درهم ، وكذلك كان يزوج بناته .
وتزوج ابن عباس شميلة على عشرة آلاف درهم أيضا ... كما تزوج أنس بن مالك بنفس هذا المقدار
. . . .

وروي عن الرسول ﷺ قوله لرجل : "فالتمس ولو خاتما من حديد"^(٩) .
وفي سورة طه الآيات من أولها إلى قوله تعالى : ﴿وقد خاب من افتري﴾^(١٠) حدد المهدي مايتعلق
بالأحكام في تلك الآية بقوله :

(٦) التحصيل ١٤٩/١ ٦

(٧) النساء : ٤ . ٧

(٨) أخرجه مسلم - كتاب النكاح - باب الصداق ... ٢٠٤٢/٢ ٤

(٩) التفصيل ١٨٧/١ ، أخرجه البخاري مختصراً بنحو هذا اللفظ - باب المهر بالعروض وخاتم من حديد ٢١٦/٩ .
وأخرجه البخاري بنحوه مطولاً - كتاب النكاح - باب التزويج على القرآن ولو بغير صداق ٢٠٥/٩ ، ومسلم -
كتاب النكاح - باب الصداق وجواز كونه تعليم قرآن وخاتم حديد ١٠٤٠/٢ .

فيه ما يتعلق بها في موضعين : أحدهما قوله تعالى ﴿فاخلع نعليك إنك بالوادي المقدس طوى﴾^(١) فظاهر هذه الآية يدل على وجوب نزع النعلين في المساجد . وذلك غير لازم . وإنما أمر موسى بخلع نعليه لأنهما كانتا من جلد حمار غير ذكي . وروي ذلك عن النبي ﷺ .^(٢) وقال الحسن ومجاهد وغيرهما إنما أمر بخلعها ليباشر الوادي المقدس بقدميه تبركا به . قال الحسن وابن جريح : كانت نعلاه من جلد بقر .

وقد تبين أن النبي ﷺ كان يصلي في نعليه ولا ينزعهما^(٣) وكان يدخل بهما في مسجده والمسجد الحرام.

والآية الأخرى قوله تعالى : ﴿وأقم الصلاة لذكري﴾^(٤) ، الخ فذكر ما فيها على نفس النهج . وقال في سورة الأعراف : القول من أولها إلى قوله ﴿فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون﴾^(٥) لا أحكام ولا نسخ فيها ثم قال : التفسير ...

وتحت قوله تعالى : ﴿يوارى سوءاتكم﴾^(٦) أفاض في الكلام عن حد العورة وتطرق منه لصلاة المرأة وشعرها مكشوف أو شيء من بدنها ونقل أقوال المذاهب في ذلك على غرار ماتقدم . وأما موقف المؤلف من النسخ فهو يقول بوقوعه مثل الجمهور ، ويدل على هذا وضعه العناوين الخاصة بذلك مثل : الأحكام والنسخ ، لا أحكام ولا نسخ ، لا أحكام والنسخ كذا ... الخ . وقد قدم تعريفا موجزا للنسخ وأنواعه محيلا على كتابه الكبير لزيادة البيان والتفصيل ، وذلك أثناء تفسيره لقوله تعالى ﴿مانسوخ من آية أو نسخها نأت بخير منها أو مثلها﴾^(٧) حيث قال : أصل النسخ إبدال الشيء من غيره ، وهو على ضربين : نسخ الرسم وبقاء الحكم ، ونسخ الحكم وبقاء الرسم ، ونسخ

(١) طه : ٦١

(٢) طه : ١٢

(٣) يعني أن نعليه كانتا من جلد حمار غير ذكي روي ذلك فيما أخرجه الترمذي - كتاب اللباس - باب ماجاء في لبس الصوف ٢٢٤/٤ والعقيلي في الضعفاء رقم ٩٧ والحاكم في المستدرک ٣٧٩/٢ وغيرهم عن ابن مسعود مرفوعا . وقال الترمذي : غريب . وقال الحاكم : صحيح على شرط البخاري فتعقبه الذهبي بقوله : بل ليس على شرط البخاري ، وإنما غره أن في الإسناد حميد بن قيس كذا وهو خطأ إنما هو حميد الأعرج الكوفي ابن علي أو ابن عمار أحد المتروكين فظنه المكّي الصادق . وانظر السلسلة الضعيفة ٣/٣٨٩ ،

(٤) من ذلك ما أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب اللباس^٢ - باب النعال السبئية وغيرها ٣٠٨/١٠ عن أنس .

(٥) طه : ١٤

(٦) الأعراف : ٢٥

(٧) الأعراف : ٢٦

(٨) البقرة : ١٠٦

الرسم والحكم جميعا ثم أشار إلى أن من معانيه تحويل الخط من كتاب إلى كتاب وختم بقوله : وقد بينت ذلك في الكبير () .^٨

وقال في تفسير بقية الآية وهو قوله تعالى ﴿أو ننسها﴾ ، يعني النسيان الذي هو ضد الذكر كما قال تعالى ﴿سنقرئك فلا تنسى﴾ ()^٩ ثم قال ﴿نأت بخير منها أو مثلها﴾ ، يعني بخير منها لنا في العاجل ...^٤ وقد ذكر نسخ أول الأنفال بقوله ﴿واعلموا أنما غنمتم من شيء﴾ ()^{١٠} وقال : وعن روي عنه أنها منسوخة ابن عباس ومجاهد وغيرهما .

ومن الآيات التي رجح أنها منسوخة ، ما جاء في تفسيره لقوله تعالى ﴿لله ما في السماوات وما في الأرض وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله﴾ ()^{١١} قال : قال ابن عباس وعائشة وغيرهما : هي محكمة، والمعنى عندهما أن الله تعالى يحاسب خلقه على ما عملوه وما أسروه في أنفسهم فيغفر للمؤمنين ويؤاخذ الكافرين والمنافقين .

وعن عائشة رضي الله عنها أن محاسبة الله عز وجل خلقه على ما أسروه ولم يعملوه، إنما هو بالمصائب في الدنيا هذا معنى قولها . وروي معناه عن النبي ﷺ . ()^{١٢}

وعن مجاهد وعكرمة وغيرهما أنها محكمة مخصوصة في كتمان الشهادة . وعن ابن عباس أيضا وأبي هريرة وابن مسعود وسعيد بن جبير وغيرهم أنها منسوخة بقوله ﴿لا يكلف الله نفسا إلا وسعها﴾ () .

ويعقب المهدي على كل هذا بقوله وأحسن ما يحمل هذا المذهب عليه أن تكون الآية إنما نسخت الشدة اللاحقة بأصحاب النبي ﷺ عند نزولها ، فيكون من قولهم : نسخت الريح الآثار أي أزالتها ، ومن قولهم نسخت الشمس الظل إذا أزالته وحلت محله فكأن اللين في الآية الأخرى أزال الشدة التي في الأولى وحل محلها ، فإن لم يحمل على هذا ففيه بعد ، لأنه خبر ، وإذا لم يكن في الخبر معنى الأمر والنهي استحال نسخه () .^{١٣}

- | | | | |
|---|---|---|---|
| () التحصيل ٥٩/١ | ٨ | ٣ | ٤ |
| () الأعلى : ٦ | ٩ | ٣ | ٤ |
| () الأنفال : ٤١ | ٠ | ٤ | ٤ |
| () البقرة : ٢٨٤ . | ١ | ٤ | ٤ |
| () أخرجه البخاري - كتاب المرضى - باب ما جاء في كفارة المرض وقول الله تعالى ﴿من يعمل سوءا يجز به﴾ | | | |
| ١٠٣/١٠ عن عائشة مرفوعا : " ما من مصيبة تصيب المسلم إلا كفر الله بها عنه حتى الشوكة يشاكها " | | | |
| () البقرة : ٢٨٦ . | ٣ | ٤ | ٤ |
| () التحصيل ١٥٠/١ - ١٥١ | ٤ | ٤ | ٤ |

ولا يجوز المهدي نسخ القرآن بالسنة وقد عبر عن رأيه هذا عند تفسير قوله تعالى ﴿آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا﴾ (٤) ، وتأول معنى الحديث الذي اعتبره البعض ناسخا للآية السابقة فقال : قال بعض من يجيز نسخ القرآن بالسنة أن زكريا عليه السلام منع الكلام وهو قادر وأنه منسوخ ، بقول النبي ﷺ : “ولا صمات يوم إلى الليل” (٥) . وأكثر العلماء على أنه ليس بمنسوخ ، وعلى أن زكريا إنما منع من الكلام بأفة دخلت عليه منعه من الكلام ، وتلك الآفة عدم المقدرة على الكلام مع الصحة ، كذلك قال المفسرون . وذهب كثير من العلماء إلى أن قوله عليه الصلاة والسلام : “لا صمات يوم إلى الليل” إنما معناه عن ذكر الله ، وأما عن الهذر وما لا فائدة فيه ، فالصمت عن ذلك واجب (٦) .

كما لا يقبل نسخ الأخبار كما تقدم ويرى أنه مستحيل ولهذا فهو يرفض أن تكون آية النساء الواردة في وعيد القاتل ناسخة لآخر آية في سورة الفرقان المتضمنة حصول التوبة له (٧) .
ومن مواضع تعرضه لبعض الأصول الأخرى :

ما جاء في تفسيره لقوله عز وجل ﴿ أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا﴾ (٨) حيث فسر قوله تعالى ﴿ يتدبرون﴾ بالتفكير في القرآن وفي معانيه وأوامره ونواهيته ثم قال : وفي الآية دليل بين على وجوب فهم معاني القرآن وفساد قول من قال لا يجوز أن يؤخذ التفسير إلا من النبي ﷺ وفيها دليل على فساد التقليد والأمر بالنظر ، والاستدلال ، وفيها دليل على إثبات القياس (٩) .

ونظرا لتقدم هذا التفسير نراه لا يتعرض للعلوم الحديثة والرياضة والفلسفة والمعجزات الكونية . أما موقفه من المواعظ والآداب فنراه سلبيلا لا يظهر لها ذكر واضح وإنما تأتي ضمنا خلال سوق النقول التفسيرية .

(٤) آل عمران : ٤١ .

(٥) أخرجه أبو داود - كتاب ألوصايا- باب متى ينقطع اليتيم ١١٥/٣ عن علي بن أبي طالب مرفوعا في حديث أطول منه ، وقال الهيثمي : رواه الطبراني في الصغير ورجاله ثقات (المجمع ٣٣٤/٤)

(٦) التحصيل ١٦٢/١

(٧) التحصيل ٢٣٣/١

(٨) النساء : ٨٢ .

(٩) التفصيل ١١٩/١

تفسير مكّي بن أبي طالب

من خلال كُتبه الهداية ومشكل الإعراب وتفسير المشكل



مؤلف هذا التفسير هو أبو محمد مكّي بن أبي طالب حموش القيسي القيرواني ت ٤٣٥ هـ وهو من أهل المنطقة ولد بالقيروان ونشأ بها (١).

التعريف بالتفسير :

وتفسيره المسمى "الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه" تفسير مخطوط يوجد منه أربع مجلدات ، موزعة على مكّبات شتى في العالم ، سبق ذكر مواضعها في ترجمته .
ومنه نسخة تقتصر على السفر الثالث من أول سورة مريم إلى آخر سورة الزمر مكتوبة على رق الغزال بتاريخ ٤٨٥ هـ تقع في ٤٠١ صفحة يوجد منها نسخة مصورة على ميكروفيلم بمكتبة الجامعة الإسلامية تحت رقم ١٨٩٨ ، ٣٠٣١ عن نسخة الخزانة العامة بالرباط رجعت إليها .
وأما كتابه مشكل إعراب القرآن فهو مطبوع طبعتان محققتان .
وأما كتابه تفسير المشكل من غريب القرآن على الإيجاز والاختصار ، فهو مطبوع في مجلد لطيف طبعة محققة .

وقد كتب د / أحمد حسن فرحات عن مكّي دراسة هامة أحاط فيها بمختلف جوانب شخصيته التفسيرية وهي بعنوان : "مكّي بن أبي طالب وتفسير القرآن" طبعها دار الفرقان بالأردن - ط ١ سنة ١٤٠٤ هـ . (٢)

وهذه الدراسة حواشيها نادرة جدا واعتمادها في النقد مبني على وجهات نظر الباحث مع نقول مجردة .
وتفسير مكّي يعد مرحلة أساسية من مراحل التفسير بإفريقية ، إذ على يده تطور التفسير بالمأثور ، الذي مثله ابن سلام ، فاتجه به مكّي نحو حذف السند والاكتفاء بإثبات الروايات ونقدها ، مع التعمق في علمي اللغة والقراءات اعتمادا على اللغويين الذين أسهموا بالتأليف في كتب معاني القرآن ، مثل الفراء ، وأبي عبيدة... واستناداً إلى ما لحق القراءات ، من نمو التأليف ، وتنوع البحث فيها .

(١) تقدمت ترجمته في أهل المنطقة برقم ٢٣٥

(٢) وممن تكلم عن منهج مكّي أيضا : عبد السلام الكنوني في المدرسة القرآنية ص ٢٠٧-٢١٧ ، ووسيلة بلعيد في التفسير واتجاهاته ص ١٧٣-٢١١

المنهج العام للتفسير :

وتفسير مكّي بن أبي طالب يعتبر تفسيراً نحوياً لغوياً يهتم بالأثر ويعنى كثيراً بالقراءات .
قال مكّي في مقدمة الهداية : هذا كتاب جمعت فيه ما وصل إلي من علوم كتاب الله جل ذكره واجتهدت في تلخيصه وبيانه واختياره واختصاره ، وتقصيت ما وصل إلي من مشهور تأويل الصحابة والتابعين ومن بعدهم في التفسير دون الشاذ على حسب مقدرتي ، وما تذكرته في وقت تألّيفي له ، وذكرت المأثور عن النبي ﷺ ما وجدت إليه سبيلاً ، من روايتي ، أو ما صح عندي من رواية غيري () .
ثم أخذ مكّي في تعداد الكتب التي اعتمدها ، قال : جمعت أكثر هذا الكتاب من كتاب شيخنا أبي بكر الأذفوي رحمه الله ، وهو الكتاب المسمى بكتاب (الاستغناء) والمشمول على نحو ثلاثمائة جزء في علوم القرآن أفصيت في هذا الكتاب نوادره ، وغرائبه ومكنون علومه ، مع ما أضفت إلى ذلك من كتاب تفسير القرآن ، تأليف أبي جعفر الطبري ، وما تخيرته من كتب أبي جعفر النحاس ، وكتاب أبي إسحاق الزجاج ، وتفسير ابن سلام ، ومن كتاب الفراء ومن غير ذلك من الكتب في علوم القرآن والتفسير والمعاني والغريب والمشكل ، انتخبته من ألف جزء أو أكثر مؤلفة في علوم القرآن مشهورة مروية.

وقال : أعني بقولي : بلوغ النهاية إلى ما وصل إلي من ذلك لأن علم كتاب الله لا يقدر أن يبلغ أحد إلى نهايته وفوق كل ذي علم عليم .

وقد تخفف في كل ما ذكره من الأقوال والمأثورات من ذكر الأسانيد مصرحاً بذلك بقوله :
وأضرب عن الأسانيد ليخف حفظه على من أراد ، وليتفرغ إلى ما جمع فيه من علوم كثيرة ، وفوائد عظيمة من تفسير المأثور ، وذكر الأحكام والناسخ والمنسوخ وغيرهما من فنون علم كتاب الله من قراءة عربية أو إعراب غامض أو اشتقاق مشكل أو تصريف خفي أو تعليل نادر أو تصريف مسموع مع ما يتعلق بذلك من أنواع علوم يكثر تعدادها ويطول ذكرها .

وصرح في ختام مقدمته بأنه فيما قدم من علل النحو والغامض من الإعراب تخفف من نبذ جمعها لئلا يطول الكتاب وأنه أفرد كتاباً مختصراً في شرح مشكل الكتاب بغية التفرغ لما ألف كتاب الهداية من أجله وهو تفسير التلاوة وبيان القصص والأخبار وكشف مشكل المعاني وذكر الاختلاف في ذلك وبيان الناسخ والمنسوخ وذكر الأسباب التي نزل فيها .

ووفاء بالأمانة العلمية أخير أنه سيتصرف في أقوال العلماء المتقدمين فينقلها بأسلوبه _ على وجه التضمنين _ بغية تقريب معناها وذهاب غامضها ، إلا إذا انتفى السبب الذي حمله على التصرف فيها قال : ذكرت ألفاظهم بعينها ، مالم يشكل .

وقد أفرد فرحات في دراسته الباب الثالث لمنهج مكّي في تفسيره () وجعله في ثلاثة فصول : (انظر أيضا : كلام وسيلة على منهج مكّي ()

الفصل الأول : احتجاجة بالأثر ١- تفسير القرآن بالقرآن .

٢- تفسير القرآن بالحديث الصحيح .

٣- عنايته بأسباب النزول .

٤- التفسير بأقوال الصحابة فمن بعدهم .

٥- بيان القصص والأخبار .

٦- موقفه من الإسرائيليات .

الفصل الثاني : اعتداده بالعربية :

١- بيان المفردات .

٢- عنايته بالاشتقاق .

٣- معاني الحروف .

٤- اختلاف الإعراب وأثره في الأحكام .

٥- علوم البلاغة .

٦- النقد اللغوي .

٧- التعليل اللغوي .

الفصل الثالث : احتفاله بالنظر :

١- بيان معنى النظر وحدوده .

٢- مجالات النظر ودرجاته :

١- مجال النقد اللغوي . ٢- الآيات المشكّلة .

٣- آيات العقيدة .

ردوده على الرافضة وعلى المعتزلة .

() ص ٢٢٧ . ٤

() ص ١٧٣-٢١١ . ٥

وفرق في هذا الفصل بين معنى النظر والرأي عند مكّي ، إذا أن النظر عنده هو : التدبر والتفكر في مجموع النصوص ومقابلتها ببعضها ومحاولة الوصول إلى فهم صحيح يجلو الغوامض ويزيل الالتباس ، ويكشف مشكل المعاني .

كما أشار فرحات إلى المجال الذي يدور فيه النظر ، فبين أنه محدود بحدين : حد النصوص وحد اللغة ، أي التمييز والاختيار بين النصوص على ضوء المعاني.

وبذلك أوضح أن النظر عند مكّي لا يدخل في باب التفسير بالرأي المجرّد لأنه ليس رأياً شخصياً له وإنما هو فهم على أصول وقواعد ، كما حدد مجالات النظر عند مكّي ودرجاته ، فبين أنه يظهر في النقد اللغوي ، وتفسير الآيات المشكّلة ، وآيات العقيدة حيث يستطرد للرد على الفرق المخالفة كالمرجئة والمعتزلة .

وفي الباب الخامس تكلم عن قيمة تفسير مكّي فذكر كلام القاضي عياض وابن سعيد وابن عطية () .

ثم ذكر نماذج من استفادة ابن عطية منه ()

ثم القرطبي ()

ثم أبي حيان ()

ومن أهم نتائجه لهذه الدراسة أنه بين ولأول مرة مكانة مكّي العلمية وقيمة تفسيره، وأثره في المفسرين من بعده ، كما ظهر له أن تفسير مكّي (يعتبر في جملته تلخيصاً جيداً لتفسير الطبري ، لا يخل بجوهره لأنه لم يحذف منه إلا الأسانيد والمكررات) .

والمآخذ على هذه النتيجة ، أن الباحث اعتمد فيها على مثال وجده في تفسير الطبري يتفق وتفسير مكّي وهذا لا يكفي للحكم على تفسير مكّي بأكمله ، وفي دراسة حسن فرحات ما يفيد أن مكياً ألف تفسيره في مدة طويلة استغرقت شبابه وكهولته ، ولو كان تلخيصاً لكتاب الطبري ، لأتمه في مدة محدودة ، وقد ذكر مكّي نفسه أن من مراجعه الأساسية تفسير الطبري وذكر غيره من المصادر وعلى وجه الخصوص كتاب الاستغناء مما يبعد تماماً فكرة التلخيص هذه .

وطريقة مكّي في تفسيره الهداية أنه يستهل تفسير السورة بالبسملة والتصلية ويقول: قوله تعالى ذكره .. ثم يذكر آية أو عدة آيات ثم يذكر قراءاتها وإعرابها وتفسيرها .

٤	٥	٦	() ص ٥٤٠ .
٤	٥	٧	() ص ٥٥٠ .
٤	٥	٨	() ص ٥٥٧ .
٤	٥	٩	() ص ٥٦٢ .

وقلما يهتم بذكر الروايات مسندة لأصحابها في أسباب النزول ، أما الإعراب والتصريف فكثيراً ما يسند الأقوال فيهما إلى علماء اللغة إذا كان بينهم خلاف في التوجيه الإعرابي للآية .

وكذلك يذكر الأقوال مسندة إلى من رويت عنهم في تأويل غريب القرآن ، وكلما تقدم في التفسير استغنى عن خدمة الألفاظ التي سبق له أن فسرها في سورة قبلها .

وقد أفرد مكي كتابه "تفسير المشكل من غريب القرآن العظيم على الإيجاز والاختصار" لبيان معاني المفردات وتميز منهجه فيه بالأمور التالية () :

١- أنه جمع فيه غريب القرآن ممن تقدمه من مصنفي الغريب ، وكان أكثر اعتماده على كتاب "تفسير غريب القرآن" لابن قتيبة .

٢- أنه اعتمد في ترتيب كتابه على نسق الآيات والسور في القرآن الكريم ، وهذا أحد منهجين سار عليهما العلماء الذين ألفوا في غريب القرآن ويقوم المنهج الآخر على ترتيب الكلمات حسب حروف المعجم كما فعل السجستاني والراغب الأصفهاني .

٣- أنه يختار أولى الأقاويل في تفسير الغريب ويتجنب المنحول من التفسير والشاذ من الآراء ، ويعتمد في أسلوبه اللفظ الموجز ، والعبارة السهلة الواضحة ، والاختصار الشديد وعدم التفصيل اللغوي ، وذكر الآراء المختلفة ، والمسائل النحوية التي حفلت بها كتب الغريب ككتاب "معاني القرآن" للفراء و "معاني القرآن" للأخفش الأوسط .

أما كتاب مشكل إعراب القرآن :

فقد ذكر مكي في سبب تأليفه لهذا الكتاب أنه رأى أن كل من تكلم عن الإعراب أطال الكلام في الخفض وحروفه والجزم وحروفه وبما هو ظاهر من ذكر الفاعل والمفعول واسم إن وخبرها مما يستوي في معرفته العالم والمبتدئ وأغفلوا مشكلات الإعراب التي هي حرية بالبيان ، وهذا الإغفال دعاه إلى تفسيرها وذكر عللها وصعبها ونادرها حتى يسهل فهمها ويقرب تناولها لمن أراد حفظها .

وقد بين أنه قد ألف كتابه هذا لمن بلغ مستوى عاليًا في معرفة النحو وقواعده وهو ما أشار إليه في مقدمة هذا الكتاب بقوله : ولم أولف كتابنا هذا لمن لا يعلم من النحو إلا الخافض والمخفوض والفاعل والمفعول والمضاف والمضاف إليه والنعوت والمنعوت في أشباه هذه ، إنما ألفناه لمن شدا طرفاً منه ، وعلم ظواهره وجمالاً من عوامله ، وتعلق بطرف من أصوله () .

() انظر مقدمة تفسير المشكل ص ٧٢، ٧١

() مشكل إعراب القرآن ١/٢-٣

ونبه في هذه المقدمة على أنه تحرى أن يوضح إعراب كل مشكل في الكلمات القرآنية لا يترك إلا ما يدخل في أشباه له أو نظائر سبق إيضاها فيها تقدم من كتب تلافيا لآفة التكرار ورغبة في الاختصار مع نصح على موضع الكلام مما سبق كقوله مثلا في إعراب ﴿وما أدراك ما يوم الدين﴾ () في سورة الانفطار : قد تقدم الكلام فيه وفي نظيره في الحاقة والواقعة وغيرهما .

المنهج التفصيلي للمؤلف :

أولا : موقفه من أسماء السور وعدد الآيات والوقوف وبيان المناسبات :

يتعرض مكى لذكر السورة هل هي مكية أم مدنية فقط ولا يتعرض لعد الآي ولا المناسبات ونحو ذلك مثل قوله :

سورة طه مكية .

الأنبياء مكية .

وقال في سورة مريم بعد البسملة والتصلية :

وكان نزولها قبل أن يهاجر أصحاب النبي ﷺ إلى أرض الحبشة .

ثانيا : موقفه من العقيدة :

يلاحظ أن موقف مكى من قضية الصفات هو موقف السلف الصالح من إثباتها من غير تشبيه أو تأويل أو تحريف أو تعطيل :

قال في قوله تعالى ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ () : أي على عرشه ارتفع^٢ وعلا قال أبو عبيدة : استوى : علا ، وقال غيره : استقر وقيل : معناه استولى وأحسن الأقوال في هذه : علا . والذي يعتقده أهل السنة ويقولونه في هذا أن الله جل ذكره فوق سماواته على عرشه دون أرضه وأنه في كل مكان بعلمه وله تعالى ذكره كرسي وسع السموات والأرض كما قال جل ذكره وكذلك ذكر شيخنا أبو محمد ابن أبي زيد رحمه الله وقد سأل رجل مالكا عن هذا فذكر أثر مالك المشهور في الاستواء . ()

وقال مكى في معرض تفسير قوله تعالى : ﴿ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية﴾ () : ما جاء في القرآن والأحاديث من النزول والمجيء غير ذلك مضافا إلى الله - جل ذكره - فلا يجب أن يتأول فيه

٤	٦	٢	() الانفطار : ١٧
٤	٦	٣	() طه : ٥٠
٤	٦	٤	() الهداية ٢٨/٣
٤	٦	٥	() الحاقة : ١٧

انتقال ولا حركة على الله ، إذ لا يجوز عليه ذلك ، والحركة والنقلة إنما هما من صفات المخلوقين ، وكل ما جاء من هذا ، فإنما هو صفة من صفات الله لا كما هي من المخلوقين فأجرها على ما أتت ، ولا تعتقد ولا تتوهم في ذلك أمراً مما شاهدته في الخلق ، إذ ليس كمثله شيء .

ثم يقول : وقد قال جماعة من العلماء في وصف الله - جل ذكره - بالمجيء والإتيان والتنزل ، إنها أفعال يحدثها الله متى شاء ، سماها بذلك فلا تقدم بين يديه ، ولا تكيف ولا تشبهه ، وتقول كما قال ، وتنفي عنه - جل ذكره - التشبيه ، ولا تعترض في شيء مما أتى في كتابه من ذلك ، وما روي عن نبيه ﷺ . ()

وربما سلك مسلك التأويل فيما أشكل مثلما قال عند قوله ﴿ قدم صدق ﴾ ()
ومعنى ﴿ قدم صدق ﴾ قال الضحاك : ثواب صدق ، وقال مجاهد : الأعمال الصالحات ، وهو اختيار الطبري ، قال ابن عباس : أجزاً حسناً قدموا من أعمالهم وعن ابن عباس ﴿ قدم صدق ﴾ : ماتقدم لهم من السعادة في اللوح المحفوظ . وقال قتادة والحسن وزيد بن أسلم ﴿ قدم صدق ﴾ : هو محمد ﷺ شفيح لهم .

والقدم في اللغة : على أربعة أوجه :

١- قدم الإنسان مؤنثة .

٢- والقدم : السابقة والعامل الصالح مؤنثة أيضاً .

٣- والقدم : الشجاع مذكر .

٤- والقدم : المتقدم ، مذكر أيضاً .

وفي الحديث “أن جهنم لاتسكن حتى يضع الجبار فيها قدمه” ()
وفي رواية أخرى “حتى يضع الله فيها قدمه” قال الحسن : معناه حتى يجعل فيها الذين قدمهم لها ، فيمن قدم الله إلى النار . والمؤمنون قدمهم إلى الجنة . ومن رواه : “حتى يضع الجبار” فمعناه ما ذكرنا إن جعلت الجبار اسماً لله ، وقيل : الجبار اسم لجنس يدل على جميع الجبارين على الله ، فالمعنى حتى يضع

() الهداية ق ٢٢٦ ٦ ٦ ٤

() يونس : ٢ ٧ ٦ ٤

() أخرجه البخاري - كتاب التفسير سورة ق - باب ﴿ وتقول أهل من مزيد ﴾ ٥٩٤/٨ - ٥٩٥ ، عن أنس بلفظ : “حتى يضع قدمه فتقول : قط قط” . وعن أبي هريرة بلفظ : فيضع الرب تبارك وتعالى قدمه عليها فتقول : قط قط” . وعنه أيضاً بلفظ : “حتى يضع رجله فتقول قط قط قط” .

الجبارون على الله فيها أقدامهم ، أي حتى يدخلوها فعند ذلك تقول : قط قط : أي كفى كفى . وفي هذا الحديث اختلاف روايات بألفاظ مختلفة لكننا فسرنا موضع الإشكال منه (٩) .
وأما موقفه من القدر فيظهر في تفسيره لقوله تعالى : ﴿سواء عليهم ءأندرتهم﴾ (١٠) حيث قال : أعلمه الله عز وجل في هذه الآية ، أمر من سبق له في علم الله سبحانه، الكفر والثبات عليه إلى الموت ، لا يؤمن ولا ينفعه الإنذار ، وأن الإنذار وتركه سواء عليه (١١) .
وهذا مما يدل على إثباته القدر بخلاف ماتقوله المعتزلة .

ثالثا : موقفه من تفسير القرآن بالقرآن :

قال في قوله تعالى ﴿صراط الذين أنعمت عليهم﴾ (١٢) : المنعم عليهم هم الأنبياء صلوات الله عليهم والصديقون والصالحون بدلالة قوله ﴿فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين﴾ (١٣) .

وقال في قوله تعالى : ﴿يوم تبيض وجوه وتسود وجوه﴾ (١٤) : ومعنى تبيض : تشرق ، كما قال ﴿وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة﴾ (١٥) فهي تشرق لما تصير إليه من النعيم ، وتسود وجوه من أجل ماتصير إليه من العذاب (١٦) .

وفي شرح مشكل الغريب يستشهد على تفسير الكلمات الغريبة بالآيات القرآنية ومن ذلك قوله ﴿أنست نارا﴾ (١٧) أي أبصرت ، و ﴿أنستم منهم رشدا﴾ (١٨) أي علمتم (١٩) .

٤	٦	٩	() الهداية ١/٢-٢
٤	٧	٠	() البقرة: ٦
٤	٧	١	() الهداية ١/١٥
٤	٧	٢	() الفاتحة: ٧
٤	٧	٣	() النساء: ٦٩
٤	٧	٤	() آل عمران : ١٠٦ .
٤	٧	٥	() عبس ٣٨-٣٩ .
٤	٧	٦	() الهداية ١/١٥١
٤	٧	٧	() طه : ١٠ .
٤	٧	٨	() النساء : ٦ .
٤	٧	٩	() تفسير المشكل ص ٢٤٧

وقوله : ﴿ إن تتبعون إلا رجلا مسحورا ﴾ () أي : مخادعا . ومنه قوله تعالى : ﴿ فأني تسحرون ﴾ ()
 أي : من أين تخدعون () .

رابعا : موقفه من تفسير القرآن بالسنة :

قال عند قوله تعالى ﴿ يرثي ويرث من آل يعقوب ﴾ () : وأنكر آخرون وراثه المال في هذا لقوله ﷺ :
 “ نحن معشر الأنبياء لا نورث ما تركنا صدقة ” () وهذا الحديث يجب أن يكون حكمه مخصوصا بالنبي
 ﷺ وأخبر عن نفسه على لفظ الجماعة ... ويحتمل أن تكون هذه شريعة كانت ونسختها شريعة محمد
 ﷺ فممنع وراثته . ()

وقال : وروى أبو سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال : “ يجاء بالموت فيوضع بين الجنة والنار كأنه كبش
 أملح ” قال : “ فيقال يا أهل الجنة هل تعرفون هذا ؟ فيشربون وينظرون فيقولون : نعم هذا الموت ” قال :
 “ فيقال : يا أهل النار هل تعرفون هذا ؟ فيشربون وينظرون فيقولون : نعم هذا الموت ثم يؤمر به فيذبح ”
 قال : “ فيقول : يا أهل الجنة خلود بلا موت ويا أهل النار خلود بلا موت ” ثم قرأ رسول الله ﷺ
 ﴿ وأنذرهم يوم الحسرة ﴾ () الآية وأشار بيده في الدنيا يريد الغفلة في الدنيا ” . ()

وفي قوله تعالى ﴿ ووصينا الإنسان بوالديه إحساناً حملته أمه كرهاً ووضعته كرها ﴾ () ذكر مارواه ابن
 مسعود أن الرسول ﷺ سئل : أي الأعمال أفضل ؟

قال : “ إيمان بالله ، والصلاة لوقتها ، وبر الوالدين ، والجهاد في سبيل الله ” () .

- | | | | |
|---|---|---|---|
| ٤ | ٨ | ٠ | () الإسراء : ٤٧ |
| ٤ | ٨ | ١ | () المؤمنون : ٨٩ |
| ٤ | ٨ | ٢ | () تفسير المشكل ص ٢٢٨ |
| ٤ | ٨ | ٣ | () مريم : ٦ . |
| | | | () أخرجه البخاري - كتاب الفرائض - باب قول النبي ﷺ لانورث ما تركنا صدقة ” ٦٤٧/١٢ ، ومسلم كتاب
الجهاد والسير باب قول النبي ﷺ لانورث ما تركنا فهو صدقة ” ١٣٧٩/٣ . |
| ٤ | ٨ | ٥ | () الهداية ٢/٣ . |
| ٤ | ٨ | ٦ | () مريم : ٣٩ |
| | | | () الهداية ١٢/٣ . أخرجه البخاري - كتاب التفسير - باب ﴿ وأنذرهم يوم الحسرة ﴾ رقم ٤٧٣٠ ، ومسلم -
كتاب الجنة - باب النار يدخلها الجبارون رقم ٢٨٤٩ من حديث أبي سعيد . |
| ٤ | ٨ | ٨ | () الأحقاف : ١٥ . |
| | | | () أخرجه البخاري - كتاب التوحيد - باب وسمى النبي ﷺ الصلاة عملا ٥١٠/١٣ ، ومسلم - كتاب الإيمان -
باب كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال ٨٩/١ |

وذكر غيره من أحاديث في بر الوالدين وعقوقهما .

وربما تكلم عن الحديث من حيث الصناعة الحديثية مثل الحديث المروي في حل أكل ذبائح الجوس وهو قوله : “سنا بهم سنة أهل الكتاب”^(١) فأشار إلى أن سنده غير متصل ، وأن المراد به الجزية فقط .

وقد ذكرت صاحبة التفسير واتجاهاته تبعاً لفرحات أن من أهم خصائص منهج مكّي :

١- اقتصره على رواية الصحيح من الحديث دون غيره ، وهو بهذا تقدم خطوة حاسمة بمنهج التفسير بالمأثور نحو تحليله من الروايات الضعيفة والواهية والموضوعة.

٢- حذفه الأسانيد وهو ما ذكره في مقدمته بقوله : وأضربت عن الأسانيد ليخف حفظه على من أراده .
وقالت : واعتمد مكّي في تفسير القرآن على الأحاديث الصحيحة دون غيرها ، بعد حذف أسانيدها ، قصد التخفيف على من يرغب في حفظ الكتاب . وهو منهج سلكه كثير من المفسرين والفقهاء ، خاصة بعد أن دونت الأحاديث وعرف رجالها ووضعت المجاميع والمسانيد .

قالت : ومما يؤكد اعتماد مكّي على صحيح الحديث دون غيره ما قام بتحقيقه حسن فرحات إذا تتبع بعض الأحاديث الواردة في التفسير وقارنها مع ماخرجه ابن كثير في تفسيره فلاحظ التطابق بينهما في التفسيرين والمعالم أن ابن كثير قد اشتهر بنقل الأحاديث الصحيحة مسندة ونقد رجالها جرحاً وتعديلاً^(٢) .

وهذا الذي ذكرته بالنسبة لاعتماده ذكر الصحيح فقط ليس بصحيح ، كما أن تفسير ابن كثير به جملة من الأحاديث الضعيفة ، والغريب أنها أتبعته كلامها ببعض مواضع استدلال مكّي بالحديث فكانت الأمثلة في أحاديث ضعيفة ومن ذلك قولها:

والمثال الأول منها : ما ذكره مكّي في تفسير قوله عز وجل ﴿فويل لهم مما كتبت أيديهم﴾^(٣) قال سفيان وابن عباس : ويل ماء يسيل من صديد ، في أسفل جهنم ، وروى عثمان عن النبي ﷺ أنه قال : “الويل

() أخرجه مالك في الموطأ - كتاب الزكاة - باب جزية أهل الكتاب والمجوس ٢٧٨/١ عن محمد بن علي أن عبد الرحمن بن عوف قال : أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول “سنا بهم سنة أهل الكتاب” . قال ابن كثير : روي مرسلًا وقال : لم يثبت بهذا اللفظ (التفسير ٣٧/٣) وقال ابن عبد البر : هذا منقطع (انظر تنوير الحوالك ٢٠٥/١) وقال الألباني : ضعيف (انظر إرواء الغليل ٨٨/٥)

() التفسير واتجاهاته ص ١٧٨^١

() البقرة : ٧٩ .^٢

جبل في النار” () وروى عنه عليه السلام أبو سعيد الخدري أنه قال : “ويل وادي في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفًا قبل أن يبلغ قعره” () .

وكل من حديث عثمان وأبي سعيد غير صحيح .

قالت : ومن أمثلة تفسيره للقرآن بالحديث ماجاء في بيان معنى قوله تعالى ﴿ ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ﴾ () قال : معناه نعظّمك بالحمد والشكر وقيل : التسبيح الصلاة . وروي عن النبي ﷺ أنه قال : “إن لله في السموات السبع ملائكة يصلون” . وإن عمر بن الخطاب قال له : يارسول الله ماصلاتهم ؟ فلم يرد عليه النبي عليه السلام شيئاً ، فأتاه جبريل عليه السلام فقال له : يا نبي الله : سألك عمر عن صلاة أهل السماء . “قال : نعم” ، فقال له : اقرأ على عمر السلام وأخبره أن أهل السماء الدنيا سجود إلى يوم القيامة يقولون : سبحان ذي الملك والملكوت . وأهل السماء الثانية ركوع إلى يوم القيامة يقولون : سبحان ذي العزة والجبروت . وأهل السماء الثالثة قيام إلى يوم القيامة يقولون : سبحان الحي الذي لا يموت () .

وهذا أيضا حديث غير صحيح .

وتحت قوله تعالى ﴿ أفمن شرح الله صدره للإسلام ﴾ () ذكر أن أصحاب الرسول ﷺ سألوه بقولهم : أو ينشرح القلب ؟ فقال ﷺ : “نعم ، إذا أدخل الله فيه النور انشرح ، وانفسح” . قالوا : فهل لذلك

() أخرجه ابن جرير ٣٧٨،٣٧٩/١ مطولا من طريق كنانة العُدوي عن عثمان به . وكنانة عدّه الحافظ من الرابعة (التقريب ٥٦٦٨) ولا يعرف بسماع من عثمان ، وفي الإسناد من لم أجد له ترجمة ، ولم يعزه السيوطي في الدر لغير ابن جرير .

() أخرجه الترمذي - كتاب صفة جهنم - باب ماجاء في صفة قعر جهنم رقم ٢٥٧٦ ، وابن حبان (انظر موارد الظمان ص ٦٤٩) والحاكم ٥٩٦/٤ وقال الترمذي : غريب . وقال ابن كثير : منكر (التفسير ١٦٨/١) وقال الألباني : ضعيف (انظر ضعيف الترمذي ٦١٧/١ ، ضعيف الجامع ٢٦٩/٦)

() البقرة : ٣٠ .

() أخرجه ابن نصر المروزي في تعظيم قدر الصلاة ٢٦٢/١ ، وأبو الشيخ في العظمة ١٠١٤/٣ ، والحاكم في المستدرک ٨٧/٣ من حديث عبد الله بن عمر مطولا وأخرجه ابن نصر أيضا من رواية سعيد بن جبیر والحسن مرسلاً ٢٦٤/١ ، ٢٦٦ ، وقال الحاكم : صحيح على شرط البخاري فتعقبه الذهبي بقول : منكر غريب وما هو على شرط البخاري عبد الملك ضعيف تفرد به .١.هـ وقال ابن كثير : حديث غريب جدًا بل منكر نكارة شديدة (التفسير ٤٤٥/٤)

() الزمر : ٢٢ .

من علامة تعرف؟ قال: "نعم. التجافي عن دار الغرور، والإنبابة إلى دار الخلود، والاستعداد للموت قبل الموت" () .

وهو حديث ضعيف كذلك .

أما الأمثلة على الأحاديث الصحيحة فقد تقدم جملة منها .

وبالنسبة لأسباب النزول فهو من المهتمين بما المعتنن بإيرادها

قال في قوله تعالى ﴿ وما كان الله ليضيع إيمانكم ﴾ () : أي صلاة من مات منكم ، وهو يصلي إلى بيت المقدس .

وقال المشركون من أهل مكة : تحير محمد في دينه ، فكان ذلك فتنة للناس ، واختباراً وتمحيصاً للمؤمنين .

قال قتادة : صلت الأنصار حولين بين بيت المقدس قبل هجرة النبي ، ثم هاجر النبي ﷺ فصلى نحوها ستة عشر شهراً ، ثم وجهه الله نحو الكعبة ، فقال قائلون من الناس : ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها . وقالوا : لقد اشتاق الرجل إلى مولده ، فابتلى الله عباده بما شاء من أمره ، فأنزل الله في اليهود والمنافقين : ﴿ سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم ﴾ إلى ﴿ مستقيم ﴾ ، وأنزل في المؤمنين ﴿ وما كان الله ليضيع إيمانكم ﴾ إلى ﴿ رحيم ﴾ . () () .

وقال في قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم ﴾ () : هذه الآية نزلت في سبب أقوام سألوا النبي ﷺ مسائل امتحانا له ، فيقول له بعضهم إذا ضلت ناقته : أين ناقتي ؟ فنهى الله عز وجل عن ذلك . ()

() أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٢١٠/١ ، وابن جرير ٢٦٩/٨-٢٧ وغيرهما عن ابن مسعود موصولا وعن غيره مرسل (وانظر الدر المنثور ٣٥٨/٥) وقال ابن كثير : فهذه الطرق لهذا الحديث مرسله ومتصلة يشد بعضها بعضا والله أعلم . (التفسير ١٧٥/٢) وقال ابن الجوزي : روي من طرق كلها وهم والصواب عن عمرو بن مرة عن أبي جعفر عبد الله ابن المسور مرسل عن النبي ﷺ كذلك قاله الثوري ، وابن المسور متروك . العلل المتناهية ٣١٨/٢

() البقرة : ١٤٣

() الهداية ق ٨٤ والآيتان من سورة البقرة برقم : ١٤٣ ، ١٤٢

() أخرجه ابن جرير ٥/٢ وهو ضعيف لإرساله ولكن روى البخاري نحو ذلك من حديث البراء - كتاب التفسير - باب ﴿ سيقول السفهاء من الناس ﴾ ١٧١/٨ .

() المائدة : ١٠١

() أخرجه البخاري - كتاب التفسير - باب ﴿ لا تسألوا عن أشياء ﴾ ٢٨٠/٨ وابن جرير ٨٠/٧ عن ابن عباس به

قال أنس : سأل الناس النبي ﷺ حتى أحفوه بالمسألة ، فصعد المنبر ذات يوم وقال : “ لا تسألوني عن شيء إلا بينت لكم .. فألقى الناس ثيابهم على رؤوسهم ليكون ، فأنشأ رجل كان إذا لاحى دعي بغير أبيه ، فقال : يا رسول الله ! من أبي ؟ قال : “ حذافة ” فقام عمر فقبل رجل النبي ﷺ فقال : رضينا بالله ربا وبالإسلام ديننا ، وبمحمد رسولا ، أعوذ بالله من شر الفتن ، فقال النبي ﷺ : “ أما والذي نفسي بيده ، لقد صورت مثل الجنة والنار آنفا في عرض هذا الحائط ، فلم أر كاليوم في الخير والشر ” . ()

قال الزهري : فقالت أم عبد الله بن حذافة : ما رأيت ولدا أعق منك قط ، أكنت تأمن أن تكون أمك قد قارفت ما قارفت أهل الجاهلية فتفضحها على رؤوس الناس؟ فقال : والله لو ألحقني بعدد أسود للحقته .

وقال أبو هريرة : خرج رسول الله ﷺ وهو غضبان ، حتى جلس على المنبر ، فقام رجل فقال : أين أنا ؟ فقال : “ في النار ” ، وقال آخر : من أبي ؟ فقال : “ حذافة ” ، فقام عمر فقال : رضينا بالله ربا وبالإسلام ديننا ، وبمحمد نبيا وبالقرآن إماما . فنزلت الآية . ()

وقال علي بن أبي طالب : لما نزلت هذه الآية ﴿ ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ﴾ فقالوا : يا رسول الله ، أفي كل عام ؟ فسكت ، ثم قالوا : أفي كل عام ؟ فسكت ، ثم قال : “ لا ، ولو قلت نعم ، لوجب ” فأنزل الله الآية .

وروي أنه قال - لما كرر عليه القول - : “ والذي نفسي بيده لو قلت : نعم ، لوجب ولو وجبت عليكم ما أطقتموه ، ولو تركتموه لكفرتم ” فأنزل الله ﴿ لا تسألوا عن أشياء ﴾ الآية . () وروي عنه أنه قال : “ لو قلت لوجب ، ولو وجبت ثم تركتم هلكتم اسكتوا عني ما سكت عنكم ، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم ” فأنزل الله الآية . ()

() أخرجه البخاري - كتاب التفسير - باب ﴿ لا تسألوا عن أشياء ﴾ ٢٨٠/٨ ، ومسلم - كتاب الفضائل - باب توقيره ﷺ ٩٤/٧ .

() أخرجه ابن جرير ٨٢/٧ وقال الوادعي : رجاله رجال الصحيح إلا محمد ابن علي شيخ ابن جرير وهو ثقة . (الصحيح المسند من أسباب النزول ص ٦٣)

() أخرجه الترمذي - كتاب تفسير القرآن - باب ومن سورة المائدة ٢٥٦/٥ وقال : حديث حسن غريب .

() الهداية ١/٣٧٥-٣٧٦

وفي شرح مشكل الغريب لم يكثر الاستشهاد بالحديث الشريف واقتصر على حديث واحد فقط في الكتاب كله وهو في تفسير قوله تعالى ﴿فمن اعتدى بعد ذلك﴾ () قال : أي قتل بعد أن أخذ الدية من الجاني روي عن النبي ﷺ لا أعاني أحدا قتل بعد أخذ الدية” () .

خامسا : موقفه من تفسير القرآن بأقوال السلف :

قال : قوله تعالى ذكره ﴿كهيعص﴾ ()

وهذه الحروف عند ابن عباس مأخوذة من أسماء دالة على ذلك . فالكاف يدل على كبير . وقيل : الكاف يدل على كافٍ . قاله ابن جبير والضحاك ، وروى أيضا ابن جبير أن الكاف تدل على كريم .

قال ابن عباس وابن جبير : الهاء تدل على هاد . كذلك قول الضحاك .

قال ابن جبير : الياء من حكيم ...

وقال ابن عباس وابن جبير : العين من عالم . وعن ابن عباس أيضاً : العين من عزيز وقال الضحاك : العين من عدل . وقال ابن عباس وابن جبير : الصاد من صادق . وعنه أيضا : الكاف كافٍ والهاء هاد والياء يد من الله على خلقه والعين عالم والصاد صادق . وعنه أيضاً أنه كان يقول : كهيعص اغفر لي . وعن ابن عباس أنه قال : هو قسم أقسم الله به ، وهو من أسماء الله . وقال أبو العالية : كل حرف على حدته ليس من أسماء الله . وقال قتادة : كهيعص من أسماء القرآن .

وقوله تعالى ﴿نداء خفياً﴾ () أي: دعاء سرّاً كراهية الرياء قاله ابن جريح وغيره وقال السدي : رغب زكريا في الولد فقام يصلي ثم دعا ربه سرّاً .

﴿أولى الأيدي...﴾ () قال ابن عباس : أولى القوة والعبادة ، ﴿والأبصار﴾ : الفقه في الدين . قال مجاهد : ﴿أولى الأيدي﴾ القوة في أمر الله ﴿والأبصار﴾ العقول . وقال قتادة : أعطوا قوة في العبادة وبصرا في الدين . وقال السدي : ﴿الأيدي﴾ القوة في طاعة الله ﴿والأبصار﴾ التبصر بعقولهم في دينهم .

() البقرة : ١٧٨ .

() شرح مشكل الغريب ص ١٠٩٨ ، أخرجه أحمد ٣/٣٦٣ وأبو داود - كتاب الديات - باب من قتل بعد أخذ الدية ٤/٦٤٦ عن جابر ، وقال المنذري : الحسن لم يسمع من جابر فهو منقطع . وأخرجه ابن جرير ٢/١١٢ عن قتادة مرسلًا وهو ضعيف لإرساله وعزاه السيوطي أيضاً لابن المنذر وذكر أن سمويه أخرجه في فوائده عن سمرة موصولاً (الدر ١/١٨١) وضعفه الألباني (ضعيف الجامع ٥/٦١٧٣) والفريوائي (لحظ الأخطاء ١/٧٦٧) .

() مريم : ١ .

() مريم : ٣ .

() ص : ٤٥ .

وقال في قوله تعالى ﴿أقم الصلاة لدلوك الشمس﴾ (١) : قال علي بن أبي طالب دلوكها: غروبها . وهو قول ابن مسعود ، وروي عن ابن عباس : دلوكها : زوالها، وقاله ابن عمر وأبو هريرة .

﴿وقرآن الفجر﴾ صلاة الصبح ، وقال قتادة : ﴿وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس﴾ (٢) هي صلاة الفجر ، ﴿وقبل غروبها﴾ هي صلاة العصر ، ﴿ومن آناء الليل﴾ صلاة المغرب والعشاء الآخرة (٣) .

وقال في تفسير قوله تعالى ﴿اهبطوا مصرًا﴾ (٤) : إن قتادة ومجاهد وغيرهما يرون أن ذلك يعني مصرًا من الأمصار بالتنكير . وأما أبو العالية فيرى أنها مصر التي بها فرعون وهو قول الكسائي أيضًا . وذكر مكي أن أبيا وابن مسعود قرءا اهبطوا مصر ، بغير صرف معرفة ، وأن بعضهم يقول بأنها الشام ، وروى أشهب عن مالك أنها بلاده مصر .

وختم مكي هذه الروايات بقوله : في رأيي هي بلاد فرعون (٥) .

وفي شرح مشكل الغريب يستشهد مكي بأقوال الصحابة الكرام والتابعين وتابعيهم من المفسرين مع توسط في هذا الأمر وعدم الإكثار منه ، ومن الشواهد على ذلك قوله في تفسير أول سورة البقرة ﴿الم﴾ وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال : الألف الله ، واللام جبريل ، والميم محمد ، روى ذلك عنه عطاء والضحاك قال : وكل ما ذكرنا من تفسير أوائل السور عن ابن عباس فهو مما رواه عنه عطاء والضحاك (٦) .

سادسا : موقفه من السيرة والتاريخ وذكر الغزوات :

يتعرض مكي لذكر بعض حوادث السيرة أثناء تفسيره ومن ذلك قوله في قراءة ﴿وكأين من نبي قتل معه ربيون﴾ (٧) بعد أن ذكر عدة أوجه في توجيهها :

والأول أحسن لأن كعب بن مالك قال : أول من عرف رسول الله ﷺ أنه لم يقتل يوم أحد ، أنا ، رأيت عينه من تحت المغفر فناديت بأعلى صوتي : هذا رسول الله . فأوماً إلي النبي ﷺ أن اسكت ، وكان قد صاح الشيطان يوم أحد : قتل محمد فاتحزم المسلمون خلا قليل منهم .

٥	١	٣	(الإسرائ : ٧٨)
٥	١	٤	(طه : ١٣٥)
٥	١	٥	(الهداية ١/٤٩)
٥	١	٦	(البقرة : ٦١ .)
٥	١	٧	(الهداية ١/٣١)
٥	١	٨	(تفسير المشكل ص ٨٥)
٥	١	٩	(آل عمران : ١٤٦)

وهناك مواضع أطال فيها جدًا في ذكر أحداث السيرة ومن ذلك ما ذكره تحت قوله تعالى : ﴿إنا فتحنا لك فتحا مبينا﴾ () حيث ذكر تفاصيل غزوة الحديبية وقصة البيعة وقصة أبي جندل ثم ذكر المعجزات التي حصلت على يد النبي ﷺ في تلك الغزوة .

وتحت قوله تعالى ﴿لتجدن أشد الناس عداوة﴾ () ذكر قصة جعفر مع النجاشي بطولها من حديث ابن عباس وأم سلمة والسدي وغيرهم .

ولذا قال فرحات عن مكّي : ... فهو لا يترك فرصة تمر دون أن يعلق على الآيات التي تتصل بالسيرة ، ويشرح تفاصيل حوادثها ويستنتج منها العبر ، مما يجعل كتابه غنيًا بالنصوص التاريخية التي توضح النص القرآني في نفس الوقت الذي تعطي فيه قارئها ثقافة لا بأس بها في سيرة النبي ﷺ () .

سابعا : موقفه من الإسرائيليات :

لقد ذكر مكّي في تفسيره كثيرًا من الإسرائيليات نظرًا لاهتمامه بالجانب الأثري ومن ذلك ما ساقه من روايات كثيرة تحت قوله تعالى ﴿واتبعوا ماتتلوا الشياطين على ملك سليمان...﴾ () ومنها قوله : وروي عن ابن عباس في قصة الملكين : أن الله تعالى أطلع الملائكة على أعمال بني آدم ، فقالوا : يا رب هؤلاء بنو آدم الذي خلقتهم بيدك وأسجدت له ملائكتك ، وعلمته أسماء كل شيء ؛ يعملون بالخطايا ؟ فقال الرب تعالى لهم : أما إنكم لو كنتم مكانهم لعملمتم مثل أعمالهم ، قالوا : سبحانك ما كان ينبغي لنا ذلك . فأمروا أن يختاروا ملكين ليهبطا إلى الأرض فاختاروا هاروت وماروت فأهبطا إلى الأرض ، وأحل لهم كل شيء إلا الشرك والسرقه والزنا وشرب الخمر وقتل النفس . قال : فما استقرا حتى عرض لهما بامرأة قد قسم لها نصف الحسن فلما أبصراها تعرضا لها قالت : لا ، إلا أن تكفرا بالله وتشربا الخمر ، وتقتلا النفس ، وتسجدا لهذا الصنم ، قالوا : ما كنا لنشرك بالله شيئا ، فقال أحدهما للآخر : ارجع إليها فقالت لا ، إلا أن تشربا الخمر . فشربا الخمر ، فشربا حتى ثملا ، فدخل عليهما سائل فقتلاه فلما وقعا فيما وقعا من الشر أفرج الله لملائكة السماء لينظروا إليهما فقالوا : سبحانك إنك أنت أعلم ، فأوحى الله إلى سليمان بن داود أن يخيرهما بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة ، فاختارا عذاب الدنيا .

°	٢	٠	() الفتح : ١
°	٢	١	() المائدة : ٨٢
°	٢		() مكّي بن أبي طالب وتفسير القرآن ص ٢٦١ .
°	٢	٣	() البقرة : ١٠٢

ونكتفي في بيان موقف مكّي بن أبي طالب من الإسرائيليات بذكر النتيجة التي توصل لها فرحات من دراسته :

قال فرحات :

وإذا كان مكّي قد انتبه بالنسبة لتفسير القرآن بالحديث فحرص على أن يفسر بالصحيح منه دون غيره^(١)، فإنه لم يوفق في جانب القصص الإسرائيلية والروايات التاريخية الأخرى إلى تحقيقتها ونقدها والإشارة إليها من قريب أو بعيد^(٢).

قال : لقد ذكرت تلك المصادر حوادث وأخبار في قصة داوود وأوريا وشعيب وابنتيه وسليمان والجن مما يتعارض أشد التعارض مع ما ينبغي أن يكون عليه الأنبياء من صفات خلقية نبيلة وكان على علمائنا أن يردوا هذه الأخبار^(٣) وأن لا يستشهدوا بها في كتبهم وألا يجعلوها في تفاسير تشرح كتاب الله تعالى^(٤).

ثامنا : موقفه من اللغة :

لقد أشار مكّي في مقدمة التفسير إلى أنه سوف لا يطيل القول في الناحية الإعرابية خاصة لأنه أفردتها بالتأليف ، فقال : قدمت في أوله نبذاً من علل النحو وغامض الإعراب ، ثم خففت ذكر ذلك فيها ، لئلا يطول الكتاب ولأني قد أفردت كتاباً مختصراً في شرح مشكل الإعراب خاصة^(٥).

وقد كان يؤكد على هذا المنهج الذي التزم به ، ويذكر به من حين إلى آخر أثناء تفسيره للآيات القرآنية ، ذكر في بيان قوله تعالى ﴿هدى للمتقين﴾^(٦)، قال: وقد فسرنا إعراب هذا وما يشابهه في كتاب : تفسير مشكل إعراب القرآن ، فأحلينا هذا الكتاب من بسط لئلا يطول ، إلا أن يقع نادر من الإعراب ، فنذكره على شرطنا المتقدم فاعلم ذلك^(٧).

(١) سبق انتقاد هذه النتيجة التي توصل لها المؤلف .

(٢) ص ٢٧٤ .

(٣) بعض هذه الأخبار ثابت عن بعض الصحابة أو كبار مفسري التابعين الذين شهدت لهم الأمة بالفضل والمعرفة بما يجوز على الأنبياء وما لا يجوز وهم أعرف بالاعتقاد الصحيح منا والذي ينبغي أن يقال : إنه يجب تنقيح تلك الروايات ومعرفة الصحيح منها ثم توجيهه وحمله على الحمل اللائق فإن بعضها لاغنى عنه في التفسير . والله تعالى أعلم .

(٤) ص ٢٧٥ .

(٥) الهداية ١/١ .

(٦) البقرة : ٢ .

(٧) الهداية ٩/١ .

ومن أمثلة اهتمامه باللغويات :

تفسيره لقوله تعالى ﴿وترى الملائكة حافين من حول العرش﴾^(١) ، أي وترى يا محمد يوم القيامة الملائكة محديقين من حول العرش والعرش : السرير ، وواحد حافين : حاف : قاله الأخفش ، وقال المبرد : لا يفرد .

ودخلت "من" في قوله : ﴿من حول العرش﴾ لأنه ظرف ، والفعل يتعدى إلى الظرف بحرف وبغير حرف ، ومثله قوله ﴿وإلى الذين من قبلك﴾^(٢) ، وقال بعض البصريين^٣ : دخلت من في الموضعين^٣ توكيداً^(٤) .

كما بين مكي إعراب الباء في باسم الله فقال : والباء متعلقة بفعل مضارع ، والمعنى أبدأ باسم الله ، فإذا اختلفت الأفعال التي نريد أن يسمى الله عليها ، أضمرت لكل معنى فعلاً يشاكلة ، فإذا أردت القيام فقلت : باسم الله ؛ أضمرت : أقوم باسم الله ، وإذا أردت القعود ؛ قدرت : أقعد باسم الله ، وكذلك الركوب وشبهه الخ .

وانتقل من بيان معنى الحروف ، إلى تقرير قاعدة نحوية تتعلق بعمل حروف الجر ، فقال : وإنما سميت الباء ، ومن ، وعن ، وشبهها بحروف الجر ، لأنها تجر الأفعال إلى الأسماء ، لأن معناها الإضافة ، تضيف فعلاً إلى الاسم ، أو معنى إلى الإسم كقولك : مررت بزيد ، وعمرو كزيد ، وإنما كسرت الباء لتكون حركتها مثل عملها^(٥) .

وبين الفرق بين الاستفهام والتسوية عند تفسير قوله تعالى ﴿إن الذين كفروا سواء عليهم ءأنذرتهم ام لم تنذهم لا يؤمنون﴾^(٦) قال : ومعنى لفظ الاستفهام في ﴿ءأنذرتهم﴾ التسوية وهو في المعنى خير لكن التسوية تجري في اللفظ مجرى لفظ الاستفهام . والمعنى على الخبر تقول : سواء علي أقت أم قعدت . وإنما صار لفظ التسوية مثل لفظ الاستفهام للمعارضة التي بينهما ، وذلك أنك إذا قلت : قد علمت أزيد في الدار أم عمرو . فقد سويت علم المخاطب فيهما ، فلا يدري أيهما في الدار ، مع علمه أن أحدهما في الدار ، ولا يدري بعينه ، فهذا تسوية .

وتقول في الاستفهام : أزيد في الدار أم عمرو ؟ فأنت لاتدري أيهما في الدار ، وقد استوى علمك في ذلك ، وتدري أحدهما في الدار ، ولا تدري عينه منهما فقد صار الاستفهام كالتسوية ، في عواقب

٥	٣	١	(الزمر : ٧٥ .)
٥	٣	٢	(الشورى : ٣ .)
٥	٣	٣	(الهداية ٣/٣٩٨ .)
٥	٣	٤	(الهداية ٣/٢٠٢ .)
٥	٣	٥	(البقرة : ٦ .)

الأمر . غير أن التسوية إيهام على المخاطب وعلم يقين عند المتكلم ، والاستفهام إيهام على المتكلم ، ويجوز أن يكون المخاطب مثل المتكلم في ذلك ، ويجوز أن يكون عنده يقين ما سئل عنه ، فاعرف الفرق بينهما () .

ومن مواضع تعرضه للإعراب قوله :

قوله جل ذكره : ﴿ ذكر رحمة ربك عبده زكريا ﴾ () ﴿ ذكر ﴾ مرفوع عند الفراء على خير ﴿ كهيعص ﴾ ثم رد معللاً إياه بقوله : لأن كهيعص ليس مما أثنى الله به على زكريا وليس كهيعص في شيء من قصة زكريا والتقدير : هذا الدين يدل على ذكر رحمة ربك عبده زكريا والتقدير فيما يتلى عليك يا محمد ذكر عبده زكرياء برحمته .

وأما شرحه للمفردات فمثل قوله :

ومعنى ﴿ وهن العظم ﴾ : ضعف ورق من الكبر وقوله ﴿ اشتعل الرأس شيباً ﴾ أي كثر الشيب في الرأس . ونصب شيباً . على المصدر لأن معنى اشتعل شاب . وقال الزجاج : نصبه على التمييز أي اشتعل من الشيب .

وقال في قوله تعالى : ﴿ أولي الأيدي ﴾ () :

وقيل : ﴿ الأيدي ﴾ جمع يد من النعمة أي هم أصحاب النعم التي أنعم الله عليهم بها وقيل : هم أصحاب النعم والإحسان لأنهم قد أحسنوا وقدموا خيراً وأصل اليد أن تكون للجراحة ولكن لما كانت العدة فيها سميت القوة يداً .

والبصر هنا عني به بصر القلب الذي ينال به معرفة الأنبياء .

أجاز الطبري أن يكون المعنى : أنهم أصحاب الأيدي عند الله بالأعمال الصالحة التي قدموها تمثيلاً باليد .

وقد أفرد مكى للغريب كتابه تفسير المشكل كما ذكرنا قبل ذلك .

واستدلاله بالشعر قليل فرمنا عشرات الصفحات فلا يذكر فيها بيتاً واحداً .

ومن مواضع استدلاله بالشعر في تفسير قوله تعالى : ﴿ فامسحوا برؤوسكم وأرجلكم ﴾ () في عطف المسح على الغسل قال :

ورأيت زوجك قد غدا متقلداً سيفاً ورمحاً

() الهداية ١٦/١	٦	٣	٥
() مريم : ٢	٧	٣	٥
() ص : ٤٥	٨	٣	٥
() المائة : ٦	٩	٣	٥

قال: فعطف الرمح على السيف وليس الرمح مما يتقلد به ولكن عطفه عليه لاشتراكهما في الحمل وفي
أتهما سلاح .

أما في شرح مشكل الغريب فلم يستشهد إلا ببيت واحد من الشعر في الكتاب كله في الكلام على قوله
تعالى ﴿فِيمَا طَعَمُوا﴾ () أي ما شربوا من الخمر قبل التحريم يقال: لم أطمع خبزاً ولا نوماً قال
الشاعر:

فإن شئت حرمت النساء سواكم وإن شئت لم أطمع نقاخاً ولا برداً ()

قال : النقاخ : الماء ، والبرد : النوم () .

ومن كتاب مشكل إعراب القرآن نقل تلك الأمثلة () :

تكلم في البسمة على إعراب ثلاثة ألفاظ :

الباء من بسم الله : لم يتكلم عن المعروف من عملها بل عن اختصاص كسر بائها معللاً ذلك بأنها
كسرت لتكون حركتها مشابهة لعملها ، أو كسرت فرقاً بين ما يخفض ولا يكون إلا حرفاً نحو الباء
واللام . وبين ما يخفض وقد يكون اسماً نحو الكاف أما عملها الخفض فعلة بأنها لا معنى لها إلا في
الأسماء . فعملت الإعراب الذي لا يكون إلا في الأسماء وهو الخفض .

كما ذكر في تعليل حذف الألف من باسم الله خطأ كثرة الاستعمال أو بسبب لزوم الباء لهذا الاسم أو
حذفت لعله تحرك السين في الأصل ، لأن أصل السين الحركة ، وسكونها لعله دخلتها .

اسم : تكلم عن أصله ... وعند البصريين مشتق من سما يسمو أو من سمى يسمى . وجمعه أسماء .
وجمع أسماء أسامي .

وعند الكوفيين مشتق من السمة . وأصله وسم .

وبعد أن حلل كلا المذهبين صرح بقوله : وقول الكوفيين أقوى في المعنى .

وقول البصريين أقوى في التصريف .

الله : حكي ثلاثة آراء في أصل الكلمة : أصله إلاه . دخلت الألف واللام . فصار الإلاه فحذفت
الهمزة بعد أن ألقيت حركتها على اللام الأولى ، ثم أدغمت اللام في الثانية ، ولزم الإدغام للتعظيم
والتفخيم وقيل : حذفت الهمزة و عوض منها الألف واللام ، ولزمتا للتعظيم .

() المائدة : ٩٣ .

() البيت للعرجي وقوله نقاخاً : هو الماء الطيب وبردًا هنا : الرقيق (انظر لسان العرب ٦/٤٥١٧)

() شرح مشكل الغريب ص ١٥٥

() انظر دراسة فرحات له والأمثلة التي ذكرها ص ٣٥٥-٣٨١

وقيل : أصله لاه . دخلت الألف واللام ولزمتا للتعظيم ، ووجب الإدغام لسكون الأول من المثلين .
ودل على ذلك قولهم : لهي أبوك ، يريدون : لله أبوك...ويدل عليها أيضاً قوله : لاه ابن عمك . يريد
: لله .

وذكر الزجاج في بعض أماليه عن الخليل : أن أصله : ولاه ، ثم أبدل من الواو همزة كإشاح ووشاح .
والألف في لاه منقلبة عن ياء دل على ذلك قولهم : لهي أبوك . فظهرت الياء عوضاً من الألف تدل
على أن أصل الألف الياء . وختم كلامه عن هذه الثلاثة بالتنبيه على القياس على ذلك فيما يغفله بعد
من الأشباه والنظائر فقال: وإنما أشبعنا الكلام في هذين الاسمين لقياس عليهما شبههما مما لعنا نغفله .
وكذلك نغفل في كل ماهو مثل هذا .

وفي مشكل إعراب سورة الفاتحة :

تكلم عن كلمة سورة واشتقاقها ومعاني كل ، ثم عن كلمة الحمد وسبب رفعها وتعلق اللام في قوله : لله
 . ثم تكلم عن كلمة : إياك فأطال في بيان مشكل إعرابها.

وفي مشكل إعراب سورة الكوثر قال :

قوله تعالى : ﴿إنا أعطيناك﴾ () أصل إنا : إنا . فحذفت إحدى النونات لاجتماع الأمثال ،
والحذوف هي الثانية بدلالة جواز حذفها في أن تقول : إن زيداً لقائم ، فحذفت الثانية وتبقى الأولى
على سكونها ساكنة . ولو كانت المحذوفة هي الأولى لبقيت الثانية متحركة ، لأنها كانت كذلك قبل
الحذف ، ولا يجوز حذف الثالثة لأنها من الاسم .

تاسعا : موقفه من القراءات :

لقد وقع حسن فرحات في خلل في دراسته حيث أغفل جانب القراءات في تفسير مكّي مع أهميته
القصوى واهتمامه بها وتوجيهها على الرغم من حديثه عن القراءات عند مكّي من خلال كتبه الأخرى
في القراءات ونقل هنا بعضاً من مواضع ذكر مكّي في تفسيره للقراءات وتوجيهها لها :

في قوله تعالى ﴿بما كانوا يكذبون﴾ () قال : أي بتكذيبهم الرّسل ، وقيل بتكذيبهم محمد ﷺ ، وهذا
التفسير يدل على صحة قراءة من قرأ ﴿يُكذِّبون﴾ بالتشديد .

ويدل على قوة التشديد أن الكذب لا يوجب العذاب الأليم ، إنما يوجبه التكذيب . وأيضاً فإنه تعالى
أخبرهم بالشك في أول الكلام ، ومن شك في شيء فقد كذب به، فالتكذيب أولى بالآية على هذا
القول .

() الكوثر : ١

() البقرة : ١٠٠ .

ومما استدل به من قرأ ﴿بِكَذِبُونَ﴾ بالتخفيف ، أن الله عز وجل أخبر أنهم يقولون آمنا وما هم بمؤمنين فأخبر عنهم بالكذب في قولهم آمنا وتواعدهم عليه بالعذاب الأليم، فهو من الكذب أولى من أن يكون من التكذيب ، إذ لم يتقدم في صدر الآية إلا الإخبار عنهم بالكذب لا بالتكذيب .

والقراءتان قويتان متداخلتان حسستان لأن المرض : الشك ، ومن شك في شيء ، فقد كذب به (٦) .

قوله تعالى ﴿وَكَايْنٍ مِنْ نَبِيِّ قَاتِلٍ مَعَهُ رِبِّيُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ...﴾ (٧) قال : ومن قرأ ﴿قُتِلَ﴾^٧ فالمعنى عند عكرمة أن القتل إخبار عما فعل بالأنبياء ، وأنهم قتلوا فيمامضى وأن من كان معهم لم يضعف بعدهم ولا تضعضع . ثم أخبر عن قولهم بعد نبينهم وثباتهم على دينهم ، فيكون التمام على هذا قتل وفيه بعد ، لأن ما بعده من صفة نبي ويكون معنى الآية : إن الله وبخ بذلك أصحاب النبي الذين ضعفوا يوم أحد ، حين قيل : قتل محمد . فأخبرهم أن كثيراً من الأنبياء قتلوا، فلم يضعف من كان معهم ليتأسوا بهم .

وقيل المعنى : أن الله أخبر أنه قد قتل مع الأنبياء ربيون كثير فما وهن من بقي ولا ضعف ، ولا ذل ، فيتأسى المؤمنون بهذا ، فلا يضعفوا لما أصاب أصحابهم من القتل يوم أحد فلا يكون التمام على هذا ﴿قتل﴾ ، لأن الربيين مرفوعون بقتل . والأول أحسن لأن كعب بن مالك قال : أول من عرف رسول الله أنه لم يقتل يوم أحد ، أنا ، رأيت عينه من تحت المغفر فناديت بأعلى صوتي : هذا رسول الله . فأوما إلي النبي أن اسكت ، وكان قد صاح الشيطان يوم أحد : قتل محمد فانهزم المسلمون خلا قليل منهم ، فأنزل الله ﴿وَكَايْنٍ مِنْ نَبِيِّ قَاتِلٍ﴾ (٨) أي كثير من الأنبياء قتلوا ، ولم يضعف من كان معه بعده ولا ذل . فكيف أردتم أيها المؤمنون أن تضعفوا حين سمعتم الشناعة بأن محمداً قد قتل ، فتأسوا أيها المؤمنون بمن كان قبلكم من أصحاب الأنبياء الربيين وعلى هذا التأويل اختار قوم من العلماء قراءة من قرأ ﴿قتل﴾ لأنهم عوتبوا على ضعف بعضهم لما سمعوا بقتل النبي عليه السلام ومن قرأ ﴿قاتل﴾ حملة على معنى أنهم وهنوا لقتل أصحابهم وجراحهم ، فأنزل الله عليهم يعلمهم أن كثيراً من الأنبياء قاتل معه أصحابه وأتباعه فلم يضعفوا لما أصابهم من قتل وجراح فيتأسوا بهم ، واختار بعض أهل اللغة ﴿قاتل﴾ لأنه أبلغ في المدح للجميع (٩) .

٥	٤	٦	() الهداية ١٣/١
٥	٤	٧	() آل عمران : ١٤٦ .
٥	٤	٨	() آل عمران : ١٤٦ .
٥	٤	٩	() الهداية ١٦٠/١

وقال : ﴿ كهيعص ﴾ () قرأ بعض القراء بإمالة الياء ، وعلّة الإمالة أنّها حرفٌ مقصور ، فإذا ثنيت ثنيت بالياء فشابهت ما ثني بالياء من الأسماء . فأميلت لذلك . وسبب الإمالة فيها عند الخليل وسبويه أنّها أسماءٌ للحروف فجازت إمالتها لتفرّق ههنا بينها وبين الحروف التي لا يجوز إمالتها نحو : ما ولا وإلا ... فإن سميت بشيء منها جازت الإمالة . ولا يحسن إمالة كاف ولا قاف وصاد لأن الألف متوسطة .

﴿ واذكر عبداً إبراهيم ﴾ () قال : أي اذكر إبراهيم وولده إسحاق وولده يعقوب . ومن قرأ ﴿ عبادنا ﴾ بالجمع أدخل الجمع في العبودية . وجعل ما بعده معطوفاً عليه .

وهو يتعرض في حديثه عن القراءات للشاذ أيضاً :

ومن ذلك عند قوله عز وجل ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ﴾ () قال : قرأ عثمان بن عفان رضي الله عنه : وينهون عن المنكر ويستعينون بالله على ما أصابهم . ثم قال مكّي زاد خمس كلمات ولا يقرأ بذلك اليوم ، لأنه خلاف لخط المصحف المجمع عليه .

قال : وقرأ ابن مسعود "أكان للناس عجبٌ" () بالرفع جعل ﴿ أن أوحينا ﴾ في موضع نصب وهو بعيد ، لأن المصدر معرفة ، فهو أحق أن يكون اسم كان عجبا ، لأنه نكرة .

وفي شرح مشكل الغريب اهتم بإيراد القراءات القرآنية لما لها من أثر في توجيه معاني الآيات ويبرز بوضوح في هذا الكتاب من كتب مفردات القرآن ، طغيان مسائل القراءات القرآنية على الجانب اللغوي الذي امتازت به كتب المتقدمين من أئمة اللغة :

ومن ذلك قوله في تفسير كلمة ﴿ فأزلهما ﴾ () بالألف من الزوال أي تُحَاهِما ، وبغير ألف من الزلل أي استزلهما () .

وقوله في تفسير كلمة ﴿ يرتع ﴾ () من أسكن العين أراد يأكل ، ومن كسر العين فمعناه يحرس بعضنا بعضا ، ومنه رعاك الله أي حفظك الله () .

- | | | | |
|---|---|---|---|
| ○ | ○ | ○ | () مريم : ١٠ |
| ○ | ○ | ١ | () ص : ٤٥ |
| ○ | ○ | ٢ | () آل عمران : ١٠٤ . |
| ○ | ○ | | () وهي قراءة شاذة والجمهور قرأها ﴿ عجبا ﴾ يونس : ٢ |
| ○ | ○ | ٤ | () البقرة : ٣٦ . |
| ○ | ○ | | () والقراءة بدون ألف هي ﴿ أزلهما ﴾ بتشديد اللام وهي لغير حمزة من العشرة . انظر إتخاف فضلاء البشر ص ١٣٤ |
| ○ | ○ | ٦ | () يوسف : ١٢ . |

وقال في مشكل الإعراب :

قوله تعالى : ﴿إن هذان لساحران﴾ ()

على لغة بني الحارث بن كعب : يأتون بلمثنى بالألف على كل حال () ، قال بعضهم :
تزود منا بين أذناه طعنة

وقيل : ﴿إن﴾ بمعنى نعم ، وفيه بعد لدخول اللام في الخبر ، وذلك لا يكون إلا في الشعر كقوله :

أم الخليس لعجوز شهيرة ()

وكان وجه الكلام : لأم الخليس عجوز كذلك

وجه الكلام في الآية إن حملت "إن" على "معنى" نعم : إن هذان ساحران كما تقول : نعم لهذان
ساحران ، ونعم لمحمد رسول الله ﷺ ، وفي تأخير اللام مع لفظ إن بعض القوة على نعم .

وقيل : الهاء مضمرة مع إن ، وتقديره إنه هذان لساحران كما تقول : إنه زيد منطلق ، وهو قول حسن
لولا دخول اللام في الخبر بعده .

فأما من خفف إن فهي قراءة حسنة لأنه أصلح أوجه الإعراب ولم يخالف بالخط لكن دخول اللام في
الخبر يعترضه على مذهب سيبويه لأنه يقدر أنها المخففة من الثقيلة ارتفع مابعدا بالابتداء والخبر لنقص
بنائها فرجع مابعدا إلى أصله فاللام لا تدخل في خبر الابتداء أى على أصله إلا في شعر كما ذكرنا .
وأما على مذهب الكوفيين فهو من أحسن شئ لأنهم يقدرون "أن" الخفيفة بمعنى ما واللام بمعنى إلا
فتقدير الكلام ماهذان إلا ساحران فلا خلل في هذا التقدير إلا ما ادعو أن اللام تأتي بمعنى إلا () .

موقفه من الفقه والأصول :

لم يفرد فرحات ولا وسيلة بلعيد لذلك فصلاً مستقلاً إلا ما يأتي ذكره عن النسخ عند مكّي وهذا مقصود
واضح في دراسة منهج مكّي بن أبي طالب .

وقد أطل مكّي في بيان بعض الفقهيات :

() ﴿ يرتع ﴾ بالياء وسكون العين هي قراءة عاصم وحمة والكسائي ويعقوب وخلف ، وأما القراءة بكسر العين مع
الياء أيضا فهي بنفس المعنى وهي قراءة نافع وأبي جعفر والخلاف في كون الفعل صحيحا أم معتلا ، أما القراءة بكسر
العين مع النون ﴿ يرتع ﴾ فهي التي بالمعنى الذي ذكره مكّي وهي قراءة ابن كثير وفي إثبات الياء في آخره خلاف من
رواية قنبل ، وقرأ أبو عمرو وابن عامر بالنون وسكون العين . انظر إتخاف فضلاء البشر ص ٢٦٢-٢٦٣

() طه : ٦٣

() يعني على قراءة ﴿إن﴾ مشددة .

() الشّهريّة : العجوز الكبيرة (انظر لسان العرب ٤/٢٣٥٢) ٦

() المشكل ص ٢١٠ ٦

ففي قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصِّفَا وَالْمَرُوءَةَ مِنَ شَعَائِرِ اللَّهِ...﴾ (٦) قال: والطواف بين الصفا والمروة عند مالك والشافعي فرض، فمن نسي ذلك رجع وسعى وإن بعد فإن كان قد أصاب النساء فعليه عمرة وهدى بعد تمام سعيه إذا رجع. ومذهب الثوري وأبي حنيفة وأبي يوسف أنه يجزيه دم إن نسي السعي بينهما ولا عودة عليه إلا أن يشاء ذلك.

وفي قوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾ (٦) قال: قال ابن عمر: يُوَكَّلُ (أي الصيد) وإن أكل (أي الكلب منه)، وبه قال جماعة ومالك معهم. ومن أرسل كلبا غير معلم، فأخذ فلا يُوَكَّلُ ما أخذ، إلا أن تدرك ذكاته. فإن أرسل معلما فأخذ ولحقه قبل أن يموت، فاشتغل عن تذكّيته حتى مات فلا يُوَكَّلُ، لأنه أدركه حيا وفرط في تذكّيته. فإن كان أدركه وقد أنفذ الكلب أو البازي مقاتله - وهو لم يدركه حتى مات - أكل، لأن الذكاة ليست بشيء إذ هو ميت لا محالة، لو ترك مات. فإن أرسل المعلم، فوجد معه كلبا آخر معلما أو غير معلم فلا يُوَكَّلُ، لأنه لا يدري لعل الآخر قتله، ولم يرسله، ولا سمى الله عليه، كذلك قال مالك والشافعي وغيرهما. وقال الأوزاعي: إن كان الثاني معلما أكل، وإن كان غير معلم لم يُوَكَّلُ... الخ ولا بأس عند مالك بلعاب الكلب الصائد يصيب ثوب الإنسان، وقال الشافعي: هو نجس. وذكر كلاما كثيرا.

وفي قوله: ﴿فَاقْطِعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ (٦) قال: ولا قطع على السارق حتى يخرج المتاع من حرزه، أو ما يشبه الحرز. وهو قول الشعبي والزهري وعطاء. وروي ذلك عن عثمان وابن عمر، وهو قول مالك والشافعي وغيرهما.

ولو نقب بيتا فأدخل يده، وأخذ متاعا فرمى به إلى الخارج، ثم خرج وأخذه، فعليه في ذلك القطع - عند مالك وغيره - لأنه قد أخذه من حرزه وهو الحائط ولو ناوله آخر خارجا من البيت كان القطع على الداخل، ولم يقطع الخارج.

ولو دخل جماعة بيتا وأخذوا متاعا وحملوه على أحدهم، وخرجوا به، فقال ابن القاسم - عن مالك - لا يقطع إلا من حمله.

وفي قوله: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ﴾ (٦) قال: وأجمع أهل العلم، على أن أول وقت الظهر: الزوال. وقال مالك: آخر وقتها أن يصير ظل كل شيء مثله بعد الزوال. وبه قال الثوري والشافعي

٥	٦	٢	() البقرة: ١٥٨
٥	٦	٣	() المائدة: ٤
٥	٦	٤	() المائدة: ٣٨
٥	٦	٥	() الإسراء: ٧٨

وأبو ثور . وقال عطاء : لا تفرط في الظهر حتى تصفر الشمس . وقال طاوس : لا تفوت حتى الليل .
وقال النعمان : آخر وقتها ما لم يصر الظل قامتين .
وبالنسبة للأصول أفرد مكي للناسخ والمنسوخ كتابين هما : الإيجاز لناسخ القرآن ومنسوخه ، والإيضاح
لناسخ القرآن ومنسوخه ، وقد خص فرحات فصلاً كاملاً للنسخ عند مكي جعل عمدته فيه كتاب
الإيضاح وقد ذكر أمثلة كثيرة للنسخ عند مكي فلتنظر هناك^(٦) .
أما موقفه من العلوم الحديثة والرياضة والفلسفة والمعجزات الكونية فهو بطبيعة الحال لا يتعرض لها لتقدم
عهده حيث لم يظهر الاهتمام بمعظم تلك الأمور .
وهو لا يتعرض في تفسيره لذكر شيء من المواعظ والآداب وإنما يأتي ذلك ضمناً في عرض الأقوال
التفسيرية المنقولة حسب ما يقتضيه المقام .

(٦) انظر مكي بن أبي طالب وتفسير القرآن ص ٤٥٩-٥٠٦ .

تفسير ابن ظفر من خلال كتابه ينبوع الحياة

مؤلف هذا التفسير هو حجة الدين أبو جعفر محمد بن عبد الله بن ظفر الصقلي المكي ت ٥٦٥ هـ وهو من الوافدين على المنطقة قصد بلاد إفريقية ، فجال فيها ودخل المغرب فأقام بالمهدية مدة . ()

التعريف بالتفسير :

وتفسيره المسمى ينبوع الحياة من التفاسير المخطوطة () ويقع في اثني عشر مجلداً وقد رجعت إلى نسخة ناقصة منه على الميكروفيلم بمكتبة المخطوطات بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة برقم ١٣٥٣ هـ وهي مصورة عن نسخة مكتبة تسشتربيتي وتقع في ٤١٥ ورقة غير مرقمة تبدأ بالمقدمة وتنتهي عند تفسير قوله تعالى ﴿ وسارعوا إلى مغفرة من ربكم ﴾ () من سورة آل عمران ، وبداية المقدمة غير واضحة وقد كتب عليها تفسير القرآن العظيم وهو ينبوع الحياة تأليف الفقيه حجة الدين محمد بن عبد الله بن ظفر المكي رحمة الله عليه ، وفي النسخة خلط بين الأوراق في بعض المواضع .

وقد بدأ المؤلف المقدمة بذكر أسانيده لبعض كتب السنة المشهورة ويبدأ الجزء الموجود بذكر إسناده لسنن أبي داود ثم ذكر مقدمة في أصول التفسير وعلومه وفي عدد آيات القرآن ثم انقطعت المقدمة إلى تفسير قوله تعالى ﴿ مالك يوم الدين ﴾ () .

المنهج العام للتفسير :

- | | | |
|---|---|---|
| ٥ | ٦ | () تقدمت ترجمته في الوافدين ^٧ برقم ٧٤ |
| ٥ | ٦ | () سبق ذكر مواضع مخطوطاته في ترجمته . |
| ٥ | ٦ | () آل عمران : ١٣٣ ٩ |
| ٥ | ٧ | () الفاتحة : ٣ . |

وتفسير ينبوع الحياة يعتبر في الجملة تفسيراً لغوياً يهتم بالقراءات وتوجيهها ولا يغفل الاعتماد على المأثور ، وطريقة مؤلفه فيه أنه يقسم السورة إلى مقاطع يبدأ الحديث عن كل مقطع بذكر القراءات الواردة فيه وتوجيهها ثم يثني بالتفسير اللغوي لهذا المقطع ، ويدرج فيه الآثار الواردة في تفسير تلك الآيات .
فمثلاً يقول في سورة البقرة :

الكلام عليها من فاتحتها إلى قول الله سبحانه ﴿ وأولئك هم المفلحون ﴾ ()
ثم يقول :

ذكر القراءات فيتكلم عنها وعن التوجيه
ثم يبدأ التفسير .

وقد وقفت على رسالة علمية لنيل درجة الماجستير بعنوان " ابن ظفر ومنهجه في التفسير من خلال كتابه ينبوع الحياة " قدمها صالح عبد الرحمن الفايز تحت إشراف د. عبد العزيز القاري سنة ١٤١٠هـ بالجامعة الإسلامية مرقونة على الآلة الكاتبة ، ولم أرها إلا بعد دراستي للتفسير فألحقت بعض الفوائد منها على عجلة ويلاحظ أنه ذكر أن مقدمة الكتاب غير موجودة () كما ذكرت كما أنه عقد فصلاً لمصادر ابن ظفر في تفسيره () .

المنهج التفصيلي للمؤلف :

أولاً () : لا يهتم المصنف بعد الآي ولا بالوقوف ولا بالمناسبات بين السور أو الآيات ، وقد عقد فصلاً في البسمة ابتدأه بقوله : ليست آية البسمة من الفاتحة ولا من أوائل السور عند المدني رحمه الله .
ويبدأ تفسير السورة بقوله مثلاً : السورة التي يذكر فيها البقرة (كذا) ، ويذكر مدنية أم مكية أما في آل عمران فقال : سورة آل عمران . ويبدو أن الوجهين في التسمية عنده جائزان خلافاً لمن كره ذلك . ()

() البقرة : ٥
() انظر ص ٥
() انظر ص ٩٣-١٣١
() أفرد الفايز فصلاً تحدث فيه عن موقف المؤلف من علوم القرآن ومن ذلك المكي والمدني وأول منازل وآخر منازل .
انظر ص ٢١٣-٢٣٣

() كره بعض أهل العلم أن يقال سورة كذا وإنما يقال : السورة التي يذكر فيها كذا استناداً لحديث ضعيف قال بعضهم بوضعه والصواب : جواز ذلك بل هو السنة حيث ورد هكذا في غير حديث . انظر لتفصيل ذلك : الإتيان

ثانيا : موقفه من العقيدة () :

المصنف يحمل على المعتزلة بشدة فمن أول وهلة قال في قوله تعالى ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ () :
وفي الكلام ما يشعر قلوب المؤمنين من تعاطي الحول والقوة إلا بالله وهذا مما حرمه المعتزلة وسيأتي بيانه .
ومن ذلك أيضا قوله : ولهذا قلنا إن المعتزلة اعتزلوا مقام التعبد لله سبحانه .
ويقول : وزعم المعتزلة أن الإنسان يقدر على أن يخلق الهدى لنفسه ولا يخلق الله الهدى له وأنهم اهتموا
بغير هدى من الله خلقه لهم فحصلوا من ذلك على تسمية الهوى هدى قال الله سبحانه ﴿ومن أضل
ممن اتبع هواه بغير هدى من الله﴾ () وقد أمر الله سبحانه عباده المهتدين بأن يقولوا : ﴿اهدنا الصراط
المستقيم﴾ () رغبة في أن يخلق لهم الثبات على الذي أنعم عليهم به .

ومن ردوده على المعتزلة قوله : وإضلال الله وهدايته يكونان قدره وقضائه بذلك ، ويكونان خلقه لهم
الضلال والهداية ، وإذا قدر ذلك وقضى على أحد في سابق علمه فلا بد أن يخلقه له . وقالت المعتزلة :
ذلك محمول على التسمية والحكم بأنهم قد اهتموا أو ضلوا . وذلك غير معلوم في اللغة ، لا يقول العربي
: هديت فلانا ولا أضللتته بمعنى حكمت بأنه مهتد أو ضال أو سميته بذلك . ثم ما يصنعون بقول الله
سبحانه ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام﴾ () الآية ؟ ثم إن قوله تعالى ﴿يضل به
كثيرا﴾ () إنما هو جواب قولهم : ﴿ماذا أراد الله بهذا مثلا﴾ () ؟ فلا يطابقه الجواب إلا إذا كان
التقدير : يريد أن يضل به كثيرا وما يضل به إلا الفاسقين . فيه دليل قول أهل الحق بالكسب لأنهم
كسبوا الفسق فعوقبوا بالإضلال .

وكذلك رد على المعتزلة عند قوله تعالى ﴿ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد﴾ () بالتفريق
بين الإرادة والأمر .

وهو يعتقد بوقوع السحر للنبي ﷺ خلافا للمعتزلة وغيرهم من العقلانيين فقال عند كلامه عن آيات
السحر في سورة البقرة وموقف اليهود منه : وقد سحروا المصطفى محمدا ﷺ وسيأتي هذا .

٥	٧	() انظر أيضا ابن ظفر الصقلي ص ٢٤٤-٢٧٠
٥	٧	() الفاتحة : ٥
٥	٧	() القصص : ٥٠
٥	٧	() الفاتحة : ٦
٥	٨	() الأنعام : ١٢٥
٥	٨	() البقرة : ٢٦
٥	٨	() البقرة : ٢٦
٥	٨	() البقرة : ٢٥٣

وهو لا يتذرع بالمجاز ولا يميل للعقلانيات ولعل هذا أمر طبعي مع ما يظهر من موقفه الصارم من الاعتزال وأهله فيقول عند قوله تعالى ﴿وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار﴾ () - بعد أن ذكر بعض الآيات والأحاديث الدالة على حصول الخشية من الحجارة - :

وأما قول من قال : هذا على تقدير وجود الحياة والفهم لها ، أي : لو كانت حية فاهمة لكان ما ذكر من تشققها أو سقوطها لخشية الله ، وقول من قال : أضيفت الخشية إليها مجازاً وحقيقة الخشية للمعتبرين بها ، وأشبهه هذا من الأقوال الملفقة ؛ فإنها نتاج تعجب واستبعاد وجوانح نفس نافرة من غير معتاد .

وقد استطرد في بعض المواضع ومن ذلك :

أنه ذكر تحت قوله سبحانه ﴿بديع السموات﴾ () معنى الابتداع ثم تطرق منه إلى الفرق المبتدعة من الخوارج والشيعة ثم القدريّة وتصحيح منهج من رد على أهل البدع بالحجج العقلية واستدل لذلك ببعض الآيات التي رد فيها القرآن على المشركين بدلائل العقل مثل قوله تعالى ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾ () ونحوها ، وبعض الأحاديث كقوله ﷺ في حديث العُدوى : "فمن أعدى الأول؟" () .
وتكلم عن البدعة الحسنة وقول عمر : "نعمت البدعة" . في قيام رمضان .

ومن الفصول الاستطردية قوله :

فصل : قرأ رجل من المتكلمين في هذا العلم ﴿ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم﴾ () ثم قال : الرؤية والنظر قد يراد بهما العلم بالمعلوم والخبرة للمختبر ، وقد يراد بهما إدراك المبصرات بمعنى هو البصر ، فإذا قرنا بإلى في الاستفهام أو في الإخبار اختصا بالإبصار .

فقيل له : كيف ترى أمة سلفت ؟ فقال : أتستبعد هذا محبوب محظوظ مكاشف بسطور من اللوح المحفوظ ... ثم ذكر استدلالات من قصة الإسراء والمعراج وغيرها .

وهو يميل إلى التأويل فهو أشعري العقيدة وذلك واضح جلي في تفسيره حيث فسر آيات الصفات وفقاً لمذهب الأشاعرة وانتصر له وطعن في المخالفين له وغمز أهل السنة ولمزهم ووصفهم بأوصاف ذميمة قبيحة () :

°	٨	٤	() البقرة : ٧٤
°	٨	٥	() الأنعام : ١٠١
°	٨	٦	() الأنبياء : ٢٢
			() أخرجه البخاري - كتاب الطب - باب لاصفر.../١٧٩ ، ومسلم - كتاب السلام - باب لاعدوى
			٤٠٠/١٧٤٢ عن أبي هريرة مطولاً .
°	٨	٨	() البقرة : ٢٤٣

يقول في قوله تعالى : ﴿ ثم استوى إلى السماء ﴾^(١) وقال الزجاج : أي عمد وقصد إلى السماء كما تقول : فرغ الأمير من بلد كذا ثم استوى إلى العراق . والاستواء أيضا : العلو ، قال الشاعر :

أقول وقد قطع بنا شَرُورِي نواجي واستوين من الضَّجوعِي^(٢)

أي : علون منها ، والضجوع : مواضع منخفضة .

والاستواء أيضا يكون بمعنى الاستيلاء إذا قرن بعلی ، تقول : استوى فلان على الملك أي : استولى عليه مثل الإحاطة وكل ذلك جائز في وصف الله سبحانه . فأما الحلولية القائلون استوى : استقر ؛ فإنهم مجسمون وقد أكذبه الله بقوله ﴿ ليس كمثله شيء ﴾^(٣) إلى ما ادعوه من أن الله سبحانه ليس بغني عن ما خلق والله غني عن العالمين ، وقد أجمع المسلمون على أن الله سبحانه كان غنيا عن العرش قبل خلقه فالقول بأنه حدث له حاجة إليه بعد خلقه ، كفر صراح تعالى الله عن أن يكون محمولا بشيء أو حالا في شيء أو مجاذبا لشيء أو متنفعا بشيء وهو العلي الكبير . وقيل هذا من المتشابه الذي لا يتبع الفكر فيه والسؤال عنه إلا من في قلبه زيغ ؛ روي لنا أن رجلا سأل عنه مالك بن أنس فأجابته بأن قال : الاستواء غير مجهول والتكليف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة وما أراك إلا ضالا ، ثم قال : أخرجوه .

وقال في قوله تعالى ﴿ بأسماء هؤلاء ﴾^(٤) دليل على أن الاسم غير المسمى ومن آمن بأن أسماء الله تعالى ليس لها مثل لم ينكر أن ينفرد في هذا بحكم .

ويقول : ولا يجوز أن تكون الكتابة كلام الله لأن الكتابة فعل الكاتب وكلام الله صفة لذات الله وصفات الذات لا تفارق الذات ما بقيت الذات لكن المكتوب في اللوح المحفوظ وفي المصحف هو كلام الله والكتابة تدل عليه دلالة العبارة على المعبر عنه .

وفي قوله تعالى ﴿ منه آيات محكمات وأخر متشابهات ﴾^(٥) قال : قال ابن جبير : هن آيات تشابهن على الناس ومن أجل تشابههن ضل من ضل ، تقرأ الفرقة الآية منها فتزعم أنها لها فمما اتبع الحورية من

(١) انظر : ابن ظفر الصقلي ومثلهجه في التفسير ص ٢٨

(٢) البقرة : ٢٩

(٣) الضَّجوع : رملة بعينها معروفة (انظر لسان العرب ٤/٢٥٥٥) وشَرُورِي : اسم جبل في البادية (المصدر السابق ٤/٢٢٥٥)

(٤) الشورى : ١١

(٥) البقرة : ٣١

(٦) آل عمران : ٧

المتشابه ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾ () ويقراءون معها ﴿ثم الذين كفروا بربهم يعدلون﴾ () فإذا رأوا الإمام يحكم بغير حق قالوا : قد كفر ، ومن كفر فقد عدل بربه ، ومن عدل بربه فقد أشرك بربه ... وقد أطال الحديث عن المتشابه وهل يعلم أحد تأويله أم لا؟

ثالثا : موقفه من تفسير القرآن بالقرآن () :

من مواضع ذلك عند المصنف قوله في تفسير قوله تعالى ﴿الذين أنعمت عليهم﴾ () : والذين أنعم الله عليهم : النبيون والصديقون والشهداء والصالحون ، وهذا من التفسير بالكتاب . وهو يعني بذلك قوله تعالى ﴿من الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين﴾ () .

﴿ولا تلبسوا الحق بالباطل﴾ () قال : وقيل : أي لا تخلطوا الحق من كتابكم بالباطل من تحريفكم كقوله تعالى : ﴿يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب﴾ () الآية .

وقال : وقوله سبحانه ﴿لا تجزي نفس عن نفس شيئا﴾ () كقوله تعالى ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ () فهذا من التفسير الفرقاني .

وقال ﴿فاستقيما﴾ () فأمر بالثبات على الطاعة والنهضة بالأمر ومثله ﴿فاستقم كما أمرت ومن تاب معك﴾ ()

رابعا : موقفه من تفسير القرآن بالسنة () :

٥	٩	٥	() المائة : ٤٤
٥	٩	٦	() الأنعام : ١
٥	٩		() انظر أيضًا : ابن ظفر الصقلي ص ١٣٥-١٣٩
٥	٩	٨	() الفاتحة : ٧
٥	٩	٩	() النساء : ٦٩
٦	٠	٠	() البقرة : ٤٢
٦	٠	١	() آل عمران : ٧٨
٦	٠	٢	() البقرة : ١٢٣
٦	٠	٣	() فاطر : ١٨
٦	٠	٤	() يونس : ٨٩
٦	٠	٥	() هود : ١١٢
٦	٠		() انظر ابن ظفر الصقلي ص ١٤٣-١٤٩

ومن منهج المصنف الاحتجاج بالحديث في التفسير وهو يذكر الرواية بدون إسناد أو عزو للمخرجين
ومن مواضع ذلك قوله : وروي لي أن رجلا سأل النبي ﷺ وهو بوادي القرى^(١) فقال : يا رسول الله
! من المغضوب عليهم ؟ قال : “اليهود” قال : ومن الضالون ؟ قال : “النصارى”^(٢).

وربما ذكر بعض المخرجين ومن ذلك قوله عند تفسير قوله تعالى ﴿وقولوا حطة﴾^(٣) روي لنا مارواه
مسلم بإسناده من حديث أبي هريرة أنه قال : قال رسول الله ﷺ : “ قيل لبني إسرائيل : ﴿ادخلوا الباب
سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم﴾^(٤) فبدلوا فدخلوا الباب يزحفون على أستاههم وقالوا : حبة
في شعرة”^(٥).

وذكر أحاديث في التأمين وهي من مشاهير الأحاديث الصحيحة .

وهو لا يلتزم الصحة فيما يورده من أحاديث بل ربما ذكر بعض الأحاديث الضعيفة مثل قوله :

وروي لي أن ابن عباس قال : سألت النبي ﷺ ما معنى أمين ؟ قال : “رب افعل”^(٦) .
وقال في قوله ﴿وطهر بيتي للطائفين﴾^(٧) : قال ابن عباس : قال النبي ﷺ : “إن الله عز وجل في كل
يوم عشرين ومائة رحمة ينزلها على البيت : ستون للطائفين ،
وأربعون للمصلين ، وعشرون للناظرين”^(٨) .
وأما أسباب النزول فهو من المهتمين بإيرادها ومن ذلك :

(١) وادي القرى : واد بين المدينة والشام كثير القرى . (انظر معجم البلدان ٣٩٧/٥)
(٢) أخرجه أحمد ٢٣/٥-٣٣-٧٧ ، وابن جرير ٨٠/١-٨٣ ، ورواه ابن مردويه من حديث أبي ذر وحسن إسناده
الحافظ ابن حجر (انظر فتح الباري ١٥٩/٨) وله طرق كثيرة بألفاظ أخرى .

(٣) البقرة : ٥٨
(٤) البقرة : ٥٨
(٥) أخرجه البخاري - كتاب التفسير - باب ﴿وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية﴾ رقم ٤٤٧٩ ، ومسلم - كتاب
التفسير ٢٣١٢/٤ .

(٦) أخرجه جويبر في تفسيره عن الضحاك عن ابن عباس به وأخرجه الثعلبي من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن
عباس به . قال الحافظ : وجويبر بن سعيد ضعيف جداً (التقريب ٩٨٧) وأما الكلبي فقال : ما حدثت عن أبي صالح
عن ابن عباس فهو كذب فلا ترووه (انظر التهذيب ١٧٩/٩) (وانظر الدر ٢٣/١)

(٧) الحج : ٢٦
(٨) أخرجه الطبراني في الأوسط وابن عساكر وغيرهما وقال ابن الجوزي : حديث لا يصح . انظر العلل المتناهية
رقم ٩٤٠ ، والسلسلة الضعيفة رقم ١٨٧ ، ضعيف الجامع رقم ١٧٦٠ ، وأسنى المطالب رقم ١٧٧٦ ، وذخيرة الحفاظ
رقم ١٩٨٧ .

قال في قوله تعالى ﴿أتأمرون الناس بالبر﴾ () : كان الرجل من الأوس والخزرج يأتي حليفه أو رضيعه من اليهود فيسأله عن النبي ﷺ فينصح له ويأمره باتباعه فنزلت الآيات في هذا () .

قال في قوله تعالى ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾ () الآيتين :

قيل : إنها أنزلت يوم أحد وهو ما روي لنا أن أنس بن مالك قال : إن رسول الله ﷺ كسرت رباعيته في يوم أحد وشج في رأسه فجعل يسלט الدم عنه وهو يقول : “كيف يفلح قوم شجوا نبيهم وكسروا رباعيته وهو يدعوهم إلى الله ؟” فأنزل الله عز وجل ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾ ()

وروي لنا أيضا أن عبد الله بن عمر سمع النبي ﷺ ورفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر يقول : “اللهم العن فلانا وفلانا وفلانا” بعد ما يقول : “سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد” فأنزل الله

تعالى ﴿ليس لك من الأمر شيء أو يتوب الله عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون﴾ ()

وروي لنا من حديث أبي هريرة () فلعلها إن شاء الله نزلت في الأمرين معا .

وفي تحويل القبلة ذكر روايات كثيرة منها حديث أنس المشهور وغيره .

وبالنسبة لفضائل السور والآيات :

يفتح بها كلامه عن التفسير مثل قوله : روي لنا أن أبا أمامة الباهلي قال : إن رسول الله ﷺ قال : “اقرأ سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة” () . قيل : البطلة السحرة فهم أهل باطل ولا يستطيعون أن يسحروا من قرأها . وقيل : البطلة السفهاء أهل البطالة لا يستطيعون تحفظها قراءة .

وذكر حديث النواس بن سمعان : “يؤتى بالقرآن وأهله ...” ()

وحديث الآيتين من أواخر سورة البقرة عن أبي مسعود () .

() البقرة : ٤٤

() أخرجه الواحدي في أسباب النزول ص ١٥ من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس وقد تقدم قول الكلبي ما حدثت عن أبي صالح عن ابن عباس فهو كذب فلا ترووه . وعزاه السيوطي أيضًا للثعلبي (انظر الدر ١/٧٠)

() آل عمران : ١٢٨

() أخرجه مسلم - كتاب الجهاد والسير - باب غزوة أحد رقم ١٧٩١

() أخرجه البخاري - كتاب التفسير - باب ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾ رقم ٤٥٥٩ .

() أخرجه البخاري - كتاب التفسير - باب ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾ رقم ٤٥٦٠ .

() أخرجه مسلم - كتاب صلاة المسافرين - باب فضل قراءة القرآن رقم ٨٠٤ ضمن حديث طويل .

() أخرجه مسلم أيضًا بطوله - كتاب صلاة المسافرين - باب فضل قراءة القرآن رقم ٨٠٥ .

وقد ذكر أحاديث عدة في فضل آية الكرسي .
 وافتتح تفسير سورة آل عمران ببعض فضائلها .
 وذكر حديثاً ضعيفاً في فضل قوله تعالى ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو...﴾ وهو حديث غالب القطان
 عن الأعمش . ()

خامساً : موقفه من تفسير القرآن بأقوال السلف () :
 قال في قوله تعالى ﴿أنعمت عليهم﴾ () : قال أبو العالية : هم محمد رسول الله ﷺ ووزيره أبو بكر
 وعمر رضي الله عنهما .
 وقال في قوله تعالى ﴿وقودها الناس والحجارة﴾ () قال ابن عباس في الحجارة : إنها حجارة الكبريت .
 وقال في قوله تعالى ﴿وأتوا به متشابهاً﴾ () قال ابن عباس : الرمان يؤدي طعم الكمثرى والسفرجل
 والتفاح . فجعل التشابه في المطعوم
 وقال مقاتل بن سليمان : يؤتون به بكرة على مقدار بكرة الدنيا في صحاف الدر والياقوت ، ثم يؤتون
 به عشية على مقدار عشية الدنيا ، فيقولون : هذا الذي طعمناه بكرة
 وقال في قوله تعالى ﴿أزواج مطهرة﴾ () : قال قتادة : مطهرة من الإثم والأذى .
 وقال مجاهد والحسن : من الحيض والبول والنخامة والبصاق وكل الأقدار .
 وقال عبد الله بن عمر : إن أزواج أهل الجنة لتغنين بأحسن أصوات سمعها أحد وإن مما يتغنين :
 نحن الخيرات الحسان
 أزواج قوم كرام
 ينظرون بقرة أعيان

() أخرجه البخاري - كتاب فضائل القرآن - باب فضل سورة البقرة ٥٥/٩ ، ومسلم - كتاب صلاة المسافرين
 باب فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة رقم ٨٠٧ .

() آل عمران : ١٨ . أخرجه ابن الجوزي في العلل المتناهية ١٠٢/١-١٠٣ وقال هذا حديث لا يصح عن رسول الله
 ﷺ ، تفرد به عمر بن المختار وعمر يحدث بالبواطيل .. ١٠١ هـ وهو على كل ليس صريحاً في فضل الآية إنما هو في فضل
 الشهادة . وقد أخرجه أيضاً الخطيب في تاريخ بغداد ١٩٣/٧ وأبو نعيم في الحلية ١٨٧/٦ .

() انظر : ابن ظفر الصقلي ص ١٥٠-١٦٤ .	٢	٦
() الفاتحة : ٧	٢	٦
() البقرة : ٢٤	٢	٧
() البقرة : ٢٥	٢	٨
() البقرة : ٢٥	٢	٩

وإن مما يتغنين :

نحن الخالدات فلا نموت

ونحن الآمنات فلا نخاف

ونحن المقيمات فلا نضعن

وقال في قوله تعالى ﴿ولا تلبسوا الحق بالباطل﴾ () : قال قتادة : أي لا تلبسوا اليهودية بالإسلام وأنتم تعلمون أن دين الله هو الإسلام .

وفي قوله ﴿وقولوا للناس حسنا﴾ () : قال ابن عباس وغيره : أي حقا وصدقا في شأنه ﷺ ولا تغبروا نعتة .

وقال الحسن والثوري : هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وقال الربيع وعطاء وغيرهما هذا على العموم في تحسين القول للناس كلهم .

وقد وقفت له على أثر يرويه بإسناده تحت تفسير قوله تعالى ﴿لا تأخذ سنة ولا نوم﴾ () فقال :

واللفظ الذي ذكرته روي لي فأخبرني به الفقيه أبو بكر محمد بن عبد الله المعافري عن الحسن بن عمر بن الحسن الهوزني عن عبد الله بن الوليد بن سعيد عن علي بن الحسن بن العباس بن فهد عن الحسن بن علي بن شعبان عن أبي بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر بن محمد بن علي النجار عن عبد الرزاق عن معمر عن الحكم بن أبان عن عكرمة . ولي فيه إسناد أقرب من هذا .

واللفظ الذي ذكره قبل ذلك عن عكرمة : سأل سائل من بني إسرائيل موسى عليه السلام : أينام ربنا ؟ فصمت عنه ، فأرسل الله تعالى إلى موسى ملائكة فأرقوه ثلاث ليال ، ثم أعطوه قارورتين ، فأمروه أن يمسك في كل يد قارورة وحذروه من كسرهما ، فجعل يعس وينتبه ، ثم يعس وينتبه ، حتى نعس نعسة فضرب بإحدهما الأخرى فكسرهما () .

سادسا : موقفه من السيرة والتاريخ :

وهو يتعرض لبعض حوادث السيرة عند الحاجة لذلك فقد ذكر قصة العاقب والسيد وقدمهما على النبي ﷺ وأنها سبب نزول قوله تعالى ﴿زين للناس حب الشهوات﴾ ()

() البقرة : ٤٢ ٠ ٣ ٦

() البقرة : ٨٣ ١ ٣ ٦

() البقرة : ٢٥٥ ٢ ٣ ٦

() أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ص ١١٣ ومن طريقه ابن جرير ٣/٧-٨ وهو ضعيف لإرساله وقد أخرجه ابن أبي حاتم وغيره عن ابن عباس موقوفاً (انظر الدر ١/٣٣٦) وأخرجه ابن جرير عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ بنحوه .

() آل عمران : ١٤ ٤ ٣ ٦

وذكر كتاب النبي ﷺ هرقل تحت قوله تعالى ﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا ﴾ (٦) فقال: وبهذه الآية كاتب النبي ﷺ هرقل ملك الروم.... فذكر الحديث بطوله .

كما سبق بعض الآيات المتعلقة بغزوة أحد في حديثنا عن أسباب النزول .
وسوف يأتي في الحديث عن الإسرائيليات روايات تاريخية تتعلق بالأمم الماضية .
ولم يفرد الفايز في دراسته فصلا في ذلك ، وهو من سلبيات رسالته .
سابعا : موقفه من الإسرائيليات (٦) :

والمصنف من المكثرين جدا في نقل الروايات عن أهل الكتاب ، وهو يسلك في ذلك مسلك قدامى المفسرين فلا يرد ما اشتهر رده عند جمهور المتأخرين :

ومن ذلك قوله عند تفسير قوله تعالى ﴿ فأزلهما الشيطان عنها ﴾ (٦) قال ابن عباس: عرض إبليس نفسه على كل دابة من دواب الجنة أن يدخل فيها فتدخله الجنة فأبين إلا الحية فإنها طاعت له بذلك فدخل بين فكيفها فأدخلته الجنة . وقال أيضا : قالت الحية : إني أخاف آدم . فقال : أنت في ذمتي منه ومن ولده . قال ابن عباس : أخفروا ذمة عدو الله فإنه أعطى الحية ميثاقا أن يمنعها من آدم وولده .

وقال في قوله تعالى ﴿ ولا تقربا هذه الشجرة ﴾ (٦) : واختلف في تعيين الشجرة ؛ قال ابن عباس : هي السنبله ... وقاله وهب بن منبه قال : وكانت الحبة مثل كلية الثور وأحلى من العسل وألين من الزبد . وحكى السدي عن ابن عباس أنه قال : هي شجرة العنب وكذلك قال ابن مسعود . وقال قتادة : هي الكرمة . وحكاها بعض العلماء عن علي كرمه الله والذي روي لنا عنه أنه قال : هي شجرة الكافور وقال ابن جريج : هي شجرة التين ... الخ .

وقال في قوله تعالى ﴿ قلنا اهبطوا ﴾ (٦) : فأهبط آدم إلى أرض الهند بسرنديب . قال محمد بن إسحق : إن مهبط آدم وحواء على جبل بأرض الهند يقال له : واشم ... والجمهور على أن حواء أهبطت بجدة على ساحل مكة ... الخ

وقال في قوله تعالى ﴿ يابني إسرائيل ﴾ (٦) : قال السدي : سمي إسرائيل لأنه هرب من عيصو فكان يسير ليلا ... الخ

٦	٣	٥	(آل عمران : ٦٤)
٦	٣		(انظر : ابن ظفر الصقلي ص ٢٣٥-٢٤١ .
٦	٣	٧	(البقرة : ٣٦)
٦	٣	٨	(البقرة : ٣٥)
٦	٣	٩	(البقرة : ٣٨)
٦	٤	١٠	(البقرة : ٤٠)

وفي قوله ﴿بعضاك الحجر﴾ (٦) قال : قيل كان حجرا طورانيا أخذه موسى عليه السلام من جبل الطور وقال مقاتل : كان لطيفا مربعا أحمر وقيل : كان من حجار الجنة .
وقد ذكر قصة بقرة بني إسرائيل كاملة بعد تفسيره للآيات فقال :
ذكر القصة

قال ابن عباس في رواية عنه ما معناه : كان في بني إسرائيل رجل صالح فلما حضرته الوفاة... فذكر القصة

ثم نقل جزءا عن وهب بن منبه وآخر عن عكرمة ثم قال :

وروي لي في ذلك بيان عزاه أبو الحسن علي بن إبراهيم الحوفي (٧) إلى ابن عباس في كتاب التفسير الذي ألفه فقال قال : عباس... فذكر أكثر من صفحة وأتبعها بصفحتين عن ابن عباس أيضا في قصة القتيل.

كما ذكر قصة هاروت وماروت المشهورة عن ابن عباس وابن عمر ولم يذكر غير هذا القول في تفسير الآية .

وفي قوله تعالى ﴿لم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم﴾ (٨) ذكر قصتهم مع نبيهم حزقيل عن وهب بن منبه ، وبعضها عن مقاتل .

وذكر فصلا مستقلا بعد أن فسر الآيات المتعلقة بطالوت فقال :

ذكر قصة التابوت وتمليك طالوت وقتل داود جالوت فقال : قال الطبري وغيره... فذكر أكثر من ثمان صفحات في ذلك .

وكذا في قوله تعالى ﴿أو كالذي مر على قرية﴾ (٩) قال : ذكر ما قاله المفسرون في القصة... فذكر فصلا مستقلا فيها حوالي سبع صفحات .

وفي قوله ﴿كلما دخل عليها زكريا المحراب﴾ (١٠) :

قال : ذكر القصة : كانت حنة بنت فاقود علت في السن... الخ

وذكر فصلا قال فيه :

(٦) البقرة : ٦٠
(٧) هو علي بن إبراهيم بن سعيد المصري له تفسير يسمى "البرهان في تفسير القرآن" قال عنه الداوودي : تفسير جيد . ت ٤٣٠ هـ (انظر طبقات المفسرين ٣٨٨/٢) .
(٨) البقرة : ٢٤٣
(٩) البقرة : ٢٥٩
(١٠) آل عمران : ٣٧

ذكر جمل من أمر زكريا ويحيى عليهما السلام... فنقل فيه عن ابن إسحق وغيره حوالي ست صفحات .

ثامنا : موقفه من اللغة () :

وأما موقفه من اللغة فقد قدمنا أن تفسيره يعد من التفاسير اللغوية لأن الصناعة اللغوية تغلب عليه . وهو يكثر النقل عن الفراء وأبي عبيدة والزجاج ونحوهم من أئمة اللغة .

قال في قوله تعالى ﴿ ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم ﴾ () :

وانتصبت ﴿ يتوب ﴾ لأن ﴿ أو ﴾ عاطفة على قوله ﴿ ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكتبهم ﴾ () وقيل ﴿ أو ﴾ هي التي تأتي بمعنى : حتى ، في مثل قولك : لأدعون أو يستجاب لي . وليس بجيد لأن ذلك يقتضي نفي ملك الأمر عن الرسول ﷺ إلى غاية وأمد ، وقوله سبحانه ﴿ والله ما في السموات وما في الأرض ﴾ () تأكيد بيان لانفراده سبحانه بملك الخلق والأمر .

وفي تفسير قوله ﴿ ولا تلبسوا الحق بالباطل ﴾ () تكلم عن اللبس لغويا وفسر الآية بناء عليه . وهو يطنب في المسائل اللغوية ويستدل بالشعر ، وقلما تخلو صفحة من بيت شعر أو أكثر ، ومن ذلك قوله :

وسمي الدعاء عبادة لتذلل الداعي ، والطريق المعبد هو الذي ذلل بالوطء ، والإبل إذا جربت عبت جلودها بالهناء () قال الشاعر :

وأقردت أقراد البعير المعبد

وقوله :

وأصل ﴿ نستعين ﴾ نستعون أي نسأل العون فنقلت كسرة الواو إلى العين فسكنت الواو وانقلبت لسكونها وانكسار ما قبلها ياء .

ويقول : ومن صنوف الفصاحة تقلب وجه الخطاب بين لفظي الغيبة والحضور قال الشاعر :

يالهف نفسي كان جدة خالد وبياض وجهك للتراب الأعفر

وأطال في بيان لغويات الهدى واستشهد لبعض معانيه بقول الشاعر :

() انظر ابن ظفر الصقلي ص ١٩٦-١٩٩ ٤

() آل عمران : ١٢٨ ٧ ٤

() آل عمران : ١٢٧ ٨ ٤

() آل عمران : ١٢٩ ٩ ٤

() البقرة : ٤٢ ١٠ ٥

() الهناء : القطران تقول هنأت البعير بالفتح أهنؤه إذا طليته بالهناء (لسان العرب ٦/٤٧٠٨) ٦

وهادية الصوار قوامها

قال : والصوار القطيع من بقر الوحش

ويقول : وقال جرير:

أمير المؤمنين على صراط إذا اعوج المورد مستقيم

ومن ذلك قوله في معنى "أمين" :

يارب لا تسلبني حبها أبدا ويرحم الله عبدا قال آمينا

وهو يكثر من الرجز كقوله في تفسير ﴿رزقوا منها من ثمرة رزقا﴾ () :

شبهت بالفاروق فافرق فرقه وارزق عيال المسلمين رزقه

وقد تكلم عن الحروف التي في أوائل السور وعن موقعها من الإعراب وفائدتها في بداية سورة البقرة .

ومن كلامه عن وقوع المعرب في القرآن قال :

﴿والقناطر المقنطرة﴾ () والقناطر جمع قنطار ، فزعموا أنه بلسان الروم : ألف دينار ، ولا ينكر توافر

اللغتين في كلمات ، ولا أعتقد أن في القرآن كلمة فما فوقها ليست عربية سوى الأسماء الأعلام

العجمية ، وإن صح أن العرب نطقت بكلمات من غير لغتها وفشا استعمالهم إياها فقد صارت بذلك

الاستعمال الفاشي كلاما للعرب .

ومن الفضول اللغوي ما ذكره تحت قوله تعالى ﴿وإذ قالت الملائكة يا مريم﴾ () قال : فصل : أبو

عبيدة يقول أن "إذ" و "إذا" من الكلمات التي تزداد صلة... فذكر فصلاً مستقلاً في ذلك .

وبعد أن ذكر حديث هرقل وكتاب النبي ﷺ له قال : تفسير ألفاظ من هذا الحديث... فذكر حوالي

ست صفحات في تفسير بعض ألفاظه .

تاسعا : موقفه من القراءات () :

المصنف من المهتمين بالقراءات وتوجيهها وكما قدمنا نجده يفرد بابا للقراءات فيقول :

ذكر القراءات

فيتكلم عنها وعن توجيهها ، وقد بين شيئا من منهجه في ذلك فقال عند قوله تعالى ﴿بارئكم﴾ () :

() البقرة : ٢٥ ٢ ٥ ٦

() آل عمران : ١٤ ٣ ٥ ٦

() آل عمران : ٤٢ ٤ ٥ ٦

() انظر : ابن ظفر الصقلي ص ١٦٥-١٧٨ . ٥ ٦

ولم أتعرض في هذا الكتاب غالباً لبيان أصولهم في التغليب والترقيق والإدغام والإظهار والغنة والهمز والمد والإضجاع والوقف وإنما أودعته مالا يسع المفسر الجهل به في التلاوة ١.١ هـ .
وليس الأمر كما قال ، فقد استفاض في أمور يسع المفسر جهلها لعدم تعلقها بمعاني القرآن البتة وسوف يأتي شيء من ذلك .

قال : قرأ قنبل عن ابن كثير ﴿ السراط ﴾ () و ﴿ سراط ﴾ () بالسين حيث كان وقرأ خلف عن سليم عن حمزة بإشمام الزاي حيث كان ، ووافقه خالد عن سليم عن حمزة ، وقرأ الباقون بالصاد المحضة حيث كان .

وقال : قرأ حمزة وحده ﴿ عليهم ﴾ () و ﴿ إليهم ﴾ () و ﴿ لديهم ﴾ () بضم الهاء منهن خاصة حيث كن وبكسر الهاء من غيرهن ... قال الفراء : لأن الأصل في هذه الهاء من عليهم وإليهم ولديهم ؛ الضم في قولك : هم . وهذا صحيح لكن تلزم المحافظة على ذلك فيما أشبه هذه الكلمات ... وذكر فصلاً طويلاً

وتكلم عن الحروف المقطعة في أول سورة البقرة وسكت يزيد بن القعقاع عليها وأردف ذلك بتوجيه القراءات الواردة في هذه الآيات .
ويقول :

قرأ اليزيدي عن أبي عمرو ﴿ بارئكم ﴾ () بإختلاس كسرة الهمزة وروى شجاع عنه إسكان الهمزة وحقق كسرتها الباقون ولو اضطر قارئ إلى الوقوف عليها لهمزها إلا على طريقة حمزة فيقف عليها بغير همز على ما أصله .

ومن تفرعاته في القراءات قوله : حكى الحلواني وحده عن قالون إسكان هاء ﴿ أن يملَّ هو ﴾ () وهو يذكر الشواذ وغيرها مثل قوله :

وقرأ قتادة "مثوبة" () بإسكان التاء وفتح الواو وهو الأصل وهي لغة فيها وفي أشباهها .

٦	٥	٦	() البقرة : ٥٤
٦	٥	٧	() الفاتحة : ٦
٦	٥	٨	() الفاتحة : ٧
٦	٥	٩	() الفاتحة : ٧
٦	٦	٠	() المائة : ٦٦
٦	٦	١	() آل عمران : ٤٤
٦	٦	٢	() البقرة : ٥٤
٦	٦	٣	() البقرة : ٢٨٢
٦			() هي قراءة شاذة ، وقراءة الجمهور ﴿ مثوبة ﴾ المائة : ٦٠ بضم التاء وإسكان الواو .

وفي قوله تعالى ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾ () قال : وقرأ عمر كرمه الله وابن مسعود "القيَام" .^٦
وربما حمل على بعض القراءات المتواترة ومن ذلك قوله :

﴿وإذ ابتلى إبراهيم﴾ () قال : قرأ هشام عن ابن عامر ﴿إبراهيم﴾ () بألف وهو مذكور في هذه
السورة خمس عشرة مرة ، وهذه القراءة تنسب إلى عبد الله بن الزبير وهي شاذة ، ولم يشتهر بها في قراءة
ولا سنة نبوية ولا في أثر صحابي نقل .
ومن مواضع توجيهه للقراءات لغويا قوله :

قرأ عاصم وحده ﴿تجارة حاضرة﴾ () فنصبها لأن التقدير عنده إلا يكون المال تجارة ، ورفعها سائرهم
لأنهم جعلوا كان بمعنى حدث .

عاشرا : موقفه من الفقه : ()

يلاحظ على المؤلف ميله لمذهب مالك كسائر أهل المنطقة وهو ينقل عن غيره ولا يلمح في كلامه روح
التعصب المذهبي ، كما أنه ربما استطرد استطرادا عجيبا في بعض المسائل الفقهية على الرغم من كون
تفسيره لا يصنف ضمن التفاسير الفقهية، ومن الأمثلة على ما ذكرت :
قوله في البسمة :

ويختار ترك قراءتها في أول الفاتحة وغيرها من السور سرا وجهرا في الصلوات المكتوبة خاصة ، ثم ذكر
حجته والخلاف ، ثم تكلم عن وجوب قراءة الفاتحة .

وفي قتل الساحر قال : وعن المدني رحمه الله أن الساحر الذي وصفت كافر بسحره على الإطلاق وإن
تظاهر بالإسلام وادعى أنه لا يستحلّه كالزنديق ، فيقتل من غير أن يستتاب ، فإن كان كافرا ذميا ؛
فقد اختلفت الرواية عنه فيه فقال مرة : يقتل ولا يستتاب كالساحر المسلم ، وقال مرة : يستتاب وتوبته
إسلامه .

وعند آيات تحويل القبلة تطرق إلى حكم الصلاة داخل الكعبة واستدل لمالك .

() البقرة : ٢٥٥

() البقرة : ١٢٤

() هذه قراءة سبعية متواترة ولم ينفرد بها هشام عن ابن عامر بل قرأ بها ابن ذكوان عنه (انظر إتحاف فضلاء البشر
ص ١٤٧) وقال ابن الجزري : وهو لغة فاشية للعرب (النشر ٢/٢٢٢) ولا تؤخذ القراءة من أثر وإنما هي سنة متبعة
تؤخذ من أفواه القراء ، كلُّ يقرأ كما علّم . انظر (سنن القراء ص ١٧) وقرأ ابن عامر هذه القراءة على أبي هاشم المغيرة
بن عبد الله بن عمرو بن المغيرة عن عثمان بن عفان وقرأ أيضا على أبي الدرداء وقرأ عثمان وأبو الدرداء على رسول الله
ﷺ (انظر النشر ١/١٤٤)

() البقرة : ٢٨٢

() انظر ابن ظفر الصقلي ص ٢٠٠-٢١٢

ومن مواضع إطالته الكلام أحيانا بما يخرج عن حد التفسير :

في تفسير قوله تعالى ﴿ وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات ﴾ () أطال الكلام في الكلمات التي أمر بها إبراهيم عليه السلام ، واستطرد إلى السنة في حلق العانة وقص الشارب ونحو ذلك .

وفي قوله ﴿ لا ينال عهدي الظالمين ﴾ () استنبط من الآية عصمة الأنبياء عن الظلم وعدم صحة الإمامة للظالم قال : وينتظم ذلك الإمامة في حملة الكتاب والسنة والقضاء والفتيا والصلاة ، على تفصيل في الظلم الذي ليس بشرك... الخ

وفي تحريم الميتة قال : من العلماء من قال : لا يجوز لغير المضطر أن ينتفع من الميتة بشيء لأن التحريم جاء فيها مطلقا لا مجملا... إلى أن قال وهو قول مالك رحمه الله وأجراه في جميع وجوه الانتفاع بالميتة وبكل نجس حتى قال : لا يطعم الكلب المقتنى لحم الميتة ولا يسقى الزرع بالماء النجس... الخ
واختلف أصحاب مالك في طهارة الزيت النجس إذا غسل واختلف قوله في طهارة اللحم إذا أصابته نجاسة في حال الطبخ... الخ

كما استفاض كثيرا عند حكم الإيلاء ، وذكر مسائل منها : أن رجلا حلف ألا يطأ امرأته حتى يفظم ولده فلم ير علي ذلك إيلاء وأن مالكا عمل بذلك .
كما عقد فصلا عند الكلام على العدة فقال :

فصل : تجب العدة على المطلقة بمجرد الخلو عند مالك وفي أظهر قولي الشافعي... الخ
كما أطال الكلام عن الخلع وهل هو طلاق أم لا ؟ وعن الطلاق ثلاثا ونحو ذلك من أحكام الطلاق .
وأطال الحديث عن الذي بيده عقدة النكاح ، وعن ولاية الأب على ابنته ، وعن الصلاة الوسطى .
كما أطال الكلام عن الربا وذكر ربا الفضل وتفرع إلى تفرعات دقيقة فيه فحكى مذهب الشافعي في إلحاق كل مطعوم للتغذي أو للتأدم أو للتداوي أو للتفكه وقال والتحق بما الأدهان والزعفران والطين الأرميني والطين الذي يأكله بعض الناس لشهوة ودهن البنفسج... الخ

وهو يتعرض للأصول أحيانا ويرى جواز النسخ ومن ذلك قوله في قصة بقرة بني إسرائيل :
قال ابن عباس : لو ذبحوا أي بقرة ذبحوا لأجزت عنهم ولكن شددوا فشدد الله عليهم .
قال : وفي هذا شهادة لجواز النسخ قبل فعل المأمور بفعله لأن طاعة الأمر كانت تحصل منهم بذبح أي بقرة شاءوا ، ثم نسخ ذلك بإلزامهم ذبح بقرة مخصوصة بأوصاف مخصوصة . كما استنبط منها أيضا أن امتثال الأمر يحصل بفعل أقل ما يقع عليه الاسم إذا كان المأمور به غير موصوف ولا محدود قال :
وفيها أن الأمر الذي لم يخصص بزمان معين لا يلزم حمله على الفور لأنهم أخرجوا فعل ما أمروا بفعله حتى

() البقرة : ١٢٤ ٠ ٧ ٦

() البقرة : ١٢٤ ١ ٧ ٦

راجعوا في الخطاب . وفيها أن الأمر إذا لم يقتزن به ما يدل على الندب أو الاستحباب لزم حمله على الوجوب ، ولا يخفى أن قوله : اذبحوا بقرة عري عن القرائن .

وقد تكلم عن النسخ فأطال وذكر بعض الآيات التي دخلها النسخ مثل : قوله تعالى ﴿ فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت ﴾ ()

وقوله ﴿ والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيهم ﴾ ()

وقوله ﴿ إن يكن منكم عشرون صابرون ﴾ ()

ورد على اليهود في إنكارهم النسخ بوقوعه عندهم وذكر أمثلة على ذلك .

ويقول في قوله تعالى ﴿ لا إكراه في الدين ﴾ () والنسخ تعطيل للمنسوخ فلا يصار إليه إلا بحديث نبوي وعند عدم المروري عن بعض السلف بما فيه مندوحة عن القضاء بالنسخ على الكلمة المنزلة وعند امتناع الجمع بين ما قيل إنه ناسخ وما قيل إنه منسوخ .

والمصنف لا يعتبر في تفسيره هذا مجرد جامع أو ناقل ومهذب بل تظهر شخصيته في ترجيحه بين الأقوال ومن مواضع ترجيحه في تفسير قوله تعالى ﴿ وسيدا وحصورا ﴾ () قال وقال عكرمة : ... وأما الحصور : الذي لا يأتي النساء . وتبعه في هذا مجاهد وقتادة وابن جبير والضحاك وعطية العوفي وغيرهم ، وروي عنه أيضا أنه قال : الحصور : الذي لا ينزل الماء . ويشبهه هذا قول الربيع بن أنس : الحصور : هو الذي لا يولد له .

قال : والتفسير الأول أصح بالقبول لحديث رواه سعيد بن المسيب عن عبد الله بن عمرو أنه قال : قال رسول الله ﷺ : " ما من عبد يلقي الله تعالى إلا ذا ذنب إلا يحيى بن زكريا فإن الله تعالى يقول : ﴿ وسيدا وحصورا ﴾ () قال : " وإنما كان ذكره مثل هدبة الثوب " . ()

٦	٧	٢	() النساء : ١٥
٦	٧	٣	() النساء : ٣٣
٦	٧	٤	() الأنفال : ٦٥
٦	٧	٥	() البقرة : ٢٥٦
٦	٧	٦	() آل عمران : ٣٩
٦	٧	٧	() آل عمران : ٣٩

() أخرجه ابن جرير ٢/٣٧٣ وابن أبي حاتم في التفسير رقم ٤٨٤ والحاكم في المستدرک - كتاب التفسير ٢/٣٧٣ وقال الحاكم : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وسكت الذهبي .

وأخرجه أحمد في الزهد ص ٩٠ وابن أبي شيبة في المصنف ١١/٥٦٠ وابن أبي حاتم في التفسير رقم ٤٨٣ عن عبد الله بن عمرو موقوفاً .

ولما حسمت عنه شهوة النساء سلم من الذنوب ، ومن نقب عن أسباب أكثر الذنوب عرف أنها متصلة بالرغبة في النساء على قرب وبعد .

ولم يتعرض المصنف للمواعظ والآداب فيما وقفت عليه من تفسيره ، إلا بطريقة غير مباشرة كما تقدم في كلامه السابق . ونظرا لتقدمه لا نجد في كلامه ذكرا للعلوم الحديثة والرياضة والفلسفة والمعجزات الكونية ونحو ذلك مما ظهر في تفاسير المتأخرين .

هذا وقد ذكر الفايز في رسالته بعض المزايا التي تتميز بها تفسير ابن ظفر وبعض المآخذ التي أخذت عليه^(٦) وسوف أجملها في مايلي^(٧) :

أولا : المزايا :

- يهتم بالمأثور
- يهتم باللغة
- يهتم بآيات الأحكام
- يهتم بعلوم القرآن

ثانيا : المآخذ :

- مخالفته لأهل السنة وشمته لهم .
- عدم تمحيص الروايات .
- إهماله لمذهب أبي حنيفة وأحمد .
- كثرة الإسرائيليات .

وقال ابن كثير في الموقوف : هو أقوى إسنادًا من المرفوع بل وفي صحة المرفوع نظر (التفسير ٣٠/٢) وقال السيوطي في الموقوف أيضا : هو أقوى إسنادًا من المرفوع (الدر ١٩٠/٢)

٦

٧

() انظر ص ٢٧٦-٢٧٨ . ٩

تفسير ابن بزيمة من خلال كتابه البيان والتحصيل



مؤلف هذا التفسير هو أبو محمد عبد العزيز بن إبراهيم ابن بزيمة المالكي الصوفي ت ٦٦٢ هـ وهو من أهل المنطقة ولد بتونس وتوفي بها (١).

التعريف بالتفسير :

وتفسيره المسمى "البيان والتحصيل المطلع على علوم التنزيل" من التفاسير المخطوطة الناقصة وقد رجعت إلى نسخة على الميكروفيلم بمكتبة المخطوطات بالجامعة الإسلامية وهي مصورة عن نسخة مكتبة القرويين وتقع في ١٤٠ ورقة غير مرقمة وتبدأ من قوله تعالى ﴿ولقد وصلنا لهم القول﴾ (٢) من سورة القصص إلى سورة محمد وفيها سقط في الوسط وخلط شديد مع سوء في الخط . وعلى آخر لوحة من القسم الثاني من الكتاب جاء قوله : كمل السفر ... من تفسير القرآن العظيم المسمى بالبيان والتحصيل المطلع على علوم التنزيل الجامع بين الزمخشري وابن عطية وكان الفراغ من نسخه من أصل مؤلفه في يوم الأحد الرابع والعشرين من شهر المحرم عام ستة عشر وسبعمائة مؤلف هذا الكتاب هو الشيخ عبد العزيز بن إبراهيم بن أحمد القرشي التميمي التونسي عرف بابن بزيمة ... كان رحمه الله خيرا صوفيا وعالما فقيها جليلا ... وذكر بعض مؤلفاته وينتهي هذا القسم عند قوله : قوله عز وجل ﴿ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة﴾ (٣).

المنهج العام للتفسير :

إن تفسير البيان والتحصيل تفسير متسع للقرآن جمع فيه مؤلفه المشكلات بين تفسير ابن عطية والزمخشري ومن الأمثلة على نقله عنهما قوله :

(١) مترجم في أهل المنطقة برقم ٨٧ .
(٢) القصص : ٥١
(٣) محمد : ٢٠

قال تعالى ﴿لما أنزلت إلي من خير فقير﴾ () قال ابن عطية : اتفق جميع المفسرين على أنه طلب^٦ في هذا المقام ما يأكله ولم يصرح بذلك ... ()^٤

قال الزمخشري : فإن قلت كيف ساغ لنبي الله شعيب أن يرضى لابنتيه بسقي الماشية؟ قلت : الأمر في نفسه ليس بمحذور ، فالدين لا يأباه ، وأما المروءة فالناس مختلفون في ذلك والعادات متباينة فيه ، وأحوال العرب فيه خلاف أحوال العجم ومذهب أهل البدو فيه غير مذهب أهل الحضرة خصوصا إذا كانت الحالة حالة ضرورة ()^٥ .

وهو يعتبر تفسيرا جامعا يقطف من كل بستان زهرة دون تركيز على اتجاه معين وإن ظهر منه شيء من الاستطراد في بعض الفقرات .

وهو يبدأ بقوله سورة كذا ثم يذكر جملة من آياتها ثم يشرع في التفسير وذلك مثل قوله :
سورة العنكبوت مكية

قوله : ﴿الم أحسب الناس أن يتركوا﴾ () إلى أول الحزب ... الخ^٦

المنهج التفصيلي للمؤلف :

أولا : لا يهتم بعد الآي ولا بالوقوف ولا بالمناسبات ويبدأ التفسير بقوله سورة كذا ويذكر مكية أم مدنية ومن ذلك قوله :

تفسير سورة القتال ...

اختلفوا هل هي مكية أو مدنية فقال مجاهد : مدنية ، وقال الضحاك : مكية وهو قول ابن جبير كذا نقله الزمخشري وقال ابن عطية : هي مدنية بإجماع غير أن بعض الناس قال في قوله تعالى ﴿وكأين من قرية﴾ () أنها نزلت بمكة في وقت دخول النبي عليه السلام عام الفتح أو سنة الحديبية وما كان مثل هذا فهو معدود في المدني لأن المراعاة في ذلك إنما هو ما كان قبل الهجرة أو بعدها ()^٨ .

() القصص : ٢٤ ٣ ٨ ٦
() المحرر الوجيز ٢٨٤/٤ ، ولقظه : ولم يصرح بالسؤال هكذا روى جميع المفسرين أنه طلب ...^٦
() الكشف ١٧١/٣ وفيه : ... لنبي الله الذي هو شعيب عليه السلام ...^٦
() العنكبوت : ١-٢ ٦ ٨ ٦
() محمد : ١٣ ٧ ٨ ٦

() انظر المذاهب الثلاثة في اعتبار المكى والمدني في الإتيان ١٢-١٣/١ والذي ذكره ابن عطية هو المشهور وقد ذكر السيوطي عن يحيى بن سلام المغربي قوله : منازل بمكة وما نزل في طريق المدينة قبل أن يبلغ النبي ﷺ المدينة فهو من المكى ، وما نزل على النبي ﷺ في أسفاره بعد ما قدم المدينة فهو من المدني .

ثانيا : موقفه من العقيدة :

وهو يتعرض لبعض مسائل الاعتقاد فمن ذلك تعقبه للزخشري في قوله ﴿إنا جعلناه قرآنا عربيا﴾ () حيث قال الزخشري : ﴿جعلناه﴾ بمعنى صيرناه معدى إلى المفعولين أو المعنى خلقناه معدى للواحد كقوله ﴿وجعل الظلمات والنور﴾ () ونحوه. قال المؤلف عفا الله عنه : هذا فاسد لأن القرآن ليس بمخلوق () كما تقرر في قواعد علم الكلام لاستحالة قيام الحوادث بذات الله سبحانه لما يلزم من حدوثه تقدير قبول الذات العليا لقيام الحوادث . فالذي لا يصح غيره ؛ أن الجعل هنا بمعنى... () والحكم والإنزال ... وهذه من غلطاته الشنيعة التي هي عند أهل السنة آيلة إلى الجهل بصفات الله سبحانه وقد اختلفوا في تكفير من جهل الصفات كما بسطناه في موضعه .

ومن استطراداته ما ذكره في قوله تعالى ﴿يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا﴾ () قال : قال العلماء : والنبي إذا عظم قدره عظمت أسماءه . قال بعض الصوفية : لله ألف اسم ، وللنبي عليه السلام ألف اسم . قال القاضي أبو بكر بن العربي : فأما أسماء الله فهذا العدد حقير فيها ﴿قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي﴾ () وأما أسماء النبي ﷺ فالمعلوم منها سبعة وستون اسما وهي النبي الرسول الرشيد المصدق الخ فذكرها كلها .

أقول : وجلها لا اعتبار له ولا صحة وقد قال ﷺ : “لي خمسة أسماء ؛ أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب” () كما في الصحيح وجاء النص على بعض الأسماء زيادة على تلك الخمسة أرى أن الاختصار عليها أولى () وجعل بعض الصفات أسماء أمر توسعي ظاهر يشترك فيه جمل من الناس .

() الزخرف : ٣ ٩ ٨ ٦

() الأنعام : ١ ٠ ٩ ٦

() انظر كتاب العقيدة السلفية في كلام رب البرية ص ٢٨٣-٣٢٩ حيث تكلم عن شبه المعتزلة في خلق القرآن والرد عليهم .

() كلمة غير واضحة في المخطوط . ٩ ٦

() الأحزاب : ٤٥ ٣ ٩ ٦

() الكهف : ١٠٩ ٤ ٩ ٦

() أخرجه البخاري - كتاب المناقب - باب ماجاء في أسماء رسول الله ﷺ ٥٥٤/٦ ، ومسلم - كتاب الفضائل - باب في أسمائه ﷺ ١٨٢٨/٤ عن جبير بن مطعم .

() وهي نبي الرحمة ونبي التوبة ونبي الملحمة والخاتم والمقفي انظر فتح الباري ٥٥٦/٦ ، صحيح مسلم - الكتاب والباب السابق ١٨٢٨/٤ ومسنند أحمد ٤٠٤/٤ والمستدرک ٦٠٤،٦٠٨/٢ ودلائل النبوة للبيهقي ١٠٢/١-١٥٦ .

على أنه قد أوصل البعض أسماءه ﷺ إلى تسعة وتسعين اسما ذكروها في كتاب^(٦) وكذا أوصلوا أسماء عبد القادر الجيلاني!!^(٧)

والآية التي نقلها عن ابن العربي لا حجة فيها على موضوعنا ، وقد ثبت في الصحيح قوله ﷺ : “إن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة”^(٨) . وقد تعب العلماء في حصرها ، والزيادة التي وردت في الحديث في تعيينها مدرجة لا تصح.^(٩) ومن مواضع تأثر ابن بزيعة باتجاهه الصوفي :

قوله : ﴿عسى ربي أن يهديني سواء السبيل﴾^(١٠) : وهذه الآية أصل المتوكلين في الخروج بغير زاد ولأنه خرج حافيا خائفا بغير زاد ولا دراهم قالوا : ولم يكن له طعام إلا ورق الشجر .

أقول : وهذا الكلام فيه نظر من وجوه :

أولا : نفس الاستدلال فإن الآية ليس فيها أنه خرج من غير زاد ولا دراهم وإنما هذا مما نقل من أخبار لا زمام لها ، ثم إن موسى عليه السلام - لو سلم بما نقل - كان قد خرج خائفا وفي عجلة من أمره وفي هذا مدعاة لترك الجهاز وليس ذلك من التوكل في شيء ، ثم إنه لو صح أنه خرج بدون زاد بنية التوكل لم يكن في ذلك حجة لأن موسى عليه السلام لم يكن نبي بعد ، ولم يَعدُ تصرفه أن يكون سلوكا خاصا لا شرعا ، وأخيرا لو كان كل ذلك متحققا لما كان فيه دليل لأنه شرع سابق عارضه شرعنا ومنتقل بذلك للنقطة التالية .

ثانيا : قد ثبت في الصحيح في سبب نزول قوله تعالى ﴿وتزودوا فإن خير الزاد التقوى﴾^(١١) ما يرد ذلك حيث نزلت في أهل اليمن الذين كانوا يحجون ولا يتزودون^(١٢) . فما ذكره مخالف لشريعتنا ، ولو لم يكن

(٦) انظر كتاب وظائف مجموعة باللغة الأردنية والعربية ص ٥٥ .

(٧) المصدر السابق ص ١٢١ .

(٨) أخرجه البخاري - كتاب الدعوات - باب لله مائة اسم غير واحد ١٠٩/٨ ، ومسلم - كتاب الذكر - باب في أسماء الله تعالى ٦٣/٨ عن أبي هريرة .

(٩) أخرجه ابن ماجه بهذه الزيادة - كتاب الدعاء - باب أسماء الله عز وجل رقم ٣٨٦١ ، وقال الألباني : ضعيف (انظر ضعيف الجامع ١٩٤١) وانظر : مرويات ابن ماجه في التفسير ص ٢١٠

(١٠) القصص : ٢٢

(١١) البقرة : ١٩٧

(١٢) أخرجه البخاري - كتاب الحج - باب قول الله تعالى ﴿وتزودوا فإن خير الزاد التقوى﴾ ٣/٣٨٣ عن ابن عباس .

مخالفاً لكان في الاستدلال به نظر للخلاف المشهور بين الأصوليين هل شرع من قبلنا شرع لنا أم لا؟ () .

ثانياً : موقفه من تفسير القرآن بالقرآن :

لا يُلاحظ في القسم الذي وقفت عليه من الكتاب اهتمام كبير من المؤلف بهذا الجانب ، وربما كان ذلك لكونه متتبعا لغيره ناقلا عنه ثم محللا ، ومن مواضع تفسيره للقرآن بالقرآن قوله ﴿إنا أنزلناه﴾ () الضمير عائد على القرآن ﴿في ليلة مباركة﴾ اختلفوا في هذه الليلة المرادة فقيل : ليلة القدر ، وقيل : ليلة النصف من شعبان ، والأول أصح لقوله سبحانه ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾ () وفي قوله ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن﴾ () .

ثالثاً : موقفه من تفسير القرآن بالسنة :

قال في قوله تعالى ﴿وما يهلكنا إلا الدهر﴾ () :
وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ : “كان أهل الجاهلية يقولون إنما يهلكنا الليل والنهار فقال الله عز وجل : يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدي الأمر ؛ أقلب الليل والنهار” () .
وقد أطلت تحت قوله ﴿فيها يفرق كل أمر حكيم﴾ () في الكلام على ليلة النصف من شعبان وفضلها وأن ماء زمزم فيها يجلو وكذا ماء البحر وذكر فيها آثارا وأحاديث في قيامها وصيامها وفضلها منها قوله وروي عن عثمان عن النبي ﷺ قال : “تقطع الآجال من السنة إلى السنة في ليلة النصف من شعبان” () .

- () انظر الإحكام في أصول الأحكام ٢/٩٤٣-٩٧٣ .
- () الدخان : ١
- () القدر : ١
- () البقرة : ١٨٥
- () الجاثية : ٢٤
- () أخرجه البخاري - كتاب التفسير - باب سورة الجاثية ٨/٥٧٤ مقتصرًا على الحديث القدسي . وأخرجه كاملاً الطبري ٢٥/٩٢ .
- () الدخان : ٤
- () عثمان هنا ليس هو ابن عفان ﷺ وإنما هو عثمان بن محمد ابن المغيرة بن الأحنس وهو من صغار التابعين أخرجه ابن جرير ٢٥/١٠٩ انظر التقریب ٥/٤٥ عنه عن النبي ﷺ مرسلًا وهو ضعيف لإرساله .

وهذا كله على الرغم من أنه صدر كلامه عنها بقول الحافظ أبي بكر ابن العربي : من قال إنها ليلة النصف من شعبان فهو باطل ولم يثبت في ليلة النصف من شعبان حديث يعول عليه في فضلها ولا في نسخ الأجل فيها.

وهو يذكر أسباب النزول ومن ذلك قوله :

﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾ () قال أنس : غاب عمي أنس ابن النضر ... عن بدر ... وقال : غبت عن أول مشهد شهده رسول الله ﷺ ... فذكر الحديث في مقتله بأحد بعد بلاء شديد وقال : فما عرفناه حتى عرفته أخته بينانه ونزلت ﴿من المؤمنين رجال ...﴾ قال : وكنا نقول نزلت هذه الآية فيه وفي أصحابه () .

وهو يتعرض لفضايا السور والآيات غير مبال بالرواية هل هي صحيحة أم ضعيفة أم موضوعة : قال في آخر الأحقاف : روي عن ابن عباس () أنه قال : إذا عسر على المرأة الطلق فليكتب هاتين الآيتين والكلمتين في صحيفة ثم تغسل وتسقى منها وهي بسم الله الرحمن الرحيم لا إله إلا الله الحليم الكريم سبحان الله رب السموات ورب العرش العظيم ﴿كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها﴾ () ﴿كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار﴾ () صدق الله العظيم .
وعن رسول الله ﷺ : “من قرأ سورة الأحقاف كتب له عشر حسنات بعدد كل رملة في الدنيا” () .

خامسا : موقفه من تفسير القرآن بأقوال السلف :

وهو يهتم بهذا الجانب ومن ذلك قوله :

() الأحزاب : ٢٣ ٢
() أخرجه البخاري - كتاب الجهاد - باب قول الله عز وجل ﴿من المؤمنين رجال ..﴾ رقم ٢٨٧٠٧ ، كتاب التفسير - سورة الأحزاب باب ﴿فمنهم من قضى نحبه﴾ رقم ٤٧٨٤ .
() أخرجه ابن السني في اليوم والليلة ص ٢٣١ وإسحق بن إبراهيم في كتاب الطب (انظر تاريخ لجرجان ٢٢٩) وابن أبي شيبة في مصنفه ٣٨٥/٧ ، وعزاه السيوطي للدليمي (انظر الدر ٢٤/٤) موقوفا ومرفوعا وهو حديث لا يصح (انظر : تكميل النفع بما لم يثبت به وقف ولا رفع ٢/١)

() النازعات : ٤٦ ٥
() الأحقاف : ٣٥ ٦
() أخرجه الثعلبي ١/١٠٦/١ من طريق هارون بن كثير عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي أمامة عن أبي به وهو قطعة من الحديث الطويل الموضوع في فضائل القرآن . وانظر الكشف الإلهي عن شديد الضعف والموضوع والواهي ١٠٢/١ .

﴿ ولما توجه تلقاء مدين ﴾ () ... وكان موسى عليه السلام لا يعرف الطريق إليها قال ابن عباس :
خرج وليس له علم بالطريق إلا حسن ظنه بربه .

وعن ابن مسعود : أفرس الناس ثلاثة بنت شعيب وصاحبة فرعون في قولها ﴿ عسى أن ينفعنا ﴾ ()
وأبو بكر في عمر .

﴿ سواء السبيل ﴾ () ... قال الحسن : أراد سبيل الهدى . وقال مجاهد : أراد طريق مدين .

وقال ﴿ ولقد وصلنا لهم القول ﴾ () ... وعن ابن زيد : وصلنا لهم خير الدنيا بخير الآخرة () .

سادسا : موقفه من السيرة وذكر الغزوات :

وعلى الرغم من كون القسم الذي اطلعت عليه من التفسير قسما محدودا وفيه سقط فقد وقفت على
عدة نقول نقلها المصنف من سيرة ابن هشام وغيرها فيما يتعلق بأحداث السيرة والغزوات فمن ذلك :
تحت قوله تعالى ﴿ إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم ﴾ () ذكر قصة النبي ﷺ مع ابن
الزبيرى .

وذكر تحت قوله تعالى ﴿ وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن ﴾ () قضية اللقاء بين النبي ﷺ وبين الجن فقال :
اختلف السلف في هذه القضية في مواطن ؛ الأول : هل كان عند النبي عليه السلام علم بوفود الجن
عليه أم لا... الخ .

الموطن الثاني : الاختلاف في عددهم ... الخ .

الموطن الثالث : هل حضر ابن مسعود ليلة الجن أم لا ؟ ... الخ .

كما ذكر من قتل من الكفار صبورا يوم بدر تحت قوله تعالى ﴿ فإما منا بعد وإما فداء ﴾ () .

وتحت قوله تعالى ﴿ وشهد شاهد من بني إسرائيل ﴾ ()

٧	١	٨	() القصص : ٢٢
٧	١	٩	() القصص : ٩
٧	٢	٠	() القصص : ٢٢
٧	٢	١	() القصص : ٥١
٧			() هذا على قراءة ﴿ وصلنا ﴾ بالتخفيف كما سيأتي في القراءات ^٢ .
٧	٢	٣	() الأنبياء : ٩٨
٧	٢	٤	() الأحقاف : ٢٩
٧	٢	٥	() محمد : ٤
٧	٢	٦	() الأحقاف : ١٠

قال : وفي حديث أنس جاء عبد الله إلى النبي ﷺ قدمه المدينة فقال : إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي : ما أول أشراط الساعة ؟ ... الخ الحديث . ()

سابعاً : موقفه من الإسرائيليات :

يتعرض لها أحياناً ومن ذلك قوله تحت آية ﴿قالت إن أبي يدعوك﴾ () :
واختلف أهل الآثار في قائله هذا القول هل هي الصغرى أو الكبرى؟ وكانت الكبرى تسمى صفيراً والصغرى صبيراً () وكذلك اختلفت الآثار هل زوجه الصغرى أو الكبرى؟ فروي عن النبي ﷺ أنه زوجه الصغرى ذكره الثعلبي وغيره () وفي كتاب النقاش: كانتا توأمين ولدت إحداهما قبل الأخرى بنصف نهار.

وقال : ﴿ولما توجه تلقاء مدين﴾ () هي قرية شعيب سميت بمدين بن إبراهيم ولم تكن في سلطان فرعون وبينها وبين مصر مسيرة ثمان ... وقيل : خرج حافياً لا يعيش إلا بورق الشجر فما وصل حتى سقط خف قدمه ... ويقال : إن الله تعالى بعث إليه ملكاً يسدده الطريق وأعطاه عصاه التي كانت فيها الآيات والصحيح أن العصا إنما أخذها من عند شعيب .

ثامناً : موقفه من اللغة :

وهو يتعرض للنحويات والإعراب ومن ذلك :

قوله : ﴿أو من ينشأ في الحلية﴾ () أجازوا في محل ﴿من﴾ وجهين في قوله ﴿أو من ينشأ﴾ أحدهما أن تكون في محل نصب مفعول بفعل مضمّر يدل عليه جعلوا تقديره: أو من ينشأ في الحلية جعلتم أو اتخذتم ونحوه مما يقتضي المعنى ...

() أخرجه البخاري - كتاب المناقب الأنصار ٢٧٢/٧ ٢

() القصص : ٢٥ ٨

() الذي في الكشف ١٧١/٣ الكبرى : صفراء . والصغرى : صفراء . والذي في الدر المنثور ١٣٧/٥ صفورا ، وصفيرا .

() أخرج ذلك البزار وابن أبي حاتم والطبراني في الأوسط وابن مردويه قال السيوطي : بسند ضعيف عن أبي ذر مرفوعاً ، وأخرجه ابن مردويه عن أبي هريرة . انظر : الدر المنثور ١٣٨/٥ .

() القصص : ٢٢ ١

() الزخرف : ١٨ ٢

والثاني أن يكون في محل رفع بالابتداء والتقدير : أو من ينشأ في الحلية من الذي خصصتم به الله سبحانه ... الخ .

وقال : ﴿أجر ماسقيت لنا﴾ () أي جزاء سقيك لنا "وما" مصدرية ...

وعندما ذكر حديث : وأنا الدهر تحت قوله تعالى ﴿وما يهلكنا إلا الدهر﴾ () قال : فيه روايتان وأنا الدهر على الابتداء والخبر ونصب الدهر على الظرف وخبر المبتدأ الذي هو أنا ؛ الجملة بعده التي هي "بيدي الأمر"

وهو قليل ذكر الشعر ، إلا أنه أطال في ذكر بعض الأبيات عند كلامه عن الهوى في قوله تعالى ﴿واتبعوا أهواءهم﴾ () ، حيث نقل عن ابن المبارك وأبي العتاهية وابن دريد وغيرهم أشعارا في الهوى .

كما ذكر بعض الشعر أيضا عند قوله ﴿وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا﴾ () فقال : قال الزمخشري : وعن بعض العرب أن امرأته وضعت بنتا فهجر البيت الذي فيه المرأة ، فقالت المرأة في ذلك :

مالأبي حمزة لا يأتينا

يظل في البيت الذي يلينا

غضبان ألا نلد البنينا

ليس لنا من أمرنا ما شينا

وإنما نأخذ ما أعطينا ()

وفي قوله : ﴿ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم في العذاب مشتركون﴾ () قال : إنه لن يريحهم التأسى باشتراكهم في العذاب ، ثم ذكر قول الخنساء :

على إخوانهم لقتلت نفسي

ولولا كثرة الباكين حولي

أعزي النفس عنه بالتأسي

وما سيكون مثل أخي ولكن

() القصص: ٢٥ ٣ ٧

() الجاثية: ٢٤ ٤ ٧

() محمد: ١٤ ٥ ٧

() الزخرف: ١٩ ٦ ٧

() انظر الكشاف ٤٨٢/٣ وفيه : أنثى بدلا من "بنتا" و"فقلت" بدلا من "فقلت المرأة" في ذلك .

() الزخرف: ٣٩ ٨ ٧

تاسعا : موقفه من القراءات :

وهو يذكر القراءات ويوجهها ومن ذلك :

قوله عز وجل ﴿ولقد وصلنا لهم القول﴾ ()^٩ إلى آخر السورة

قرئ ﴿وصلنا﴾ بالتخفيف والتشديد وقرئ ﴿واصلنا﴾ ()^٨ أي تابعا إنزال الكتاب بعد الكتاب التوراة
ثم الإنجيل ثم القرآن والقول واقع على الكتب الإلهية وقيل : على القرآن وحده ، والمعنى : جعلناه
متواصلا وعدا ووعيدا وقصصا وعبرا ونصائح ومواعظ إرادة أن يذكرها ، وعن ابن زيد : وصلنا لهم خير
الدنيا بخير الآخرة .

وقال ﴿وقال موسى ربي أعلم﴾ ()^١

الجمهور على إثبات الواو وقرأ ابن كثير ﴿قال موسى﴾ بغير واو ، وقرئ ﴿ومن تكون﴾ بالتاء على
التأنيث للعاقبة لفظا وبالياء من حيث أن تأنيثها غير حقيقي .

عاشرا : موقفه من الفقه والأصول :

والمؤلف يتعرض للفقهيات ومن ذلك قوله :

﴿ومن الناس من يشتري لهو الحديث﴾ ()^٢

قال المؤلف عفا الله عنه : قد أكثر أهل الآثار في تحريم الغناء وذكر أبو حامد الغزالي في الإحياء فيه
أخبارا كثيرة وورد عن ابن المنكدر أن النبي ﷺ قال : “ من استمع إلى قينة صب في أذنيه الآنك يوم
القيامة ” ()^٣ واختلف أهل العلم في سماع الغناء ، وأقاويل العلماء في ذلك بينة ؛ فمنهم من حرمه ،
ومنهم من كرهه ، ومنهم من أجازها . وحكى المازري وغيره الاتفاق على تحريم سماعه بآلة واختلفوا في
جواز سماعه بغير آلة ... الخ

ثم ذكر أحاديث في الغناء والمعنيات .

() القصص : ٥١ ٩ ٣ ٧

() قراءة التخفيف وإثبات الألف شاذتان وانظر البحر ٧/٢٥٠٩ . ٧

() القصص : ٣٧ ١ ٤ ٧

() لقمان : ٦ ٢ ٤ ٧

() هذا مرسل وقد أخرجه ابن عساكر عن أنس موصولا وقائل الألباني : موضوع (انظر ضعيف الجامع ٥٤١٨)
وانظر أيضا : المشتهر من الحديث الموضوع والضعيف ١/١٣٥ .

وهو أحيانا يستطرد في الحديث الفقهي ومن ذلك إطالته في لبس الذهب والحريز وحكمها للنساء دون الرجال تحت قوله تعالى ﴿ فِي الْحَلِيَةِ ﴾ (٤)

وقال في قوله : ﴿ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ﴾ (٥) :

وفي الآية دلالة على أن الإجارة كانت مشروعة عندهم وكذلك كانت في كل ملة لأنها من المصالح الداعي إليها ضرورة وأجمعت أمة محمد عليه السلام على جوازها .

وأخذ العلماء من الآية فوائد حكيمة منها جواز عرض الرجل الولي وليته على الرجل وقد عرض صالح مدين ابنته على صالح بني اسرائيل وعرض عمر بن الخطاب ابنته حفصة على أبي بكر وعثمان وعرضت أم المؤمنين أختها على رسول ﷺ وفي حديث حفصة أنه لما عرضها على أبي بكر سكت أبو بكر فذكر جزءا من الحديث .

وقال : حكي في هذه الآية خصائص منها أنه لم يعين الزوجة قال المؤلف عفا الله عنه : هذا فيه نظر لأن هذا عرض لا عقد إذ لو كان عقدا لعين المعقود عليها وقد اتفق الفقهاء على أن الإبهام في النكاح لا يجوز إذ لا يجوز في النكاح خيار واختلفوا في جوازه في البيع مثل أن يقول ... (وأطال في تلك المسألة)

ومن مواضع تعرضه لبعض الأصول ما ذكره تحت قوله ﴿ فاضرب الرقاب ... فإما منا بعد وإما فداء ﴾ (٦) حيث تكلم عن نسخها أو عدمه وقال : ولا دليل في ذلك على النسخ ... ثم أخذ يقرر ذلك .

ولتقدم المؤلف لا نجد ذكرا للعلوم الحديثة والكونيات ونحو ذلك في تفسيره ، كما لا نلمح منه اهتماما بجانب الوعظ والحديث عن الآداب أو الاجتماعيات بصفة مباشرة ، كما نلاحظ أن له بعض الاستطرادات فيما لا علاقة له بالتفسير ومن ذلك قوله :

ليس في الصحابة من اسم أبيه سلام إلا رجلين عبد الله بن سلام هذا ورجل آخر ذكره أبو بكر ابن ثابت الخطيب في تاريخه .

٧	٤	٤	(الزخرف : ١٨)
٧	٤	٥	(القصص : ٢٥)
٧	٤	٦	(محمد : ٤)

تفسير ابن عرفة من خلال تقييد الأبي والبسيللي



مؤلف هذا التفسير هو محمد بن محمد بن عرفة الورغمي التونسي ت ٨٠٣ هـ وهو من أهل المنطقة ولد وتوفي بتونس () .

التعريف بالتفسير :

وتفسير ابن عرفة عبارة عن مجالس أملاها في التفسير فقيدها عنه بعض تلاميذه واشتهر منها رواية البسيللي وهو أحمد بن محمد أبو العباس التونسي () وله تقييدان عن شيخه تقييد كبير وآخر صغير وكلاهما مخطوط والكبير فقدت بعض أجزاءه والصغير ناقص ، وليس كل ما فيه من كلام ابن عرفة كما تقدم في ترجمة البسيللي ويوجد من رواية البسيللي نسخة مصورة على ميكروفيلم بمكتبة المخطوطات بالجامعة الإسلامية تحت رقم ١٢٦٠، ١٢٦١ عن نسخة الخزانة الملكية بالرباط ، ورواية الأبي وهو محمد بن خلفه الوشتاتي () وهي أكمل الروايات لتفسير ابن عرفة ومنها نسخ خطية كثيرة من أكملها نسخة المكتبة الوطنية بتونس وقد نقلت عنها أكثر النصوص ، وقد طبع جزء من هذه الرواية في مجلدين إلى نهاية سورة البقرة بتحقيق الدكتور حسن المناعي نشرها مركز البحوث بكلية الزيتونة سنة ١٩٨٦ م ، ورواية أبي القاسم الشريف الإدريسي السلأوي من أهل القرن التاسع () وله تقييد في مجلدين وهو مفقود .

- ٧ () تقدمت ترجمته في أهل المنطقة برقم ٢١٢ ٤
٧ () ت ٨٤٨ هـ تقدمت ترجمته في أهل المنطقة برقم ٢٤ ٤
٧ () ت ٨٢٧ هـ تقدمت ترجمته في أهل المنطقة برقم ١٦٠ ٤
٧ () تقدمت ترجمته في أهل المنطقة برقم ١٣٠ ٥

المنهج العام للتفسير : ()

وتفسير ابن عرفة تفسير بياني منطقي أصولي فقهي لا يغفل المأثور ويهتم بذكر القراءات .

وقدم له ابن عرفة بمقدمة تكلم فيها عن علم التفسير وشروط المفسر ثم شرع في تفسير الاستعاذة () .

وقد أفاض محمد الفاضل ابن عاشور في بيان أصله تفسير ابن عرفة وشموله العناية بالناحية اللغوية

والبيانية البلاغية وأصول العقيدة والشريعة ونزعته النقدية ، وتعدد مصادره () التي كان تفسير ابن عطية يحتل فيها الصدارة .

ومن مصادر ابن عرفة في تفسيره أيضا : كتاب " فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب " لشرف الدين الطيبي ، وهو من المصادر الهامة في تفسيره .

وقد بين ابن عاشور منهجه بقوله :

ويهتم بالتخريج والتأويل حتى تتضح دلالة الآية مستقيمة على المعنى الذي تتعلق به ، ويرد ما عسى أن

يكون قد وقع من تخريج بعيد أو تأويل غير مقبول ، بتطبيق القواعد اللغوية ، والنكت البلاغية ، أو

بإثارة ما يتعلق بالمفاد من مباحث أصلية ترجع إلى أصول الدين أو أصول الفقه ، جاعلا عمدته في هذه

المباحث تفسير ابن عطية غير معرض عن تفسير الكشاف ، فيعتبر كلام ابن عطية حاصلًا بين أيدي

مستمعية ، ليسايره أو يورده ويورد كلام الزمخشري ويكثر إيراد الآراء والمذاهب عن العلماء في كل

مسألة. ()

وقال المناعي ملخصا منهج ابن عرفة في تفسيره :

سارت دروس التفسير في منهجها على نسق متشابه حيث كانت تتلى الآية أو الآيات ثم يبدأ في

التفسير ، فيورد كلام أئمة القراءات أو اللغة والنحو ، ويعتني ببيان ما احتمال التأويل أو الاختلاف بين

المفسرين ، فيذكر أقوال العلماء من أصوليين وفقهاء ومحدثين ، وقد يعرج في ذكر نكتة بلاغية أو علمية

أو شواهد شعرية أو قضايا اجتماعية ظرفية أو مباحث في أصول الدين أو أصول الفقه ليقوم بما لم

يستقيم من تفسير أو تأويل ، ويرجح به آراء على أخرى ، وتلتقي جميعها أحيانا في الآية الواحدة ،

وتعرض على التلاميذ لتناقش ، فيصير الدرس محكمة تفسيرية تتداول فيها الآراء سجلا بين الحاضرين ،

فتجمع الاحتمالات العديدة والأوجه المختلفة وتتدارس برؤى سنينة أشعرية ومنهجية حرة ، ربما كانت

() تكلم عن منهج ابن عرفة الدكتور حسن المناعي في مقدمة تفسير ابن عرفة ١/٣٧-٤٢ ، الفاضل ابن عاشور في

التفسير ورجاله ص ١١٣ ووسيلة بلعيد في التفسير واتجاهاته ص ٢٨٩-٣٩٩ .

() تفسير ابن عرفة ١/٥٩-٦٤

() انظر التفسير واتجاهاته ص ٣٨٤ .

() التفسير ورجاله ص ١١٣ .^٤

فيها الكلمة الأخيرة لأحد الطلبة يقره عليها شيخه بكل تواضع علمي . ولقد اختار ابن عرفه لنفسه هذا المنهج التربوي وآثره على غيره من المناهج ، وسار بالتفسير وجهة جديدة ؛ وجهة السؤال والجواب قبل تقرير المسألة . ()

وقال أيضا :

فجاء هذا التفسير يزخر بالنقل عن عشرات الكتب الثمينة النادرة وعشرات العلماء في كل فن ، دون تمييز أحدهم عن سواهم ، وإن كان قد خص بعضهم باهتمام أكثر من غيرهم كالزحشري وابن عطية ، وهو ما حمل المرحوم الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور على القول بكون هذا التقييد تعليقا على ابن عطية أشبه منه بالتفسير . والحقيقة أن هذا غير صحيح ذلك لأننا نلاحظ مثلا في سورة البقرة أن النقل عن ابن عطية يكاد يتساوي مع النقل عن الزحشري عدديا فعن الأول نقل ابن عرفه مائتين وخمسا وأربعين مرة وعن الثاني مائتين وإحدى عشرة مرة . ()

المنهج التفصيلي للمؤلف :

أولا : لقد اعتنى ابن عرفه بمجال المناسبات فبحث عن وجه مناسبة الآية لما قبلها وبين ما كان منها مكملاً للآخر ، ووجه اتصال الآية بما قبلها ، وما سيقته له ، ومن ذلك :

ما ذكره في تفسير قوله جل ذكره ﴿ زين للناس حب الشهوات ﴾ () ، فقال : مناسبتها لما قبلها أن الآية المتقدمة اقتضت الحز على الجهاد ، ومدح المتصف به ، ومن خالف نفسه في سبيل الراحة ، أتت هذه الآية في معرض الذم لمن لم يتصف بذلك وطواع نفسه وشهوته البهيمية () .

ومثل ذلك تفسيره لقوله تعالى : ﴿ ولله على الناس حج البيت ﴾ () ، قال : لما تضمن الكلام السابق التنبيه على بركة البيت كان ذلك كالسبب الحامل على حجه وأعمال السفر إليه ، وأركان معظم الحج عرفه كما في الحديث “ الحج عرفه ” () إنما ذلك لأجل أن عرفه له وقت () .

- | | | |
|---|---|---|
| ٧ | ٥ | () مقدمة تفسير ابن عرفه ١/٣٦٧-٣٨ |
| ٧ | ٥ | () المصدر السابق ١/٤١ ٦ |
| ٧ | ٥ | () آل عمران : ١٣-١٤ . ٧ |
| ٧ | ٥ | () ق ٧١ ٨ |
| ٧ | ٥ | () آل عمران : ٩٧ . ٩ |
| | | () أخرجه ابن ماجه - كتاب المناسك - باب من أتى عرفه قبل الفجر رقم ٣٠١٥ وقال ابن كثير : إسناده صحيح (التفسير ١/٣٥٠) وقال الألباني : صحيح (صحيح ابن ماجه ٢/١٧٣) |
| ٧ | ٦ | () ق ٨٣ ١ |

وكذلك قوله تعالى : ﴿واضرب لهم مثل الحياة الدنيا...﴾ () ، قال ابن عرفة : وجه مناسبتها لما قبلها أنه لما تقدم ذم الحياة الدنيا باعتبار ما نشأ عنها من ... العجب والرياء عقبه ببيان ذمها في نفسها، لأن نعيمها زائل مضمحل ... ، فالماء كونه ينزل فينشأ عنه النبات الأخضر الناعم ثم يضمحل، فكذلك الإنسان مثله ، يوجد بعد أن لم يكن ، تتدرج حاله من الصغر إلى الشباب ثم إلى الكبر ثم ينعدم () .

ومن مباحث ابن عرفة قوله : قيل البسملة آية من كل سورة . فقال الغزالي في المستصفي : معناه أنها آية من كل سورة وليست جزءا من كل سورة .
وقال غيره : معناه أنها آية - أي جزء - من كل سورة .

وورد في الحديث عن عائشة رضي الله عنها : ما كنا نعلم تمام السورة إلا بالبسملة. ()

فظاهره أنها تكرر إنزالها مع كل سورة مثل ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ () . ()

وهو يتعرض لأسماء السور ومكيتها ومدنيتها ولا يتعرض لعد آيها ومن ذلك قوله في الفاتحة :

اختلفوا فيها ؛ فقال ابن عباس رضي الله عنهما وجماعة : إنها مكية واحتج له ابن عطية بقوله تعالى في الحجر : ﴿ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم﴾ () وهي مكية بإجماع وفي حديث أبي بن كعب أنها السبع المثاني .

قال الإمام : وذهب عطاء والزهري وجماعة إلى أنها مدنية وقيل : إنها نزلت بمكة والمدنية ، وأبطله القاضي العماد بأنه يجب عليه تحصيل الحاصل وهو محال .

أجاب ابن عرفة بأن التأكيد شائع في كلام العرب وليس فيه تحصيل الحاصل فإن قلت : يلزم عليه أن تكون الفاتحة في القرآن مرتين لنزولها مرتين وكان تكرر كما تكرر ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ () قلنا: إنما ذلك إذا نزلت على أنها غير الأولى . فقد ذكر الأصوليون على أن الغيرين يصدقان على المثليين ، أما إذا نزلت على أنها هي الأولى بعينها فلا يلزم ذلك فيها .

() الكهف : ٤٥ . ٢ ٦ ٧

() ق ٢٠١ ٣ ٦ ٧

() الحديث أخرجه الحاكم في المستدرک - كتاب الصلاة ٢٣٢/١ وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وقال الذهبي : أما هذا فتأبث .

() الرحمن : ١٣ وقد تكررت في ٣١ موضعا . ٦ ٧

() تفسير ابن عرفة ٧١/١ ٦ ٧

() الحجر : ٨٧ ٦ ٧

() الرحمن : ١٣ وقد تكررت في ٣١ موضعا كما تقدم . ٦ ٧

زاد القاضي العماد في إبطال النزول بمكة والمدينة أنه يلزم منه أن يكون كلما نزل بمكة نزل بالمدينة مرة أخرى ، لأن جبريل عليه السلام كان يعرضه القرآن في كل سنة مرة وفي الأخيرة مرتين فيكون ذلك إنزالاً آخر وهذا لا يقوله أحد .

وقال : ولعلمهم يعنون بنزولها مرتين ، أن جبريل نزل حين حولت القبلة فأخبره عليه الصلاة والسلام أن الفاتحة ركن في الصلاة كما كانت بمكة وأقرأه فيها قراءة لم يكن أقرأه بها في مكة فظنوا ذلك إنزالاً وهو ضعيف . ()

ثانيا : موقفه من العقيدة :

من مواضع تعرض ابن عرفة للمسائل الاعتقادية قضية الاسم والمسمى وقد ذكر فيها ثلاثة أقوال قال : الأول : أن الاسم هو المسمى وهو قول أهل الحق .

الثاني : أنه غيره وهو مذهب المعتزلة . ومثله للأشعري في بعض كتبه .

الثالث : ما كان اسماً لله تعالى باعتباره صفة فعل كخالق فهو غير المسمى ، وإلا فهو المسمى وهو قول الباقلاني الإمام . ()

وقال أيضا : قال الفخر ابن الخطيب في نهاية العقول : المشهور عن أصحابنا أن الاسم هو المسمى ، وعن المعتزلة أنه التسمية ، وعن الغزالي أنه مغاير لهما ، والناس طولوا في هذا وهو عندي فضول . () ويفسر ابن عرفة آيات العقيدة ، معتمداً مذهبه السني المالكي الأشعري ، راداً على المخالفين كالمعتزلة ، وغيرهم .

قال ابن عرفة : ولما قال ﴿إياك نعبد﴾ أوهم أن للإنسان في العبادة ضرباً من المشاركة والاختيار ، فعقبه بطلب الهداية تنبيهاً على كمال الافتقار وأن كل العبادة والطاعة من الله تعالى وليس للعبد عليها قدرة ، فهو دليل لأهل السنة . ()

وقد تعرض ابن عرفة إلى رأي المعتزلة في قول الزمخشري : إن الشيء يطلق على الممكن والمستحيل . ثم قال معلماً على هذا الرأي : وظاهر الآية حجة للمعتزلة لأنه لو كان المراد أن الله على كل موجود قدير ، للزم تحصيل الحاصل ، ثم تعرض بعد ذلك إلى شرح متعلق القدرة فقال : القدرة تتعلق بالممكن المعدوم

() تفسير ابن عرفة ١/٩١-٩٢

() تقييد البسيلي ، وبدأ ذلك بقوله : وحصل شيخنا في المسألة من حيث الجملة ثلاثة أقوال : ..فذكرها

() تفسير ابن عرفة ١/٨٤

() تفسير ابن عرفة ١/١٠٢-١٠٣

المقدر الوجود ، كما يفهم من معنى قوله تعالى ﴿الزانية والزاني ...﴾ () ، المراد من حصل منه الزنى بالفعل ، ومن سيحصل منه الزنى ؛ يصدق عليه في الحال أنه زان باعتبار ، على تقدير أنه سيوجد منه ، وهذا كما يقول المنطقيون : القضية الخارجية ، والقضية الحقيقية ، ويجعلون الخارجية عامة في الأزمنة الثلاثة ، مثل كل أسود مجمع للبصر ، وكل أبيض مفروق للبصر ، المراد كل موصوف بالسواد مطلقاً في الماضي والحال والاستقبال () .

ثم ذكر حجة الزمخشري في نفي الرؤية ، قال : وقوله ﴿لن تراني﴾ () استدلل بها الزمخشري على عدم الرؤية منطلقاً ، لأن لن عنده لنفي دائم وهي المسماة بلن الزمخشرية ونحن نقول : إنها لنفي غير دائم ، ويثبت بعد ذلك الرؤية مستدلاً عليها بقوله تعالى ﴿فإن استقر مكانه فسوف تراني﴾ () ، قال : دليل على أن الرؤيا ممكنة لأن استقرار الجبل في مكان ، ممكن عقلاً ، وقد علق عليه بسوف تراني فدل على إمكان الرؤية إذ لا يصح تعليق المستحيل على الممكن ... ()

كما يناقش الزمخشري في تفسير قوله تعالى ﴿لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم﴾ () ، الذي يرى أن ﴿إذن ربهم﴾ تعني بتسهيله فرد ابن عرفة عليه بأن هذا التفسير متماسح مع مذهبه في نسبة أفعال العباد إليهم ، وأنها ليست مقدورة لله ، وإنما ييسرها ويسهلها الله عليهم ... ثم ناقش ابن عطية في نفس الموضوع الذي فسر بإذن ربهم بعلم الله ، واقتضائه وتوفيقه ، فرد عليه ابن عرفة بأن هذه نزعة اعتزالية ولولا قوله واقتضائه لكان صريحاً في اتباع المعتزلة ، لانهم يقولون : إن العبد يستقل بأفعاله ، ويخلقها ، وإن الله لم يخلق الشر ، ولا أراد . ثم يفسر ابن عرفة الآية بما يراه صواباً وهو أن معنى قوله بإذن ربهم ، أي بقدرته وخلقته واختراعه وأنه خلق الهداية والضلال ، وأراد تعالى أن يكون في ملكه مالا يريد () .

٧	٣	() النور : ٢
٧	٤	() ق ٩ .
٧	٥	() الأعراف : ١٤٣
٧	٦	() الأعراف : ١٤٣ .
٧	٧	() ق ١٤٤
٧	٨	() إبراهيم : ١
٧	٩	() ق ١٨٠

وفي قوله تعالى ﴿ولكم في القصاص حياة...﴾ () ، قال ابن عرفة : فيه دليل لأهل السنة القائلين بأن لاحسن ولا قبح لأن الآية خرجت مخرج الامتنان بتعداد هذه النعم فدل على أنها تفضل من الله تعالى ، ولو كان القصاص واجبا في العقل لما

حسن كونه نعمة ، ولما صح الاتيان به لأن ذلك تحصيل الحاصل () .
وهو يفسر الألفاظ حسب اصطلاح أهل الكلام عليها :

وقال في تفسير قوله تعالى ﴿ فيعلمون أنه الحق ... ﴾ () ، الحق يقع في القرآن كثيرا كقوله تعالى ﴿ ما خلقنا السموات والارض وما بينهما إلا بالحق ﴾ () ، فمن يفهمه على ظاهره يعتزل ، لأن مذهب المعتزلة مراعاة الأصلح على قاعدة التحسين والتقبيح . والصواب أن يقال في تفسير الحق : هو الأمر الثابت في نفس الأمر الذي دل الدليل الشرعي على ثبوته . أو يقال : إنما هو الثابت بدليل شرعي أو مدلول الكلام القديم الأزلي () .

وفي قوله تعالى ﴿ والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ﴾ () قال ابن عرفة : حكى ابن الخطيب اختلاف المتكلمين على الاستطاعة مع الفعل أو قبله ؟ قال : والآية حجة لمن يقول إنها قبله ، ورد ابن عرفة هذا الرأي وقال : الاستطاعة تطلق على معنيين فتارة يراد بها التمكن من الفعل كقوله : زيد الفاعل مستطيع على القيام فهذا لاختلاف أنها تشترط فيها المقارنة وليست هي المصطلح عليها عند المتكلمين ، وتارة يراد بها القدرة على الفعل فهذه التي تعرض لها الأصوليون وذكرها فيها الخلاف ، والآية من القسم الأول () .

ويفسر لفظة "إله" من قوله تعالى ﴿ وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم ﴾ () ، معتمدا على الأصوليين واللغويين ، ويحتم كل ذلك بالاستشهاد بالقرآن . قال : الإله في اصطلاح المتقدمين من الأصوليين هو الغني بذاته المفتقر غيره إليه ، وعند الأصوليين المتأخرين واللغويين : هو المعبود تقربا ، وبه

٧	٨	٠	() البقرة : ١٧٩ .
٧	٨	١	() ق ٤١
٧	٨	٢	() البقرة : ٢٦ .
٧	٨	٣	() الأحقاف : ٣ .
٧	٨	٤	() ق ١١
٧	٨	٥	() آل عمران : ٩٧ .
٧	٨	٦	() ق ٨٣
٧	٨	٧	() البقرة : ١٦٣ .

يفهم قوله عز وجل ﴿وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري﴾ () ، وقول إبراهيم لأبيه آزر ﴿أتتخذ أصنامًا آلهة..﴾ () ، وقول الله عز وجل ﴿أهلثنا خير أم هو...﴾ () () .

كما يستدل ابن عرفة بقوله ﴿ولا يهديهم طريقًا إلا طريق جهنم﴾ () لعقيدة أهل السنة فقال : وفيه دليل لأهل السنة في أن الله تعالى يخلق الخير والشر () .

وفي قوله تعالى ﴿ومن يرتدد منكم عن دينه﴾ () ، قال ابن عرفة : في لفظ هذه الآية رحمة وتفضل من الله عز وجل لأن قبلها ﴿حتى يردوكم عن دينكم﴾ () ، فكان المناسب أن يقال : ومن يرد منكم عن دينه لكنه لو قيل هكذا لدخل في عمومه من أكره على الردة فإن الله سبحانه لما قال ومن يرتدد : يكون الوعيد مختصًا بمن ارتد مختارًا متعمدًا وتساؤل ابن عرفة : هلا قيل فيمت وهو مرتد ليناسب أول الآية آخرها ؟ ويسمونه رد العجز على الصدر فقال : إن من عادتهم يجيبون بأنه لو قيل كذلك لتناول مرتكب الكبيرة من المسلمين لأنه يصدق عليه أنه مرتد عن دينه لقوله تعالى ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾ () ، وأشار إلى مفهوم الإسلام الوارد في الحديث والمتمثل في الشهادتين وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والصوم والحج للمستطيع فأفاد بأن الإسلام حقيقة مركبة من هذه القواعد الخمسة فمتى عدم بعضها عدم الإسلام لامتناع وجود الماهية بدون بعض أجزائها ، فمن فعلها كلها ثم بدا له بعضها فلم يفعله يصدق عليه أنه مرتد عن دينه، وأنه غير مسلم فلذلك قال : فيمت وهو كافر () .

٧	٨	٨	(القصص : ٣٨ .)
٧	٨	٩	(الأنعام : ٧٤ .)
٧	٩	٠	(الزخرف : ٥٨ .)
٧	٩	١	(ق ٣٩)
٧	٩	٢	(النساء : ١٦٨-١٦٩ .)
٧	٩	٣	(ق ١١٣ .)
٧	٩	٤	(البقرة : ٢١٧ .)
٧	٩	٥	(البقرة : ٢١٧ .)
٧	٩	٦	(آل عمران : ١٩ .)
٧	٩	٧	(ق ٥١ .)

ثالثا : موقفه من تفسير القرآن بالقرآن :

وابن عرفة ممن يهتم بهذا الجانب من التفسير ومن ذلك قوله : ﴿يسبحون الليل والنهار لا يفترون﴾^(١) معناه : لا يفترون من العبادة وفي آية أخرى ﴿والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض﴾^(٢) () ()

وهو يجمع بين الآية التي يفسرها مع آية أخرى استعملت فيها نفس اللفظة ليبين أن المعاني القرآنية متناسقة وأن الألفاظ التي تدل عليها متألفة ، يقول عند تفسير قوله تعالى ﴿قل هو أذى﴾^(٣) ، وقال تعالى ﴿لن يضروكم إلا أذى﴾^(٤) ، والجامع أن الأذى : هو الأمر المؤلم الذي يقصد إمامته وأتى هنا بالحكم مقرونا بعلته ونصوا على أن الأصل تقديم العلة على المعلول كهذه الآية . وكقولك : سهى فسجد وزنى فرجم^(٥) .

ويحلل تقديم الصغير على الكبير في قوله تعالى ﴿ولا تسأموا أن تكتبوه صغيراً أو كبيراً إلى أجله﴾^(٦) ، بخشية التهاون به والتفريط فيه ، واستدل بقوله تعالى ﴿لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها﴾^(٧) ، وقوله : ﴿من بعد وصية يوصى بها أو دين﴾^(٨) ، وقوله ﴿فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى أهله وتحرير رقبة مؤمنة﴾^(٩) () ()

ومن الأمثلة أيضا ما يأتي في الفقرة التالية .

٧	٩	٨	() الأنبياء: ٢٠
٧	٩	٩	() الشورى : ٥
٨	٠	٠	() تقييد البسيلي .
٨	٠	١	() البقرة : ٢٢٢ .
٨	٠	٢	() آل عمران : ١١١ .
٨	٠	٣	() ق ٥٣ .
٨	٠	٤	() البقرة : ٢٨٢ .
٨	٠	٥	() الكهف : ٤٩ .
٨	٠	٦	() النساء : ١٢ .
٨	٠	٧	() النساء : ٩٢ .
٨	٠	٨	() ق ٦٧ .

رابعاً : موقفه من تفسير القرآن بالسنة :

ويتعرض ابن عرفة لتفسير القرآن بالحديث ، كما في قوله تعالى ﴿ لا إكراه في الدين.. ﴾ () حيث قال : فالدين هنا عام ، خصص بقوله سبحانه ﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾ () ، ووقع تفصيله وزيادة بيانه بقوله ﷺ “ أن تشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً ” . ()

كما ذكر في تفسير قوله تعالى : ﴿ وذلك جزاء المحسنين ﴾ () ، أن الرسول ﷺ فسر الإحسان في حديث القدر بقوله : “ هو أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك ” () ثم أوضح أن الحديث أخص مما جاء في قوله تعالى بياناً لمعنى المحسنين ﴿ هدى ورحمة للمحسنين ، الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون ﴾ () . ()

وفي تفسير قوله تعالى : ﴿ الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم ﴾ () ، يذكر تفسيره لمعنى الظن الذي يراه مصروفاً لزمان ملاقاته الله ، أي أن هؤلاء يستحضرون الموت ، ويظنونهم واقعا عليهم في كل حين ، ثم يواصل شرح الآية بما نقله القشيري من أن أبا بكر وعمر جلسا ذات يوم مع النبي ﷺ فقال أبو بكر ﷺ : إني إذا أصبحت لا أدري هل أمسي أم لا ؟ . وقال عمر ﷺ : إذا أمسيت لا أدري هل أصبح أم لا ؟ فقال ﷺ : “ وإذا صعد النفس لأدري هل أردته أم لا ؟ ” () وهذا المثال دليل على عدم تدقيقه في صحة الرواية أم عدم صحتها .

- | | | | |
|---|---|---|--|
| ٨ | ٠ | ٩ | () البقرة : ٢٥٦ . |
| ٨ | ١ | ٠ | () آل عمران ١٩ . |
| | | | () ق ٦٢ والحديث أخرجه ضمن حديث طويل عن أبي هريرة : البخاري - كتاب الإيمان - باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان ١/١١٥ ، ومسلم - كتاب الإيمان - باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ١/٣٩-٤٠ |
| ٨ | ١ | ٢ | () المائة : ٨٥ . |
| ٨ | ١ | ٣ | () انظر الحديث السابق . |
| ٨ | ١ | ٤ | () لقمان : ٣-٤ . |
| ٨ | ١ | ٥ | () ق ١٢١ |
| ٨ | ١ | ٦ | () البقرة : ٤٦ . |

() ق ١٥ ، وذكر الغزالي رواية^٧ عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً في معنى هذا الحديث ولفظها : “... ولا رفعت طربي فظننت أني واضعه حتى أقبض ...” وهو حديث طويل أخرجه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل والطبراني وغيرهما وقال العراقي : إسناده ضعيف (انظر : الإحياء مع المغني عن حمل الأسفار ٤/٤٣٧) وهذا الحديث لم أقف له على أصل صحيح أو ضعيف أو موضوع .

أما أسباب النزول فهو يتعرض لها ومن ذلك :

قوله تعالى ﴿ وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ... ﴾ ()^٨

قال : كانوا إذا حجوا واعتمروا يلتزمون أن لايجول بينهم وبين السماء شيء فيدخلون بيوتهم من خلفها^(١) ينقبون الحائط ، أو من سقفها ، أو يطلعون سلم على السطح فينزلون في وسط الدار ، وهذا عند البدء بالدخول ، فإذا تكرر ذلك تركوه. ()^٢

وقال في قوله عز ذكره ﴿ فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وماله في الآخرة من خلاق ﴾ () :

قال ابن عطية : سببها أنهم كانوا في الجاهلية يدعون في مصالح الدنيا فقط إذ كانوا لا يعرفون الآخرة فنها عن ذلك . ()^٨

وفي قوله تعالى ﴿ ومن الناس من يعجبك قوله ﴾ ()^٢

قال ابن عرفة : حكى ابن عطية في سبب نزولها ثلاثة أوجه: إما أنها عامة في كل من أبطن الكفر وأظهر الإسلام . وإما أنها خاصة بقوم من المنافقين تكلموا في قوم من المؤمنين استشهدوا في غزوة الرجيع . ()^٢
وإما أنها خاصة بالأخنس بن شريق . () ()^٦

وقال في تفسير قوله تعالى ﴿ لئن جاءهم آية ليؤمنن بها ﴾ () :

ذكر المفسرون في سبب نزولها أن المشركين طلبوا من النبي ﷺ أن يصير لهم الصفا ذهباً وفضة وحينئذ يؤمنون . ()^٨

() البقرة : ١٨٩ .^٨

() أخرج معناه عن البراء : البخاري - كتاب التفسير - باب ﴿ وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ﴾^٨
١٨٣/٨

() ق ٤٥ .^٢

() البقرة : ٢٠٠ .^٨

() ق ٤٨ ، أخرج معناه ابن أبي حاتم رقم ١٣٧٩ عن ابن عباس وصححه الضياء في المختارة^٨
وأخرجه أيضا ابن مردويه (انظر الدر ٢٣٢/١)

() البقرة : ٢٠٤ .^٢

() أخرج معناه ابن إسحق (السيرة ٩٧/٣) ومن طريقه ابن جرير ٣١٣/٢ ، وابن أبي حاتم رقم ١٤٨٠ من حديث ابن عباس وإسناده حسنه الحافظ ابن حجر (انظر فتح الباري ٣٢٢/٧) والسيوطي (الإتقان ٢٤٢/٢)

() أخرجه صاحب تنوير المقباس في تفسير ابن عباس ١٠٠٢٩٩/١ من طريق السدي الصغير عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس وهو تفسير موضوع كما قال الحاكم وغيره (انظر التهذيب ١٧٩/٩-١٨١)

() ق ٤٨ .^٦

() الأنعام : ١٠٩ .^٧

وأما فضائل السور والآيات فليس من المكثرين في ذكرها ومن مواضع تعرضه لها قوله في الفاتحة :

قال ابن عطية : ويروى أنها تعدل ثلثي القرآن (١) . والعدل إما في المعاني^٢ باشتغالها على التوحيد وغيره

﴿قل هو الله أحد﴾ (٢) على التوحيد فقط ، وإما أن يكون

فضلا من الله لا يعلل . (٣)

وقوله : قال الزمخشري : وعنه عليه الصلاة والسلام : “من قرأ الآيتين من سورة البقرة في كل ليلة

كفتاه” (٤) قال ابن عرفة : أولهما ﴿آمن الرسول﴾ ومعنى كفتاه أن يرفعان قارئهما عن رتبة من حرم

قيام الليل . (٥)

وربما تعرض ابن عرفة لبعض أصول علم الحديث ومن ذلك قوله :

نص المحدثون على أن الراوي إذا قال : قال رسول الله ﷺ إنه من قبيل المسند لكنه عندهم يحتمل

السمع مباشرة أو بواسطة ، لكن الصحابي إنما يروي عن صحابي فلذلك عدوه في المسند وفي هذه زيادة

اللام للمقول له كقولك : قال لي فلان : كذا . فهو أصرح في الدلالة على المباشرة من الأول . (٦)

خامسا : موقفه من تفسير القرآن بأقوال السلف :

ومن اعتماد ابن عرفة على ما أثر عن الصحابة ، تفسيره لقوله تعالى ﴿وللرجال عليهن درجة﴾ (٧) ،

والمعنى درجة في التفضيل ، إلا أن تفسير لفظة درجة وقع حوله خلاف ، فعند الجمهور هي حسن

المعاشرة وهو رأي ابن عباس ، وهو الظاهر ، فيقولون وله عليها من القيام بحقه المبادرة إلى غرضه ورفعته ،

مثل الذي عليه وزيادة درجة التقديم .

(١) ق ١٣١ ، وأخرج ابن جرير^٨ معناه ضمن رواية مرسله عن محمد بن كعب القرظي وهي ضعيفة لإرسالها .

(٢) أخرجه عبد بن حميد عن ابن عباس مرفوعا انظر إتخاف المهرة ٤٦/٤/٤ وقد حسنه البوصيري والصواب تضعيفه

لتفرد أبان وشهر به فأما الأول فقد تغير آخره وأما الثاني فكثير الأوهام كما قال الحافظ (انظر التقريب رقم ١٣٨

٢٨٣٠،

(٣) الإخلاص : ١

(٤) تفسير ابن عرفة ٩٧/١

(٥) أخرجه البخاري - كتاب فضائل القرآن - باب فضل سورة البقرة رقم ٥٠٠٩ ، ومسلم - كتاب صلاة

المسافرين وقصرها رقم ٨٠٨ عن أبي مسعود .

(٦) تفسير ابن عرفة ٨٢١/٢

(٧) تفسير ابن عرفة ٢٣٧/١

(٨) البقرة : ٢٢٨ .

وأشار ابن عرفة إلى تفسير غريب نقل عن ابن مسعود مفاده أن الدرجة : هي اللحية. ()^٦

وفي تفسير قوله ﴿ ليس البر أن تولوا وجوهكم ﴾ ()^٧ ، يعرض ابن عرفة روايتين^٣

حول الخطاب ، أولاهما بأنه للمؤمنين ، وهو ما نقله ابن عطية عن ابن عباس وعن مجاهد ومعناه : أيه المؤمنون ليس البر أن تكتفوا بالصلاة ...

وثاني الروايتين تجعل الخطاب لليهود والنصارى وهذا مروى عن قتادة والربيع . ()^٨

سادسا : موقفه من السيرة والتاريخ وذكر الغزوات :

وهو يتعرض للسيرة ضمن حديثه عن أسباب النزول وغيرها ومن ذلك :

قوله تحت آية ﴿ إن الذين كفروا سواء عليهم ﴾ ()^٩ : قال ابن عطية : وقال الربيع ابن أنس : إن الآية^٣ نزلت في قادة الأحزاب وهم أهل القليب . وأهل القليب ببدر .

قال ابن عرفة : وهو الصحيح فإن غزوة الأحزاب متأخرة عن بدر وأهل القليب ببدر قتلوا فلم يبق منهم أحد للأحزاب .

قال ابن عرفة : إلا أن يريد بالأحزاب الجماعة ولا يريد بهم الغزوة . ()

وقوله في الآية ﴿ ومنهم من يستمع إليك ﴾ ()^{١٠} ، قال الزمخشري : سبب نزولها أن أبا سفيان والوليد والنضر وعتبة وشيبة وأبا جهل ، استمعوا قراءة رسول الله ﷺ فقالوا للنضر : يا أبا قتيلة ما يقول محمد ؟ فقال : والذي جعلها بيته - يعني الكعبة - ما أدري ما يقول محمد ، إلا أنه يحرك لسانه ويقول أساطير^٤

الأولين . فقال أبو سفيان : إني لأراه حقا ، فقال أبو جهل : كلا فنزلت الآية . ()^{١١}

٨	٣	٦	() ق ٥٤
٨	٣	٧	() البقرة : ١٧٦ .
٨	٣	٨	() ق ٤٠
٨	٣	٩	() البقرة : ٦
٨	٤	١١٧/١	() تفسير ابن عرفة
٨	٤	١	() الأنعام : ٢٥ .
٨	٤	٢	() ق ١٢٦

سابعا : موقفه من الإسرائيليات :

لا يلاحظ على تفسير ابن عرفة اهتمام كبير بها ، ولعل ذلك لما سبق ذكره من كون التفسير عبارة عن تقييدات للمجالس وليس تفسيراً متكاملًا ، ويتضح مما هنا أن ابن عرفة ممن يقف منها موقف الناقد كعادته .

ففي قوله تعالى ﴿ ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات ﴾ ()

قيل لابن عرفة : أو يجاب بعكس ما قال الزمخشري ؛ وهو أنه خلقت السموات والأرض ملتصقة ثم خلقت الأرض ودحيت ثم فصلت السموات وصيرت سبعا والله أعلم ؟ فقال : هذا يمكن لكن الأثر الذي أورده هنا أن الأرض خلقت كالفهر وعلاها الدخان فخلقت منه السموات يرده ما ذكره الشيخ الزمخشري ونقله عن الحسن واللفخر في الأربعين كلام طويل وليس فيه خبر صحيح . ()

وقال : قال ابن عطية : قال ابن عباس رضي الله عنه : كانت الجن قبل بني آدم في الأرض فأفسدوا وسفكوا الدماء فبعث الله إليهم قبيلًا من الملائكة فقتلت بعضهم وهربت باقيهم وحصروهم إلى البحار ورؤوس الجبال وجعل آدم وذريته خليفة .

قال ابن عرفة : هذا يدل على أن الجن أجسام كبني آدم لأجل القتل والمبالغة فيه .

قيل لابن عرفة : كيف يفهم هذا مع قوله تعالى : ﴿ هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ﴾ () إن اللام في لكم تقضي اختصاصه بنا ؟ فقال : لعل اللام هنا ليست للاختصاص ، ولو سلمنا أنها للاختصاص يكون ما في الأرض لهم ولا يلزم من ذلك كونه قاصرًا عليهم فهو خلق لهم ولا ينافي أن يكون خلقا لغيرهم .

وقال : قال ابن عطية : لما دخل إبليس لآدم سأله عن حاله فقال له : ما أحسن هذا لو أن خلدا كان . فوجد به السبيل إلى إغوائه . قال ابن عرفة : هذا إلهام للنطق بما وقع في الوجود حيث قال إبليس :

﴿ هل أدلك على شجرة الخلد ﴾ () كما قال يعقوب عليه السلام لبنيه ﴿ وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون ﴾ فقالوا له ﴿ إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب ﴾ () كما قال الشاعر :

احفظ لسانك أن تقول فتبتلى إن البلاء موكل بالمنطق

٨	٤	٣	() البقرة : ٢٩
٨	٤	٤	() تفسير ابن عرفة ١/ ٢٣٤
٨	٤	٥	() البقرة : ٢٩
٨	٤	٦	() طه : ١٢٠
٨	٤		() الآيتان من سورة يوسف : ١٣ ، ١٧

وأكله من الشجرة إما لظنه أن النهي للكراهة أو المنهي عنها شجرة واحدة بالشخص وهذا من نوعها فقط .

زاد ابن عطية : إن حواء سقطته الخمرة فأكل في حال السكر . قيل لابن عرفة : خمر الجنة لا يسكر فقال : إن تلك الجنة التي من دخلها يؤمن من الخروج منها ولعل هذه إذ ذاك كان خمرها مسكرا .
... قال : ومذهب مالك أن جميع ما يصدر عن السكران من طلاق وقذف وقتل وزنى وسرقة كله يلزمه ويؤاخذ به وهي أول مسألة في العتبية من النكاح الأول .

قيل له : إنما هذا اللزوم بعد تحريم الخمر وقد كانت حين إذ حالاً فيعذر شاربها ؟
فقال : حفظ العقول من الكليات الخمس الذي اتفقت جميع الملل عليها فالسكر حرام وإنما كان يجوز فيها ما لا يسكر . ()

وفي قوله تعالى ﴿ وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ﴾ ()
قال ابن عطية : المخاطب بالهبوط آدم وحواء وإبليس والحية ؟ وقال الحسن : آدم وحواء والوسوسة .
قال ابن عرفة : أي عدو الوسوسة . وقال غيره : والحية لأن إبليس قد كان أهبط . ()
وفي قوله : ﴿ هاروت وماروت ﴾ () قال : قال ابن عطية : روي أنهما ملكان اختصمت إليهما امرأة وحكى القصة وضعفه ابن عطية من جهة السند .

قال ابن عرفة : بل هو ضعيف من جهة الاستدلال فإنه قد قام الدليل على عصمة الملائكة ، ولا يقال : إنهما كانا معصومين ثم انتقت العصمة عنهما حينئذ فإن ذلك إنما هو فيمن يتصف بالحفظ لا بالعصمة ، فيصح أن يحفظ تارة دون تارة ، أما العصمة فلا تزول عن ثبوت له أبداً . وقد كان الشيوخ يخطئون ابن عطية في هذا الموضوع لأجل ذكره هذه الحكاية ونقل بعضهم عن القراني : أن مالكا أنكر ذلك في حق هاروت وماروت . ()

وفي قصة بقرة بني إسرائيل لم يتعرض لتفاصيلها ومر عليها مرور الكرام . ()

٨	٤	() تفسير ابن عرفة ٢٦١/١-٢٦٢ ^٨
٨	٤	() البقرة : ٣٦
٨	٥	() تفسير ابن عرفة ٢٦٣/١
٨	٥	() البقرة : ١٠٢
٨	٥	() تفسير ابن عرفة ٣٨٦/١
٨	٥	() تفسير ابن عرفة ٣٢٢/١

ثامنا : موقفه من اللغة :

لقد عني ابن عرفة باللغويات ومن ذلك وضع الحروف في الجملة القرآنية وأهميته في تصوير المعنى ، ومن ذلك قوله :

الألف واللام في ﴿ الحمد ﴾ () للجنس ويتناول الحمد القديم وهو حمده تعالى نفسه وب نفسه ويتناول حمده في الدنيا وحمده في الآخرة وإن كان خبرا بمعنى الطلب فيكون " ال " للماهية إذ لا يقدر أحد على حمده تعالى بجميع محامده ولذا قال عليه الصلاة والسلام : فأحمده بمحامد يعلمنيها لم أكن أحمده بما قبل ذلك . ()

في قوله تعالى ﴿ ذهب الله بنورهم ﴾ () قال : وفي التعدية بالباء التي للمصاحبة نوع زيادة وإشعار بدوام الذهاب ، وملازمته بسبب ملازمة فاعل الذهاب له ، فلا يزال ذاهبا عنهم ، فهو أشد في عقوبتهم حتى لا يتصور رجوعه إليهم بوجه . ()

وفي قوله تعالى ﴿ فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به ، فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم في شقاق ﴾ () قال : الباء إما للسبب والمراد أسباب إيمانكم وهي البراهين والمعجزات أو للتعدية به ، والمراد متعلق الإيمان وهو الإله ، فإن كانت للسبب فواضح أي : فإن آمنوا ، بسبب مثل الأسباب التي أرشدتكم أنتم إلى الإيمان ، فقد اهتدوا ، وإن أريد متعلق الإيمان فمشكل ، ثم أورد رأي ابن عطية في معنى الباء الواردة وفي نفس الآية ، ويتمثل في ثلاثة أقوال ... ()

كما يتعرض للمتشابه اللفظي مثل مجاء في قوله تعالى : ﴿ فلهم أجرهم عند ربهم ﴾ () ، وقوله تعالى : ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم ﴾ () حيث ذكر أن الآية الأولى التي أثبتت فيها الفاء ، كان ماسبق لها وهو قوله تعالى ﴿ الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية ﴾ () ، أكمل وأبلغ إذ أكد بالسر والعلانية ، بينما في الآية الثانية ، حذف

٤	() الفاتحة: ٢
٥	() تقييد البسلي .
٦	() البقرة : ١٧ .
٧	() ق ٧
٨	() البقرة : ١٣٧ .
٩	() ق ٣٣
١٠	() البقرة : ٢٧٤ .
١	() البقرة : ٢٧٧ .
٢	() البقرة : ٢٧٤ .

الفاء لأنه لاجابة للتأكيد ، إذ هو موجود وثابت بحرف إن . ()
وهو يستشهد بالشعر أحيانا كما في تفسير قوله تعالى ﴿ ومنهم أُميون لا يعلمون الكتاب إلا أُماني .. ﴾ () ، قال : والأُماني إما بمعنى التلاوة أي لا يعلمون معنى الكتاب بل يحفظون ألفاظه فقط وأنشدوا عليه قولاً في عثمان :

تمنى كتاب الله أول ليله وأخره لاقى حمام المقادر

وإما معنى التمني أنهم يتمنون أن يكونوا يحفظونه ... الخ . ()
وسياقي أمثلة أخرى فيما يلي .

ومن مواضع تعرضه للبلاغيات وأفانين الكلام :

في قوله تعالى ﴿ ذلك الكتاب لا ريب فيه ﴾ () ، قال : أورد الزمخشري هنا سؤالاً قال : الإشارة بذلك للبعيد وهو هنا قريب ؟ وأجاب بأن المراد البعد المعنوي ورد ابن عرفة سؤال الزمخشري فقال : السؤال غير وارد لأنه أجاب في غير هذا الموضوع في قوله تعالى ﴿ فذلكن الذي لمتني فيه ﴾ () وفي قوله تعالى ﴿ عون بين ذلك ﴾ () بأن الإشارة بلفظ البعيد للقريب على سبيل التعظيم ، وهو معنى يذكره البيانين^٨ . وعبر عنه باسم الإشارة دون ضمير الغيبة تنبيهاً على أنه كالمحسوس المشار إليه ، فهو دليل على عظمته في النفوس . ()

ومن معاني اسم الإشارة عند علماء البلاغة ما ذكره ابن عرفة في تفسير قوله تعالى ﴿ أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم ... ﴾ () ، قال : قال أهل البيان اسم الإشارة يؤتى به للتحقير كهذه الآية ، ومثله ﴿ بل فعله كبيرهم هذا ﴾ () ، وقوله :

تقول وصكت صدرها بيمينها أبعلي هذا بالرحى المتقاعس

يصف امرأة رأت بعلها يطحن وهو في جمع من النساء فاحتقرته . ()

٨	٦	٣	() ق ٦٦
٨	٦	٤	() البقرة : ٧٨ .
٨	٦	٥	() ق ٢٢
٨	٦	٦	() البقرة : ٢
٨	٦	٧	() يوسف : ٣٢ .
٨	٦	٨	() البقرة : ٦٨ .
٨	٦	٩	() ق ٤
٨	٧	١٠	() المائدة : ٥٣ .
٨	٧	١١	() الأنبياء : ٦٣ .

ونوع آخر من أنواع المجاز يذكره ابن عرفة وهو مجاز التمثيل قال في قوله تعالى : ﴿خطوات الشيطان﴾^(١) : ليس المراد النهي عن اتباع خطواته حقيقة ، إذ لا نراه نحن بل الخطوات معنوية^٨ .

كما تعرض لأسلوب الالتفات في القرآن فقال في تفسير قوله تعالى : ﴿تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق...﴾^(٢) ، الإشارة إلى الآيات المتقدمة وعبر عن التلاوة الماضية بصيغة المستقبل للتصور والدوام وإما أن يكون ﴿نتلوها﴾ مستقبلاً حقيقة ، والإشارة إلى التقدم باعتبار لفظه فقط مثل : عندي درهم ونصفه ، أو الإشارة إلى المستقبل المقدر في الذهن تحقيقاً لوقوعه ، وتنزيلاً له ، منزلة الواقع حقيقة وهي الآية ، التفاتاً بالانتقال من الغيبة إلى التكلم^(٣) .

كما بين حسن التركيب في قوله تعالى ﴿ويعلم ما في السموات وما في الأرض والله على كل شيء قدير﴾^(٤) ، قال : انظر حسن تركيب هذه الآية . فإن الوعيد^٥ والتخويف إنما يكون لمجموع صفتي العلم والقدرة ، فالقادر إذا لم يعلم بمخالفة عبده له ، لا يعاقبه ، وكذلك إن علم ولم يقدر على العقوبة^(٦) .

كما تكلم عن اللف والنشر وبين أنه قسمان : أحدهما موافق وهذا مثل قوله تعالى ﴿فمنهم شقي وسعيد فأما الذين شقوا ففي النار﴾^(٧) ، والثاني مخالف كقوله سبحانه ﴿يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم﴾^(٨) قال : وحكمة ذلك في الجمع الاهتمام بمقام التخويف والإنذار فلذلك بدأ بأهل الشقاوة في الآيتين^(٩) .

ومن الصور البديعية في القرآن تأكيد الهمزة بما يشبه المدح وهو ما أشار إليه ابن عرفة عند تفسير قوله تعالى ﴿لا يعلمون الكتاب إلا أماني﴾^(١٠) ، قال : هو من تأكيد الهمزة بما يشبه المدح ، كقول الشاعر :
هو الكلب إلا أن فيه ملالة وسوء مراعاة وما ذلك في الكلب^(١١)

٢	() ق ٣٨	٧	٨
٣	() البقرة : ٢٠٨ .	٧	٨
٤	() البقرة : ٢٥٢ .	٧	٨
٥	() ق ٦٠	٧	٨
٦	() آل عمران : ٢٩ .	٧	٨
٧	() ق ٧٤	٧	٨
٨	() هود : ١٠٥ .	٧	٨
٩	() آل عمران : ١٠٦ .	٧	٨
١٠	() ق ١١	٨	٨
١١	() البقرة : ٧٨ .	٨	٨

وأما الإعراب فحين يقع الاختلاف بين المفسرين حول الإعراب في الآية يعرض آراءهم ، ثم يأخذ بالرأي الذي يتفق مع منهجه في إبراز معاني الآية ، وهو في سبيل الوصول إلى هذا الغرض يعرض الآراء ويحللها ويناقشها مرجحاً بعضها على بعض . مثال ذلك تفسيره لقوله تعالى ﴿يخادعون الله والذين آمنوا﴾ () ، عرض رأي الزمخشري في هذه الجملة بأنه إما تفسير لما قبلها أو استئناف .

وحلل ابن عرفة هذا الرأي بأن الفرق بينهما أنه على الأول يكونون وصفوا بأمرين: بعدم الإيمان وبالخداع، وعلى الثاني وصفوا بعدم الإيمان ، فكأن قائلاً يقول : لم حكم عليهم بعدم الإيمان ؟ فقيل : لأنهم يخادعون الله . ثم عرض رأي أبي حيان بما نصه :

﴿يخادعون﴾ مستأنفة أو بدل من ﴿يقول آمناً﴾ ولا موضع لها ، أو حال من فاعل يقول ، فموضعها نصب . ثم انتقل إلى عرض رأي أبي البقاء الذي أجاز أن تكون الجملة حالاً من الضمير في ﴿مؤمنين﴾ ، وأشار ابن عرفة إلى أنه اعترض بأنه يلزم منه نفي الإيمان المقيد بالخداع ، وهو فاسد ، لأن المقيد بقيد إذا نفي فله طريقتان ، إما نفي المقيد فقط وإثبات المقيد ، وهو الأكثر ، فيلزم إثبات الإيمان ، ونفي الخداع وهو فاسد ، وإما نفيهما معاً ، فيلزم نفي الإيمان والخداع وهو فاسد . قال: ومنع أن تكون الجملة حالاً من الضمير في آمنا ، لأن آمنا محكي بيقول ، فيلزم أن يكونوا أخبروا عن أنفسهم بأنهم يخادعون وهو باطل ، وأيضاً فلو كان من قولهم كان يخادع بالنون .

وفي الخلاصة يؤيد ابن عرفة رأي أبي البقاء المتمثل في إعراب الجملة حالاً من الضمير بمؤمنين ، ومثال ذلك أن تقول : قال زيد : إن عمراً منطلق ، وهو كاذب . فهذه الجملة الأخيرة وهو كاذب في موضع حال مع أنها ليست من قول زيد ، وبذلك لا يلزم أن يكون ﴿يخادعون الله﴾ () مقولاً لهم بأي وجه من الوجوه . ()

وبالإضافة إلى تعرضه للمواضيع النحوية فإنه يعللها أحياناً ، ومن هذا تعليله للتأكيد في قوله تعالى ﴿ومن لم يطعمه فإنه مني﴾ () ، حيث أبان أنه أكد الثاني بيان ، ولم يقل في الأول : فمن شرب منه فإنه ليس مني . وإنما جاءت الآية بقوله ﴿فمن شرب منه فليس مني﴾ () فأجاب ابن عرفة على هذا

٢	() تفسير ابن عرفة ١/٣٤٦	٨	٨
٣	() البقرة : ٩ .	٨	٨
٤	() البقرة : ٩ .	٨	٨
٥	() ق ٣	٨	٨
٦	() البقرة : ٢٤٩ .	٨	٨
٧	() البقرة : ٢٤٩ .	٨	٨

بأنه لم يقع تأكيد الأول لأن سببه أكثر في الوقوع ، وتم تأكيد الثاني لأن سببه أقل في الوقوع ، بهدف التحريض على المبادرة إلى امتثال سببه والعمل بمقتضاه . ()

ويرد ابن عرفة إعراب الزمخشري في قوله تعالى ﴿وصدها ماكانت تعبد﴾ () ، مستشهداً على رأيه بالشعر حيث أشار إلى أن واصل صدها : "ما" في الأظهر في حين أن الزمخشري جعله مضمراً أي ضالها أو الله أو سليمان ، و ما مفعول على إسقاط حرف الجر ، أي صدها عما كانت تعبد ولا يقبل ابن عرفة هذا التأويل ويرده ويضعفه لأنه ليس من مواضع حذف الجار ، وهو لا يجوز إلا للضرورة الشعرية كقولهم :

تمرون الديار ولم تعوجوا ()

وهو يهتم بالنكات التفسيرية :

ومن ذلك قوله في قوله تعالى ﴿الرحمن﴾ () :

وقدم على ﴿الرحيم﴾ إما لأن الرحمن انفرد به البارئ تعالى أو لإفادته عموم الرحمة فكان أصلاً ، والرحيم كان كالزيادة في التشريف للمؤمنين قال تعالى : ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾ () وإما لأجل رأس الآي في الفاتحة . وقيل : الرحيم أبلغ بدليل ذكره بعد الرحمن ، ولأن الرحمن يفيد نوعاً من القهر والكبرياء قال تعالى : ﴿الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوماً على الكافرين عسيراً﴾ () ولولا ذلك لما ناسب ذكر الوعيد معه ، ولأن ختم الكلام بما هو أقوى دلالة على أن الرحمة أرجى وأقرب لحسن الظن بالله تعالى . ()

وقال : فإن قلت : لم قال ﴿الذين أنعمت عليهم﴾ () بلفظ الفعل و﴿غير المغضوب عليهم﴾ بلفظ الاسم ؟ وهلا قال : صراط المنعم عليهم كما قال : غير المغضوب ؟ قلت : فالجواب أنه قصد التنبيه على التأدب مع الله تعالى بنسبة الإنعام عليه وعدم نسبة الشر إليه بل أتى به بلفظ المفعول الذي لم يتم

٨	٨	٨	() ق ٥٩
٨	٨	٩	() النمل : ٤٣ .
٨	٩	٠	() ق ٧٢
٨	٩	١	() الفاتحة : ١
٨	٩	٢	() يونس : ٢٦
٨	٩	٣	() الفرقان : ٢٦
٨	٩	٤	() تقييد البسيلي
٨	٩	٥	() الفاتحة : ٧

فاعله فلم ينسب الغضب إليه على معنى الفاعلية وإن كان هو الفاعل المختار لكل شيء لكن جرت العادة في مقام التأدب أن ينسب للفاعل الخير دون الشر .

وأجاب القاضي العماد بوجوه :

الأول : من أظاف الله أنه إذا ذكر نعمة أسندها إليه فقال : ﴿ وإنا إذا أذقنا الإنسان منا رحمة فرح بها ، وإن تصبهم سيئة ... ﴾ ()

ولذلك قال إبراهيم عليه السلام : ﴿ وإذا مرضت فهو يشفين ﴾ ()

الثاني إنما قال : ﴿ غير المغضوب عليهم ﴾ ، ليدخل غضبه وغضب الملائكة والأنبياء والمؤمنين فهو أعم فائدة .

الثالث : إنما لم يقل صراط المنعم عليهم لأن إبراز ضمير فاعل النعمة ذكر وشكر له باللسان وبالقلب فيكون دعاء مقرونا بالشكر والذكر .

الرابع فيه فائدة بيانية ، وهو أنه من التفتن في الكلام لأنه لو أجري على أسلوب واحد لم يكن فيه تلك اللذاذة وإذا اختلف أسلوبه ألقى السامع إليه سمعه وهو تنبيه وطلب إحضار ذهنه من قريب ومن بعيد .

قال : وإشارة إلى قوله تعالى : ﴿ ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك ﴾ () فالنعمة تفضل ورحمة والانتقام عدل وقصاص . ()

وقوله : وفي دعوة الله عباده المؤمنين إلى الجنة والمغفرة في قوله تعالى ﴿ والله يدعو إلى الجنة والمغفرة ﴾ () ، تساءل ابن عرفة بقوله : هلا قال : والمؤمنون يدعون إلى الجنة والمغفرة بإذنه ، كما أسند للمشركين الدعاء إلى النار .

وأجاب بأن فيه كمال تشريف لدين الإسلام ، وهذا شبيهه بقوله تعالى ﴿ إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله ﴾ () .

تاسعا : موقفه من القراءات :

ومن مواضع تعرضه للقراءات كلامه في الاستعاذة حيث قال :

٨	٩	٦	(الشورى : ٤٨)
٨	٩	٧	(الشعراء : ٨٠)
٨	٩	٨	(النساء : ٧٩)
٨	٩	١٠٤/١-١٠٥	(تفسير ابن عرفة ١٠٤/١-١٠٥)
٩	٠	٠	(البقرة : ١٢٢) .
٩	٠	١	(الفتح : ١٠) .

وحكى أبو عمرو الداني في بحار البيان في كلفيته ثلاثة أوجه : إما أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ، وإما أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، وإما أعوذ بالله من الشيطان الرجيم إنه هو السميع العليم وحكى في كتاب الإقناع : أن الأولى أن تقول : أعوذ بالله القوي من الشيطان الغوي . وقال الشاطبي :

إذا ما أردت الدهر تقرأ فاستعد جهازاً من الشيطان بالله مسجلاً
على ما أتى في النحل يسراً وإن تزد لربك تنزيهاً فلست مجهلاً
وقد ذكروا لفظ الرسول فلم يزد ولو صح هذا النقل لم يبق مجملاً ()

فظاهره أن الآية مجملة ، هو خطأ لأن المجمع عند الأصوليين هو اللفظ المحتمل معينين فصاعداً على التساوي ، وليست الآية كذلك بل هي عندهم من قبيل المطلق الذي يصدق بصورة ...

قال : وعادتهم يجهلون عنه بأنه من قبيل الإجمال اللغوي لا الاصطلاحي .
ثم قال :

وفيه مقال في الأصول فروعاً فلا تعد منها باسماً ومظلاً ()
ومراده بالأصول إما الكتب المطولة وإما أصول الفقه . ()
وفي قوله تعالى : ﴿أندرتهم...﴾ ()

قال : أنكر الزمخشري هنا قراءة ورش وجعلها لحناً وكفره الطيبي وظاهر كلام الطيبي هذا أن السبع قراءات أخبار آحاد وليس بمتواتر قال ابن عرفة : وحاصل كلام الناس فيها أنها على وجهين : فأما ما يرجع إلى آحاد الكلام كملك ومالك ويخدعون ويخادعون فهو متواتر اتفاقاً من غير خلاف منصوص إلا أن ظاهر كلام الداوودي على ما نقل عنه الأنباري أنها غير متواترة وأما ما يرجع إلى كيفية النطق بها من إعراب وإمالة وكيفية وقف ففيه ثلاثة أقوال :

الأول : نقل الأنباري شارح البرهان عن أبي المعالي أنها متواترة وأنكره عليه وهو اختيار الشيخ أبي عبد الله محمد بن سلامة من أشيائنا

الثاني : أنها متواترة عند القراء فقط نقله المازري في شرح البرهان واختاره شيخنا ابن عرفة .

- () حرز الأمانى ووجه التهاني ص ١٠
() المصدر السابق وقد عدلت لفظ البيت منها .
() تفسير ابن عرفة ١/٦٦-٦٧
() البقرة : ٦

الثالث : أمَّا غير متواترة قاله ابن العربي في العواصم والقواصم والأنباري وابن رشد في كتاب الصلاة الأول وفي كتاب الجامع الرابع من البيان والتحصيل قال ابن عرفة: وهو اختيار الشيخ أبي إسحاق إبراهيم الجزري وشيخنا القاضي أبي عبد الله محمد بن عبد السلام وصاحبنا الفقيه أبي العباس أحمد بن إدريس البجائي . ()

وهو يتعرض للقراءات من حيث التركيب اللغوي ويطنب في ذلك :

ذكر في تفسير قوله سبحانه ﴿والله يؤيد بنصره من يشاء إن﴾ () ، أمَّا قرئت بتسهيل الهمزة ، وأن أبا حيان جوز تسهيلها ، وبعضهم يذهب إلى عدم تسهيلها ، لأنه قريب من السكون فيلتقي ساكنان ، غير أن ابن عرفة يرد قولهم هذا بما ورد في قراءة الآية ﴿سواء عليهم ءأنذرتهم﴾ () ، التي وقع فيها تسهيل ، في حين التقى فيها ثلاث سواكن . ()

وقال في قوله تعالى ﴿فتلقى آدم من ربه كلمات﴾ () :

وقرأ ابن كثير ﴿آدم﴾ بالنصب و﴿كلمات﴾ بالرفع .

قال ابن عرفة : قراءة الجماعة بالرفع ظاهرة لأنه هو فاعل التلقي فكلفة التلقي والقصد إليه وإمعان النظر فيه ظاهر وأما قراءة ابن كثير فتقتضي أن آدم عليه السلام أتاه التلقي هجما من غير نظر فيمكن فهمه على أنه أته أوائل درجات النظر بالبديهة لأن المعقولات فرع المحسوسات فأول درجات النظر مدرك معلوم بالبديهة لا يفتقر إلى تقدم شيء قبله لأن لا يلزم عليه التسلسل وتنكير ﴿كلمات﴾ للتشريف والتعظيم . ()

وهو يتعرض للقراءات الشاذة ومن ذلك قوله :

قال ابن عطية : وقرأ سفيان بن عيينة ورؤبة بن العجاج "الحمد لله" بفتح الدال ... على إضمار فعل .

قال ابن عرفة : وقالوا : وقراءة الضم أدل على الثبوت ... قال الزمخشري : ومنه قوله تعالى : ﴿قالوا

سلاما قال سلام﴾ () بالرفع في الثاني ليدل على أن إبراهيم حياهم بتحية أحسن من تحيتهم لأن الرفع

دل على الثبوت . وكذا قال السكاكي في علم البيان . ()

() تفسير ابن عرفة ١/١٢٠-١٢٣

() آل عمران : ١٣ . ٧

() البقرة : ٦ . ٨

() ق ٧١ . ٩

() البقرة : ٣٧ . ١

() تفسير ابن عرفة ١/٢٦٤ . ١

() هود : ٦٩ . ٢

كما ذكر ابن عرفة رأي ابن جني في قراءة قوله تعالى: ﴿فرجل وامرأتان﴾ (١)، وهو المتمثل في أنه^٤ لانظير لتسكين الهمزة المتحركة، وإنما خففوا الهمزة فقرب من الساكن، ثم بالغوا في التخفيف، فصارت الهمزة ألفا ساكنة، ثم جعلوا الهمزة على الألف ساكنة ومثلوا له بقراءة ابن كثير ﴿وكشفت عن ساقها﴾ (٢)، لكن ابن عرفة بعد عرضه للقراءة التي نقلها ابن جني وتعليقه عليها يشير إلى أنه توجد في القرآن، ثلاث نظائر لتسكين الهمزة المتحركة إجراء للوصل مجرى الوقف أولها في قوله تعالى ﴿وجئتك من سبأ بنباً يقين﴾ (٣) ورويت هذه القراءة عن قنبل، والموضع الثاني في قوله تعالى ﴿مادلهم على موته^٥ إلا دابة الأرض تأكل منسأته﴾ (٤)، ورويت هذه القراءة عن ابن ذكوان، والموضع الثالث في قوله عز وجل ﴿ومكر السيء﴾ (٥) وهي قراءة حمزة. (٦)

كما كان لابن عرفة موقف موفق في رده قراءة ابن عطية التي خالف فيها القراءة المتواترة في قوله تعالى ﴿لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة﴾ (٧)، إذ قرأ ابن عطية المقيمون، وهي قراءة شاذة، وأشار إلى أن كلام الزمخشري في هذه الآية أصوب من كلام ابن عطية الذي أطنب في تحطئه قراءة ﴿المقيمين﴾ مع أنها نالت إجماع القراء السبعة. (٨)

تاسعا : موقفه من الفقه والأصول :

إن المتتبع لتفسير ابن عرفة يلاحظ اهتمامه بالفقه وأصوله : فهو يتوقف عند آيات الأحكام ويستخرج منها الأدلة الأصولية ، ويعنى بالتفريعات الفقهية مما يدل على سعة علم الرجل ، ودقة فهمه ، وهو يقوم بهذا العمل حتى مع الآيات التي ظاهرها لايتناول الفقه فيستنتج منها حقائق أصولية واجتهادات فقهية ، وقد أشار إلى هذا الشيخ ابن عاشور بقوله : وهو شديد الاهتمام بأن ينتزع من الآيات ما هو من سياقها

٦	١	٣	(تفسير ابن عرفة ١/٩٥)
٦	١	٤	(البقرة : ٢٨٢ .)
٦	١	٥	(النمل : ٤٤ .)
٦	١	٦	(النمل : ٢٢ .)
٦	١	٧	(سبأ : ١٤ .)
٦	١	٨	(فاطر : ٤٣)
٦	١	٩	(تفسير ابن عرفة ١/٧٨٥)
٦	٢	١٠	(النساء : ١٦٢ .)
٦	٢	١١	(ق ١١٢)

أو ليس منه بما يرجع إلى الأحكام التكليفية من مسائل الأصول ومسائل الفقه ، وإيراد ما يتعلق بذلك من الأنظار ومناقشتها . ()

وهو في تناوله لمسائل الفقه في تفسيره لا يعرض رأياً إلا وينسبه لقائله ، ولا يتعرض إلى المسائل الخلافية إلا في القليل النادر ، لأن المقام لا يستدعي الإطالة ، إذ هو يلقي دروسه على طلبته في علم التفسير وهو ليسوا في حاجة إلى الخلافات والمقارنات الفقهية ، التي يتناولونها في دروس الفقه .

في قوله تعالى ﴿ثلاثة قروء﴾ () : يذهب إلى رأي يجمع فيه بين رأي مالك والشافعي لأن الأول يفسر القرء بالطهر ، والشافعي يفسره بالحبيض فيرى ابن عرفة أن القرء مشترك بين الطهر والحبيض ، غير أن الطلبة وهم يناقشون شيخهم في هذه المسألة قالوا له : كنت قلت لنا أن هذا ليس من ذلك لأن الجمع من قرية الماء في الحوض غير مهموز ، والقرء مهموز ، وقلت لنا الصحيح أنه للقدر المشترك ، وهو براءة الرحم ، فرد ابن عرفة على الطلبة : أن ظاهر الآية يدل على أن القرء هو الحبيض ، يعني معنى التبرص هو الانتظار ، وهذا الانتظار يستلزم قروء مستقبلة ، إذ الشارع قد أمر بطلاق لم تمس فيه المرأة ، فإذا اعتبرنا القرء حيضاً صح الانتظار وإذا اعتبرناه طهراً لم يستقم إسناد الانتظار . ()

ومن أمثلة ذلك رده لاجتهاد الإمام المازري في تجويزه إعطاء الرشوة للحصول على القضاء عند تفسيره لقوله تعالى ﴿ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام﴾ () ، قيل لابن عرفة أن المازري حكى في تعليقه عن الشعبي أن الفقيه إذا علم وتأكد لديه أن ليس هناك من هو أفضل منه في بلده ، فلا بأس أن يسعى للحصول على ولاية القضاء ، ولو أدى به الأمر إلى إعطاء الأجرة والرشوة لولاية الأمر فأنكر ابن عرفة هذا الرأي ، وقال : إنه من باب أكل المال بالباطل والمشاركة فيه على الخطأ ، وأشار إلى أن ما أدرك عليه القضاة أن بعضهم كان يتسبب في الحصول على المنصب القضائي بالكلام فقط . ()

وتفسير ابن عرفة كما ذكرنا متميز بأنه تفسير أصولي ويظهر ذلك في مواضع كثيرة إذ يستفيض في هذا المجال لأدنى مناسبة ومن ذلك عندما رد تفسير ابن عطية لقوله تعالى ﴿لم تلبسون الحق بالباطل﴾ () حيث اعتمد رأي ابن جريج في أن المعنى يلبسون التوراة والإنجيل بالقرآن . فصرح ابن عرفة بأنه خطأ

٩	٢	() التفسير ورجاله ص ١١٤
٩	٢	() البقرة : ٢٢٨ .
٩	٢	() ق ٥٤
٩	٢	() البقرة : ١٨٨ .
٩	٢	() ق ٤٤
٩	٢	() آل عمران : ٧١ .

واضح لأن القرآن حق ، وأما الذي دخلت عليه الباء في الآية فهو الباطل ثم شرح الآية مستخدماً في تفسيره طريقة أصول الفقه حيث إن عادة الأصوليين إيراد السؤال وهو أن القاعدة في اشتمال الكلام على أمرين : أعم وأخص ، وأن يبدأ في الإثبات بالأعم ثم بالأخص . وفي النفي يبدأ بالأخص ثم بالأعم لأن ثبوت الأخص يستلزم ثبوت الأعم ، ونفي الأعم يستلزم نفي الأخص والذم على فعل الشيء ، يتنزل منزلة نفية، والكفر بآيات الله أعم من إلباس الحق بالباطل على مفسروه ، لأن الكافر يلبس فيخلط التوراة بغيرها . وقد لا يفعل ذلك . والإلباس للحق بالباطل أخص لأنه كفر بلاشك . ()

وفي قوله تعالى : ﴿وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتباً فرهان مقبوضة﴾ ()
قال ابن عرفة : مفهوم الآية ملغي بنص السنة لأن النبي ﷺ رهن درعه في الحضر وأيضاً فهو مفهوم خرج مخرج الغالب لأن السفر مظنة لعدم وجدان الكاتب أو هو شيء من الأدلة غالباً بخلاف الحضر . قال ابن عطية : أجمع الناس على صحة قبض المرتهن وعلى قبض وكيله . واختلفوا في قبض عدل فجعله الإمام مالك قبضاً .

قال ابن عرفة إذا لم يكن من جهة الراهن .
وقال الحكم ابن عيينة وقتادة : ليس بقبض .
قال ابن عرفة : إذا قبض المرتهن الرهن ولم يزل حائزاً له كان أحق به بلا خلاف . وإن كان قبضه بالشهادة ثم أذن المرتهن للراهن في التصرف فيه فتصرف فيه الراهن بطل الحوز بلا خلاف وإن أذن المرتهن الراهن في التصرف فيه فلم يتصرف فيه ولم يزل بيد... الخ . ()

و قال ابن عرفة في قوله تعالى ﴿والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾ () الآية تدل على أن جميع الأحكام الشرعية تعلل ، وذلك أنهم اختلفوا في التعبدات ، فذهب جماعة منهم الشيخ همام عز الدين ابن عبد السلام إلى أنها الأحكام التي لاعلة لها ، والآية تقتضي أن الأحكام كلها لا تكون إلا لمصلحة لأنها خرجت مخرج التبيين على كمال المبادرة إلى امتثال الأحكام الشرعية فدل على أن المراد والله أعلم ، ما في ذلك من المصلحة ، وأنتم لا تعلمون هذا فعليكم أن تأخذوها بالقبول . ()

٩	٢	٨	() ق ٨٠
٩	٢	٩	() البقرة : ٢٨٣
٩	٣	٧٩٧/١	() تفسير ابن عرفة
٩	٣	١	() آل عمران : ٦٦ .
٩	٣	٢	() ق ٥١

ويرد على ابن عطية الذي اعتبر تخصيص القرآن لفعل الرسول ﷺ نسخًا . وتفصيل ذلك ما ذكره من أن النبي ﷺ أتى بصدقة فجاءه يهودي يطلب العطاء فرد عليه الرسول ﷺ : “ليس لك من صدقة المسلمين شيء” . فذهب اليهودي غير بعيد ، فنزلت الآية ، فدعاه رسول الله ﷺ ثم أعطاه ، قال ابن عطية : نسخ الله ذلك بقوله: ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين﴾ () ، قال ابن عرفة : هذا ليس بنسخ ، لكن المتقدمين يطلقون عليه نسخًا والمتأخرين يقولون العام إذا عمل به ، ثم ورد بعد ذلك خاص ، فهو نسخ له ، وإن ورد الخاص بعده ، وقبل العمل به ، فهو تخصيص لانسخ . ()^٤

وتعرض ابن عرفة إلى مسألة نسخ القرآن بخبر الواحد وهي مسألة خلافية ، حيث إن الجمهور على جواز هذا النوع من النسخ عقلا ، وأما وقوعه شرعًا ففيه خلاف بين العلماء . ذكر أبو المعالي أنه وقع في مسجد قباء ، وذلك عندما كان جمع من الصحابة يصلون صلاة العصر إلى القدس فمر بهم صحابي وأعلمهم بأن القبلة حوت إلى المسجد الحرام فتحولوا . ()^٥

وتعرض ابن عرفة إلى نسخ الحكم الأثقل بالأخف ، فأشار إلى ما أورده ابن عطية من إمكانية هذا النسخ ومثاله نسخ قتال الواحد للعشرة ، ونسخ الثبوت للعشرة بالثبوت لشخصين فقط .

ويبين ابن عرفة أن العبرة ، في الثقل والخفة بالمصلحة فقد يكون متعلق هذه المصلحة أرجح من متعلق المصلحة الأخرى أو مساويًا لها ولا شك أن وقوف الواحد للعشرة ثوابه يكون أعظم من ثواب ما هو أخف منه ، وأقل ثوابًا لكونه أكثر الوقوع ، فيتعدد ثوابه ويكثر بتعدد وقوعه . ()^٦

كما عرض إلى موضوع نسخ القرآن بالقياس ، فمنع وقوعه كما منع النسخ بالإجماع وأشار إلى هذا بقوله ولا يصح نسخ النص بالقياس ، لأن النص المقيس عليه إما أن يكون موافقًا لذلك النص المنسوخ أو مخالفًا ، فإن كان موافقًا ، فلا نسخ ، وإن كان مخالفًا فهو الناسخ لا القياس ، ثم قال : ولا ينسخ النص

بالإجماع لأنه إنما يكون في حياة النبي ﷺ ، والإجماع إنما هو بعد وفاته . ()^٧
ومن مواضع إطنابه في بعض المسائل قوله :

ولقد اختلف الأصوليون في واضع اللغة على تسعة مذاهب ... فذكرها ()^٨

٩	٣	٣	() التوبة : ٦٠ .
٩	٣	٤	() ق ٦٤
٩	٣	٥	() ق ٢٨
٩	٣	٦	() ق ٢٨
٩	٣	٧	() ق ٢٨
٩	٣	٨	() تفسير ابن عرفة ١/ ٢٤٠

عاشرا : موقفه من العلوم الحديثة والرياضة والفلسفة والمعجزات الكونية :
لقد أعجب ابن عرفة بعلم المنطق وألف فيه (المختصر في المنطق) وطبقة في دروسه الفقهية ، واعتمده
كذلك في تفسيره فكان يورد تعاريف المناطق ومصطلحاتهم أحيانا يستعين بها لبيان المعاني القرآنية ،
ومن ذلك :

في تفسيره لقوله عز وجل ﴿ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم﴾ () ، حيث تطرق إلى بيان^٩
التعبير بالنفي بحرف ليس . فقال : والنفي بليس لما يتوهم وقوعه ، والإثم كان متوهما وقوعه في سفر الحج
للتجارة ، بخلاف النفي بلا حسبا ذكره المنطقيون في السالبة والمعدولة ، مثل الحائط لا يبصر وزيد ليس
يبصر أو غير بصير . ()

ويفصل القول في إحدى قضايا المنطق ، وهي قضية القياس الشرطي ، فيبين علاقة اللزوم والمتابعة فيها ،
وذلك عند تفسيره لقوله تعالى ﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا...﴾ إلى قوله تعالى : ﴿فإن حزب
الله هم الغالبون﴾ () . ()

كما تعرض ابن عرفة لبعض القضايا العلمية الطبيعية فاستدل ابن عرفة على كروية الأرض بقوله تعالى
﴿ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله﴾ () ، ويقوله تعالى : ﴿فلا أقسم برب المشارق
والمغرب﴾ () ، حيث بين أن تعدد المشرق والمغرب ، دليل على أن الأرض كروية لأن كل مغرب^٩
وضع لقوم وكل مشرق وضع لآخرين . ()

ورد على من ينكر كروية الأرض واعتبارها بسيطة ، وهو ما استفاد من قوله تعالى ﴿وهو الذي مد
الأرض﴾ () ، فأوضح أن مد الأرض هو بسطها وأنها نظرا لاتساعها وكبرها تبدو بسيطة في حين أنها
كروية ، وأتى برأي إقليدس . ()

٩	٣	٩	() البقرة : ١٩٨ .
٩	٤	٠	() ق ٤٧
٩	٤	١	() المائدة : ٥٥-٥٦ .
٩	٤	٢	() ق ١١٩
٩	٤	٣	() البقرة : ١١٥ .
٩	٤	٤	() المعارج : ٤٠ .
٩	٤	٥	() ق ٢٩
٩	٤	٦	() الرعد : ٣ .
٩	٤	٧	() ق ١٧٤

كما يؤكد على كروية الأرض في قوله تعالى ﴿ولله ما في السموات وما في الأرض﴾^(٨) . ويذهب إلى أن السماء كروية أيضًا^(٩) وهو مذهب المتأخرين وأحتج بقوله تعالى ﴿رفع السموات بغير عمد﴾^(١٠) إذ قال : مذهب الجمهور أنها مرفوعة بغير عمد والضمير عائد على السموات والصحيح عندهم أنها كروية. وفي قوله ﴿الصراط المستقيم﴾^(١١) قال : وصفه على هذا بالمستقيم لأن طريق الخير قسمان قريبة وبعيدة. فالمستقيم نص إقليدس على أنه أقرب خطين بين نقطتين فالخط المستقيم أقرب من المعوج فلذلك وصفه على هذا بالمستقيم.^(١٢)

وحول مغرب الشمس أشار إلى أن الشمس أكبر من الأرض وأن غروبها لا يقع في الحقيقة في العين الحمئة الواردة في قوله تعالى ﴿حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة﴾^(١٣) ، لأن الجرم الكبير لا يغرب في الصغير فالمراد أن ذلك هو المحل الذي رآها منه حتى غربت ولا تغرب كل يوم فيه فإن لها مغارب ومشارق ، مع أنها تغرب على قوم وتطلع على آخرين .

أما المواعظ والآداب فلم يكن لها في تفسير ابن عرفة حظ كبير بل تتضمنها بعض النقول التفسيرية التي نقلها المفسر وبعض تعليقاته .

٩	٤	٨	() البقرة: ٢٨٣ .
٩	٤	٩	() ق ٦٨
٩	٥	٠	() الرعد: ٢ .
٩	٥	١	() الفاتحة: ٦
٩	٥	٢	() تفسير ابن عرفة ١٠٢/١
٩	٥	٣	() الكهف: ٨٦ .

تفسير الثعالبي من خلال كتابه الجواهر الحسان



مؤلف هذا التفسير هو عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجزائري ت ٨٧٥هـ وهو من أهل المنطقة ولد بوادي يسر بالجزائر وتوفي بعاصمتها () .

التعريف بالتفسير :

وتفسيره المسمى "الجواهر الحسان في تفسير القرآن" طبع أكثر من مرة فهو مطبوع في الجزائر سنة ١٣٢٧ طبعة قديمة في المطبعة الثعالبية دون عناية أو تحقيق ، وله معجم مختصر في شرح غريب بعض ألفاظ القرآن طبع بأخر التفسير .

وله طبعة أخرى قديمة بعناية محمد بن المصطفى ابن الخوجة بالجزائر سنة ١٩٠٥م وله طبعتان حديثتان الأولى بتحقيق عمار الطالبي - المؤسسة الوطنية للكتاب والثانية بتحقيق محمد الفاضلي - المكتبة العصرية - بيروت سنة ١٤١٧هـ ونظرا لكون هذا التفسير أو تفسير مطبوع أعرض له في الدراسة فسوف أختصر فيه المقال عن سابقه لسهولة الوصول إليه ، وأستعيز عن نقل النصوص الطويلة منه بالإشارة لأرقام الصفحات ، وهكذا سيكون المنهج مع غيره ممن هو مثله إن شاء الله تعالى .

وقد كتبت دراسة علمية بعنوان " عبد الرحمن الثعالبي ومنهجه في التفسير " كتبها عبدالحق عبد الدائم سيف القاضي وهي رسالة ماجستير مرقونة على الآلة الكاتبة بإشراف د. عبد الفتاح سلامة بالجامعة الإسلامية سنة ١٤٠٥هـ .

ونقل هنا خلاصة ماتوصل له الباحث حول هذا التفسير ، قال :

جاء تفسير الثعالبي سديدا في منهجه وعدوبة مورده بعيدا عن الحشو والتطويل وفضول الكلام .
ويعد مرجعا مهما في بابه لأنه يعتبر عصارة تفسير ابن عطية الذي يعتبره ابن خلدون عصارة التفاسير المتقدمة عليه .

فقام إلى تفسير ابن عطية ونحى منه وفرة وفيرة من الأقوال المتشعبة والاختلافات الكثيرة والروايات المتعددة واختار منها ما هو أقرب إلى الروح القرآنية السليمة... وهو بهذا يطمع أن ينتفع بذلك جمهرة كبيرة من العامة والخاصة كما نوه بذلك في مقدمة تفسيره وكان حريصاً أثناء اختصاره لتفسير ابن عطية على تنقية الآراء وعلى إبقاء الطابع العام كما هو دون تغيير أو تبديل حتى تبقى شخصية ابن عطية ماثلة واضحة جلية إلا أنه أحياناً كانت تجذبه العاطفة الدينية كلما ساحت له الفرصة فيطلق لقلمه العنان في سرد الأحاديث والأقوال المتعلقة بالترغيب والترهيب والتذكير بأمور الآخرة والتزهيد في الدنيا والتقليل من شأنها... الخ () .

وقد خلص الباحث إلى ملاحظات من خلال مقارنة الثعالبي بابن عطية تتلخص فيما يلي :

- تفوق الثعالبي على ابن عطية في مجال الحديث .
- تعقب الثعالبي ابن عطية في مسائل قال بها ثم عدل عنها .
- استدراك الثعالبي على ابن عطية فيما يتعلق بمنزلة الأنبياء وعصمتهم .
- ترجيح الثعالبي لغير آراء ابن عطية في فهم بعض الآيات القرآنية .
- مناقشة الثعالبي لابن عطية في بعض القضايا المختلفة .
- مخالفة الثعالبي لابن عطية في بعض الألفاظ اللغوية والنحوية .

المنهج العام للتفسير : ()

وتفسير الجواهر الحسان يعتبر في الجملة تفسيراً أثرياً ذا نزعة صوفية وعظمية يهتم بالقضايا الاجتماعية . كما يهتم بالمقارنة بين مختلف التفاسير ، وترجيح بعضها على الآخر ، وذلك في مواضع كثيرة من تفسيره كقوله مثلاً : " وأرجح الأقوال عندي قول هذه الطائفة وفي الحديث الصحيح ... " وذلك باعتماده على حديث صحيح ، وكقوله : " وهي مع ذلك عند التأمل يلوح منها تأويل قتادة المتقدم فتأمله " ، وكقوله : " وهذا التأويل عندي أبين إذا لخص وإن كان قد استبعده ابن عطية " ، ويرجح أحياناً تفسير الطبري فيقول : " وما قال الطبري عندي أبين " ويقول : " وهذا هو الراجح الذي تدل عليه الأحاديث وظواهر الآيات " ، وأظهرها عندي قول أبي جعفر " .

() المقدمة (ز،ح)

() انظر الرسالة السابق ذكرها " الثعالبي ومنهجه في التفسير " ، وقد تكلم أيضاً عن منهج الثعالبي الدكتور عمار الطالبي في مقدمة تحقيق التفسير (١/ط - ت) ، وكذا محمد الفاضلي ١/٧-٨ ، وتكلم عنه أيضاً الفاضل ابن عاشور في التفسير ورجاله ص ٧-٨

ويرجح أحياناً عند مقارنته تفسير أهل بلده مثل ترجيحه تفسير عبد الحق الخراطي أو البجائي فيقول : " وهذا هو الصواب إن شاء الله تعالى وهو تأويل صاحب العاقبة" ويميل أحيانا أخرى إلى تأويل الحديث ليخلص إلى رأى اجتهادي له كراهيه في عدم القيام للقدام لتحيته يقول : "وفي الاحتجاج بقضية سعد نظر لأنها احتفت بها قرائن سوغت ذلك ، والسلامة عندي ... " ، ويرجح أحيانا كثيرة تفسير البخاري كقوله مثلا : " والأول أبين وهو تفسير البخاري " .

ولم يخل منهجه من عنصر النقد ، فكما نقد كثيرا من الآثار والروايات سندنا ومنتنا نقد أيضا في مواضع متعددة جماعة من المفسرين وعلى رأسهم ابن عطية الذي اختاره المصنف ليكون أساس تفسيره فيصرح أحيانا ببعد تفسير أو لفظة عن السياق فيقول مثلا : " وهذا تأويل بعيد من لفظ الآية كما ترى " .

ويكشف أحيانا عما يسميه قلقا في التوجيه أو في التعبير ويبين أحيانا أخرى أن ابن عطية خصص بدل أن يعمم بدون دليل مثل قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً﴾ () " والصواب عندي أن يقال : أما ثقله باعتبار سائر الامة فهو ما ذكر من ثقل المعاني " .

كما ينبه في مواضع أخرى على تناقض ابن عطية فيقول مثلا : وماضعفه رحمه الله صححه في سورة البقرة ويقول : " وفي نظره رحمه الله نظر ينعني من البحث معه ماأنا له قاصد من الإيجاز والاختصار دون البسط والانتشار " .

ونجده أحيانا أخرى ينبه إلى أخطاء وقع فيها ابن عطية فيقول : " وماذكره رحمه الله تعالى من البطلان لا يصح " ويشير في مواضع أخرى إلى أنه ترك عبارات من تفسير ابن عطية كلمات الواجب طرحها ولهذا أعرض عنها . أو أنه لم يتبع الأحسن في تفسير لفظة أو آية يقول : " فسر رحمه الله تعالى لفظ ﴿خاوية﴾ () في سورة الحج والنمل بخالية والأحسن أن تفسر هنا وفي الحج بساقطة وأما التي في النمل فينتجه أن تفسر بخالية وبساقطة " . كما خطأ ابن عطية في ادعائه الإجماع على معنى آية فقال: " وليس هذا الإجماع بصحيح " . ويصلح له بعض العبارات مثال ذلك قوله : " وصوابه أن يقول : عن بعض المقدورات لا عن كلها وهذا هو مراده ألا تراه قال في قوله تعالى: ﴿ولا يحيطون بشيء من علمه﴾ () قال : يعني بشيء من معلوماته لأن علمه تعالى لا يتجزأ فافهم راشدا . " ولكن الإنصاف جعل الثعالبي يدافع عن ابن عطية إذا انتقده من لم يكن محقا في نقده كالصفاقي ، وأكثر من ذلك فإنه انتصر له في عدم موافقته الطبري في بعض ماذهب إليه .

() المزمّل : ٥ ٧
() الحج : ٤٥ ، النمل : ٥٢ ٨
() البقرة : ٢٥٥ ٩

والتزم في طريقته تجنب التكرار والإعادة فيقول مثلاً : "فأغنانا عن إعادته وهذه هي عادتنا في هذا المختصر." ()

وبدأ الثعالبي بمقدمة لتفسيره جاء فيها :

وما انفردت بنقله عن الطبري فمن اختصار الشيخ أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أحمد اللخمي النحوي لتفسير الطبري نقلت لأنه اعتنى بتهديه ...، وكل ما في آخره انتهى ، فليس هو من كلام ابن عطية ، بل ذلك مما انفردت بنقله عن غيره ومن أشكل عليه لفظ في هذا المختصر فليراجع الأمهات المنقول منها ، فليصلحه منها ولا يصلحه برأيه وبديهة عقله فيقع في الزلل من حيث لا يشعر ، وجعلت علامة "التاء" لنفسه بدلا من "قلت" ومن شاء كتبها "قلت" ، وأما "العين" فلا بن عطية وما نقلته من الإعراب عن غير ابن عطية فمن الصفاقسي مختصر أبي حيان غالبا وجعلت "الصاد" علامة عليه ، وربما نقلت عن غيره معزوا لمن عنه نقلت وكل ما نقلته عن أبي حيان فإنما نقلني له بواسطة الصفاقسي غالبا . قال الصفاقسي : وجعلت علامة مازدته على أبي حيان وما يتفق لي إن أمكن فعلامته : قلت ، وبالجملة فحيث أطلق فالكلام لأبي حيان .

قال : وما نقلته من الأحاديث الصحاح والحسان عن غير البخاري ومسلم وأبي داود والترمذي في باب الأذكار والدعوات فأكثره من النووي وسلاح المؤمن ، وفي الترغيب والترهيب وأحوال الآخرة فمعظمه من التذكرة للقرطبي والعاقبة لعبد الحق وربما زدت زيادات كثيرة من مصابيح البغوي وغيره كما ستقف عليه إن شاء الله تعالى كل ذلك معزو لمحاله وبالجملة فكتابي هذا محشو بنفائس الحكم وجواهر السنن الصحيحة والحسان المأثورة عن سيدنا محمد ﷺ .

وبعد المقدمة جعل بابا في فضل القرآن ، ثم بابا في فضل تفسير القرآن وإعرابه ، ثم فصلا في الجراءة على التفسير ومراتب المفسرين ، ثم فصلا في المعرب من القرآن ، ثم بابا في أسماء القرآن ومعنى السورة والآية ، ثم شرع في تفسير البسمة ، ثم قال : تفسير الفاتحة بحول الله وقوته .

المنهج التفصيلي للمؤلف :

أولا : يهتم المصنف بذكر المكّي والمدني وأسماء السورة ومن ذلك قوله في فاتحة الكتاب () :

قال ابن عباس وغيره : إنها مكية ويؤيد هذا أن في سورة الحجر ﴿ ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم ﴾ () والحجر مكية بإجماع وفي حديث أبي بن كعب أنها "السبع المثاني" () . ولا خلاف أن

() انظر لما تقدم : مقدمة الجواهر الحسان للطالبي (١/ل - سن)

٩

٦

١

() الجواهر ٣٥/١

٩

فرض الصلاة كان بمكة وما حفظ أنه كانت قط في الإسلام صلاة بغير الحمد لله رب العالمين وروي عن عطاء بن يسار وغيره أنها مدنية . وأما أسماؤها فلا خلاف أنه يقال لها : فاتحة الكتاب . واختلف هل يقال لها : أم الكتاب ؟ ففكره ذلك الحسن بن أبي الحسن وأجازاه ابن عباس وغيره .

وقوله في سورة البقرة () :

هذه السورة مدنية نزلت في مدد شتى وفيها آخر آية نزلت على رسول الله ﷺ وهي ﴿واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ماكسبت وهم لا يظلمون﴾ ()

وهو يتعرض لعد الآي ومن ذلك قوله : وعدد آي سورة البقرة مائتان وخمس وثمانون آية ، وقيل : وست وثمانون ، وقيل : وسبع وثمانون . ()

ثانيا : موقفه من العقيدة :

وأما من الناحية الكلامية فمنهجه منهج الأشعري يأول آيات العقائد تأويل الأشعرية ويوجهها توجيههم ، ولنأخذ مثالا على ذلك قال في قوله تعالى : ﴿ثم استوى على العرش﴾ () والمعتقد في هذا أنه سبحانه مستو على العرش على الوجه الذي قاله ، وبالمعنى الذي أراده ، استواء منزها عن المماساة والاستقرار والتمكن والحلول والانتقال ، لا يحمله العرش بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته ومقهورون في قبضته كان الله ولا شيء معه ، كان سبحانه قبل أن يخلق المكان والزمان وهو الآن على ما عليه كان . ()

وقوله : ﴿العلي﴾ () : يراد به علو القدر والمنزلة لا علو المكان لأن الله سبحانه وتعالى منزه عن التحيز ()

() الحجر : ٨٧	٢	٦	٩
() أخرجه مالك في الموطأ ٨٠٢/١ والحاكم في المستدرک - کتاب فضائل القرآن ٥٥٧/١ وقال : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وسكت الذهبي .			
() الجواهر ٤٨/١	٤	٦	٩
() البقرة : ٢٨١ .	٥	٦	٩
() الجواهر ٤٤/١ .	٦	٦	٩
() الرعد : ٢	٧	٦	٩
() الجواهر ٢٦٣/٢	٨	٦	٩
() البقرة : ٢٥٥	٩	٦	٩

وله ردود على المعتزلة وغيرهم وقد هاجم الزمخشري الذي ذهب إلى أن "لن" لتأييد النفي لينفي رؤية الله سبحانه في قوله ﴿لن تراني﴾ (١) وهنا نرى أن الثعالبي ينقد تفسير الزمخشري (٢) كما أنه لا يجذب مطالعته متأثراً في ذلك ببعض شيوخه الأشاعرة الذين يرغبون عنه لاعتزاله (٣).

وفي قوله ﴿ليس عليك هداهم﴾ (٤) قال: ثم أخبر سبحانه أنه يهدي من يشاء، وفي الآية رد على القدرية، وطوائف المعتزلة، ثم بين تعالى أن النفقة المقبولة ما كان ابتغاء وجه الله، وفي الآية تأويل وهو أنها شهادة من الله تعالى للصحابة أنهم إنما ينفقون ابتغاء وجه الله سبحانه فهو خير عنهم لهم فيه تفضيل.

وقال في قوله تعالى ﴿واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت﴾ (٥) ويوماً نصب على المفعول، لاعلى الظرف، وجمهور العلماء على أن هذا اليوم المخذر منه: هو يوم القيامة والحساب والتوفية، وقال قوم: هو يوم الموت، والأول أصح، وهو يوم تنفطر لذكره القلوب، وفي هذه الآية نص على أن الثواب والعقاب متعلق بكسب الإنسان، وهذا رد على الجبرية. الجانب الصوفي في منهجه:

وإذا كان منهج الثعالبي منهجاً تحقيقياً في أساسه وطابعه العام فإنه لم يخل من جانب صوفي واضح إذ كان هو نفسه صوفياً سنياً لا يذهب مذهب الحلول والغوص في مذهب وحدة الوجود (٦)، وهو ينقل في تفسيره نصوصاً عن القشيري والمحاسبي من رعايته ومن مختصرها للعز بن عبد السلام ومن كتاب سنن الصالحين لأبي الوليد الباجي ومن التنوير لابن عطاء الله السكندري وعن صاحب التشوف المغربي وعن أبي القاسم عبد الرحمن بن يوسف اللجائي الصوفي وعن أبي مدين البجائي التلسماني وعن أبي الحسن الشاذلي وغيرهم (٧).

٩	٧	() الجواهر ١/٢٤٤.
٩	٧	() الأعراف: ١٤٣ وانظر الجواهر ٥٢/٢
٩	٧	() انظر أيضاً الجواهر ٤/٢٢٦
٩	٧	() انظر: معجم الجواهر ص ١٧٧
٩	٧	() البقرة: ٢٧٢
٩	٧	() البقرة: ٢٨١.
٩	٧	() انظر ما يأتي في المبحث الثاني من هذا الفصل في تفاسير الصوفية المدروسة هناك.
٩	٧	() انظر مقدمة الطالبي (١/٤٤)

ومفهوم الولي عنده مفهوم قرآني قال في تفسير قوله تعالى : ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ (٦) : وأولياء الله هم المؤمنون الذين والوه بالطاعة والعبادة وهذه الآية يعطي ظاهراً أن من آمن واتقى الله فهو داخل في أولياء الله وهذا هو الذي تقتضي الشريعة في الولي . (٧)

وقد انتقد ظاهرة التصنع والرياء لدى بعض المتصوفة المرائين المتصنعين فقال عند تفسير قوله تعالى ﴿فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك في ضلال مبين﴾ (٨) :

وهذا كله تغليظ على المرائين والمتصنعين ولا خلاف أعلمه بين أرباب القلوب وأئمة التصوف أن المتصنع عندهم بهذه الأمور ممقوت وأما من غلبه الحال لضعفه وقوي الوارد عليه حتى أذهب عن حسه فهو إن شاء الله من السادة الأخيار يطول تعدادهم كابن وهب ، وأحمد بن معتب المالكيين ذكرهما عياض في مداركه وأخما ماتا من ذلك ، وكذلك مالك بن دينار مات من ذلك ذكره عبد الحق في العاقبة ومن كلام عز الدين بن عبد السلام رحمه الله في قواعد الصغرى قال : وقد يصيح بعضهم لغلبة الحال عليه ، وإجائها إياه إلى الصباح ، وهو في هذا معذور ، ومن صاح لغير ذلك فمتصنع ليس من القوم في شيء ، وكذلك من أظهر شيئاً من الأحوال رياء أو تسميماً فإنه ملحق بالفجار دون الأبرار . (٩)

ونعلق على ما ذكره هنا بأن أولى الناس بالخشوع النبي ﷺ ثم صحابته الكرام وعلماء الأمة الصدور من التابعين ومن بعدهم كالأئمة الأربعة ومن في منزلتهم ولم يصدر ذلك عن أحد منهم مما يدل على كون ذلك مدخلاً من مداخل الشيطان وتلبيساً من تلبيساته كما أفاض في ذكر جمل من ذلك ابن الجوزي في كتابه تلبيس إبليس وأفردته الشيخ أبو عبد الرحمن بن عقيل في رسالة مستقلة .

ومن صوفياته قوله تحت قوله تعالى ﴿الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض﴾ (١٠) وأخذ أبو سليمان الداراني قدح الماء ليتوضأ لصلاة الليل وعنده ضيف فرآه لما أدخل إصبه في أذن القدح أقام كذلك مفكراً حتى طلع الفجر ، فقال له : ما هذا يا أبا سليمان ؟ فقال : إني لما طرحت إصبعي في أذن القدح تذكرت قول الله سبحانه ﴿إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم﴾ (١١) فتفكرت في حالي ، وكيف أتلقى الغل إن طرح في عنقي يوم القيامة ، فما زلت في ذلك حتى أصبحت .

٦	٧	٨	(٦) يونس : ٦٢ .
٩	٧	٩	(٧) الجواهر ١٨٣/٢
٩	٨	١٠	(٨) الزمر : ٢٢
٩	٨	١١	(٩) الجواهر ٥٥/٤
٩	٨		(١٠) آل عمران : ١٩١ ، الجواهر ٤٠٤/١ - ٤٠٥ .
٩	٨	٣	(١١) غافر : ٧١

ونقل عن ابن عطية قوله : وحدثني أبي رضي الله عنه عن بعض علماء المشرق قال: كنت بائناً في مسجد الأقدام بمصر فصليت العتمة فرأيت رجلاً قد اضطجع في كساء له حتى أصبح ، وصلينا نحن تلك الليلة وسهرنا ، فلما أقيمت صلاة الصبح قام ذلك الرجل ، فاستقبل القبلة فصلى مع الناس فاستعظمت جرأته في الصلاة بغير وضوء ، فلما فرغت الصلاة خرج فتبعته لأعظه فلما دنوت منه سمعته وهو ينشد:

منسحق الجسم غائب حاضر منتهب القلب صامت ذاك
منقبض في الغيوب منبسط كذاك من كان عارفاً ذاكرا
بييت في ليله أخوا فكر فهو مدى الليل نائم ساهر

٨

٤

قال : فعلمت أنه ممن يعبد بالفكرة ، فانصرفت عنه . ()

وهذا أيضاً الذي ذكره لا محل له من أهل الصدر الأول وهم أخشى الناس وأتقاهم، وقد حرم المسكين من قيام الليل ومناجاة الخالق سبحانه وتعالى والاقتراب منه في السجود ، والتفكر في آيات الله وهو بين يدي الله ، ليس وهو نائم أو سارح ! غفر الله لنا تقصيرنا .

ثالثاً : موقفه من تفسير القرآن بالقرآن :

من الأمثلة على انتهاجه منهج تفسير القرآن بالقرآن في بعض المواضع ما ذكره في قوله تعالى ﴿ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها﴾ () قال : ()

أي نؤت من شئنا منها ما قدر له يبين ذلك قوله تعالى ﴿من كان يريد العاجلة...﴾ ()

ومن تفسير القرآن بالقرآن قوله ﴿المغضوب عليهم﴾ () اليهود و﴿الضالون﴾ النصارى ... وذلك بين من كتاب الله لأن ذكر غضب الله على اليهود متكرر فيه كقوله ﴿وباءوا بغضب من الله﴾ () ﴿قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله﴾ () والنصارى كان محققوهم على شرعة قبل ورود شرع محمد ﷺ فلما ورد ضلوا ، وأما غير متحقيقهم فضلالتهم متفرقة منذ تفرقت أقوالهم في عيسى عليه

() انظر المحرر الوجيز ١/٥٥٥ وقد عدلت بعض الألفاظ منه . ٨

() آل عمران : ١٤٥ . ٥

() الجواهر ١/٣١٧ . ٦

() الإسراء : ١٨ . ٧

() الفاتحة : ٧ . ٨

() آل عمران : ١١٢ . ٩

() المائة : ٦٠ . ٩

السلام وقد قال الله تعالى فيهم ﴿ ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل ﴾ () ()

رابعاً : موقفه من تفسير القرآن بالسنة :

ذكرنا فيما سبق منهجه في ذلك في كلامه الذي ختمه بقوله :

وبالجملة فكتابي هذا محشو بنفائس الحكم وجواهر السنن الصحيحة والحسان المأثورة عن سيدنا محمد ﷺ . ()

وهو يقول أيضا : " وليس لأحد مع الحديث إذا صح نظر " . ()

ويمكن القول بأن منهج الثعالبي في تفسيره يقوم على تحقيق النصوص ونقدها حيث يقول : " وقد تحرينا في هذا المختصر التحقيق فيما علقناه جهد الاستطاعة " .

كما اعتنى فيه اعتناء عظيماً بالسنة النبوية باعتبارها بيانا للقرآن وأساساً هاماً لمنهج التفسير بالمأثور الذي اختاره لنفسه فالتزم تخريج الأحاديث التي يوردها أو يوردها غيره من المفسرين فينقد سندها أحيانا ومنتها أحيانا أخرى مثال نقده للمتن نقده للحديث الذي ذكره تحت قوله تعالى ﴿ ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين ﴾ () وأخرجه الترمذي عن ابن عباس ؓ في شأن المرأة التي كانت تصلي خلف رسول الله ﷺ قال الثعالبي فيه : " والحديث المتقدم إن صح فلا بد من تأويل فإن الصحابة ينزهون عن فعل ما ذكر فيؤول بأن ذلك صدر من بعض المنافقين أو بعض الأعراب الذين قرب عهدهم بالإسلام ولم يرسخ الإيمان في قلوبهم، وأما ابن عباس فإنه كان يومئذ صغيراً بلا شك ، هذا إذا كانت الآية مدنيه، فإن كانت مكية فهو يومئذ في سن الطفولية وبالجملة فالظاهر ضعف هذا الحديث من وجوه " () .

() المائة: ٧٧ ١

() الجواهر ٤٠/١ ٢

() الجواهر ٤/١ . ٣

() الجواهر ١٧/٤ وانظر أيضاً ٣٨٣/٤ ٤

() الحجر: ٢٤ ٥

() الجواهر ٢/٢٩٣ وهذا الحديث أخرجه أحمد في مسنده رقم ٢٧٨٤ وصححه محققه أحمد شاکر وأخرجه أيضا الترمذي - كتاب التفسير - باب ومن سورة الحجر ٢٩٦/٥ والحاكم ٣٥٣/٢ وابن حبان (موارد الظمان ١٧٤٩) وصححه ابن حبان والحاكم وصححه أيضا الألباني (صحيح ابن ماجه ٨٥٨) وعلقه الترمذي مرسلا وقال : وهذا أشبه أن يكون أصح ووصفه ابن كثير بأنه غريب جدا وقال : فيه نكارة شديدة وقال : فالظاهر أنه من كلام أبي الجوزاء ليس فيه لابن عباس ذكر (التفسير ٤/٤٥٠) وروى ابن جرير ٢٦/١٤ عن محمد بن كعب القرظي إنكار انما في

وكذلك نقده لما أورده النقاش ، قال الثعالبي : "وأما ما ذكره من الحبل [يعني حبل المرأة من الجن] فلا شك في ضعفه ، وفساد قول قائله ، ولم أر في ذلك حديثًا لا صحيحًا ولا سقيمًا ولو أمكن أن يكون الحبل من الجن - كما زعم ناقله - لكان ذلك شبهة يدرأ بها الحد عن ظهر بها حبل من النساء اللواتي لا أزواج لهن ، لاحتمال أن يكون حبلها من الجن كما زعم هذا القائل ، وهو باطل" . ()
 وكتعليقه على حديث آخر في تفسير قوله تعالى : ﴿ كززع أخرج شطأه فأزره فاستغلظ فاستوى على سوقه ﴾ () ، قال : "وهذا لين الإسناد والمتن كما ترى" . ()
 ومن مواضع استدلاله بالحديث الصحيح :

قوله تعالى ﴿ وإن كان ذو عسرة ﴾ ()

قال : وفي الصحيحين () عن النبي ﷺ قال : "كان رجل يداين الناس فكان يقول لفتاه إذا أتيت معسرًا فتجاوز عنه لعل الله يتجاوز عنا قال : فلقي الله فتجاوز عنه" وفي صحيح مسلم () : من سره أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة فلينفس عن معسر ، أو يضع عنه " وفي رواية "من أنظر معسرًا أو وضع عنه أنجاه الله من كرب يوم القيامة" وفي رواية "من أنظر معسرًا أو وضع عنه أنجاه الله من كرب يوم القيامة" وفي رواية "من أنظر معسرًا أو وضع عنه أظله الله في ظله" .
 وهو في الواقع كما أنه يكثر من الأحاديث الصحيحة ففي نفس الوقت يكثر من الأحاديث الضعيفة ومن ذلك قوله :

صفوف الصلاة وبين أن المراد بالمستقدمين من مات وقتل والمستأخرين من لم يخلق بعد وهو التفسير المروي نحوه عن ابن عباس نفسه وعن جمهور السلف ومنهم تلاميذ ابن عباس كمجاهد وعكرمة وغيرهما وهو اختيار ابن جرير . والذي يؤكد عدم صحة هذا التفسير أن سورة الحجر مكية وشهود النساء الصلاة في جماعة إنما كان في المدينة ، ثم السياق لا يساعد هذا التفسير فهو يتكلم عن الإحياء والإماتة ثم الحشر فلا دخل هنا لصلاة جماعة ولانساء . ثم إن عمرو بن مالك النكري الراوي للحديث عن أبي الجوزاء له أوهام وأبو الجوزاء : قال البخاري : في إسناده نظر ويختلفون فيه . هـ . وبإسناد عمرو بن مالك عن أبي الجوزاء عن ابن عباس غرائب أخرى والله أعلم . وانظر مرويات الإمام أحمد في التفسير ٤/٣

() الجواهر ٢٩٣/٢ ٧ ٩ ٩

() (الفتح : ٣٩ . ٨ ٩ ٩

() الجواهر ١٣٥/٤ ٩ ٩ ٩

() (البقرة ٢٨٠ ، الجواهر ١/٢٧٣ . ١ ١

() (البخاري - كتاب البيوع - باب من أنظر معسرًا ٤/٣٠٨ ، مسلم - كتاب المساقاة - باب فضل إنظار المعسر ١ ١
 ١١٩٦/٣ عن أبي هريرة .

() (كتاب المساقاة - باب فضل إنظار المعسر ٣/١١٩٦ عن أبي قتادة . ١

وقد روى ابن المبارك في (رفائقه) قال : أخبرنا ابن لهيعة قال : حدثني سعيد بن أبي سعيد أن رجلا قال : يارسول الله كيف لي أن أعلم كيف أنا ؟ قال : إذا رأيت كلما طلبت شيئا من أمر الآخرة وابتغيته يسر لك ، وإذا أردت شيئا من الدنيا وابتغيته عسر عليك ، فأنت على حال حسنة ، وإذا رأيت كلما طلبت شيئا من أمر الآخرة وابتغيته عسر عليك ، وإذا أردت شيئا من أمر الدنيا وابتغيته يسر لك ، فأنت على حال قبيحة” . انتهى فتأمله راشدا . () ()
ومن ذلك أيضا قوله () :

خرج الحاكم أبو عبد الله في المستدرک على الصحيحين عن معقل بن يسار رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : “ اعملوا بالقرآن ، أحلوا حلاله وحرّموا حرامه ، واقتدوا به ولا تكفروا بشيء منه وما تشابه عليكم منه فردوه إلى الله وإلى أولي العلم من بعدي كيما يخبروكم وآمنوا بالتوراة والإنجيل والزبور وما أوتي النبيون من رهم وليسعكم القرآن وما فيه من البيان فإنه شافع مشفع وماحل مصدق . الخ ” ()
وهو يهتم بذكر أسباب النزول :

ومن ذلك قوله ﴿الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار﴾ ()
قال ابن عباس : نزلت هذه الآية في علي بن أبي طالب رضي الله عنه كانت له أربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية . ()
وفي قوله ﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن﴾ ()
قال : سبب نزول هذه الآية أن بعض المشركين سمع النبي ﷺ يدعو “ياالله يارحمن” فقالوا : كان محمد يأمرنا بدعاء إله واحد وهو يدعو إلهين . قاله ابن عباس ؛ فنزلت الآية مبيّنة أنها أسماء لشيء واحد . ()

() (الجواهر ١/٣٨٢-٣٨٣ وانظر ١/١٤٠ .)

() هذا مرسل ضعيف لإرساله وللکلام المشهور في ابن لهيعة : وقال الألباني : ضعيف (ضعيف الجامع رقم ٦٠١)

() (الجواهر ١/٤٣)

() (المستدرک - كتاب فضائل القرآن ٢/٥٦٨ وقال الحاكم : صحيح الإسناد ولم يخرجاه . فتعقبه الذهبي بقوله : قلت : عبید الله قال أحمد : تركوا حديثه . ا.هـ وضعفه ابن قدامة في رسالة لطيفة في أحاديث متفرقة ضعيفة ١/٨٢ (البقرة : ٢٧٤ .
٧

() (الجواهر ١/٢٦٨ والحديث أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ١٠/١١٨ وفي إسناده عبد الوهاب بن مجاهد بن جبر ذكره ابن حبان في المجروحين ٢/١٤٦ وقال : استحق الترك . وأخرجه أيضا الطبراني وغيره قال السيوطي : بسند ضعيف (انظر لباب النقول ١/٦٦)

() (الإسراء : ١١٠)

() (الجواهر ٢/٥٠٤ والحديث أخرجه ابن مردويه وغيره (انظر لباب النقول ٢/١٦)

وقال :

وفي صحيح البخاري (١) بسنده عن ابن عباس في قوله سبحانه ﴿ ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها ﴾ (٢) قال : نزلت ورسول الله ﷺ محتف بمكة كان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن فإذا سمع المشركون سبوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به فقال الله تبارك وتعالى لنبيه ﷺ ﴿ ولا تجهر بصلاتك ﴾ أي بقراءتك فيسمع المشركون فيسبوا القرآن ولا تخافت به عن أصحابك فلا تسمعهم وابتغ بين ذلك سبيلا. (٣)

وفي قوله ﴿ يخلفون بالله ما قالوا ﴾ (٤)

قال : نزلت في الجلاس بن سويد وقوله : لكن كان مايقول محمد حقا لنحن شر من الحمر فسمعها منه ربيبه أو رجل آخر فأخبر النبي ﷺ فجاء الجلاس فحلف بالله ما قال هذه الكلمة فنزلت الآية . (٥)
وقال قتادة : نزلت في عبد الله بن أبي سلول وقوله في غزوة المريسيع مامثلنا ومثلهم إلا كما قال الأول : سمن كلبك يأكلك ولن رجعنا إلا المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ﴿ فبلغ ذلك النبي ﷺ فوقفه فحلف أنه لم يقل ذلك فنزلت الآية مكذبة له . (٦)

وهو يتعرض لذكر فضائل السور والآيات :

فذكر أحاديث فضل الفاتحة فقال : مثل حديث أبي سعيد بن المعلى إذ قال له ﷺ : “ ألا أعلمك أعظم سورة في القرآن ؟ الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته ” (٧) انتهى من سلاح المؤمن تأليف الشيخ المحدث أبي الفتح تقي الدين محمد بن علي بن همام رحمه الله .
وقال أيضا : ويقال لسورة البقرة فسواط القرآن وذلك لعظمتها وبهاؤها وماتضمنت من الأحكام والمواعظ وفيها خمسمائة حكم ، وخمسة عشر مثلا وروي أن رسول الله ﷺ قال : “ أعطيت سورة البقرة

(١) كتاب التفسير - باب ﴿ ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها ﴾ ٤٠٤/٨

(٢) الإسراء : ١١٠

(٣) الجواهر ٥٠٤/٢

(٤) التوبة : ٧٤

(٥) الجواهر ١٨٨/٢ ، أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عباس (انظر لباب النقول ٢٠٢/١) وأخرج ابن جرير ١٨٥/١٠ عن عروة بن الزبير وابن إسحق ومجاهد نحوه . ولم يذكره صاحب الصحيح المسند من أسباب النزول .

(٦) الجواهر ١٨٩/٢ وأخرجه ابن جرير ١٨٦/١٠ وهو ضعيف لإرساله .

(٧) أخرجه البخاري - كتاب فضائل القرآن - باب ماجاء في فاتحة الكتاب ١٥٦/٨ .

من الذكر الأول ، وأعطيت طه والطواسين من ألواح موسى وأعطيت فاتحة الكتاب وخواتم سورة البقرة من تحت العرش" ()

كما ذكر أحاديث في الفضائل صحيحة ومعزوة لمخرجيها في آية الكرسي () وغيرها. ()

خامسا : موقفه من تفسير القرآن بأقوال السلف :

وهو يقدم تفسير الصحابة فيقول في إحدى ترجيحاته مبررا : " ولأنه تفسير صحابي وهو مقدم على غيره " . ()

ومن مواضع اهتمامه بتفسير السلف قوله :

قال ابن عباس : ﴿ كرسيه ﴾ () علمه .. ومنه الكراسية .

قوله : ﴿ وتثبيتا من أنفسهم ﴾ () ، قال قتادة وغيره : وتثبيتا معناه : وتيقنا ، أي أن نفوسهم لها بصائر متأكدة فهي تثبتهم على الإنفاق في طاعة الله تثبيتا ، وقال مجاهد والحسن : معنى قوله وتثبيتا : أي أنهم يتثبتون أين يضعون صدقاتهم ، قال الحسن : الرجل إذا هم تثبت فإن كان ذلك لله أمضاه ، وإن خالطه شيء أمسك . ()

قوله ﴿ فطل ﴾ () : المستدق من القطر ، قاله ابن عباس وغيره . ()

وفي قوله : ﴿ إن تبدوا الصدقات فنعمما هي ﴾ () ، قال ابن عباس : جعل الله صدقة السر في التطوع ، تفضل علانيتها ، يقال : بسبعين ضعفا ، وجعل صدقة الفريضة علانيتها أفضل من سرها ، يقال بخمسة وعشرين ضعفاً ، قال : وكذلك جميع

() أخرجه ابن نصر في الصلاة (المختصر ص ٧٢) والحاكم ١١/٥٥٩ والطبراني ٢٠/٢٢٥ وغيرهم عن معقل بن

يسار وفي إسناده عبيد الله بن أبي حميد قال الحافظ : متروك الحديث (التقريب ٤٢٨٥)

١	١	٩	() الجواهر ١/٢٤٤
١	٢	٠	() الجواهر ١/٤٤ .
١	٢	١	() الجواهر ٢/٢٩٣
١	٢	٢	() البقرة : ٢٥٥ .
١	٢	٣	() البقرة : ٢٦٥ .
١	٢	٤	() الجواهر ١/٢٥٨ .
١	٢	٥	() البقرة : ٢٦٥ .
١	٢	٦	() الجواهر ١/٢٥٩ .
١	٢	٧	() البقرة : ٢٧١ .

الفرائض والنوافل في الأشياء كلها . ()

وفي قوله ﴿ تعرفهم بسيماهم ﴾ () قال : السيماء مقصورة العلامة واختلف المفسرون في تعيينها ، فقال مجاهد : هي التخشع والتواضع ، وقال الربيع والسدي : هي جهد الحاجة وقصف الفقر في وجوههم وقلة النعمة وقال ابن زيد : هي رثة الثياب ، وقال قوم وحكاها مكى : هي أثر السجود . ()

سادسا : موقفه من السيرة والتاريخ وذكر الغزوات :

قال تحت قوله : ﴿ ربنا وابعث فيهم رسولا ﴾ () :

وقد تواترت أخبار نبينا ﷺ وبعثته في الكتب السالفة ، وعلم بذلك الأخبار ، وأخبروا به ، وتعيين الزمن الذي يبعث فيه ، وقد روى البيهقي أحمد بن الحسين وغيره : عن طلحة بن عبيد الله ﷺ ، قال : حضرت سوق بصري ، فإذا راهب في صومعة ، يقول : سلوا أهل هذا الموسم ، أفيهم من هو من هذا الحرم ؟ قال : قلت أنا فما تشاء ؟ قال : هل ظهر أحمد بعد ؟ قلت : ومن أحمد ؟ قال : أحمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، هذا شهره الذي يخرج فيه ، وهو خاتم الأنبياء ، مخرجه من الحرم ، ومهاجره إلى نخل وسبخ ، إذا كان فلا تسبقن إليه ، فوقع في قلبي ما قال ، وأسرعت للحاق بمكة فسألت هل ظهر بعدي أمر ؟ فقالوا : محمد الأمي قد تنبأ ، واتبعه أبو بكر ابن أبي قحافة ، فمشيت إلى أبي بكر ، وأدخلني إلى رسول الله ﷺ فأسلمت . ()

قال : وقد روى العذري وغيره عن أبي بكر ﷺ أنه قال : لقيت شيخا باليمن ، فقال لي : أنت حرمي ؟ فقلت : نعم ، فقال : وأحسبك قرشيا ؟ قلت : نعم . قال : بقيت لي فيك واحدة ، اكشف لي عن بطنك ! قلت : لأفعل ، أو تخبرني لم ذلك ؟ قال : أجد في العلم الصحيح أن نبيا يبعث في الحرمين يقارنه على أمره فتى ، وكهلا ، أما الفتى فخواض غمرات ، ودفاع معضلات ، وأما الكهل فأبيض نحيف ، على بطنه شامة ، وعلى فخذه اليسرى علامة ، وما عليك أن تريني ما سألتك عنه فقد تكاملت فيك الصفة إلا ماخفي علي . قال أبو بكر : فكشفت له عن بطني ، فرأى شامة سوداء فوق سرتي ، فقال

- ١ . () الجواهر ١/٢٦٣ ٨
- ١ . () البقرة : ٢٧٣ ، الجواهر ١/٢٦٧ ٢
- ١ . () الجواهر ١/٢٦٧ ٣
- ١ . () البقرة : ١٢٩ . ١
- ١ . () أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ٢/١٦٦ من طريق محمد بن عمر الواقدي بسنده إلى طلحة بن عبيد الله به .
والواقدي قال فيه الحافظ : متروك مع سعة علمه (التقريب ٦١٧٥) وقد اتهمه جماعة بالكذب كما هو مشهور .

: أنت هو ورب الكعبة ... وخف الله فيما حولك وأعطاك ، قال أبو بكر : فلما ودعته قال : أتحمّل عني إلى ذلك النبي أبياتا ؟ قلت : نعم ، فأنشأ الشيخ يقول :

ألم تر أني قد سئمت معاشري ونفسي قد أصبحت في الحى هاهنا
حييت وفي أيام المرء عبرة ثلاث مئين بعد تسعين آمنا
وقد خدمت مني شرارة قوتي وألفيت شيخا لا أطيق الشواحنا
وأنت ورب البيت تأتي محمدا لعامك هذا قد أقام البراهنا
فحيي رسول الله عني فإنني على دينه أحيا وإن كنت قاطنا

قال أبو بكر : فحفظت شعره ، وقدمت مكة ، وقد بعث النبي ﷺ فجاءني صناديد قريش وقالوا : يا أبا بكر يتيم أي طالب يزعم أنه نبي ، قال : فجئت إلى منزل النبي ﷺ فقرأت عليه فخرج إلي ، فقلت : يا محمد فقدت من منازل قومك ، وتركت دين آبائك ، فقال : “يا أبا بكر إني رسول الله إليك ، وإلى الناس كلهم ، فأمن بالله ” فقلت : وما دليلك ؟ “قال الشيخ الراهب الذي لقيته باليمن ” ، قلت : وكم من شيخ لقيت ؟ قال : ليس ذلك أريد ، إنما أريد الشيخ الذي أفادك الأبيات ” قلت : ومن أخبرك بها ؟ قال : “الروح الأمين الذي كان يأتي الأنبياء قبلي ” قلت : مد يمينك أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله ، قال أبو بكر : فانصرفت وما بين لابتها أشد من رسول الله ﷺ فرحا بإسلامي . انتهى من تأليف ابن القطان في الآيات والمعجزات . ()

وفي ذكر هذين الموضوعين دليل على إهمال المصنف منهج التحقيق تماما في جانب السيرة فكلا الخبرين موضوع وهل كان بمكة لابنان؟؟ فما أسخف الوضعين ! وهل أسلم أبو بكر بعد أن فشا خبره ﷺ في مكة ؟ وهو أول من أسلم من الرجال فيما ثبتت به الأخبار الصحيحة المستفيضة .

كما ذكر طرفا من قصة غزوة بدر تحت قوله تعالى ﴿ وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين ﴾ ()

فقال : في هذه الآية قصص حسن محل استيعابه كتاب سيرة رسول الله ﷺ لابن هشام واختصاره أن رسول الله ﷺ لما بلغه ... الخ ()

وكذا ذكر بعضا من مشاهد السيرة تحت قوله ﴿ ويوم حنين إذ أعجبتكم كثيركم ﴾ () ()

١	.	٣	. ٣٨٤	() الجواهر ١/٣٨٣
١	.	٣	٤	() الأنفال : ٧
١	.	٣	٥	() الجواهر ٢/١١١
١	.	٣	٦	() التوبة : ٢٥
١	.	٣	٧	() الجواهر ٢/١٦٣

سابعا : موقفه من الإسرائيليات :

وقد نقد المصنف الإسرائيليات في عدة مواضع من تفسيره منها تعليقه على التفسير قوله تعالى : ﴿ولقد فتنا سليمان﴾ () . قال : "قد أكثروا في قصص هذه الآية بما لا يوقف على صحته" () وتبنى نقد أبي بكر بن العربي في أحكامه ونقل نصه : "وقد قال ابن العربي في توهين هذا القول وتزييفه : وهذا القول ونحوه مذكور في ضعيف الحديث في الترمذي وغيره ، وفي الإسرائيليات التي ليس لها أساس ثابت ، ولا يعول عليها من له قلب" . ()

إلا أن ذلك لا يعني أنه أهمل الإسرائيليات تماما بل إنه ذكر جملة منها ومن ذلك :

في قوله تعالى ﴿ ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه ﴾ ()

قال : ﴿ ألم تر ﴾ () تنبيه وهي رؤية القلب ، والذي حاج إبراهيم هو نمروذ بن كنعان ملك زمانه وصاحب النار والبعوضة ، قاله مجاهد وغيره . قال قتادة : هو أول من تجر وهو صاحب الصرح ببابل قيل : إنه ملك الدنيا بأجمعها ، وهو أحد الكافرين ، والآخر بختنصر ، وقيل : إن النمروذ الذي حاج إبراهيم هو نمروذ بن فالخ ، وفي قصص هذه المحاجة روايتان إحداهما : ذكر زيد بن أسلم أن النمروذ قعد يأمر للناس بالميرة ، فلما جاء قوم قال : من ربكم وإلهكم ؟ فيقولون : أنت ، فيقول : ميروهم ، وجاء إبراهيم عليه السلام يمتار ، فقال له : من ربك وإلهك ؟ قال إبراهيم : ﴿ربي الذي يحيي ويميت﴾ () فلما سمعها نمروذ قال : ﴿أنا أحيي وأميت﴾ فعارضه إبراهيم بأمر الشمس ﴿فبهت الذي كفر﴾ وقال : لا تميروه ، فرجع إبراهيم إلى أهله دون شيء ، فمر على كثيف رمل كالدقيق ، فقال : لو ملأت غرارتي من هذا ، فإذا دخلت به فرح الصبيان حتى أنظر لهما ، فذهب بذلك فلما بلغ منزله فرح الصبيان ، وجعلا يلعبان فوق الغرارتين ، ونام هو من الإعياء ، فقالت امرأته : لو صنعت له طعامًا يجده حاضرًا إذا انتبه ، ففتحت إحدى الغرارتين ، فوجدت أحسن ما يكون من الحواري ، فخبزته ، فلما قام وضعته بين يديه ، فقال : من أين هذا ؟ قالت : من الدقيق الذي سقت ، فعلم إبراهيم أن الله يسر لهم ذلك . ()

١	٣	٨	() ص : ٣٤
١	٣	٩	() الجواهر ٣٩/٤
١	٤	٠	() الجواهر ٧٣/٢
١	٤	١	() البقرة : ٢٥٨ .
١	٤	٢	() البقرة : ٢٥٨ .
١	٤	٣	() البقرة : ٢٥٨ .
١	٤	٤	() الجواهر ٢٤٦/١-٢٤٧

وقوله ﴿ أو كالذي مر على قرية ﴾ () :

عظفت (أو) في هذه الآية على المعنى الذي هو التعجب في قوله : ﴿ ألم تر إلى الذي حاج ﴾ () قال ابن عباس وغيره : الذي مر على القرية هو عزيز ، وقال وهب بن منبه وغيره : هو أرميا . قال ابن إسحاق : أرميا هو الخضر ، وحكاه النقاش عن وهب بن منبه ، واختلف في القرية ماهي ؟ فقيل : المؤتفكة ، وقال زيد بن أسلم : قرية الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف . وقال وهب بن منبه وغيره : المقدس لما خربها بختنصر البابلي . ()

ثامنا : موقفه من اللغة :

وهو يهتم ببيان المفردات وذلك مثل قوله :

﴿ لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ﴾ ()

الدين في هذه الآية هو المعتقد والملة ومقتضى قول زيد بن أسلم . ()

﴿ وهي خاوية على عروشها ﴾ () :

قال : والعريش : سقف البيت ، قال السدي : يقول هي ساقطة على سقفها أي سقطت السقف ، ثم سقطت الحيطان عليها ، وقال غيره : معناه خاوية من الناس ، وخاوية معناه خالية ، يقال : خوت الدار تحوي خواء وخويا ، ويقال : خويت ، قال الطبري : والأول أفصح .

﴿ الربا ﴾ () : قال : هو الزيادة ، مأخوذ من ربا يربوا إذا نما وزاد عل ماكان وغالبه ماكانت العرب

تفعله من قولها للغريم : أتقضي أم تربني ؟ فكان الغريم يزيد في عدد المال ويصبر الطالب عليه . ()

وهو يتعرض للإعراب والنحو :

ومن ذلك قوله :

() البقرة : ٢٥٩ .

() البقرة : ٢٥٨ .

() الجواهر ١/ ٢٤٨ .

() البقرة : ٢٥٦ .

() الجواهر ١/ ٢٤٥ .

() البقرة : ٢٥٩ .

() البقرة : ٢٧٥ .

() الجواهر ١/ ٢٦٩ .

﴿ من سيئاتكم ﴾ () للتبعيض المحض لا أنها زائدة كما زعم قوم . ()
 ﴿كلوا مما في الأرض حلالاً طيباً﴾ () الخطاب عام و﴿ما﴾ بمعنى : الذي ، و﴿حلالاً﴾ حال من
 الضمير العائد على ﴿ما﴾ و﴿طيباً﴾ نعت ، ويصح أن يكون حالاً من الضمير في ﴿كلوا﴾ تقديره
 مستطيين .

ومن النكات التفسيرية قوله :

﴿ عرضها السموات والأرض ﴾ () : وخص العرض بالذكر لأنه يدل متى ما ذكر على الطول ،
 والطول إذا ذكر لا يدل على قدر العرض ، بل قد يكون الطويل يسير العرض ، كالحيط ونحوه .
 ﴿ ليغيظ بهم الكفار ﴾ () : والغيظ أصل الغضب ، وكثيراً ما يتلازمان ، ولذلك فسر بعض الناس
 الغيظ بالغضب ، وليس تحرير الأمر كذلك ، بل الغيظ حال للنفس لا تظهر على الجوارح ، والغضب
 حال لها تظهر في الجوارح وفعل ما ، ولا بد ، ولهذا جاز إسناد الغضب إلى الله سبحانه ، إذ هو عبارة
 عن أفعاله في المغضوب عليهم ، ولا يسند إليه تعالى الغيظ .

وهو يقدم الحقيقة على المجاز في التفسير فيقول : " حمل اللفظ على حقيقته أولى إن لم يمنع مانع " ()
 وهو لا يكثر من الشعر :

ومن مواضع استدلاله به قوله تحت قوله تعالى ﴿ إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله ﴾ () :
 ثم قال تعالى تسلياً للمؤمنين ﴿ إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله ﴾ والأسوة مسلاة للبشر ومنه
 قول الخنساء :

ولولا كثرة الباكين حولي على إخوانهم لقتلت نفسي
 وما سيكون مثل أخي ولكن أعزي النفس عنه بالتأسي ()

١	.	٥	٣	() البقرة: ٢٧١ .
١	.	٥	٤	() الجواهر ١/٢٦٤ .
١	.	٥	٥	() البقرة: ١٦٨ .
١	.	٥	٦	() آل عمران : ١٣٣ .
١	.	٥	٧	() الفتح : ٢٩ .
١	.	٥	٨	() الجواهر ٣/١٢٤ .
١	.	٥	٩	() آل عمران: ١٤٠ .
١	.	٦	١٠	() الجواهر ١/٤٩٥ .

تاسعا : موقفه من القراءات :

وهو يهتم بذكر القراءات المتواترة وتوجيهها وإعرابها ولا يذكر الشواذ وجل اعتماده في ذلك على ابن عطية والسفاسي ومن ذلك قوله :

وقرأ ابن كثير وغيره : ﴿ونكفر﴾ بالنون ورفع الراء ، وقرأ ابن عامر : ﴿ويكفر﴾ بالياء ورفع الراء ، وقرأ نافع وغيره : ﴿ونكفر﴾ بالنون والجزم . فأما رفع الراء فهو على وجهين ؛ أحدهما : أن يكون الفعل خبر ابتداء ، تقديره : ونحن نكفر ، أو والله يكفر ، والثاني : القطع والاستئناف ، والواو لعطف جملة على جملة ، والجزم في الراء أفصح هذه القراءات ، لأنها تؤذن بدخول التكفير في الجزاء وكونه مشروطاً إن وقع الإخفاء ، وإما رفع الراء فليس فيه هذا المعنى . ()

وقال أيضا : وقرأ ابن عامر ﴿هو مولاها﴾ () ()

وقوله : ﴿والأرحام﴾ () أي واتقوا الأرحام . وقرأ حمزة ﴿والأرحام﴾ بالخفض عطفاً على الضمير كقولهم : أسألك بالله وبالرحم ، قاله مجاهد وغيره .

قال (ع) وهذه القراءة عند نحاة البصرة لا تجوز ، لأنه لا يجوز عندهم أن يعطف ظاهر على مضمّر مخفوض إلا في ضرورة الشعر كقوله :

فاذهب فما بك والأيام من عجب

لأن الضمير المخفوض لا ينفصل ، فهو كحرف من الكلمة ، ولا يعطف على حرف ، واستسهل بعض النحاة هذه القراءة . انتهى كلام (ع)

قال (ص) : والصحيح جواز العطف على الضمير المجرور من غير إعادة الجار ، كمذهب الكوفيين ، ولا ترد القراءة المتواترة بمثل مذهب البصريين ، قال : وقد أمعنا الكلام عليه في قوله تعالى : ﴿وكفر به والمسجد الحرام﴾ () انتهى وهو حسن ، ونحوه للإمام الفخر . ()

() (الجواهر ١/٢٦٤ .)

() (البقرة : ١٤٨ وقراءة ابن عامر بفتح اللام وألف بعدها اسم مفعول ، والباقون بكسر اللام وياء بعدها اسم فاعل . انظر إتخاف فضلاء البشر ص ١٥٠)

() (الجواهر ١/١٤٦ .)

() (النساء : ١ .)

() (البقرة : ٢١٧ .)

() (الجواهر ١/٣٩٠ .)

تاسعا : موقفه من الفقه والأصول :

ولم يرد الثعالبي أن ينهج منهاجها فقها مبسوطا في تفسيره حيث يقول : "ترك ذلك خشية التطويل وإذ محل بسطها كتب الفقه" . ()

وعليه فهو يتعرض للفقهيات بدون الإطالة ويركز على قول مالك ومن ذلك قوله :

﴿ولا تباشروهن...﴾ () قالت فرقة : المعنى ولا تجامعوهن ، وقال الجمهور : ذلك يقع على الجماع فما دونه مما يتلذذ به من النساء و﴿عاكفون﴾ أي ملازمون، قال مالك رحمه الله وجماعة معه : لا اعتكاف إلا في مساجد الجماعات . وروي عن مالك أيضا أن ذلك في كل مسجد ، ويخرج إلى الجمعة كما يخرج إلى ضروري أشغاله . قال ابن العربي في (أحكامه) : وحرّم الله سبحانه المباشرة في المسجد ، وكذلك تحرم خارج المسجد ، لأن معنى الآية ولا تباشروهن وأنتم ملتزمون للاعتكاف في المساجد ، معتقدون له . ()

وقال أيضا :

قال ابن العربي : قال علماءنا وفي الآية دليل على أن ملك اليمين لاحق لها في الوطاء والقسم ، لأن المعنى ﴿فإن خفتن أن لاتعدلوا﴾ () في القسم ﴿فواحدة أو ماملكت أيما نكن﴾ () فجعل سبحانه ملك اليمين كله بمنزلة الواحدة ، فانتفى بذلك أن يكون للأمة حق في وطاء أو قسم ، انتهى من الأحكام .

وقد أطل الكلام في النسخ وإثباته () تحت قوله : ﴿ما ننسخ من آية﴾ () ومن كلامه أيضا : فمن قال إن السنة المتواترة تنسخ القرآن جعل رجم الرسول دون جلد ناسخًا لجلد الثيب وهذا الذي عليه الأمة أن السنة المتواترة تنسخ القرآن ، إذ هما جميعًا وحي من الله سبحانه ، ويوجبان جميعًا العلم والعمل ، ويتجه عندي في هذه النازلة بعينها أن يقال : إن الناسخ لحكم الجلد هو القرآن المتفق على رفع لفظه ، وبقاء حكمه ، في قوله تعالى : "والشيخ والشيخة فارجموهما البتة" وهذا نص في الرجم ، وقد قرره عمر

١	٦	٧	٣٢٣/٢ (الجواهر)
١	٦	٨	(البقرة : ١٨٧ .)
١	٦	٩	(الجواهر/١/١٨٠ .)
١	٧	١٠	(النساء : ٣ .)
١	٧	١١	(النساء : ٣ .)
١	٧	١٢	(الجواهر/١/١١٩-١٢٠ .)
١	٧	١٣	(البقرة : ١٠٦ .)

على المنبر بمحضر الصحابة . والحديث بكماله في مسلم، والسنة هي المبينة ولفظ البخاري ﴿أو يجعل الله لمن سبيلاً﴾ ()^١ الرجم للثيب والجلد للبكر .

ويذهب إلى أن العقل لا مجال له في عالم الغيب وأن العبرة في ذلك بصحة النقل ففي صيرورة الحيوانات تراباً يوم القيامة يقول : "واعلم أي لم أقف على حديث صحيح في عودها تراباً ... والمعول عليه في هذا: النقل ، فإن صح فيه شيء عن النبي ﷺ وجب اعتقاده ، وصير إليه ، وإلا فلا مدخل للعقل هنا" ()^٢

وهو مع ذلك يقول بالقياس وبالتأويل قال : "وفيه دليل على صحة القياس ، لأنه علمهم سبحانه الاستدلال بالنشأة الأولى على النشأة الأخرى" . ()^٣

حادي عشر : موقفه من المواعظ والآداب :

لقد أولى المصنف هذا الجانب عناية ملحوظة تميز بها تفسيره فنجده يعلق تعليقات وعظية كثيرة دون أن يطيل فيها ويدعوننا أحياناً للتأمل والتدبر في آيات القرآن كقوله مثلاً : "ينبغي للمؤمن العاقل أن يتدبر هذه الآية ونظائرها ويقدر في نفسه أنه المقصود بها" . ()^٤

وقال تحت قوله تعالى : ﴿ لا يسألون الناس إلحافاً ﴾ ()^٥ :

وينبغي للفقير أن يتعفف في فقره ، ويكتفي بعلم ربه قال الشيخ ابن أبي جمرة : وقد قال أهل التوفيق : من لم يرض باليسير فهو أسير انتهى . وذكر عبد الملك بن محمد ابن أبي القاسم ابن الكردبوس في الاكتفاء في أخبار الخلفاء قال : وتكلم علي بن أبي طالب ﷺ بتسع كلمات : ثلاث في المناجاة وثلاث في الحكمة وثلاث في الآداب أما المناجاة فقال : كفاني فخراً أن تكون لي ربا ، وكفاني عزا أن أكون لك عبداً ، وأنت كما أحب فاجعني كما تحب . وأما الحكمة فقال : قيمة كل امرئ ما كان يحسنه ، وماهلك امرؤ عرف قدر نفسه ، والمرء محبوبه تحت لسانه . وأما الآداب فقال : استغن عن من شئت فأنت نظيره ، وتفضل على من شئت فأنت أميره، واضرع إلى من شئت فأنت أسيره انتهى .

ولما كانت السيمة تدل على حال صاحبها ويعرف بها حاله أقامها الله سبحانه مقام الإخبار عن حال صاحبها فقال : ﴿ تعرفهم بسيماهم ﴾ ()^٦ وقد قال الشيخ العارف بالله صاحب الكلم الفارقة والحكم

١	٧	٤	() النساء : ١٥ .
١	٧	٥	() الجواهر ٣٨٣/٤
١	٧	٦	() الجواهر ٢٥٥/٤
١	٧	٧	() الجواهر ١٠٥/٤
١	٧	٨	() البقرة : ٢٧٣ .

والقصد في الغنى والفقر ، والعدل على الصديق والعدو ، والعمل في النشاط والكسل ، والرضا عن الله في الشدة والرخاء ، يا بني ! ما شر بعده الجنة بشر ، ولاخير بعده النار بخير ، وكل نعيم دون الجنة حقير ، وكل بلاء دون النار عافية ، من أبصر عيب نفسه شغل عن عيب غيره ، ومن رضي بقسم الله لم يخن على مافات ، ومن سل سيف بغى قتل به ، ومن حفر لأخيه بئراً وقع فيها ، ومن هتك حجاب أخيه كشف عورات بنيه ، ومن نسي خطيئته استعظم خطيئة غيره ، ومن استغنى بعقله زل ، ومن تكبر على الناس ذل ، ومن أعجب برأيه ضل ، ومن جالس العلماء وقر ، ومن خالط الأندال احتقر ، ومن دخل مداخل السوء اتهم ، ومن مزح استخف به ، ومن أكثر من شيء عرف به ، ومن أكثر كلامه أكثر خطؤه ، ومن أكثر خطؤه قل حياؤه ، ومن قل حياؤه قل ورعه ، ومن قل ورعه مات قلبه ، ومن مات قلبه دخل النار.... الخ. ()

وقد اهتم الثعالبي بموضوعات معاصرة لها صلة بحياة المسلمين :

منها الجهاد () وقد ذكر أسباب ضعف أحوال المسلمين وأنها تعود إلى حب الدنيا وكرهية بذل النفوس لله فيقول : ألا ترى إلى حال الصحابة رضي الله عنهم وقتلهم في صدر الإسلام وكيف فتح الله بهم البلاد ودان لدينهم العباد لما بذلوا لله أنفسهم في الجهاد ؟ وحالنا اليوم كما ترى عدد أهل الإسلام كثير ونكايتهم في الكفار نزر يسير . وأورد الحديث الذي أخرجه أبو داود () الذي أوله "يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها ... " ثم علق على ذلك ووصف حال ملوك زمانه وتركهم الجهاد فقال : فانظر رحمك الله فهل هذا الزمان إلا زماننا بعينه وتأمل حال ملوكنا إنما همتهم جمع المال من حرام وحلال وإعراضهم عن أمر الجهاد فإننا لله وإنا إليه راجعون على مصائب الإسلام وهذا موقف شجاع من مواقف الثعالبي .

كما تكلم عن الرباط في سبيل الله () والزكاة () واهتم بشؤون المرأة () وبين أهمية الشورى ()^٨ أما موقفه من العلوم الحديثة والرياضة والفلسفة والمعجزات الكونية ونحو ذلك فلا نرى له اهتماما بهذا الجانب ، والله أعلم .

- ١ . () الجواهر ١/٥٠١ - ٥٠٢ :^٨
- ١ . () انظر الجواهر ١/٤٦٠، ٤٩٦، ٣١٨ .^٨
- ١ . () السنن - كتاب الملاحم ٢- باب في تداعي الأمم على الإسلام ١١١/٤ وقال الألباني : صحيح . (صحيح الجامع رقم ٨٠٣٥)
- ١ . () انظر الجواهر ١/٣٤٤، ٢-٣٤٥، ١٠٦-١٠٧ .^٨
- ١ . () انظر الجواهر ٢/١٢٧ - ١٢٨، ١٣٧ .^٨
- ١ . () انظر الجواهر ١/٤٣، ٤-١١٧ .^٩
- ١ . () انظر الجواهر ١/٣٢٧، ٤-١١٤ .^٩

تفسير ابن باديس من خلال مجالس التذكير

مؤلف هذا التفسير هو عبد الحميد بن باديس الصنهاجي الجزائري ت ١٣٥٩ هـ وهو من أهل المنطقة
ولد بقسنطينة وتوفي بها . ()

التعريف بالتفسير :

وتفسير ابن باديس طبع باسم "تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير " جمع
وترتيب وإعداد وتعليق محمد الصالح رمضان أستاذ بوزارة التربية الجزائرية ، وتوفيق محمد شاهين بمجمع
البحوث الإسلامية بالأزهر - ط ٢ دار الفكر سنة ١٣٩١ هـ . والكتاب عبارة عن مجالس قرآنية كان ابن
باديس يفتتح بها مجلة الشهاب التي كان يتولى إصدارها ، وقد جمعها المذكوران في هذا الكتاب بعد أن
قام بجمع بعضها أحمد بوشمال . ()

المنهج العام للتفسير :

وتفسير ابن باديس في الجملة تفسير أدبي اجتماعي يناسب وضعه كدروس تلقى على العامة وغيرهم .
والكتاب له مقدمة في التذكير وحاجة الخلق إليه وفي أفضل الأذكار وأنواع الذكر وتلاوة القرآن . ()
ثم خطبة افتتاح لدروس التفسير ذكر فيها طريقته في التفسير فقال : هي تفسير الألفاظ بأرجح معانيها
اللغوية وحمل التراكيب على أبلغ أساليبها البيانية وربط الآيات بوجوه المناسبات معتمدين في ذلك على
صحيح المنقول وسديد المعقول مما جلاه أئمة السلف المتقدمون أو غاص عليه علماء الخلف المتأخرون
رحمة الله عليهم أجمعين وعمدتنا فيما نرجح إليه من كتب الأئمة :
١- تفسير ابن جرير الطبري الذي يمتاز بالتعليق السلفية وبأسلوب الترسل البليغ في بيان معنى الآيات
القرآنية وبترجماته لأول الأقوال عنده بالصواب .

١	٩	() تقدمت ترجمته في أهل المنطقة برقم ٧٤
١	٩	() انظر ص ٢٧
١	٩	() ص ٢٩-٤٨ .

- ٢- وتفسير الكشاف الذي يمتاز بذوقه البياني في الأسلوب القرآني وتطبيقه فنون البلاغة على آيات الكتاب ، والتنظير لها بكلام العرب واستعمالها في أفانين الكلام .
- ٣- وتفسير أبي حيان الأندلسي الذي يمتاز بتحقيقاته النحوية واللغوية وتوجيه القراءات .
- ٤- وتفسير الرازي الذي يمتاز ببحوثه في العلوم الكونية مما يتعلق بالجماد والنبات والحيوان والإنسان وفي العلوم الكلامية ومقالات الفرق والمناظرة والحجاج في ذلك . ()

ومجالس ابن باديس تشمل أقساما ستة سورة الإسراء وسورة الفرقان وسورة النمل وسورة يس والمعوذتين ثم آيات متفرقة من سور يوسف والنحل والمائدة والنور ومريم وطه والأنبياء والحج والمؤمنون والذاريات والقسم السابع يعتبر تفسيراً موضوعياً عن العرب في القرآن . وهو يذكر آية أو عدة آيات ثم يتكلم عن مناسبتها ثم يتكلم عن معاني المفردات ثم يشرحها مستخرجاً منها الآداب والإعجاز والنكات اللغوية وغير ذلك .

وقد تكلم البشير الإبراهيمي عن خصائص تفسير ابن باديس في كلمة سماها "خصائص التفسير الباديي" انظرها كاملة . () وهو فيها يعتبر ظهور محمد عبده معجزةً ويصفه بأنه إمام المفسرين وأنه قد خلفه ترجمان أفكاره محمد رشيد رضا ثم يجعل إمامة التفسير بعده في العالم الإسلامي كله إلى ابن باديس . ()

المنهج التفصيلي للمؤلف :

أولاً : يلاحظ أن المؤلف لا يتعرض لأسماء السور ولا عد الآي ولا للمكي والمدني ونحو ذلك لأنه ليس تفسيراً شاملاً كما ذكرنا .

أما المناسبات فهو يهتم بها ومن ذلك قوله :

ولما ذكر تعالى آيته ونعمته بالقرآن الذي يهدي للتي هي أقوم ذكر آيته ونعمته بالليل والنهار المتعاقبين على ذلك على هذا الكون الأعظم فقال تعالى : ﴿وجعلنا الليل والنهار آيتين﴾ . ()

وانظر أيضاً المناسبة في الربط بين الإحسان للوالدين وإفراد الله بالعبادة . ()

١	.	٩	٥	() ص ٥٠-٥١ .
١	.	٩	٦	() ص ١٩ .
١	.	٩	٧	() ص ٢٤-٢٧ .
١	.	٩	٨	() الإسراء : ١٢ ، ص ٥٧ .

ثانيا : موقفه من العقيدة :

لقد أولى ابن باديس القضايا الاعتقادية اهتماما بينا فعلى الرغم من قلة المادة التفسيرية التي وقفنا عليها نجد أنه تطرق إلى مسائل متعددة من مسائل العقيدة فقد تكلم عن التوحيد وأنه أساس الدين كله () تحت قوله تعالى : ﴿ لا تجعل مع الله إلها آخر فتقعد مذموما مخذولا ﴾ ()

وتكلم عن أقسام التوحيد توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية والتوحيد العلمي والتوحيد العملي () وعن أقسام الكفر ()

وتكلم عن الأحكام الشرعية والأحكام القدرية تحت قوله تعالى : ﴿ وإن من قرية إلا نحن مهلكوها ﴾ () ثم قال : فما حكم من أحكامه القدرية إلا وله سببه

وعلته لا لوجوب أو إيجاب عليه بل بمحض مشيئته ومقتضى عدله وحكمته () .

وتطرق للرياء الذي هو شرك أصغر عند قوله تعالى : ﴿ ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها ﴾ ()

فقال : إن قصد الثواب والجزاء على العمل لا ينافي الإخلاص فيه لله .

وتكلم عن العامل الذي لا يريد الآخرة أصلا وإنما أراد الرياء أو منفعة دنيوية وفصل في ذلك تفصيلا جيدا . ()

وتحت قوله تعالى ﴿ إلا من تاب وآمن .. ﴾ () تساءل هل يخرج غير التائب من النار ؟ فقرر العقيدة السلفية من عدم خلود أهل الكبائر كالمقاتل والزاني في النار () .

() ص ٩٤

وانظر أيضا ص ١٤١، ١٣٦، ١١٦، ١٠٨

() ص ٨٧ .

() الإسراء : ٢٢

() ص ٩٠، ٩١ .

() ص ٢١٣ .

() الإسراء : ٥٨

() ص ١٩٣

() الإسراء : ١٩

() ص ٧٠-٧٥ .

() الفرقان : ٧٠

() ص ٣٧١-٣٧٤

ومع كونه امتدادا لمدرسة محمد عبده إلا أنه يرى جواز السحر على النبي ﷺ ويرى أنه من التأثير البدني فقط خلافا لمحمد عبده وذلك في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ومن شر النفاثات في العقد﴾ () ()

كما تحدث عن منزلة الدعاء () .

وفي الغيبات يقول تحت قوله تعالى: ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم﴾ () : ... أحوال ما بعد الموت فلا نقول فيها إلا ما كان لنا به علم بما جاء في القرآن العظيم أو ثبت في الحديث الصحيح () .
وأما موقفه من البدع :

فقد تطرق من ذلك إلى الإنكار على المبتدعة من المشركين الأوائل الذين اخترعوا الرقص والزمر والطواف حول القبور والذبح عندها ونداء أصحابها... الخ وذكر فساد ذلك ، وحث المسلمين على أن يقتصروا في العبادة على ما ثبت عن رسول الله ﷺ . ()
ومن ردوده على الصوفية قوله :

زعم قوم أن أكمل أحوال العابد أن يعبد الله تعالى لا طمعا في جنته ولا خوفا من ناره وهذه الآية وغيرها رد قاطع عليهم . الخ يعني قوله ﴿والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم﴾ () وقد تنازع في ذلك مع أحد هؤلاء ردا وجوابا () .

وهو يرفض تفاسير الصوفية التي ليس لها معاني صحيحة في نفسها ، ولم تؤخذ من التركيب القرآني أخذا عربيا صحيحا ، وليس لها ما يشهد من أدلة الشرع ؛ فيقول: ... أما ما لم تتوفر فيه الشروط المذكورة -

() الفلق : ٤

() ص ٦٣٣، ٦٣٤

() ص ٩٣

() الإسراء : ٣٦

() ص ١٦٠

() ص ٧٥-٧٦

() الفرقان : ٦٥

() ص ٣٢٩-٣٥٣ فأطال في تقرير ذلك . وانظر ص ٣٥٧

وانظر من كلامه أيضا في العقيدة ص ١٨١-١٨٣

وخصوصا الأول والثاني - فهو الذي لا يجوز في تفسير كلام الله وهو كثير في التفاسير المنسوبة لبعض الصوفية كتفسير أبي عبد الرحمن السلمي من المتقدمين والتفسير المنسوب لابن عربي من المتأخرين . ()

ثالثا : موقفه من تفسير القرآن بالقرآن :

قال في قوله : ﴿ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله في الآخرة من نصيب﴾ () ونظيرها أيضا آية ﴿من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها...﴾ ()

وقال في قوله : ﴿ونزل من القرآن ما هو شفاء﴾ () وصف الله تعالى القرآن بأنه شفاء في مواضع من كتابه منها هذه ومنها قوله تعالى ﴿يأيتها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين﴾ () ومنها قوله: ﴿قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء...﴾ ()

رابعا : موقفه من تفسير القرآن بالسنة :

ويتميز تفسير ابن باديس بانتقائه للأحاديث في الجملة فغالبا أحاديثه صحيحة أو حسنة وهو يعزو الأحاديث لمخرجيها في معظم المواضع () . وهذه ظاهرة عزيزة لأ تكاد توجد في أي من التفاسير ، فهي حسنة من حسنات ابن باديس رحمه الله .

وربما ذكر الحديث بدون عزو أو ذكر لدرجة صحته كقوله :

وقال ﷺ : "إن الله كتب الإحسان على كل شيء ؛ فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة" () . ()

وتحت قوله ﴿ومن أَرَادَ الآخرة وسعى لها سعيها﴾ () ذكر عدة أحاديث مستطردا:

١	١	١	٨	() ص ٤٤٤
١	١	١	٩	() الشورى : ٢٠
١	١	٢	٠	() هود : ١٥، ١٦
١	١	٢	١	() الإسراء : ٨٢
١	١	٢	٢	() يونس : ٥٧
١	١	٢		() فصلت : ٤٤ ، ص ٢٢٥
١	١			() انظر ص ٩٣، ٩٢، ٨٤، ٢١٢، ٢١١، ٢١٠، ٢١٠، ١٠٦، ١٠٣، ٩٧، ٩٦، ٩٧
١	١	٢		() ص ٨١ وانظر أيضا ص ٩٨
١	١			() أخرجه مسلم - كتاب الصيد والذبائح - باب الأمر ليأحسن الذبح والقتل وتحديد الشفرة ١٥٤٨/٣ عن شداد بن أوس .
١	١	٢	٧	() الإسراء : ١٩

منها قوله : جاء حديث أبي هريرة في الصحيح قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : “ إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتي به فعرفه نعمه فعرفها قال : فما عملت فيها ؟ قال : قاتلت فيك حتى استشهدت . قال : كذبت ولكنك قاتلت لأن يقال : جريء فقد قيل... ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن... ورجل وسع الله عليه.... ” الخ () .^٨

وقال : حديث أبي هريرة في الصحيح قال رسول الله ﷺ قال الله تبارك وتعالى “ أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه ” () .^٩

وقال : وسئل النبي ﷺ عن هذا - أي الرجل يتبغي الجهاد وهو يريد من عرض الدنيا - فقال : “ لا أجر له ” ، وقال : رواه أبو داود وابن حبان . () .^{١٠}

وكذا قوله : ومن أدلة هذا قوله ﷺ في حديث أبي ذر رضى الله عنه عند مسلم : “ وفي بضع أحدكم صدقة ” قالوا يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال : “ أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر ” () .^{١١}
ويتعرض لأسباب النزول ومن ذلك قوله :

﴿ أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة... ﴾ () قال ابن مسعود رضى الله عنه : هي في نفر من الإنس كانوا يعبدون نفرا من الجن فأسلم الجن وبقي الإنس على عبادتهم () .^{١٢}

خامسا : موقفه من تفسير القرآن بأقوال السلف :

نظرا لاستعمال ابن باديس الأسلوب الأدبي الذي يخاطب مستوى العامة نلاحظ عدم اهتمامه بنسبة الأقوال للمفسرين جملة وبالتالي لم يظهر اهتمامه بالتنصيص على المفسرين من السلف إلا لما .
قال تحت قوله : ﴿ واجعلنا للمتقين إماما ﴾ () :^{١٣}

() ص ٧٢ والحديث أخرجه مطولا : مسلم - كتاب الإمارة - باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار ١٥١٣/٣

() ص ٧٣ والحديث أخرجه مسلم - كتاب الزهد والرقائق - باب تحريم الرياء ٢٢٨٩/٤

() الحديث بطوله في سنن أبي داود - كتاب الجهاد - باب فيمن يغزو ويلتمس الدنيا ١٤/٣ ، صحيح ابن حبان ٤٩٤/١٠

() ص ٧٤ أخرجه مسلم - كتاب الزكاة - باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف ٦٩٧/٢

() الإسرائ : ٥٧

() ص ١٨٦ أخرجه البخاري^٢ - كتاب التفسير - سورة الإسرائ باب ﴿ قل ادعوا الذين زعمتم من دونه ﴾ ٣٩٧/٨

() الفرقان : ٧٤

قال مجاهد التابعي الجليل الثقة الثبت المفسر الكبير :

أئمة نقتدي بمن قبلنا ويقتدي بنا من بعدنا . ذكره البخاري ورواه ابن جرير بسند صحيح . ()

سادسا : موقفه من السيرة والتاريخ وذكر الغزوات :

وربما تطرق ابن باديس لبعض حوادث السيرة والتاريخ ومن ذلك :

قال في قوله : ﴿ إما يبلغن عندك الكبر ﴾ () : يعني الوالدين ، وكان والده - أي النبي ﷺ - عليهما الرحمة قد توفيا فلم يدخلوا في الخطاب قطعا () .

وقال في قوله ﴿ ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ﴾ () : والمخاطب بهذا الخطاب إما مفرد غير معين فيشمل جمع المكلفين غير النبي ﷺ لأنه كان يأخذ لعياله قوت سنتهم حين أفاء الله عليه النضير وفدك وخير () .

وقد ذكر بعضا من أهل الجاهلية أحيوا الموءودة تحت قوله تعالى ﴿ ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق ﴾ () كزيد بن عمرو بن نفيل وصعصعة بن ناجية () .

سابعا : موقفه من الإسرائيليات :

وعلى الرغم من محدودية القطع التفسيرية التي توقع عليها الدراسة ، فقد ظهر موقف ابن باديس من الإسرائيليات في قوله :

تحذير :

رويت في عظم ملك سليمان روايات كثيرة ليست على شيء من الصحة ، ومعظمها من الإسرائيليات الباطلة التي امتلأت بها كتب التفسير ، مما تلقي من غير تثبت ولا تمحيص من روايات كعب الأحبار ووهب بن منبه ، وروى شيئا من ذلك الحاكم في مستدركه وصرح الذهبي ببطلانه ، ومن هذه المبالغات

() ص ٣٩٥ ٥ ٣ ١

() الإسرائ : ٢٣ ٦ ٣ ١

() ص ١٢٧ وهذا على قول لمن يرى إيمان أبويه ﷺ أما من يرى عدم إيمانها فلا يجوز الترحم عليهما كما قال النبي ﷺ : " استأذنت ربي أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي ... " أخرجه مسلم - كتاب الجنائز - باب استئذان النبي ﷺ ربه عز وجل في زيارة قبر أمه ٦٧١/٢

() الإسرائ : ٢٩ ٨ ٣ ١

() السورة مكية وهذه الآيات قبل ما ذكره المصنف بزمان . ٣ ١

() الإسرائ : ٣١ ٤ ١

() ص ١٣٣ ومن مراجعه في السيرة كتاب الشفا للقاضي عياض انظر : ص ٢١٤ ١

كما ذكر قصصا تاريخية عن إبراهيم بن المهدي والمأمون ص ٣٢٢

الباطلة أنه ملك الأرض كلها مشارقها ومغاربها ، فهذه مملكة عظيمة "سبأ" كانت مستقلة عنه ومجهولة
لديه على قرب ما بين عاصمتها باليمن وعاصمته بالشام . ()

ثامنا : موقفه من اللغة :

يهتم المؤلف بشرح المفردات كوسيلة مباشرة لتوضيح المعنى لمن يلقي عليهم دروسه، ومن ذلك قوله في
قوله تعالى ﴿ وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل ﴾ () :

﴿ جعلنا الليل ﴾ : ... وجعل الشيء هو وضعه على حاله أو كيفية خاصة () .

﴿ آيتين ﴾ : الآية : العلامة الدالة () .

﴿ فمحونا ﴾ : المحو هو الإزالة () .

وفي قوله ﴿ محظورا ﴾ () قال : والحظر : المنع والمحظور الممنوع () .

ومن استدلاله بالشعر أحيانا قوله :

والأوابون في قوله تعالى ﴿ فإنه كان للأوابين غفورا ﴾ () هم الكثيرو الرجوع إلى الله تعالى والأوبة في
كلام العرب هي الرجوع قال عبيد :

وكل ذي غيبة يؤوب
وغائب الموت لا يؤوب ()

وربما ذكر بيت شعر لا على سبيل التوضيح اللغوي :

ومن ذلك ما نقله عن البوصيري :

كفكك بالعلم في الأمي معجزة في الجاهلية والتأديب في اليتيم ()

١	١	٤	٢	() ص ٤٥١
١	١	٤	٣	() الإسراء : ١٢
١	١	٤	٤	() ص ٥٧
١	١	٤	٥	() ص ٥٨
١	١	٤	٦	() ص ٦٠
١	١	٤	٧	() الإسراء : ٢٠
١	١	٤		() ص ٨٠ ، وانظر أيضا ص ١٢٣ ، ١١٦ ، ٨٨
١	١	٤	٩	() الإسراء : ٢٥
١	١	٥		() ص ١١٠ ، وانظر أيضا : ص ٢١٦ ، ١٨٠ ، ١٦٣ ، ١١٣

وربما تعرض للإعراب أحيانا () .

ومن مواضع تعرضه للنكات البلاغية :

﴿كلا نمذ هؤلاء﴾ () قال : قدم المفعول وهو ﴿كلا﴾ ردا على من يعتقد أن الله يمد بعضا دون

بعض وفيه إيجاز بالحذف والأصل كلا الفريقين يعني فريق مريدي العاجلة ومريدي الآخرة () .

قوله ﴿إنه كان للأوابين عفورا﴾ () : وقد أكد الكلام بأن لتقوية الرجاء في المغفرة وجيء بلفظ كان

لتفيد أن ذلك هو شأنه مع خلقه من سابق وهذا مما يقوي الرجاء فيه في اللاحق... الخ () .

وقال ﴿واخفض لهما جناح الذل﴾ () فشبه الولد في سعيه وحنوه وعطفه على والديه بالطائر في ذلك

كله على فراخه وحذف المشبه به وأشار إليه بلازمه وهو خفض الجناح لأن الطائر هو ذو الجناح

... فيكون في الكلام استعارة بالكناية () .

كما تكلم عن سر توجيه الخطاب للنبي ﷺ في قوله ﴿لا تجعل مع الله إلها آخر﴾ ()

وتكلم عن سر تنكير إحسانا في قوله ﴿وبالوالدين إحسانا﴾ ()

وتكلم عن إعجاز القرآن :

ومن ذلك كلامه عن الآيات من قوله : ﴿لا تجعل مع الله إلها آخر فتقعد مذموما مخذولا﴾ () إلى

قوله ﴿لا تجعل مع الله إلها آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا﴾ () فقال : فهذه ثمان عشرة آية من

١	١	٥	١	() ص ٦١
١	١	٥	٢	() انظر ١٨٦
١	١	٥	٣	() الإسراء : ٢٠
١	١	٥	٤	() ص ٨٠
١	١	٥	٥	() الإسراء : ٢٥
١	١	٥	٦	() ص ١١٢
١	١	٥	٧	() الإسراء : ٢٤
١	١	٥		() ص ١٠١ ، وانظر أيضا ص ١٢٥ ، ١١٣
١	١	٥	٩	() الإسراء : ٢٢ ، ص ٨٩
١	١	٦		() الإسراء : ٢٣ ، ص ٩٦ ، وانظر أيضا ص ٢٢٤
١	١	٦	١	() الإسراء : ٢٢
١	١	٦	٢	() الإسراء : ٣٩

سورة الإسراء قد أتت في إيجاز ووضوح على أصول الهداية الإسلامية كلها وأحاطت بأسباب السعادة في الدارين من جميع وجوهها... ثم بين ذلك مفصلاً () .

تاسعا : موقفه من القراءات :

وربما تعرض ابن باديس للقراءات وهو نادر ومن ذلك قوله في آية ﴿ كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها ﴾ () :

﴿ ذلك ﴾ إشارة إلى جميع ماتقدم من المأمورات والمنهيات على قراءة ﴿ سيئه ﴾ () فالمكروه هو سيء ماتقدم وهو القبائح المنهي عنها ، أو إشارة إلى خصوص القبائح على قراءة ﴿ سيئه ﴾ () .

عاشرا : موقفه من الفقه والأصول :

يتعرض للفقه لماما مثل قوله تحت آية ﴿ وبالوالدين إحسانا ﴾ () :

وإنما تحل مخالفتها - أي الوالدين - إذا منعه من واجب عيني أو أمره بمعصية .

ويقول : لأن القيام عليهما فرض عيني والجهاد كان عليه فرض كفاية ولو تعين عليه ولم يكونا عن كفاية قدم القيام عليهما وكفايتهما عليه () .

وفي قوله ﴿ ولا تقربوا الزنا ﴾ () قال :

وقد حمى الشرع الشريف العباد من هذه الفاحشة بما فرض من الحجاب الشرعي وهو ستر الحرة ما عدا وجهها ، وجمع ثيابها عند الخروج بالتجلبب وبما حرم من تطيب المرأة وقعقة حليها عند الخروج وخلوتها بالأجنبي واختلاط النساء بالرجال .

وتحت قوله ﴿ وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ﴾ () :

() ص ٨٦ ، وانظر في معجزات القرآن أيضا ص ١٩٠

() الإسراء : ٣٨

() قراءة ابن عامر وعاصم وعلمة والكسائي وخلف بضم الهمزة والهاء وإشباع ضمتهما على الإضافة والتذكير .

() قراءة الباقرين بفتح الهمزة ونصب تاء التأنيث مع التوحيد . انظر إتحاف فضلاء البشر ص ٢٨٣

() ص ١٦٦

() الإسراء : ٢٣

() ص ٩٨

() الإسراء : ٣٢

() الفرقان : ٦٣

تساءل هل يسلم على الكافر؟ قال : نعم . كما قال إبراهيم لأبيه ﴿سلام عليك﴾ () وقد قال تعالى ﴿قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم﴾ () ولم يستثن إلا قوله لأبيه لأستغفرن لك () .
وقد فات ابن باديس النهي الوارد في السنة الصحيحة من قوله ﷺ : “لا تبدءوا اليهود ولا النصارى بالسلام فإذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطروه إلى أضيقه” () .
وقد تعرض أيضا لحكم تارك الصلاة () .
ومن مصادره في الفقهيات ابن العربي المالكي () .
ويلاحظ أن ابن باديس ليس ناقلا فقط وإنما يناقش ويحلل ويرجح
ومن ذلك كلامه في التهجد تحت قوله ﴿ومن الليل فتهجد به﴾ () وهل كان مفروضا على النبي ﷺ وحده أم لا؟ () .

ومن تفرداته واجتهاداته ما ذكره تحت قوله : ﴿أقم الصلاة لدلوك الشمس﴾ ()
حيث ذكر قولاً ثالثاً في تفسيرها وقال : ولم أره لأحد ، واللفظ يحتمله : أن ميل الشمس يتدنى بالزوال وينتهي فيما يرى لنا بالبصر بمغيب الشفق غير أن ميلها في الزوال والغروب مشاهد بمشاهدة ذاتها ، وميلها بعد الغروب مستدل عليه بما يشاهد من أخذ الشفق في المغيب إلى أن يغيب بتمامه ، ولا شك أن ذلك نتيجة ميلها من وراء الأفق فالصلوات الأربع على هذا واجبة لدلوك الشمس () .
وهو يتعرض للأصول أثناء التفسير ومن ذلك :

قوله : والمطلق محمول على المقيد في البيان والأحكام . ()

وقوله : العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب () .

١	١	٧	٢	() مريم : ٤٧
١	١	٧	٣	() الممتحنة : ٤
١	١	٧	٤	() ص ٣٢٢
١	١	٧		() أخرجه مسلم - كتاب السلام - باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام ١٧٠٧/٤ عن أبي هريرة .
١	١	٧	٦	() انظر ص ٢١٣
١	١	٧	٧	() انظر ص ١٢٧
١	١	٧	٨	() الإسراء : ٧٩
١	١	٧	٩	() ص ٢١٨ - ٢٢٠
١	١	٨	١٠	() الإسراء : ٧٨
١	١	٨	١	() ص ٢٠٩
١	١	٨	٢	() ص ٦٧

وتكلم عن :

التقليد وحكمه () .

والاجتهاد وخبر الآحاد والفتوى بالدليل () .

وفي الحمل على الظاهر () .

ومن كلامه : وما أحسن التفسير عندما تعضده الأحاديث الصحاح . ()

ويقول : عندما يختلف عليك الرعاة الذين يدعي كل منهم أنه يدعوك إلى الله تعالى فانظر من يدعوك

بالقرآن إلى القرآن ومثله ماصح من السنة لأنها تفسيره وبيانه فاتبعه () ..

أما النسخ فهو يرى وقوعه ويرفض الغلو فيه ، ومن ذلك قوله في قوله تعالى : ﴿وإذا خاطبهم الجاهلون

قالوا سلاماً﴾ () :

فهو أدب مشروع مؤكد وحكم دائم محكم ، وهو في معاملات الأفراد كما ترى فلا ينافي ماشرع من

الحرب عند وجود أسبابها وتوفر شروطها بين الأمم والجماعات ، وهي من الأمور العامة كما ترى ،

فبطل قول من زعم أن هذه الآية بالنسبة لغير المسلم منسوخة بآية السيف لأن هذه الآية حكمها في

حال وآية السيف حكمها في حال أخرى فلا تنسخ إحداهما الأخرى وما أكثر ماقتلت أحكام بآية

السيف هذه !! وهي عند التحقيق غير معارضة لمباينة حالها لحالها () .

وقوله :

ولحديث عائشة رضي الله عنها : إن الله افترض قيام الليل في أول هذه السورة (المزمل) قيام الليل فقام

النبي ﷺ وأصحابه حولاً وأمسك الله خاتمها اثني عشر شهراً حتى أنزل الله في آخر هذه السورة التخفيف

فصار قيامه تطوعاً بعد فرضه . رواه مسلم . ()

١ () ص ١٣٥ ٣ ٨ ١

١ () ص ١٥٧ ٤ ٨ ١

١ () ص ١٥٨، ١٥٩ ٥ ٨ ١

١ () ص ٣٠١ ٦ ٨ ١

١ () ص ٣٠٥ ٧ ٨ ١

١ () ص ٣٠٩ ٨ ٨ ١

١ () الفرقان : ٦٣ ٩ ٨ ١

١ () ص ٣٢١ ١٠ ٩ ١

١ () ص ٢١٩ والحديث أخرجه مسلم مطولاً جداً - كتاب صلاة المسافرين - باب جامع صلاة الليل ١/١٣٥

حادي عشر : موقفه من العلوم الحديثة والرياضة والفلسفة والمعجزات الكونية :

لقد تعرض ابن باديس لبعض الكونيات فنراه يقرر كروية الأرض في تفسيره لقوله تعالى ﴿يَكُونُ اللَّيْلُ عَلَى النَّهَارِ﴾ () ()

ويقول في قوله ﴿وجعلنا الليل والنهار آيتين﴾ () قال : بتعاقبهما مقدرين بأوقات متفاوتة بالزيادة والنقص على نظام محكم وترتيب بديع بحسب الفصول الشتوية والصيفية وبسبب الأمكنة ومناطق الأرض المناطق الاستوائية والقطبية الشمالية والجنوبية وما بينهما حتى يكونا في القطبين ليلة ويوما في السنة، ليلة فيها ستة أشهر هي شتاء القطبين ويوم في ستة أشهر هو صيفهم () .

وقد تكلم عن القمر عند علماء الفلك ثم عن المعجزة العلمية في محو القمر بمعنى أنه كان شديد الحمو والحرارة في الأزمان القديمة منذ ملايين السنين ثم برد وزالت إضاءته على ما هو الآن () .

وعند التحقيق فهذه نظرية لا علاقة لها بالآية وهذا إغراق في تطبيق تلك النظريات على الآيات في حين ثبوت خطئها في كثير من الأحيان ، والمراد بالمحو ظلمة الليل كما فهمه أهل اللغة الذين نزل القرآن بمخاطبتهم أصلا ونحن لهم تبع .

كما تكلم عن استمداد القمر ضوءه من الشمس () .

كما عقد ابن باديس فصلا في المدنية الحديثة () .

ثاني عشر : موقفه من المواعظ والآداب :

وقد اهتم المؤلف بجانب الاجتماعيات والآداب اهتماما كبيرا مع شيء من الوعظ والإرشاد :

فمن الآداب والاجتماعيات تكلم في سورة الإسراء مثلا على أصول الهداية وبر الوالدين وصلاح النفوس وإصلاحها والعلم والأخلاق والقول الحسن وغير ذلك .

ومن استفاضته في التوجيه والإرشاد تطرقه إلى بر الوالدين بعد موتهما () .

١	١	٩	٢	() الزمر : ٥
١	١	٩	٣	() ص ٥٨
١	١	٩	٤	() الإسراء : ١٣
١	١	٩	٥	() ص ٥٨
١	١	٩	٦	() ص ٦٠
١	١	٩	٦٤	() ص ٦١ ، وانظر أيضا ص ٦٤
١	١	٩	٨	() ص ١٥٢
١	١	٩	٩	() ص ١٠٣

وفي قوله تعالى ﴿ من كان يريد العاجلة ﴾ ()

قال : ومن مقتضى هذا أن من أهمل تلك الأسباب الكونية التقديرية الإلهية ولم يأخذ بها لم ينل مسبباتها ولو كان من المؤمنين وهذا معلوم ومشاهد من تاريخ البشر في ماضيهم وحاضرهم .

ثم قسم ابن باديس العباد إلى أربعة أقسام : مؤمن آخذ بالأسباب فهو سعيد في الدنيا والآخرة ، ودهري تارك لهما فهو شقي فيهما ، ومؤمن تارك للأسباب شقي في الدنيا ناج بعد المؤاخذة على ترك الأسباب في الآخرة ، ودهري آخذ بالأسباب فهو سعيد في الدنيا هالك في الآخرة .

ويقول : فلا يفتن المسلمون بعد هذا ما يرونه من حالهم وحال من لا يدين دينهم... الخ () .

وفي قوله تعالى ﴿ فأولئك كان سعيهم مشكورا ﴾ () قال :

فهذا كان سعيه مشكورا بثلاثة شروط :

أن يقصد بعمله ثواب الآخرة... ،

أن يعمل لهما عملها... ،

أن يكون مؤمنا موقنا بثواب الله... الخ

وتحدث عن المجتمع السعيد ومقوماته () .

وله تقسيمات جيدة في أنواع الأمراض وفي التداوي بالقرآن () .

ومن توجيهاته الوعظية :

قال : فهذه الكلمات القليلة الكثيرة ﴿ لتبتغوا فضلا من ربكم ﴾ () جمعت أصول السعادة في هذه

الحياة ، بالعمل مع الجد فيه والمحبة له والرجاء في ثمرته الذي به قوام العمران وبالرضا والتسليم للمولى

الذي به طمأنينة القلب وراحة الضمير وبالكف للقلب واليد عن الناس الذي به الأمن والسلام () .

وفي قوله ﴿ من كان يريد العاجلة ﴾ ()

() (الإسراء : ١٩)

() (ص ٦٨)

() (الإسراء : ١٩)

() (ص ١١٦ ، وانظر أيضا ص ٨٢ ، ص ١٩٥-١٩٦)

() (ص ٢٣٢-٢٢٦

() (الإسراء : ١٢)

() (ص ٦٣ .

() (الإسراء : ١٨)

يقول : كل الناس في هذه الحياة حارث وهمام ، عامل ومريد ، فسفيه ورشيد ، وشقي وسعيد ، منهم من يريد بأعماله هذه الدار العاجلة والحياة الدنيا عليها قصر همه وعلى حظوظها عقد ضميره ... لا يرجو سواها ثوابا ولا يخاف عقابا ... الخ (٨) .

ويقول : وإذا أخلصت في رجائك وخوفك هانت عليك نفسك فقمتم في طاعته مجاهدا الخ (٩) .

ويقول في قوله تعالى ﴿ قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم ... ﴾ (١٠) :
هذه نملة وفت وأدت نحوهم واجبها فكيف بالإنسان العاقل فيما يجب عليه نحو قومه ؟ هذه عظة بالغة لمن لا يهتم بأمر قومه ، ولا يؤدي الواجب نحوهم ، ولمن يرى الخطر داهما لقومه فيسكت أو يتعامى ، ولمن يقود الخطر إليهم ويصبه بيده عليهم ! آه .. مأحوجنا معشر المسلمين إلى أمثال هذه النملة ! (١١)

١	٢	٨	() ص ٦٥
١	٢	١٩٧ ، ٨٣ ، ٩٠ ، ١٠٨ ، ١١١ ، ١٢٣	() ص ٧٠ ، وانظر أيضا ص ١٢٣ ، ١١١ ، ١٠٨ ، ٩٠ ، ٨٣ ، ١٩٧
١	٢	١	() النمل : ١٨
١	٢	١	() ص ٤٣٥

تفسير ابن عاشور من خلال كتابه التحرير والتنوير



مؤلف هذا التفسير هو محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي ت ١٣٩٣ هـ وهو من أهل المنطقة ولد بتونس وتوفي بها () .

التعريف بالتفسير :

وتفسيره المسمى بالتحرير والتنوير اسمه الأصلي : "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد وتفسير الكتاب المجيد" .

والكتاب له طبعتان : طبعة على هيئة أجزاء متفرقة نشرتها الدار التونسية للنشر ، وطبعة في خمس مجلدات ، وطبعة قديمة سنة ١٣٨٤ هـ بمطبعة عيسى البابي الحلبي لم أقف منها على غير الجزء الأول فقط .

قدم له المؤلف بتمهيد واف ذكر فيه مراده من هذا التفسير وقال :

فجعلت حقاً علي أن أبدي في تفسير القرآن نكتا لم أر من سبقني إليها ، وأن أقف موقف الحكم بين طوائف المفسرين تارة لها وآونة عليها ، فإن الاختصار على الحديث المعاد ، تعطيل لفيض القرآن الذي ماله من نفاذ ، ولقد رأيت الناس حول الأقدمين أحد رجلين : رجل معتكف فيما شاده الأقدمون ، وآخر أخذ بمعولة في هدم ما مضت عليه القرون وفي تلك الحالتين ضر كثير ، وهنالك حالة أخرى ينجر بها الجناح الكسير ، وهي أن نعهد إلى ما أشاده الأقدمون فنهدبه ونزيده وحاشا أن ننقضه أو نبينه ، علما بأن غمص فضلهم كفران للنعمة ، وجحد مزايا سلفها ليس من حميد خصال الأمة . ()
وقد ذكر فيها أهم التفاسير في نظره فبدأها بتفسير الكشاف ثم المحرر الوجيز ثم مفاتيح الغيب وتفسير البيضاوي والآلوسي وذكر بعض الحواشي على الكشاف والبيضاوي وتفسير أبي السعود والقرطبي وتقييم الأبي على ابن عرفة وتفسير ابن جرير ودرة التنزيل . ثم قال : ولقصد الاختصار أعرض عن العزو إليها . فكأنها مراجعه الأساسية .

() سبقت ترجمته في أهل المنطقة برقم ٢١٧
() ٧/١/١ ٣

ولقد أخرج ما حقه التقديم فجعل أولها كتاب الكشاف المعتزلي وجعل في آخرها كتاب ابن جرير أعظم المفسرين وعمدة السابقين واللاحقين مما يعطي الانطباع بأن منهج الشيخ عقلاني أكثر منه أثري . ثم قال : وقد ميزت ما يفتح الله لي من فهم في معاني كتابه وما أجلبه من المسائل العلمية مما لا يذكره المفسرون . ()

كما وضح أن فن البلاغة لم يخصه أحد من المفسرين بكتاب كما خصوا أفانين القرآن الأخرى ومن أجل ذلك التزم أن لا يغفل التنبيه على ما يلوح له منه كلما ألهمه .

وأخيراً فهو يمدح كتابه بقوله : ففيه أحسن ما في التفاسير ، وفيه أحسن مما في التفاسير . ()

وقد أتبع كلامه عن تفسيره بعشر مقدمات :

الأولى : في التفسير والتأويل وتعرض فيه لبيان أن التفسير ليس علماً إلا على وجه التسامح وناقش ذلك بمقدمات منطقية ترسم أبعاداً لمنهجه العقلاني الذي يتضح من خلال مطالعة تفسيره شيئاً فشيئاً . ()

وقد أتى في تلك المقدمة على تفسيري الكشاف وابن عطية وقال : وكلاهما عضداتا الباب ومرجع من بعدهما من أولي الألباب . ()

وسوف يأتي ذكر بقية المقدمات في غضون كلامنا عن المنهج التفصيلي .

المنهج العام للتفسير : ()

وتفسير التحرير والتنوير يعتبر في الجملة تفسيراً بلاغياً بياناً لغوياً عقلانياً لا يغفل المأثور ويهتم بالقراءات . وطريقة مؤلفه فيه أن يذكر مقطعاً من السورة ثم بشرح في تفسيره مبتدئاً بذكر المناسبة ثم لغويات المقطع ثم التفسير الإجمالي ويتعرض فيه للقراءات والفقهيّات وغيرها .

وهو يقدم عرضاً تفصيلياً لما في السورة ويتحدث عن ارتباط آياتها . ()

١ ٢ ٣ ٤ ٧/١/١ ()

١ ٢ ٣ ٥ ٨/١/١ ()

١ ٢ ٣ ٦ ١٢/١/١ ()

١ ٢ ٣ ٧ ١٦/١/١ ()

١ () وممن تكلم عن منهج ابن عاشور في تفسيره : د بلقاسم الغالي في كتابه شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر ابن

المنهج التفصيلي للمؤلف :

أولاً : أسماء السور وعدد الآيات والوقوف وبيان المناسبات :

لقد أفرد ابن عاشور المقدمة الثامنة من مقدماته وجعلها في اسم القرآن وآياته وسوره وترتيبها وأسمائها . ثم هو يتعرض أثناء التفسير لأسماء السور ومن ذلك في سورة الفاتحة إذ يقول : سورة الفاتحة من السور ذات الأسماء الكثيرة . أنهاها صاحب الإتقان إلى نيف وعشرين بين ألقاب وصفات وجرت على السنة القراء من عهد السلف ، ولم يثبت في السنة الصحيحة والمأثور من أسمائها إلا فاتحة الكتاب ، والسبع المثاني ، وأم القرآن ، أو أم الكتاب ، فلنقتصر على بيان هذه الأسماء الثلاثة. ()
ومما قاله في تقديمه لكتابه : واهتمت أيضاً ببيان تناسب اتصال الآي بعضها ببعض وبين أن البحث عن تناسب مواقع السور ليس حقاً على المفسر .

ويتعرض لمكية السور ومدنيتها وترتيب نزولها كما في الفاتحة والبقرة وغيرها. ()

وفي ترتيب النزول جاء قوله :

تخير المفسرون في محل هاته الحروف الواقعة في أول هاته السور ، وفي فواتح سور أخرى عدة جميعها تسع وعشرون سورة ومعظمها في السور المكية ، وكان بعضها في ثاني سورة نزلت وهي ﴿ن والقلم﴾ () وأخلق بها أن تكون مثار حيرة ومصدر أقوال متعددة وأبحاث كثيرة () .
وعند النظر لأول وهلة يتبين أن تحديد المصنف لتلك السورة بأنها ثاني سورة نزلت ليس بصحيح فإن أولى السور نزولاً هي العلق ثم المدثر والخلاف محصور فيهما مع الفاتحة ، فسورة ن هي الرابعة على أقل تقدير. ()

وهو يتعرض لعد الآي ومن ذلك قوله في سورة البقرة : وعدد آيها مائتان وخمس وثمانون آية عند أهل العدد بالمدينة ومكة والشام ، وست وثمانون عند أهل العدد بالكوفة ، وسبع وثمانون عند أهل العدد بالبصرة () .

١	٢	١	() انظر كمثل ٢٠٣/١/١ ٩
١	٢	٢	() ١٣١/١ ، وانظر أيضاً في أسماء السور ٢٠١/١/١
١	٢	٢	() انظر ٢٠٢-١٣٥/١ ١
١	٢	٢	() القلم: ١ ٢
١	٢	٢	() ٢٠٦/١/١ ٣
١	٢	٢	() انظر الإتقان ٣١-٤٣/١ ٤
١	٢	٢	() ٢٠٢/١/١ ٥

وقد تعرض للخلاف في عد الفواتح . ()

ثانيا : موقفه من العقيدة :

وهو في العقيدة يسلك مسلك المؤولة :

يقول : فوصف الله تعالى بصفات الرحمة في اللغات ناشئ على مقدار عقائد أهلها في ما يجوز على الله ويستحيل ، وكان أكثر الأمم مجسمة ، ثم يجيء ذلك في لسان الشرائع تعبيراً على المعاني العالية بأقصى ما تسمح به اللغات مع اعتقاد تنزيه الله عن أعراض المخلوقات بالدليل العام على التنزيه وهو مضمون قول القرآن ﴿ ليس كمثله شيء ﴾ () فأهل الإيمان إذا سمعوا أو أطلقوا وصفي : الرحمن الرحيم ؛ لا يفهمون منه حصول ذلك الانفعال الملحوظ في حقيقة الرحمة في متعارف اللغة العربية لسطوع أدلة تنزيه الله تعالى عن الأعراض بل إنه يراد بهذا الوصف في جانب الله تعالى إثبات الغرض الأسمى من حقيقة الرحمة وهو صدور آثار الرحمة من الرفق واللفظ والإحسان والإعانة لأن ماعدا ذلك من القيود الملحوظة في مسمى الرحمة في متعارف الناس لا أهمية له ، لولا أنه لا يمكن بدونه حصول آثاره فيهم ألا ترى أن المرء قد يرحم أحداً ولا يملك له نفعاً لعجز أو نحوه وقد أشار إلى ما قلناه أبو حامد الغزالي في المقصد الأسنى بقوله : الذي يريد قضاء حاجة المحتاج ولا يقضيها فإن كان قادراً على قضائها لم يسم رحيمًا إذ لو تمت الإرادة لوفى بها وإن كان عاجزا فقد يسمى رحيمًا باعتبار ما اعتبره من الرحمة والرفقة ولكن ناقص.

وبهذا تعلم أن إطلاق نحو هذا الوصف على الله تعالى ليس من المتشابه لتبادر المعنى المراد منه بكثرة استعماله وتحقق تنزه الله عن لوازم المعنى المقصود في الوضع مما لا يليق بجلال الله ، كما نطلق العليم على الله مع التيقن بتجرد علمه عن الحاجة إلى النظر والاستدلال وسبق الجهل ، وكما نطلق الحي عليه تعالى مع اليقين بتجرد حياته عن العادة والتكون ، ونطلق القدرة مع اليقين بتجرد قدرته عن المعالجة والاستعانة، فوصفه تعالى بالرحمن الرحيم من المنقولات الشرعية فقد أثبت القرآن رحمة الله في قوله ﴿ورحمتي وسعت كل شيء ﴾ () فهي منقولة في لسان الشرع إلى إرادة الله إيصال الإحسان إلى مخلوقاته في الحياة الدنيا وغالب الأسماء الحسنى من هذا القبيل. ()

١	٢	٢	٦	() انظر ٢١٨/١/١
١	٢	٢	٧	() الشورى: ١١
١	٢	٢	٨	() الأعراف: ١٥٦
١	٢	٢	٩	() ١٧٠-١٦٩/١

ويقول : وإذا كانت حقيقة الغضب يستحيل اتصاف الله تعالى بها ، وإسنادها إليه على الحقيقة ، للأدلة القطعية الدالة على تنزيه الله تعالى عن التغيرات الذاتية والعرضية ؛ فقد وجب على المؤمن صرف إسناد الغضب إلى الله عن معناه الحقيقي ، وطريقة أهل العلم والنظر في هذا الصرف أن يصرف اللفظ إلى المجاز بعلاقة اللزوم أو إلى الكناية باللفظ عن لازم معناه ، فالذي يكون صفة لله من معنى الغضب هو لازمه ، أعني : العقاب والإهانة يوم الجزاء واللعنة أي الإبعاد عن أهل الدين والصلاح في الدنيا أو هو من قبيل التمثيلية . وكان السلف في القرن الأول ومنتصف القرن الثاني يمسكون عن تأويل هذه المتشابهات ، لما رأوا في ذلك الإمساك من مصلحة الاشتغال بإقامة الأعمال التي هي مراد الشرع من الناس ، فلما نشأ النظر في العلم وطلبوا معرفة حقائق الأشياء وحدث قول الناس في معاني الدين بما لا يلائم الحق ، لم يجد أهل العلم بدءاً من توسيع أساليب التأويل الصحيح لإفهام المسلم وكبت الملحد ، فقام الدين بصنيعهم على قواعده ، وتميز المخلص له عن ماكره وجاحده ، وكل فيما صنعوا على هدى . وبعد البيان لا يرجع إلى الإجمال أبداً ، () وماتأولوه إلا بما هو معروف في لسان العرب مفهوم لأهله . فغضب الله تعالى على العموم يرجع إلى معاملته الحائدين عن هديه العاصين لأوامره ويترتب عليه الانتقام وهو مراتب أقصاها عقاب المشركين والمنافقين بالخلود في الدرك الأسفل من النار ودون الغضب الكراهية . ()

وقد يستطرد أحيانا في تلك القضايا المتعلقة بالصفات ويكفي القارئ لمعرفة مدى الاستطراد الذي وقع فيه المؤلف الخارج عن نطاق التفسير أن يقرأ هذه الفقرة التي ساقها ضمن كلامه الطويل عن الحمد :

() ما أجمل منهج السلف في هذا الباب وماذا أفاد الخوض آتية من خاضه وهل لا يكتب المعاند التمسك بالنفي والإثبات ؟ فننفي عن الله المثل والشبيه ونثبت له ما أثبتته على مراده وكما يليق بجلاله ، وما أجمل تلك القاعدتين المفحمتين لكل متكلم :

القول في الصفات فرع عن الكلام في الذات .

القول في بعض الصفات كالقول في بعضها الآخر .

ورحم الله الرازي إذ يقول :

نهاية إقدام العقول عقال وغاية سعي العالمين ضلال

وأرواحنا في وحشة من جسمونا وحاصل دنيانا أذى ووبال

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية ، فما رأيتها تشفي عليلاً ولا تروي غليلاً ، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن ، أقرأ في الإثبات : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ طه : ٥ ﴿ إليه يصعد الكلم الطيب ﴾ فاطر : ١٠ وأقرأ في النفي ﴿ ليس كمثل شيء ﴾ الشورى : ١١ ﴿ ولا يحيطون به علماً ﴾ طه : ١١٠ ثم قال : ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي ١. فماذا بعد الحق إلا الضلال ؟

وانظر : تصحيح المفاهيم في جوانب من العقيدة ص ٢٢-٣٢ ، شرح العقيدة الطحاوية ص ١٦٧-١٧٠

() ١٩٧/١-١٩٨

قال : ... ومنه أنه يكون ثناء على الجميل الاختياري : وبهذا يندفع الإشكال عن حمدنا الله تعالى على صفاته الذاتية كالعلم والقدرة دون صفات الأفعال ، وإن كان اندفاعه على اختيار الجمهور أيضاً ظاهراً ؛ فإن ما ورد عليهم من أن مذهبهم يستلزم أن لا يحمد الله تعالى على صفاته لأنها ذاتية ، فلا توصف بالاختيار إذ الاختيار يستلزم إمكان الاتصاف . وقد أجابوا عنه إما بأن تلك الصفات العلية نزلت منزلة الاختيارية لاستقلال موصوفها وإما بأن ترتب الآثار الاختيارية عليها يجعلها كالاختيارية ، وإما بأن المراد بالاختيارية أن يكون المحمود فاعلاً بالاختيار وإن لم يكن المحمود عليه اختيارياً . وعندني أن الجواب أن نقول : إن شرط الاختياري في حقيقة الحمد - عند مثبته - لإخراج الصفات غير الاختيارية ، لأن غير الاختياري فينا ليس من صفات الكمال إذ لا تترتب عليها الآثار الموجبة للحمد ، فكان شرط الاختيار في حمدنا زيادة في تحقق كمال المحمود ، أما عدم الاختيار المختص بالصفات الذاتية الإلهية فإنه ليس عبارة عن نقص في صفاته ، ولكنه كمال نشأ من وجوب الصفة للذات لقدم الصفة فعدم الاختيار في صفات الله تعالى زيادة في الكمال لأن أمثال تلك الصفات فينا لا تكون واجبة للذات ملازمة لها ، فكان عدم الاختيار في صفات الله تعالى دليلاً على زيادة الكمال ، وفينا دليلاً على النقص . وما كان نقصاً فينا باعتبار ما ، قد يكون كمالاً لله تعالى باعتبار آخر ، مثل عدم الولد ، فلا حاجة إلى الأجوبة المبنية على التنزيل إما باعتبار الصفة أو باعتبار الموصوف ، على أن توجيه الثناء إلى الله تعالى بمادة (حمد) هو أقصى ما تسمى به اللغة الموضوعية لأداء المعاني المتعارفة لدى أهل تلك اللغة ، فلما طرأت عليهم المدارك المتعلقة بالحقائق العالية عبر لهم عنها بأقصى ما يقربها من كلامهم . ()

ويقول في خلق الأفعال وقضية اللطف وهو كلام يشم منه رائحة الاعتزال :

﴿ فزادهم الله مرضاً ﴾ () وإنما أسندت زيادة مرض قلوبهم إلى الله تعالى مع أن زيادة هاته الأمراض القلبية من ذاتها ، لأن الله تعالى لما خلق هذا التولد وأسبابه وكان أمره خفياً ، نبه الناس على خطر الاسترسال في النوايا الخبيثة والأعمال المنكرة ، وأنه من شأنه أن يزيد تلك النوايا تمكناً من القلب فيعسر أو يتعذر الإقلاع عنها بعد تمكنها ، وأسندت تلك الزيادة إلى اسمه تعالى لأن الله غضب عليهم فأهملهم وشأنهم ولم يتداركهم بلطفه الذي يوقظهم من غفلاتهم لينبه المسلمين إلى خطر أمرها وأنها مما يعسر إقلاع أصحابها عنها ليكون حذرهم من معاملتهم أشد ما يمكن .

وله كلام جيد في تقدير المحذوف في لا إله إلا الله :

١	٢	٣	٢	() ١٥٦/١
١	٢	٣	٣	() البقرة: ١٠

قال : قد أفادت جملة (لا إله إلا هو) التوحيد لأنها نفت حقيقة الألوهية عن غير الله تعالى . وخبر " لا " محذوف دل عليه ما في " لا " من معنى النفي لأن كل سامع يعلم أن المراد نفي هذه الحقيقة فالتقدير لا إله موجود إلا هو ، وقد عرضت حيرة للنحاة في تقدير الخبر في هاته الكلمة ... الخ ()^٤

كما تعرض للخلاف في مسمى الإيمان فأطال فيه إطالة خرجت عن حد التفسير ()^٥ وتورط فيها ورطة كبيرة كما سيأتي في نهاية حديثنا عن هذا التفسير .

وله ردود ومناقشات مع الفرق ومن ذلك :

حملته في المقدمة الثالثة على تفسير الباطنية وقد عرج على التفسير الإشاري وخرجه تحريجاً يوحى بقبوله له وقال في بعض أنحاءه : ورأيت الشيخ محيي الدين يسمي هذا النوع سماعاً ولقد أبدع . ()^٦

وقد تعرض للإباضية وقولهم في الإيمان ()^٧

كما تعرض لبعض الخلافات بين الأشاعرة والمعتزلة ()^٨

وابن عاشور يؤخذ عليه أنه ينقل عن أناس معروفين بالزيغ في باب الاعتقاد فهو ينقل عن ابن سينا ()^٩ وأمثاله إذ يقول بعد ذكر كلام للرازي :

قلت : ولم يسم الإمام المرتبة الثالثة باسم والظاهر أنها ملحقة في الاسم في المرتبة الثالثة أعني العبودية لأن الشيخ ابن سينا قال في الإشارات : العارف يريد الحق لا لشيء غيره ولا يؤثر شيئاً على عرفانه وتعبده له فقط لأنه مستحق للعبادة ولأنها نسبة شريفة إليه لا لرغبة أو رهبة . اهـ فجعلهما حالة واحدة . ()^{١٠}

() ٧٥/١/٢ ()^٤

() ٢٦٦/١/١ ، ٢٧٤ . ()^٥

() ٣٦/١/١ ()^٦

() انظر ٢٦٨/١/١ ()^٧

() ٢٥٧ ، ٢٣٥/١/١ ()^٨

() الحسين بن عبد الله الرئيس الفيلسوف كان أبوه من دعاة الإسماعيلية قال الذهبي : هو رأس الفلاسفة الإسلامية لم يأت بعد الفارابي مثله فالحمد لله على الإسلام والسنة وله كتاب الشفاء وغيره وأشياء لا تحتمل وقد كفره الغزالي في كتاب المنقذ من الضلال وكفر الفارابي (سير أعلام النبلاء ٥٣١/١٧) وقال أيضا الذهبي : ما علمه روى شيئا من العلم ولو روى لمأحلت الرواية عنه لأنه فلسفي النحلة ضال لارضي الله عنه . وقال ابن أبي الحموي : وقد اتفق العلماء على أن ابن سينا كان يقول بقديم العالم ونفي المعاد الجسماني ولا ينكر المعاد النفساني ونقل عنه أنه قال : إن الله لا يعلم عن الجزئيات بعلم جزئي بل بعلم كلي فقطع علماء زمانه ومن بعدهم من الأئمة ممن يعتبر قولهم أصولا وفروعا بكفره وبكفر أبي نصر الفارابي من أجل اعتقاده هذه المسائل وإنها خلاف إعتقاد المسلمين . (انظر لسان الميزان ٢٩١/٢-٢٩٣)

() ١٨١/١/١ ()^٩

كما ينقل عنه مرة ثانية بعدها بصفحة فيقول :

وأقل منه قول الشيخ ابن سينا في الإشارات : لما لم يكن الإنسان بحيث يستقل وحده بأمر نفسه إلا بمشاركة آخر من بني جنسه وبمعاوضة ومعارضة تجريان بينهما يفرغ كل واحدة منهما لصاحبه عن مهم لو تولاه لنفسه لآزدهم على الواحد كثير وكان مما يتعسر إن أمكن ، ووجب أن يكون بين الناس معاملة وعدل يحفظه شرع يفرضه شارع متميز باستحقاق الطاعة ، ووجب أن يكون للمحسن والمسيء جزاء من عند القدير الخبير ، فوجب معرفة المجازي والشارع ، وأن يكون مع المعرفة سبب حافظ للمعرفة ففرضت عليهم العبادة المذكورة للمعبود ، وكررت عليهم ليستحفظ التذكير بالتكرير ا.هـ ()

وتقدم نقله عن ابن عربي . ()

كما تأثر بمن لديه الخراف في عقيدته ونقل عنه كثيرا أمثال الزمخشري ، وهو يثني على الغزالي وينقل عنه كثيرا أيضا . ()

ثالثا : موقفه من تفسير القرآن بالقرآن :

ومن مواضع تفسير ابن عاشور للقرآن بالقرآن وهي تكاد تكون نادرة وغير مباشرة قوله :

﴿ يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم ﴾ () قال : وقيل : أريد بالذين آمنوا الذين أظهروا الإيمان فتكون خطابا للمنافقين فيؤول قوله ﴿ الذين آمنوا ﴾ بمعنى أظهروا الإيمان فيكون تهكما بهم على حد قوله ﴿ وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون ﴾ () فيكون خطابا للمنافقين ... الخ . () وقال : والعلو في قوله ﴿ ولتعلن علوا كبيرا ﴾ () مجاز في الطغيان والعصيان كقوله ﴿ إن فرعون علا في الأرض ﴾ () وقوله ﴿ إنه كان عاليا من المسرفين ﴾ () وقوله ﴿ ألا تعلوا عليّ وأتوني مسلمين ﴾ () تشبيها للتكبر والطغيان بالعلو على الشيء لامتلاكه تشبيهه معقول بحسوس . ()

١	٢	٤	١	() ١٨٢/١/١
١	٢	٤	٢١٠، ٢٠٧ / ١/١	() وانظر أيضا
١	٢	٤	٣٣٤، ٤٢/١	() انظر كمثال
١	٢	٤	٤	() البقرة: ١٠٨
١	٢	٤	٥	() الحجر: ٦
١	٢	٤	٦	() ٢٧٧/٢/٢
١	٢	٤	٧	() الإسراء: ٤
١	٢	٤	٨	() القصص: ٤
١	٢	٤	٩	() الدخان: ٣١

رابعا : موقفه من تفسير القرآن بالسنة :

وأفرد ابن عاشور المقدمة الثالثة من مقدماته العشر : في صحة التفسير بغير المأثور ومعنى التفسير بالرأي وقد انتقد فيها كتب التفسير بالمأثور حتى تجاوز الانتقاد إلى ذكر ما ليس بحقيقة كقوله : وإن أرادوا بالمأثور ما روي عن النبي ﷺ وعن الصحابة خاصة وهو ما يظهر من صنيع السيوطي في تفسيره الدر المنثور . لم يتسع ذلك المضيق إلا قليلا ولم يغن عن أهل التفسير فتىلا . ()^٢

وهذا غير صحيح فالدر المنثور جامع لأقوال التابعين وبعض تابعي التابعين أكثر مما جمع عن الصحابة .

وقد انتقد الطبري وقال عن طريقته : وذلك طريق ليس بنهج وقد سبقه إليه بقي بن مخلد ولم نقف على تفسيره ، وشاكل الطبري فيه معاصروه ، مثل ابن أبي حاتم وابن مردويه والحاكم ، فله در الذين لم يجسوا أنفسهم في تفسير القرآن على ما هو مأثور مثل الفراء وأبي عبيدة من الأولين ، والزجاج والرماني ممن بعدهم ، ثم الذين سلكوا طريقهم مثل الزمخشري وابن عطية . ()^٣

وأقول : بل لله در من حسبوا أنفسهم على منهج أولهم ولم تنزل أقدامهم في مازلت فيه أقدام غيرهم ممن خرجوا من القفص لحتفهم .

أما موقفه من الحديث فيتعرض له على وجه التفسير وربما جاء به لدلالة لغوية ونحوها .

وهو في الغالب يذكر الأحاديث بدون تخريج ()^٤ .

وربما ذكر التخريج وهو قليل ()^٥ .

وقد يخالف المصنف عاداته لحاجة في نفس يعقوب ومن ذلك كلامه عن حديث تحويل القبلة حيث لم يكتب بالتخريج ولا بالصناعة الحديثية بل ذكر أيضا طرفا من الأسانيد فقال عند قوله ﴿ سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم ﴾ ()^٦ :

١	٢	٥	٠	() النمل : ٣١
١	٢	٥	١	() ٣٠/١٥
١	٢	٥	٢	() ٣٢/١/١
١	٢	٥	٣	() ٣٣/١
١	٢	٥	٣٣٣ ، ٣١١ ، ٢٧٥/١/١	() انظر ٤٤،٤٧،٥٤،٦٩،٠٣،١٤٩/١/٢ ، ٣٣٣ ، ٣١١ ، ٢٧٥/١/١
١	٢	٥	٧١،٨١،٧٠/١/٢ ، ٢٠٢ ، ١٥٤/١/١	() انظر ٧١،٨١،٧٠/١/٢ ، ٢٠٢ ، ١٥٤/١/١
١	٢	٥	٦	() البقرة : ١٤٢

ولذلك جزم أصحاب هذا القول بأن هذه الآية نزلت بعد نسخ استقبال بيت المقدس ورووا ذلك عن مجاهد . وروى البخاري في كتاب الصلاة^(١) من طريق عبدالله بن رجاء عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن البراء حديث تحويل القبلة ووقع فيه : فقال السفهاء - وهم اليهود - : ﴿ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها﴾ ﴿قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾ . وأخرجه في كتاب الإيمان^(٢) من طريق عمرو بن خالد عن زهير عن أبي إسحاق عن البراء بغير هذه الزيادة^٣ ، ولكن قال عوضها : وكانت اليهود قد أعجبهم إذ كان يصلي قبل بيت القدس ، وأهل الكتاب ، فلما ولي وجهه قبل البيت أنكروا ذلك . وأخرجه في كتاب التفسير^(٤) من طريق أبي نعيم عن زهير بدون شيء من هاتين الزيادتين ، والظاهر أن الزيادة الأولى مدرجة من إسرائيل عن أبي إسحاق ، والزيادة الثانية مدرجة من عمرو بن خالد لأن مسلما والترمذي والنسائي قد رووا حديث البراء عن أبي إسحاق من غير طريق إسرائيل ولم يكن فيه إحدى الزيادتين ، فاحتاجوا إلى تأويل حرف الاستقبال من قوله ﴿سيقول السفهاء﴾ بمعنى التحقيق لا غير ، أي قد قال السفهاء : ما ولاهم^(٥) .

وهذا التخريج المطول - بالنسبة للتفسير - لاقيمة له من حيث الصناعة الحديثية لإثبات الإدراج في الحديث ، ولا بد في ذلك من نص عالم متخصص من الحفاظ على ذلك الإدراج أو التتبع الكامل لجميع طرق الحديث ثم عرضها على قواعد أهل المصطلح للوصول لتلك الدعوى العريضة . وهو أحيانا يغض طرفه عن مشهور الحديث بعبارة مقتضبة لعدم قناعته بالتفسير المترتب عليه ومن ذلك : قوله ﴿غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾^(٦) .

قال : فالمغضوب عليهم : جنس للفرق التي تعمدت ذلك واستخفت بالديانة عن عمد أو تأويل بعيد جداً ، والضالون : جنس للفرق التي أخطأت الدين عن سوء فهم وقلة إصغاء ، وكلا الفريقين مذموم لأننا مأمورون باتباع سبيل الحق وصرف الجهد إلى إصابته ، واليهود من الفريق الأول والنصارى من الفريق الثاني وما ورد في الأثر مما ظاهره تفسير ﴿المغضوب عليهم﴾ باليهود و﴿الضالين بالنصارى﴾ فهو إشارة إلى أن في الآية تعريضاً بهذين الفريقين اللذين حق عليهما هذان الوصفان لأن كلا منهما صار علماً فيما أريد التعريض به فيه .^(٧)

١	٢	()	باب التوجه نحو القبلة ٥٠٢/١ وفيه : وقال السفهاء من الناس - وهم اليهود... الخ
١	٢	()	باب الصلاة من الإيمان ٩٥/١
١	٢	()	باب ﴿سيقول السفهاء...﴾ ١٧١/٨
١	٢	()	٦،٧/١/٢
١	٢	()	الفاحة: ٧
١	٢	()	١٩٦/١

فقوله : "وما ورد في الأثر مما ظاهره .. "واضح جدا فيما ذكرته ، وتفسير الآية بذلك يعتبر نصا فيها لا
ظاهرا كما يوهم كلامه وهو حديث مشهور رواه عدة واتفق السلف على تفسير الآية بذلك حتى قال
ابن أبي حاتم : لا أعلم بين المفسرين في هذا الحرف خلافا . ()

وربما نقد بعض الأحاديث () ثم تناقض . ()

وقد وهم في حديث نسبه للنبي ﷺ وهو من مشهور كلام علي بن أبي طالب وذلك في قوله :
فالعالم يجرم عليه أن يكتم من علمه ما فيه هدى للناس لأن كتم الهدى إيقاع في الضلالة سواء في ذلك
العلم الذي بلغة إليه في تاريخ الخبر كالقرآن والسنة الصحيحة والعلم الذي يحصل عن النظر
كالاجتهادات إذا بلغة مبلغ غلبة الظن بأن فيها خيرا للمسلمين ، ويجرم عليه بطريق القياس الذي تومئ
إليه العلة أن يثبت في الناس ما يوقعهم في أوهام بأن يلقتها وهو لا يحسن تنزيلها ولا تأويلها ، فقد قال
رسول الله ﷺ : "حدثوا الناس بما يفهمون أحبون أن يكذب الله ورسوله ؟" () وكذلك كل ما يعلم
أن الناس لا يحسنون وضعه () .

وهو يتعرض لذكر أسباب النزول وقد أفرد لها المقدمة الخامسة حيث تكلم فيها عن فوائدها وأنكر على
من توسع فيها وخلط الغث بالسمين .

ومن مواضع ذكره لأسباب النزول ماتقدم في قضية تحويل القبلة .

ومنه أيضا قوله في آية ﴿ ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض ﴾ () : ... فنزلت لبيان
الأمر الأجدر فيما جرى في شأن الأسرى في وقعت بدر . وذلك مارواه مسلم عن ابن عباس والترمذي
عن ابن مسعود ما مختصره أن المسلمين لما أسروا الأسارى ، قال أبو بكر : يابني الله هم بنو العم
والعشيرة أرى أن تأخذ منهم فدية فتكون لنا قوة على الكفار ، فعسى الله أن يهديهم للإسلام وقال
عمر : أرى أن تمكنا فنضرب أعناقهم فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها . فهوي رسول الله ما قال أبو
بكر فأخذ منهم الفداء . () كما رواه أحمد عن ابن عباس فأنزل الله

() التفسير ٢٣/١ ٣ ٦ ٢

() انظر : ٢٤،٥٢/١/٢ ٤ ٦ ٢

() انظر : ٥٣/١/٢ ٥ ٦ ٢

() رواه البخاري في صحيحه - كتاب العلم - باب من تحص بالعلم قوما دون قوم ٢٢٥/١ عن علي بن أبي طالب من قوله هو وليس حديثا كما ذكرت .

() ٦٩،٧٠،٧١/١/٢ ٧ ٦ ٢

() الأنفال : ٦٧ ٨ ٦ ٢

() انظر صحيح مسلم - كتاب الجهاد والسير - باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر ١٣٨٥/٣

﴿ ما كان لني أن يكون له أسرى ﴾ . ()

خامسا : موقفه من تفسير القرآن بأقوال السلف :

أما أقوال الصحابة والتابعين فلا يكثر نقلها وهو في نقله غالبا تابع لابن عطية والرازي ونحوهما لا عن المصادر الأساسية ، وأما أكثر نقوله فهي عن المتأخرين أمثال الرازي والغزالي وصاحب الكشف والسكاكي والسيالكوتي والتفتازاني ونحوهم .
ومن مواضع نقله عن السلف قوله :

ويعضدنا في هذا ما ذكر الفخر عن ابن عباس والبراء بن عازب والحسن أن المراد بالسفهاء المشركون () . ()

ومن المواضع التي تستحق التنبيه لتعلقها بتفسير السلف قوله : ... مثل اللات يزعم العرب أنه رجل كان يلت السويق للحجيج وأن أصله اللات . ()

وهذا الذي ذكره ليس زعما للعرب بل هو تفسير صحيح ثابت عن حبر الأمة وترجمان القرآن ابن عباس () .

سادسا : موقفه من السيرة والتاريخ وذكر الغزوات :

والمصنف يتعرض للسيرة في مناسبات كثيرة منها ماتقدم في أسارى بدر . ()
ومن مواضع تعرضه للأمور التاريخية حديثه عن شهور العرب وإطالته فيها تحت قوله تعالى ﴿ شهر رمضان ﴾ () .

-
- ١ () ٧٣-٧٢/١٠ وانظر أيضا في أسباب النزول ٢/١،٦٠،٧١
- ١ () ٦/١/٢
- ١ () وانظر أيضا ٢/١،٦٤،١٦٣
- ١ () انظر ٢/١،٩٤
- ١ () أخرجه البخاري - كتاب التفسير - باب ﴿ أفرايتم اللات والعزى ﴾ النجم: ١٩ - ١٨/١، ٦١
- ١ () وانظر في ذلك أيضا ١/١، ٢٦٣، ٢٦٤ ، ٢/١، ١٧٣
- ١ () انظر ٢/١، ١٧١، ١٦٩

سابعا : موقفه من الإسرائيليات :

والمصنف إذ يعنى على التفسير بالمأثور إغراقه في الإسرائيليات ونقلها عن أئمة أهل الكتاب ممن أسلم أمثال عبد الله بن سلام رضي الله عنه ووهب بن منبه وكعب ابتكر تعاملًا جديدًا معها وهو النقل المباشر من الأسفار ومن ذلك () :

قوله : وقد جاء ذكر اللعنة على إضاعة عهد الله في التوراة مرات وأشهرها العهد الذي أخذه موسى على بني إسرائيل في (حواريب) حسبما جاء في سفر الخروج في الإصحاح الرابع والعشرين ، والعهد الذي أخذه عليهم في (مؤاب) وهو الذي فيه اللعنة على من تركه وهو في سفر التثنية في الإصحاح الثامن والعشرين والإصحاح التاسع والعشرين ومنه : أنتم واقفون اليوم جميعكم أمام الرب إلهكم ... لكي تدخلوا في عهد الرب وقسمه لثلا يكون فيكم اليوم منصرف عن الرب... الخ ()

ثامنا : موقفه من اللغة :

ومما قاله المصنف في تقديمه لكتابه :

وقد اهتمت في تفسيري هذا ببيان وجوه الإعجاز ونكت البلاغة العربية وأساليب الاستعمال . وقال : واهتمت بتبيين معاني المفردات في اللغة بضبط وتحقيق مما خلت عن ضبطه وتحقيقه كثير منه قواميس اللغة .

وهو كما قال فعلا حيث خرج من التفسير إلى إضافة قاموس لغوي لمفردات القرآن ومن أمثلة ذلك :

الإطناب في كلمة حجارة ()

الإطناب الشديد في فواتح السور ()

وجعل المقدمة الثانية : في استمداد علم التفسير وركز على أهمية علمي البيان والمعاني ثم الشعر وبهما

صدر العلوم التي يستمد منها التفسير فقدم ما حقه التأخير وأخر ما حقه التقديم . ()

وجعل المقدمة التاسعة : في أن المعاني التي تتحملها جمل القرآن تعتبر مرادة بها .

() انظر ٦٨/١/٢

() وانظر أيضا في النقل عن أسفار التوراة ٩/١/٢ ، ، ١٧٥ ، ١٤٣ ، وفي الإسرائيليات أيضا ٤٨٧/٢/٢ - ٤٨٨

() ٣٤٤/١/١

() ٢١٨ - ٢٠٧/١/١

() ٢٣-١٨/١/١

وأما المقدمة العاشرة والأخيرة فكانت في إعجاز القرآن ويقول فيها : وإن علاقة هذه المقدمة بالتفسير هي أن مفسر القرآن لا يعد تفسيره لمعاني القرآن بالغاً حد الكمال في غرضه ما لم يكن مشتملاً على بيان دقائق من وجوه البلاغة في آية المفسرة بمقدار ما تسموا إليه الهمة من تطويل واختصار . ()

وفي هذا مبالغة مكشوفة فإن تفسير ترجمان القرآن وحبر الأمة على الإطلاق كان خالياً مما ذكر ثم من بعده من أئمة التفسير من الصحابة الكبار والتابعين الأبرار الذين أجمعت الأمة على إمامتهم في ذلك الفن لم يتعرضوا لما ذكر ، ثم جهابذة المفسرين المشهود لهم أمثال الإمام مالك والإمام أحمد وبقي بن مخلد والنسائي وابن أبي حاتم والطبري ثم ابن كثير وغيرهم لم يتعرضوا لما ذكر أيضاً .

ومن إطناباته اللغوية التي خرجت عن حد التفسير والتي هي كثيرة :

كلامه عن اشتقاق كلمة الفاتحة في قريب من صفحة كاملة . ()

كما أفاض في وجه إضافة سورة إلى فاتحة الكتاب بما يقرب من صفحة أيضاً . ()

وكذا في أصل كلمة بسملة أكثر من صفحة كاملة . ()

وفي متعلق الباء . ()

وفي اشتقاق كلمة اسم . ()

وفي الفرق بين الحمد والثناء والمدح . ()

كما نقل باباً من كلام سيبويه باختصار فوق في أكثر من صفحة كاملة وهو باب ما ينصب من

المصادر على إضمار الفعل غير المستعمل إظهاره . ()

وفي جملة الحمد هل هي إنشائية أم خبرية . ()

١	٢	٨	٢	١٠٢/١/١ ()
١	٢	٨	٣	١٣١/١/١ ()
١	٢	٨	٤	١٣٢/١/١ ()
١	٢	٨	٥	١٣٧/١/١ ()
١	٢	٨	٦	١٤٧-١٤٦/١/١ ()
١	٢	٨	٧	١٥١-١٤٧/١/١ ()
١	٢	٨	٨	١٥٨-١٥٤/١/١ ()
١	٢	٨	٩	١٥٧-١٥٦/١/١ ()
١	٢	٩	٠	١٦١-١٦٠/١/١ ()

وهو لاشك متمكن من اللغة وإمام بارع فيها وله إضافات جميلة ومن ذلك قوله عند قوله تعالى ﴿وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد﴾ ()

وقد عن لى في بيان إيقاعهم الفساد أنه مراتب :

أولها : إفسادهم أنفسهم بالإصرار على تلك الأدواء القلبية التي أشرنا إليها فيما مضى وما يترتب عليها من المذام ويتولد من المفاسد .

الثانية : إفسادهم الناس ببث تلك الصفات والدعوة إليها وإفسادهم أبناءهم وعيالهم في اقتدائهم بهم في مساوئهم كما قال نوح عليه السلام ﴿إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا﴾ ()

الثالثة : إفسادهم بالأفعال التي ينشأ عنها فساد المجتمع ، كإلقاء النميمة والعداوة وتسعير الفتن وتأليب الأحزاب على المسلمين وإحداث العقبات في طريق المصلحين .

والإفساد : فعل ما به الفساد ، والهزمة فيه للجعل أي جعل الأشياء فاسدة في الأرض .

والفساد أصله استحالة منفعة الشيء النافع إلى مضر به أو بغيره ، وقد يطلق على وجود الشيء مشتملا على مضرة ، وإن لم يكن فيه نفع من قبل يقال : فسد الشيء بعد أن كان صالحا ، ويقال : فاسد إذا

وجد فاسدا من أول وهلة ، وكذلك يقال : أفسد إذا عمد إلى شيء صالح فأزال صلاحه ، ويقال : أفسد إذا أوجد فسادا من أول الأمر . والأظهر أن الفساد موضوع للقدر المشترك في الأطعمة ، ومنه

إزالة الأشياء النافعة كالحرق والقتل للبرء ، ومنه إفساد الأنظمة كالفتن والجور ، ومنه إفساد المساعي كتكثير الجهل وتعليم الدعارة وتحسين الكفر ومناوأة الصالحين ، ولعل المنافقين قد أخذوا من ضروب

الإفساد بالجميع ، فلذلك حذف متعلق تفسدوا تأكيدا للعموم المستفاد من وقوع الفعل في حيز النفي . وذكر المحل الذي أفسدوا ما يحتوى عليه وهو الأرض لتفطير فسادهم بأنه ماثوث في هذه الأرض لأن

وقوعه في رقعة منها تشويه لمجموعها . والمراد بالأرض هذه الكرة الأرضية بما تحتوى عليه من الأشياء القابلة للإفساد من الناس والحيوان والنبات وسائر الأنظمة والنواميس التي وضعها الله تعالى لها . ()

ومن التحقيقات اللغوية عميقة الدلالة كلامه عن "كذلك" في قوله تعالى ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا﴾ () .

وكلامه عن "لعل" وانفراده بقول مستقل فيها حيث يقول :

١	٢	٩	() البقرة: ٢٠٥ ، ٢٨٤/١/١
١	٢	٩	() نوح: ٢٧
١	٢	٩	() ٢٨٤/١/١
١	٢	٩	() البقرة : ١٤٣ وانظر ١٥/١٠/٢ ، ١٧

وعندي وجه آخر مستقل وهو أن "لعل" الواقعة في مقام تعليل أمر أو نهي لها استعمال يغير استعمال "لعل" المستأنفة في الكلام سواء وقعت في كلام الله أم في غيره ، فإذا قلت : افتقد فلانا لعلك تنصحه ، كان إخبارا باقتراب وقوع الشيء وأنه في حيز الإمكان إن تم ما علق عليه ، فأما اقتضاؤه عدم جزم المتكلم بالحصول فذلك معنى التزامي أعلى قد يعلم انتفاؤه بالقرينة ، وذلك الانتفاء في كلام الله أوقع، فاعتقادنا بأن كل شيء لم يقع أو لا يقع في المستقبل هو القرينة على تعطيل هذا المعنى الالتزامي دون احتياج إلى التأويل في معنى الرجاء الذي تفيد "لعل" حتى أن يكون مجازاً أو استعارة لأن "لعل" إنما أتت بها لأن المقام يقتضي معنى الرجاء فالتزام تأويل الدلالة في كل موضع في القرآن تعطيل لمعنى الرجاء الذي يقتضيه المقام والجماعة لجئوا إلى التأويل لأنهم نظروا إلى "لعل" بنظر متحد في مواقع استعمالها بخلاف "لعل" المستأنفة فإنها أقرب إلى إنشاء الرجاء من إلى إخبار به ، وعلى كل فمعنى "لعل" غير معنى أفعال المقاربة () .

وقد أطل في معنى الواو في قوله تعالى ﴿أولو كان آباؤهم﴾ ()

كما توسع في اسم الإشارة : ذلك في تفسير قوله تعالى ﴿ذلك الكتاب﴾ ()

ومن إطنابه في مسائل البيان بما يخرج أيضاً عن حد التفسير قوله :

فسورة الفاتحة بما تقرر منزلة من القرآن منزلة الديباجة للكتاب أو المقدمة للخطبة ، وهذا الأسلوب له شأن عظيم في صناعة الأدب العربي وهو أعون للفهم وأدعى للوعي .

وقد رسم أسلوب الفاتحة للمنشئين ثلاث قواعد للمقدمة : القاعدة الأولى : إيجاز المقدمة لئلا تمل نفوس السامعين بطول انتظار المقصود وهو ظاهر في الفاتحة ، وليكون سنة للخطباء فلا يطيلوا المقدمة كي لا ينسبوا إلى العي فإنه بمقدار ما تطال المقدمة يقصر الغرض ، ومن هذا يظهر وجه وضعها قبل السور الطوال مع أنها سورة قصيرة . الثانية : أن تشير إلى الغرض المقصود وهو ما يسمى براعة الاستهلال لأن ذلك يهيئ السامعين لسماع تفصيل ما سيرد عليهم فيتأهبوا لتلقيه إن كانوا من أهل التلقي فحسب ، أو لنقده وإكماله إن كانوا في تلك الدرجة ، ولأن ذلك يدل على تمكن الخطيب من الغرض وثقته بسداد رأيه فيه بحيث ينبه السامعين لوعيه ، وفيه سنة للخطباء ليحيطوا بأغراض كلامهم . وقد تقدم بيان اشتغال الفاتحة على هذا عند الكلام على وجه تسميتها أم القرآن . الثالثة : أن تكون المقدمة من

١ () ٣٣٠/١/١ . ٩ ٥

١ () البقرة: ١٧٠، وانظر ١٠٧/١/٢ ٩

١ () البقرة: ٢ ، وانظر : ٢٢٠، ٢١٩/١/١ ٩

جوامع الكلم وقد بين ذلك علماء البيان عند ذكرهم المواضع التي ينبغي للمتكلم أن يتأق فيها . الرابعة:
أن تفتتح بحمد الله . ()

وهو من المكثرين جدا في الاستدلال بالشعر في أصل الكتاب وحاشيته وقلما تمر صفحة إلا وفيها بيت
من الشعر إن لم يكن أكثر .

وهو حريص جدا على نسبة الشواهد الشعرية لأصحابها حتى إنه قال فيما لم يقف على من قاله : كقول
بعض فئاك العرب في أمه (أنشده في الكشاف ولم أقف على تعيين قائله) ... () .

ومن مواضع خروجه عن التفسير استطراده في تسمية بعض الشعراء تعليقا على اسم شاعر استدل ببيت
له . ()

ومن استطراداته بذكر أشعار كثيرة كشواهد في مسألة واحدة ما ذكره تحت قوله تعالى ﴿الم﴾ ()

وقد وصل به الأمر إلى شرح شعر الشواهد . ()

وهو يعتمد في كثير من ذلك على الكشاف وشروحه اعتمادا كبيرا .

ومن مواضع اهتمامه بالتنبيه على النكات البلاغية :

واختيار لفظ النور في قوله تعالى ﴿ذهب الله بنورهم﴾ () دون الضوء ودون النار لأن لفظ النور أنسب ،

لأن الذي يشبه النار من الحالة المشبهة هو مظاهر الإسلام التي يظهرها ، وقد شاع التعبير عن الإسلام

بالنور في القرآن ، فصار اختيار لفظ النور هنا بمنزلة تجريد الاستعارة لأنه أنسب بالحال المشبهة ، وعبر

عما يقابله في الحال المشبه بها بلفظ يصلح لهما أو هو بالمشبه أنسب في اصطلاح المتكلم كما قدمنا

الإشارة إليه في وجه جمع الضمير في قوله ﴿بنورهم﴾ . ()

وانظر كلامه عن المثل في اللغة والتمثيل . ()

وله كلام جيد عن التشبيه في قوله ﴿ومثل الذين كفروا﴾ ()

١	٢	٩	٨	() ١٥٣-١٥٢/١/١
١	٢	٩	٩	() ٣٠١/١/١
١	٣	٠	٠	() ٢٢٠/١/١
١	٣	٠	١١٠-١٠٩/١/١	() البقرة : ١ ، وانظر
١	٣	٠	٢	() انظر : ٣١٦/١/١
١	٣	٠	٣	() البقرة : ١٧
١	٣	٠	٤	() البقرة : ١٧ ، ٣١٠/١/١
١	٣	٠	٥	() ٣٠٧ ، ٣٠٢/١/١
١	٣	٠	٦	() البقرة : ١٧١ ، ١١٠/١/١

وفي الاستعارة هل هي تبعية أم تمثيلية؟ ()

ومن اهتمامه بالتنبيه على النكات في المتشابه اللفظي قوله :

قد يقول قائل إن قريباً من هذه الجملة تقدم عند قوله تعالى ﴿قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير﴾ () فعبّر هنالك باسم الموصول (الذي) وعبر هنا باسم الموصول (ما) ، وقال هنالك (بعد) وقال هنا (من بعد) وجعل جزاء هنالك انتفاء ولي ونصير ، وجعل الجزاء هنا أن يكون من الظالمين ، وقد أورد هذا السؤال صاحب درة التنزيل وغرة التأويل وحاول إبداء خصوصيات تفرق بين ما اختلفت فيه الآيتان ولم يأت بما يشفي... ثم ذكر وجهاً آخر أحسن منه . ()

وقد تعرض المصنف للإعجاز في مواضع عدة ومن ذلك :

مقارنة بين شعر وآية ()

الإعجاز وتعلقه بسورة أو آيات ()

وقد أطل في الحديث عن الإعجاز تحت قوله ﴿ولن تفعلوا﴾ () . ()

تاسعا : موقفه من القراءات :

وقد جعل المصنف المقدمة السادسة في القراءات وبين فيها سبب إعراضه عن ذكر كثير من القراءات في أثناء التفسير . ()

وقال رحمه الله :

(تنبيه) أنا أقتصر في هذا التفسير على التعرض لاختلاف القراءات العشر المشهورة خاصة في أشهر روايات الراوين عن أصحابها لأنها متواترة ، وإن كانت القراءات السبع قد امتازت على بقية القراءات بالشهرة بين المسلمين في أقطار الإسلام .

() راجع الصفحات ١/١/٢٤٢ ، ٢٤٥ .

() البقرة: ١٢٠

() ٣٨،٣٩ / ١/٢٤٩

() ٨٤/١/٢

() ١٠٣/١/١ .

() البقرة: ٢٤

() انظر ٣٥٠، ٣٤٣/١/١

() ٥١/١

وأبني أول التفسير على قراءة نافع برواية عيسى بن مينا المدني الملقب بقالون لأنها القراءة المدنية إماما وراويًا ولأنها التي يقرأ بها معظم أهل تونس ، ثم أذكر خلاف بقية القراء العشرة خاصة . () ولم يلتزم بما قال ، بل أظن إطنابا غريبا في بعض المواضع ومن ذلك قوله :

والصراط : الطريق وهو بالصاد والسين وقد قرئ بهما في المشهورة وكذلك نطقت به بالسين جمهور العرب إلا أهل الحجاز نطقوه بالصاد مبدلة عن السين لقصد التخفيف في الانتقال من السين إلى الراء ثم إلى الطاء قال في لطائف الإشارات عن الجعبري : إنهم يفعلون ذلك في كل سين بعدها غين أو خاء أو قاف أو طاء وإنما قلبوها هنا صاءً لتطابق الطاء في الإطباق والاستعلاء والتفخم مع الراء استتقالا للانتقال من سفلى إلى علو اهـ . أى بخلاف العكس نحو طست لأن الأول عمل والثاني ترك . وقيس قلبوا السين بين الصاد والزاي وهو إشمام وقرأ به حمزة في رواية خلف عنه . ومن العرب من قلب السين زايًا خالصة قال القرطبي : وهي لغة عذرة وكتب وبني القين وهي مرجوحة ولم يقرأ بها ، وقد قرأ بالغة الفصحى (بالصاد) جمهور القراء وقرأ بالسين ابن كثير في رواية قبل ، والقراءة بالصاد هي الراجحة لموافقته رسم المصحف وكونها اللغة الفصحى . ()

وقال : واختلفوا أيضا في حركة ميم ضمير الجمع الغائب المذكور في الوصل إذا وقعت قبل متحرك فالجمهور قرأوا ﴿عليهم غير المغضوب عليهم﴾ () بسكون الميم وقرأ ابن كثير وأبو جعفر وقالون في رواية عنه بضمة مشبعة ﴿غير المغضوب عليهم﴾ () وهي لغة لبعض العرب وعليها قول لبيد :

وهو فوارسها وهم حكامها

فجاء باللغتين وقرأ ورش بضم الميم وإشباعها إذا وقع بعد الميم همز دون نحو ﴿غير المغضوب عليهم﴾ () وأجمع الكل على إسكان الميم في الوقف .

وفي قوله ﴿فمن اضطر غير باغ﴾ () قال :

وقرأ أبو جعفر : فمن اضطر بكسر الطاء ، لأن أصله اضطرر براءين أولاهما مكسورة فلما أريد إدغام الراء الأولى في الثانية نقلت حركتها إلى الطاء بعد طرح حركة الطاء . ()

١	٣	١	٥	() ٦٣/١
١	٣	١	٦	() ١٩٠/١ .
١	٣	١	٧	() الفاتحة: ٧
١	٣	١	٨	() الفاتحة: ٧
١	٣	١	٩	() الفاتحة: ٧
١	٣	٢	١٠	() البقرة: ١٧٣
١	٣	٢	١١	() ١٢١/١/٢ .

وانظر أيضا في تعرضه للأصول في القراءات كلامه في قوله تعالى ﴿ءأنذرتهم﴾ ()^٢
وهذا خروج سافر عما أخذه على نفسه من عدم الإطالة في القراءات فجعل المفسرين إنما يتكلمون في
الخلافا المؤثر في المعنى أو المتعلق به لا في الأداء ونحوه .

وقد أخطأ خطأ فاحشا في عزو القراءات في قوله تعالى ﴿يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا
أنفسهم وما يشعرون﴾ ()^٣ حيث قال :^٢

ويؤيد هذا التأويل قراءة ابن عامر ومن معه : يخدعون الله . وهذا إنما يدفع الإشكال عن إسناد صدور
الخداع من الله والمؤمنين مع تنزيه الله والمؤمنين عنه ، ولا يدفع إشكال صدور الخداع من المنافقين لله .
وأما التأويل في فاعل ﴿يخادعون﴾ المقدر وهو المفعول أيضا فبأن يجعل المراد أنهم يخادعون رسول الله
فالإسناد إلى الله تعالى إما على طريق المجاز العقلي لأجل الملازمة بين الرسول ومرسله ، وإما مجاز
بالحذف للمضاف ، فلا يكون مرادهم خداع الله حقيقة ، ويبقى أن يكون رسول الله مخدوعا منهم
ومخادعا لهم ، وأما تجويز مخادعة الرسول والمؤمنين للمنافقين لأنها جزء لهم على خداعهم كذلك غير
لائق . ()^٤
وقال :

واعلم أن قوله ﴿وما يخادعون إلا أنفسهم﴾ ()^٥ أجمعت القراءات العشرة على قراءته بضم التحتية وفتح
الخاء بعدها ألف ، والنفس في لسان العرب الذات والقوة الباطنة المعبر عنها بالروح وخاطر العقل . ()^٦
وهذا الذي ذكره هو عكس الحقيقة فقد أجمع القراء على قراءة ﴿يخادعون الله والذين آمنوا﴾ بضم الياء
والألف على المفاعلة ، وأما في الموضع الثاني فاختلّفوا فقرأها الجميع ماعدا نافع وابن كثير وأبي عمرو
والبيدي ﴿وما يخدعون إلا أنفسهم﴾ بفتح الياء وسكون الخاء بدون ألف ، وقرأها الباقيون كالحرف
الأول . ()^٧

وقد أطال إطالة شديدة في اختلافهم في قراءة ﴿ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة
الله﴾ ()^٨

١	٣	٢	() البقرة: ٦ وانظر : ٢٥٦/١/١ .
١	٣	٢	() البقرة: ٩
١	٣	٢	() ٢٧٦/١/١ .
١	٣	٢	() البقرة: ٩
١	٣	٢	() ٢٧٨/١/١ .
١	٣	٢	() انظر إتحاف فضلاء البشر ص ١٢٨
١	٣	٢	() البقرة : ١٦٥ ، ١٩٤/١/٢ ، ٩٥ .

عاشرا : موقفه من الفقه والأصول :

أطال رحمه الله نفسه كعادته في بعض المسائل التي لا علاقة لها بالتفسير ومن ذلك قراءة البسمة عند الشروع في قراءة السورة أو أجزائها . ()

وقد أطنب في مسألة هل البسمة آية من كل سورة أم لا إطناب الفقهاء لا المفسرين . ()

ومن مواضع حديثه عن الفقهيات بتطويل مسألة استقبال القبلة . ()

وله كلام فقهي عجيب في ما ذبح بنية أن الجن تشرب دمه ولا يذكرون اسم الله عليه تحت قوله تعالى ﴿وما أهل به لغير الله﴾ ()

وهو لا يلتزم مذهب مالك () وينقل عن الظاهرية وأهل الحديث ()

ومن كلامه الجيد في الفقه مع كونه استطرادا في التفسير قوله :

ومن العجيب ما يتعرض له المفسرون والفقهاء من البحث في حرمة خنزير الماء وهي مسألة فارغة إذ أسماء أنواع الحوت روعيت فيها المشابهة كما سموا بعض الحوت فرس البحر وبعضه حمام البحر وكلب البحر ، فكيف يقول أحد بتأثير الأسماء والألقاب في الأحكام الشرعية ؟ وفي المدونة توقف مالك أن يجيب في خنزير الماء وقال : أنتم تقولون خنزير . قال ابن شأش : رأى غير واحد أن توقف مالك حقيقة لعموم ﴿أحل لكم صيد البحر﴾ () وعموم قوله تعالى ﴿ولحم الخنزير﴾ () ورأى بعضهم أنه غير متوقف فيه حقيقة ، وإنما امتنع من الجواب إنكارا عليهم تسميتهم إياه خنزيرا ولذلك قال : أنتم تسمونه خنزيرا ؟ يعني أن العرب لم يكونوا يسمونه خنزيرا وأنه لا ينبغي تسميته خنزيرا ، ثم السؤال عن أكله حتى يقول قائلون : أكلوا لحم الخنزير ، أي فيرجع كلام مالك إلى صون ألفاظ الشريعة ألا يتلاعب بها ، وعن أبي حنيفة أنه منع أكل خنزير البحر غير متردد أخذا بأنه سمي خنزيرا ، وهذا عجيب منه وهو المعروف

١	٣	٢	٩	() ١٤٤/١-١٤٦
١	٣	٣		() ١٣٨/١-١٤١ ، ١٤٤
١	٣	٣	١	() انظر ١٣/١/٢ .
١	٣	٣		() البقرة: ١٧٣ ، انظر ١٢٠/١/٢ .
١	٣	٣	٣	() انظر ١٢٠/١/٢
١	٣	٣		() انظر ١٦٨/١/٢ ، ٢٦٧/١/١
١	٣	٣	٥	() المائدة: ٩٦
١	٣	٣	٦	() البقرة: ١٧٣

بصاحب الرأي ، ومن أين لنا ألا يكون لذلك الحوت اسم آخر في لغة بعض العرب فيكون أكله محرماً على فريق ومباحاً لفريق؟ () ()
موقفه من النسخ :

وهو يقول بالنسخ وله في تفاصيله تفردات ومن ذلك قوله معللاً بقاء تلاوة المنسوخ حكماً :
وقد بدا لي دليل قوي على هذا وهو بقاء الآيات التي نسخ حكمها وبقيت متلوة من القرآن ومكتوبة في المصاحف فإنها لما نسخ حكمها لم يبق وجه لبقاء تلاوتها وكتبتها في المصاحف إلا ما في مقدار مجموعها من البلاغة بحيث يلتئم منها مقدار ثلاث آيات متحدى بالإتيان بمثلها مثال ذلك آية الوصية في سورة العقود . ()

ومن كلامه في النسخ قوله :

وقد اتفق علماء الإسلام على أن الوصية لا تكون لوarith لما رواه أصحاب السنن عن عمرو بن خارجة وما رواه أبو داود والترمذي عن أبي أمامه كلاهما يقول سمعت النبي قال : “إن الله أعطى كل ذي حق حقه ، ألا لا وصية لوarith” () . وذلك في حجة الوداع ، فنخص بذلك عموم الوالدين وهذا التخصيص نسخ ، لأنه وقع بعد العمل بالعام وهو وإن كان خبر آحاد فقد اعتبر من قبيل المتواتر ، لأنه سمعه الكافة وتلقاه علماء الأمة بالقبول . ()

وفي معرض استبعاده لتشريع كيفية الصيام السابقة لصيام رمضان الثابتة في الأحاديث الصحيحة قال :
فأما أن يكون ذلك قد شرع ثم نسخ فلا أحسبه ، إذ ليس من شأن الدين الذي شرع الصوم أول مرة يوماً في السنة ثم درجه فشرع الصوم شهراً على التخيير بينه وبين الطعام تخفيفاً على المسلمين ؛ أن يفرضه بعد ذلك ليلاً ونهاراً فلا يبيح الفطر إلا ساعات قليلة من الليل . ()

والرد عليه في هذا الكلام يطول ويكفي في ذلك ثبوت الرواية ولم ينتبه لمدلول كلمة ﴿تختانون﴾ () وكلمة ﴿فتاب عليكم﴾ () وكلمة ﴿وعفا عنكم﴾ () حيث أضرب عن تفسيرها تماماً ، كما حاول تأويل كلمة ﴿فالآن﴾ () لأنها ليست متوافقة مع ما ذهب إليه .

- ١ () ١١٩/١/٢ ٧ ٣ ٢ ١
- ١ () وانظر في الاستطراد الفقهي^١ ١١٧ ، ١١٦ ، ٨٢/١/٢ ٣ ٣ ١
- ١ () ١٠٤/١/١ ٩ ٣ ٢ ١
- ١ () انظر سنن الترمذي - كتاب الوصايا - باب ماجاء “ لأ وصية لوarith ” رقم ٢١٢١ وقال في حديث عمرو : حسن صحيح .
- ١ () ١٥١ ، ١٥٠/١/٢ ١ ٤ ٣ ١
- ١ () ١٨٣ ، ١٨٢ /١/٢ ٢ ٤ ٣ ١

ومن مواضع تعرضه للأصول قوله :

﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطاً ﴾ () وأما كون الآية دليلاً على حجية إجماع المجتهدين عن نظر واجتهاد فلا يؤخذ من الآية إلا بأن يقال : إن الآية يستأنس بها لذلك فإنها لما أخبرت أن الله تعالى جعل هذه الأمة وسطاً وعلماً أن الوسط هو الخيار العدل الخارج من بين طرفيه إفراط وتفريط علمنا أن الله تعالى أكمل عقول هذه الأمة بما تنشأ عليه العقول من الاعتقاد بالعقائد الصحيحة ومجانبة الأوهام السخيفة التي ساخت فيها عقول الأمة . ()

ويقول أيضاً :

وعلى هذا التفسير يجيء قول الفقهاء إن شهادة أهل المعرفة بإثبات العيوب أو بالسلامة لا تشترط فيها العدالة ، وكنت أعلل ذلك في دروس الفقه بأن المقصود من العدالة تحقق الوازع عن شهادة الزور ، وقد قام الوازع العلمي في شهادة أهل المعرفة مقام الوازع الديني لأن العارف حريص ما استطاع أن يؤثر عنه الغلط والخطأ وكفى بذلك وزعاً عن تعمدته وكفى بعلمه مظنة لإصابة الصواب فحصل المقصود من الشهادة . ()

وقد أطال في حديثه عن بعض القضايا العقلية الأصولية وهي قضية التكليف بالمحال عند قوله تعالى ﴿سواء عليهم ءأندرتهم﴾ ()

وهو يتذرع كثيراً بالمجاز ومن ذلك ما ذكره تحت قوله تعالى ﴿ ختم الله على قلوبهم﴾ ()

عاشرا : موقفه من العلوم الحديثة والرياضة والفلسفة والمعجزات الكونية :

وقد اهتم بذلك ابن عاشور على الرغم من استنكاره على المفسرين الحشو والنقل غير الدقيق فحشا بها تفسيره ومن ذلك قوله :

١	٣	٤	٣	(البقرة: ١٨٧)
١	٣	٤	٤	(البقرة: ١٨٧)
١	٣	٤	٥	(البقرة: ١٨٧)
١	٣	٤	٦	(البقرة: ١٨٧)
١	٣	٤	٧	(البقرة: ١٤٣)
١	٣	٤	٨	(١٩/١/٢)
١	٣	٤	٩	(٣٤٠/١/٢) .
١	٣	٥		(البقرة: ٦ ، انظر : ٢٥٢/١/١ ، ٢٥٣ .
١	٣	٥		(البقرة: ٧ ، ٢٥٤/١/١ ، ٢٥٥ .

قال ابن عرفة عند قوله تعالى : ﴿تولج الليل في النهار﴾ (١) كان بعضهم يقول : إن القرآن يشتمل على ألفاظ يفهمها العوام وألفاظ يفهمها الخواص وعلى ما يفهمه الفريقان ومنه هذه الآية فإن الإيلاج يشمل الأيام التي لا يدركها إلا الخواص والفصول التي يدركها سائر العوام . أقول : وكذلك قوله تعالى : ﴿ أن السموات والأرض كانتا رتقًا ففتقناهما ﴾ (٢)

والدليل على إصراره على هذا الفهم المعكوس قوله :

وفي ذلك آية خاصة العقلاء إذ يعلمون أسباب اختلاف الليل والنهار على الأرض وإنه من آثار دوران الأرض حول الشمس في كل يوم ولهذا جعلت الآية في اختلافهما وذلك يقتضي أن كلا منهما... الخ (٣)

ويبدو أن جهلة القرن التاسع عشر عند ابن عاشور هم الخواص الذين خاطبهم القرآن وعلماء القرون المفضلة من الصحابة والتابعين هم العوام حشرنا الله معهم .

ويقول : وأعظم تلك الأسرار تكوينها على هيئة كرية . قال الفخر : كان عمر بن الحسام يقرأ كتاب المجسطي على عمر الأبهري فقال لهما بعض الفقهاء يومًا : ما الذي تقرأونه ؟ فقال الأبهري أفسر قوله تعالى ﴿ أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها ﴾ (٤) فأنا أفسر كيفية بنائها . ولقد صدق الأبهري فيما قال فإن كل من كان أكثر توغلا في بحار المخلوقات كان أكثر علمًا بجلال الله تعالى وعظمته . هـ (٥)

ويبدو أن النبي ﷺ لم يطبق هذا الأمر من النظر إلى السماء كيف بناها الله كما أنه لم يعلم أعظم الأسرار التي لا تدخل جنة ولا تنجي من نار ! وكذا صحبه الأخيار ثم علماء الأمة الأبرار حتى جاء هذا الذي لعله لا يحسن وضوءه ليفسرهما .

والنتيجة التي وصل إليها غير صحيحة فكم من عالم متوغل في بحار المخلوقات وهو من أعظم الناس جهلا بربه .

وقال : وأما وجه شبه السماء بالبناء فهو أن الكرة الهوائية جعلها الله حاجزة بين الكرة الأرضية وبين الكرة الأثرية فهي كالبناء فيما يراد له البناء وهو الوقاية من الأضرار النازلة ، فإن الكرة الهوائية بين الكرة

١ (آل عمران: ٢٧) ٢
١ (الأنبياء: ٣٠ ، ١٢٧/١) ٣
١ (٧٨/١/٢) ٤
١ (ق: ٦) ٥
١ (٧٨/١/٢) ٦

..... الخ فأطال بما لايسمن ولايغني من جوع . ()

ثم وقع رحمه الله في طامة من الطامات التي يقع فيها غالبا المفتونون بتلك العلوم المقحمون لها في دبن الله عز وجل بغير ترو ولا بصيرة فقال :

والسماوات جمع سماء والسماء إذا أطلقت فالمراد بها الجو المرتفع وإذا جمعت فالمراد بها أجرام عظيمة ذات نظام عظيمة وهي السيارات العظيمة المعروفة والتي عرفت من بعد والتي ستعرف عطارد ، والزهرة ، والمريخ ، والشمس ، والمشتري ، وزحل ، وأروانوس ، ونبتون . ولعلها هي السماوات السبع والعرش العظيم وهذا السر في جمع السماوات هنا وإفراد الأرض لأن الأرض عالم واحد في بعض الآيات فهو معنى طبقاتها أو أقسام سطحها . ()

السماوات السبع والعرش العظيم؟؟ سبحانك هذا بهتان عظيم ، ولا نقول إلا : لا حول ولا قوة إلا بالله!! فكيف نفهم إذن أحاديث المعراج المتواترة، وكيف نفهم أحاديث قبض الأرواح والأحاديث التي تتحدث عن خلق السماوات؟ وماذا يقول مفسرنا لو عاش إلى يومنا هذا واكتشف أن هذه الأجرام التي فتنه العلم السطحي بها ليست إلا مجموعة من المجموعات الشمسية في مجرة رأس التبانة التي هي واحدة من ملايين المجرات التي تسيح في هذا الكون ؟

ثم وقع رحمه الله في كلام غير علمي من ناحية العلوم الحديثة ليته لم يقحم نفسه فيه فيضحك علينا من ليس منا ، قال :

والدم معروف مدلوله في اللغة وهو إفراز من المفرزات الناشئة عن الغذاء وبه الحياة وأصل خلقته في الجسد آت من انقلاب دم الحيض في رحم الحامل إلى جسد الجنين بواسطة المصران المتصل بين رحم وجسد الجنين وهو الذي يقطع حين الولادة ، وتجده في جسد الحيوان بعد بروزه من بطن أمه يكون من الأغذية بواسطة هضم الكبد للغذاء المنحدر إليها من المعدة بعد هضمه في المعدة ، ويخرج من الكبد مع عرق فيها فيصعد إلى القلب الذي يدفعه إلى الشرايين وهي العروق الغليظة وإلى العروق الرقيقة بقوة حركة القلب بالفتح والإغلاق حركة ماكينيكية هوائية ، ثم يدور الدم في العروق منتقلا من بعضها إلى بعض بواسطة حركات القلب وتنفس الرئة ، وبذلك الدوران يسلم من التعفن فلذلك إذا تعطلت دورته حصة طويلة مات الحيوان . ()

١ () ٣٣١/١/١ . ٧ ٥ ٢

١ () ٧٧،٣٨/١/٢ . ٨ ٥ ٣

١ () ١١٨/١/٢ ، وانظر التفسير الطبي الصحيح لظاهرة الطمث في متاعب المرأة في مرحلة الزواج ص٢٦-٢٨

ومن شغفه أيضا بالكونيات كلامه عن الحديد وأصنافه وصدئه وأكسيده وأماكن وجوده وما وجد منه في
مدافن الفراعنة بمنفيس وغير ذلك مما تميز به عن سبقه من المفسرين !!! . ()

وربما نقل ابن عاشور شيئا من كلام الحكماء والفلاسفة هو في غنى عنه ومن ذلك قوله :

والصوم بمعنى إقلال تناول الطعام عن المقدر الذي يبلغ حد الشبع أو ترك بعض المأكّل : أصل قديم من
أصول التقوى لدى المليون ولدى الحكماء الإشراقيين ، والحكمة الإشرافية مبناها على تزكية النفس بإزالة
كدرات البهيمية عنها بقدر الإمكان ، بناء على أن للإنسان قوتين : إحداهما روحانية منبته في قرارها
من الجسمانية كلها . ()

ثاني عشر : موقفه من المواعظ والآداب :

أفرد المصنف المقدمة الرابعة : فيما يحق أن يكون غرض المفسر فذكر ثمانية أمور وهي إصلاح الاعتقاد
وتهديب الأخلاق والتشريع وسياسة الأمة والتأسي بأخبار الأمم والتعلم والوعظ والإعجاز بالقرآن . ()
كما جعل المقدمة السابعة : في قصص القرآن وفوائده . وذكر عشر فوائد كما ذكر حكمة تكرار القصة
في مواضع عدة . ()

ولم يظهر له اهتمام كبير في هذا الجانب وما وقفت عليه من كلامه فيما يندرج تحته إعداد شجرة
بتفريعات جيدة في الأمراض النفسانية الناشئة عن النفاق مبنية على الآيات والأحاديث ليحذرهما
المسلم . ()

إلى هنا وصلت إلى دراسة منهج المصنف بصورة لا بأس بها ، وهذه جملة من الانتقادات الموجهة له خلا
ما تقدم في الحديث عن المنهج التفصيلي أدى إليها الإعجاب به أختتم بها حديثي عن تفسيره :

فهو أولا : ذو ثقة زائدة بنفسه أوقعته في مزلق :

فمن مواقف ثقته الزائدة بنفسه وتفردده قوله :

والظاهر أن المراد بالقبلة المنسوخة وهي استقبال بيت المقدس أعني الشرق وهي قبلة اليهود ولم يشف
أحد من المفسرين وأسباب النزول الغليل في هذا على أن المناسبة بينها وبين الآي الذي قبلها غير
واضحة فاحتاج بعض المفسرين إلى تكلف إبدائها . ()

١	٣	٦	() ١٢٦-١٢٧ وانظر أيضا ١٢/١٤ ، ١٥ ، ٨٧ .
١	٣	٦	() ١٥٩-١٦٠ .
١	٣	٦	() ٤٠-٤١
١	٣	٦	() ٦٤-٦٩
١	٣	٦	() ٢٨٠ / ١/١ .

وقوله :

وأنا أقول كلمة أربأ بها عن الانحياز إلى نصره وهي أن اختلاف المسلمين في أول خطوات مسيرهم وأول موقف من مواقف أنظارهم وقد مضت عليه الأيام بعد الأيام وتعاقبت الأقسام يعد نقصا علميا لا ينبغي البقاء عليه . ولا أعرفني بعد هذا اليوم ملتفتا إليه . ()

ثم وقع في إشكال كبير في مسمى الإيمان والإسلام خرج به عن عقيدة أهل السنة والجماعة ! والعجيب أنه ظن أنه استوفى المسألة وفصل فيها وهو لم يستوعب عشر معشار أدلة أحد الفريقين والمقام لا يحتل سوق الأدلة والردود وفي نفس الوقت خرج عن حد التفسير فلا هو استوفى ولا هو راعى المقصد . () كذلك عدم اعتباره التفسير علما كما ذكر في المقدمة ، وعلى الرغم من كونه يعلم تماما أنه لم يسبقه أحد لهذا الفهم وأنه تحصيل حاصل ذهب إليه ، وكان الأولى به أن ينخرط في آلاف العلماء من جميع عصور الإسلام الذين اعتبروا التفسير علما بل اعتبروه أجل العلوم .

وكذا حملته الشعواء على التفسير بالمأثور واستقلاله له واستخفافه بأهله ، عظيمة من العظائم ، فبدون التفسير بالمأثور ضلت الأمة وبغير نوره زاغ المفسرون ، وهو نفسه من الدلائل على ذلك فهو على الرغم من استفادته منه في كل تفسيره إلا أنه حاد عنه في بعض المواضع فوقع فيما وقع فيه .

وانظر أيضا من مواضع مخالفته بالمأثور وثقته الزائدة بنفسه واستخدامه "لعله" لغير حجة . () ثانيا : صاحب استطراد وتكلف خرج عن حد التفسير جملة وتفصيلا على الرغم من إهماله التفسير في مواضع لا يستغنى عن تفسيرها :

فمع اهتمامه بإثبات الياء في دعان أو عدم إثباتها أهمل تفسير قوله تعالى ﴿فإني قريب﴾ ()

ومن التكاليف التي دفع إليها الاستطراد قوله :

وعندي أن البسمة كان ما يرادفها قد جرى على السنة الأنبياء من عهد إبراهيم عليه السلام فقد حكى الله عن إبراهيم أنه قال لأبيه : ﴿يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن﴾ () وقال: ﴿سأستغفر

١	٣	٦	٥	() ٥/١/٢ .
١	٣	٦	٦	() ٢٧٠/١/١ .
١	٣	٦	٧	() ٢٧٣/١/١ .
١	٣	٦	٨	() ص ١٨١ .
١	٣	٦	٩	() البقرة: ١٨٦ ، ١٧٩/١/٢ .
١	٣	٧	٠	() مريم: ٤٥ .

لك ربي إنه كان بي حفياً ﴿١﴾ ومعنى الحفى قريب من الرحيم وحكي عنه قوله ﴿وتب علينا إنك أنت
التواب الرحيم﴾ ﴿٢﴾

وقوله : وقال الأستاذ محمد عبده : إن النصارى كانوا يبتدئون أدعيتهم ونحوها باسم الأب والابن والروح
القدس إشارة إلى الأفانيم الثلاثة عندهم ، فجاءت فاتحة كتاب الإسلام بالرد عليهم موقظة لهم بأن الإله
الواحد وإن تعددت أسماءه فإنما هو تعدد الأوصاف دون تعدد المسميات ، يعني فهو رد عليهم بتغليب
وتبليد . وإذا صح أن فواتح النصارى وأدعيتهم كانت تشمل على ذلك إذ الناقل أمين فهي نكتة لطيفة .
ثالثا : ذو ولع شديد بالنقد وإن كان هناك مندوحة لترك الانتقاد

انتقاده لوجه في التفسير مقبول عند قوله تعالى ﴿فزادهم الله مرضا﴾ ﴿٣﴾

قال : قال بعض المفسرين : هي دعاء عليهم كقول جبير بن الأضبط :

تباعد عنى فقال إذ دعوته أمين فزاد الله ما بيننا بعدا

قال : وهو تفسير غير حسن لأنه خلاف الأصل في العطف بالفاء ولأن تصدى القرآن لشتهم بذلك
ليس من دأبه ، ولأن الدعاء عليهم بالزيادة تنافي ما عهد من الدعاء للضالين بالهداية في نحو “اللهم اهد
قومي فإنهم لا يعلمون” . ﴿٤﴾

وهذا ليس بلازم فقد قال تعالى ﴿قتل الإنسان ما أكفره﴾ ﴿٥﴾ وقال ﴿ملعونين أينما ثقفوا﴾ ﴿٦﴾ وقال
﴿قاتلهم الله أنى يؤفكون﴾ ﴿٧﴾ غير ذلك .

وقد كنت من المعجبين بهذا الكتاب وحرصت على اقتنائه بطبعته التونسية على الرغم من غلاء سعره
جدا وعدم اكتماله وقتها وذلك قبل أكثر من سبع عشرة سنة، إلا أنني لمحت فيه تلك السلبيات مما حدا
بي إلى الإطالة في بيانها .

والكتاب في الجملة كتاب جيد من حيث الإضافات العلمية التي أضافها وقد كان تحرر صاحبه سلاحا
ذا حدين فكما أفادنا في مواضع كثيرة ، زلت قدمه في مواضع أكثر والمعصوم من عصمه الله .

١	٣	٧	١	() مريم: ٤٧
١	٣	٧		() ١٥١/١ ، والآية من سورة البقرة رقم: ١٢٨
١	٣	٧	٣	() البقرة: ١٠
١				() ٢٨٢ ، ٢٨١/١/١ . وقوله : “اللهم اهد قومي” جزء من حديث أخرجه الضياء في المختارة من الأحاديث الصحيحة ١٤/١٠
١	٣	٧	٥	() عبس: ١٧
١	٣	٧	٦	() الأحزاب: ٦١
١	٣	٧	٧	() التوبة: ٣٠

تفسير المكي الناصري

من خلال كتابه التيسير

مؤلف هذا التفسير هو محمد المكي الناصري ت ١٤١٤ هـ وهو من أهل المنطقة ولد بالرباط وعاش وتوفي بالمغرب () .

التعريف بالتفسير :

وكتاب "التيسير في أحاديث التفسير " تفسير مطبوع طبعته دار الغرب الإسلامي ببيروت في ستة مجلدات ط ١ سنة ١٤٠٥ هـ ، وهو عبارة عن دروس يومية إذاعية في التفسير كان يلقيها المؤلف في إذاعة المغرب في الستينات الميلادية ، وقد أذيعت أيضا في إذاعة المملكة العربية السعودية خلال سنة ١٤١٨ هـ .

المنهج العام للتفسير :

هو تفسير اجتماعي يقوم على الإنشاء . وقد قدم له مؤلفه بمقدمة بين فيها المقصد من تلك الأحاديث التفسيرية فقال :

... ولتقدم (أي هذه الأحاديث) للجمهور المسلم معاني القرآن خالصة من جميع الشوائب التي تتنافى مع روح القرآن ، ولتبرئ ساحة القرآن من كل ما يمت بسبب ولا نسب إلى القرآن أو السنة الصحيحة التي هي بيان القرآن ، ولتستن على بسط ما هو مجمل ، وتقيد ما هو مطلق ، وتخصيص ما هو عام ، وتوضيح ما قد يعرض في فهمه إشكال أو غموض بمقارنة الآيات القرآنية الواردة في كل موضوع موضوع وكل ميدان ميدان ، فكتاب الله من بدايته إلى نهايته كتاب واحد ، يفسر بعضه بعضا ... أقدم بين يدي الآيات ...مدخلا تمهيدا لتلك الآيات ونظرة عامة عليها ... وفي هذا المدخل أدرج ما يصح أن يكون شرحا لبعض المفردات ... وحتى لا يتشعب القول في هذه الأحاديث لم أجعل منها معرضا للمصطلحات العلمية ولا مرجعا للخلافات المذهبية ... ولم أشحنها بذكر القواعد العلمية ... إذ الغاية الأولى والأخيرة من هذه الأحاديث هي المساهمة العملية واليومية في التثقيف الشعبي

والديني ... وإعداد برنامج إذاعي خاص للتعريف كل يوم برسالة القرآن الجامعة وهداياته النافعة ، ولكل مقام مقال .

أما الأسلوب الذي اخترته لإملاء هذه الأحاديث ، فهو أسلوب مبسط وسط يفهمه الأمي ، ويرتاح له المتعلم ، بحيث لا ينزل حتى يتبدل عند الخاصة ، ولا يعلو حتى يصعب على العامة .
قال : وعسى أن تكون هذه الأحاديث فاتحة عهد جديد بصفتها أول تفسير إذاعي للمصحف الكريم عرفته الإذاعات العربية والإسلامية . ()

وقد اعتمد الناصري في تفسيره تقسيما لم يسبق إليه وهو تفسير القرآن ربعا ربعا فيبدأ بالربع الأول من الحزب الأول () ثم الربع الثاني من الحزب الأول وهكذا حتى ينتهي من الأحزاب الستين للقرآن الكريم، ويتم ذلك إذاعيا بعد تلاوة الربع المعتمز تفسيره كاملا برواية قالون عن نافع المدني بصوت القارئ أبي سنينة .

ويلاحظ في تفسير المكّي الناصري كثرة الاعتذار عن عدم تفسير الآيات وإرجاءها إلى مناسبات قادمة. ()

وهو تفسير مختصر جدا لا يوفي بحاجة طالب التفسير . وقد فسر الربع الأول مثلا جميعه في صفحتين بالخط الكبير وبكلام عام عبارة عن سوق الآيات مرة ثانية وسوف أنقل هنا ما ذكره لإعطاء الصورة بدقة فقال :

والآن نلقي نظرة سريعة بالخصوص على الآيات الأولى من سورة البقرة :
لقد وصف القرآن الكريم في هذه الآيات ثلاث طوائف ، عايش بعضها بعضا في بدء الهجرة المحمدية إلى المدينة ، وهذه الأصناف من البشر وجدت في كل جيل مضى وتوجد في كل جيل لاحق فوصف القرآن الكريم لها وصف كاشف لها في جميع الأجيال والعصور .
تلك الطوائف الثلاث هي طائفة المؤمنين الذين أكرمهم الله بالإيمان فساروا على هدي الأنبياء والرسول وطبقوا التعاليم الإلهية على حياتهم الخاصة وحياتهم العامة .
ثم طائفة الكافرين الذين تمردوا على طاعة الله وتنكروا الهداية وأشهبوا الحرب بالقول والفعل على دعوته .

() مقدمة التيسير ١/٨-١٠ ، وقد تزامن مع إذاعته بالمملكة ، إذاعة خواطر الشعراوي حول تفسير القرآن ، وتفسير التفاسير لأبي عبد الرحمن ابن عقيل الظاهري إلا أن الأخير قد توقف بثه .

() انظر التيسير ١/١٥، ١٤ .

() انظر التيسير ١/٢٩٥، ٢٠٢، ١٤٠ .

وأخيرا طائفة المنافقين الذين هم أخطر على المؤمنين والكافرين والذين يلعبون أدوارا شيطانية ملتوية
ولشدة خطر هذه الطائفة جعل الله عقابها أشد عقاب فقال تعالى ﴿ إن المنافقين في الدرك الأسفل من
النار ولن تجد لهم نصيرا ﴾ ()

فهذه الطوائف الثلاث التي عايشت حمل الرسالات ، وعاصرت جميع الدعوات ، ألقى عليها التنزيل
الحكيم من أضوائه القوية ما كشف عنها القناع فوضح سمات المؤمنين التي لا لبس فيها ولا غموض في
أربع آيات ... فذكرها .

ووضح سمات الكافرين المعلنين بالكفر في آيتين فذكرها .

قال : ثم تطرق كتاب الله لوصف الطائفة الثالثة طائفة المنافقين فأطال الحديث عنها وخصص للكشف
عن نفاقها ثلاث عشرة آية كاملة ... فذكرها .

ثم ذكر ما يأتي من النكتة في الإطالة في الحديث عن المنافقين ثم قال :

ومن معجزات القرآن الكريم التي وصف بها هذه الطوائف الثلاث (المؤمنين والكافرين والمنافقين) كانت
ولا تزال هي السمات البارزة والثابتة في كل طائفة منهم تحقيقا لمدلول هذه الآيات البينات التي أوصى
بها خالق النفوس العليم الخبير بخلجات القلوب . صدق الله العظيم وبلغ رسوله المصطفى الكريم () .
ثم دخل في الربع الثاني .

كما فسر الربع الأخير من الحزب الأول من أول قوله تعالى ﴿ وإذ استسقى موسى ﴾ () إلى قوله
﴿ أفتطمعون أن يؤمنوا لكم ﴾ () في ثلاث صفحات بالخط الكبير الموسع () .

وكذا الربع الأول من الحزب الثاني وهكذا جل الكتاب .

فلا تحليل لمعاني الكلمات ولا تعرض للإعراب إلا نادرا ولا استدلال بالأحاديث إلا قليلا .

وهو قليل النقل عن المفسرين السابقين وغيرهم وممن نقل عنهم :

ابن العربي في أحكام القرآن () وابن جرير الطبري في تفسيره () وابن كثير ()

١	٣	٨	٢	(النساء : ١٤٥)
١	٣	٨	٣	(التيسير ١/٢٦، ٢٤ .)
١	٣	٨	٤	(البقرة : ٦٠)
١	٣	٨	٥	(البقرة : ٧٥)
١	٣	٨	٦	(التيسير ١/٤٨-٥١ .)
١	٣	٨	٨	(التيسير ١/٢٤٠، ٢١٢، ١٩٨، ١٨٦، ١٣٢، ١٢٠، ١١٤ .)
١	٣	٨	٨	(التيسير ١/١٤٠ ، ٤٧٨ .)
١	٣	٨	٨	(التيسير ١/١٩١، ١٩٠، ١٥١، ٤٧٥)

والرازي () والقرطبي () والقاضي عبد الجبار () والقشيري ()

ومما تميز به بالإضافة إلى سهولة أسلوبه ، ما يعرضه من نظرة شاملة لموضوعات كل سورة وبيان لمحورها الذي يضمها ويربط بينها جميعا فقال مثلا في سورة البقرة متحدثا عن محورها :

ذلك هو الحديث عن الجماعة الإسلامية الناشئة التي أخذت تنمو وتقوى بالمدينة وعن الجماعات الأخرى المناهضة للإسلام ... وعلى رأسها الجالية الإسرائيلية ... فهذه السورة تشرح كيف استقبل بنو إسرائيل الدعوة الإسلامية وكيف كان موقفهم من الرسول وأتباعه المهاجرين والأنصار ويمتد الحديث في نفس الموضوع حتى يشمل الأطوار التي مر بها بنو إسرائيل عبر التاريخ ... كما يتناول الحديث فيها توضيح المنهج الذي اختاره الله لسلوك المسلمين في عباداتهم ومعاملاتهم وتحديد النظام الإسلامي الذي شرعه لتنظيم حياتهم الخاصة وحياتهم العامة فيما بينهم وبعضهم مع بعض وفيما بينهم وبين الملل الأخرى ... الخ () .

وانظر أيضا محور سورة آل عمران () .

وهناك آيات أضرب عنها صفحا فلم يذكر فيها حرفا :

ومن ذلك قوله تعالى ﴿ يسألونك عن الأهلة ﴾ إلى قوله ﴿ الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين ﴾ () وفي سورة آل عمران ترك تفسيرها من أولها إلى قوله ﴿ زين للناس ﴾ () وآيات أخرى اكتفى فيها بأقل القليل ؛ فأشكل آية في كتاب الله ومعضلة المعضلات وهي قوله تعالى ﴿ وأتموا الحج والعمرة لله ... ﴾ () إلى قوله ﴿ فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب ﴾ () اكتفى فيها بقوله : يتجلى رفق الإسلام وما ابتنى من السماحة واليسر حيث يسمح لمن أصابه مرض أو لحقه

١	٣	٩	٠	() التيسير ١/٩٣ .
١	٣	٩	١	() التيسير ١/٩٤ .
١	٣	٩	٢	() التيسير ٢/٣٠٤ .
١	٣	٩	٣	() التيسير ١/٤٧٥، ٤٧٨ .
١	٣	٩	٤	() التيسير ١/٢٣ .
١	٣	٩	٥	() التيسير ١/٢٠١ .
١	٣	٩	٦	() البقرة : ١٨٩-١٩٤
١	٣	٩		() آل عمران : ١٤ ، التيسير ٧/٢٠٢ .
١	٣	٩	٨	() البقرة : ١٩٦
١	٣	٩	٩	() البقرة : ١٩٧

أذى أثناء حجه بارتكاب ما كان ممنوعا عليه في حالة الصحة وعدم الأذى ، والفدية عنه مقابل الرخصة التي رخص له بها الحق سبحانه وتعالى تيسيرا وتخفيفا ، وتعرف هذه الفدية بفدية الأذى . ()

المنهج التفصيلي للمؤلف :

أولا : يهتم بذكر أسماء السور ، فقد ذكر في المدخل لتفسير الفاتحة أسماءها ولم سميت الفاتحة . ()
وكذا سورة البقرة ولم سميت بذلك () .

وهو يتعرض أحيانا للمكي والمدني ومن ذلك قوله : وسورة البقرة هذه واحدة من تسع عشرة سورة كلها نزلت على رسول الله ﷺ بالمدينة . ()

ولم يذكر في سورة آل عمران هل هي مدنية أم مكية ، وكذلك سورة النساء . ()
وأما عد الآي فقد اعتمد فيه العدد الكوفي على الرغم من اعتماده قراءة قالون عن نافع المدني . ()

ثانيا : موقفه من العقيدة :

يمر عليها مرورا سريعا ويكفي أن آية مثل آية الكرسي لم يفسرها إطلاقا . ()
وفي قوله ﴿الظاهر والباطن﴾ ()

قال : نقل البخاري في صحيحه تفسير معنى الظاهر والباطن عن يحيى حيث قال : الظاهر على كل شيء علما والباطن على كل شيء علما ، والمراد بيحيى هنا يحيى ابن زياد الفراء صاحب كتاب "معاني القرآن" .

١	٤	٠	٠	() التيسير ١/١٢٠ .
١	٤	٠	١	() التيسير ١/١٩ .
١	٤	٠	٢	() التيسير ١/٢١ .
١	٤	٠	٣	() التيسير ١/٢٢ .
١	٤	٠		() انظر التيسير ١/٢٠١ ، ٢٩٥ .
١				() حيث عد البسمة وترك ﴿عليهم﴾ في الفاتحة كمثال ، وغد ﴿الم﴾ في البقرة كمثال آخر . وقد قال الناظم : والكوف مع مك يعد البسمة سواهما أولى عليهم عد له مابدؤه حرف التهجي الكوف عد لا الوتر مع طس مع ذي الرا اعتمد انظر : فائس البيان ص ٨٩ ، ٨٠
١	٤	٠	٦	() التيسير ١/١٦٧ .
١	٤	٠	٧	() الحديد : ٣ .

وفي قوله ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ ()

قال : وقال ابن كثير : قوله تعالى ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ أي رقيب عليكم شهيد على أعمالكم حيث كنتم وأين كنتم من بر أو بحر في ليل أو نهار في البيوت أو في القفار.... الخ ()
وهو على منهج أهل السنة والجماعة في القول بالتوقيف في أسماء الله وصفاته فقد قال في قوله تعالى ﴿الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى﴾ () :

والمراد بالأسماء الحسنى الأسماء التي تطلق على الحق سبحانه وتعالى إشارة إلى ذاته العلية أو صفاته الأزلية أو أفعاله القدسية ، والتسمية بما أمر توقيفي لا دليل عليه إلا الشرع من كتاب أو سنة أو إجماع . قال أبو منصور التميمي البغدادي في كتابه "أصول الدين" : ومن سماه بالقياس صار من القياس في إياس. ()

وقد ظهر في كلامه منهج التأويل عند تفسيره للاستواء حيث قال :

والاستواء على العرش في قوله تعالى هنا ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ () كناية عن انفراده سبحانه وتعالى بالملك والسلطان وهيبته المطلقة على جميع الأكوان فلا عرش في الحقيقة إلا عرشه ، ولا ملك إلا ملكه ﴿لله ملك السموات والأرض وما فيهن﴾ () والعرش في كلام العرب مرتبط بمعنى الملك يقولون : ثل عرش فلان إذا ذهب ملكه ، وتفاديا من أن يفهم معنى الاستواء على وجه فيه تكييف وتجسيم أجاب الإمام مالك من سأله عن الاستواء في هذه الآية فقال : الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة والإيمان به واجب . ()

ثالثا : موقفه من تفسير القرآن بالقرآن :

إن تفسير المكي الناصري للقرآن بالقرآن قليل لدرجة أنه ذكر مدلول الآية عند تفسيره قوله ﴿الذين أنعمت عليهم﴾ () ولم يذكرها صراحة فقال : إشارة إلى سلسلة النور التي برزت أول حلقة من حلقاتها

١	٤	٠	٨	() الحديد : ٤
١	٤	٠	٩	() التيسير ٦/١٦٢ .
١	٤	١	٠	() طه : ٨
١	٤	١	١	() التيسير ٤/٦٢
١	٤	١	٢	() طه : ٥
١	٤	١	٣	() المائة ١٢٠
١	٤	١	٤	() التيسير ٤/٦٠
١	٤	١	٥	() الفاتحة : ٧

منذ أقدم العصور من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين الذي تعاقبوا على عرش الخلافة الإلهية في هذه الأرض () .

وفي قوله ﴿ ورفعنا لك ذكرك ﴾ () قال : وإلى هذا المعنى ينظر قوله تعالى في آية أخرى ﴿ وإنه لذكر لك ولقومك ﴾ () . ()

رابعا : موقفه من تفسير القرآن بالسنة :

وهو ليس متبعا للمأثور بالمعنى المتعارف عليه ومن أمثلة ذلك

تفسيره لقوله تعالى : ﴿ غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ () حيث قال : إشارة إلى الفئات المنحرفة من بني الإنسان التي لم تستجب لنداء الرحمن ، والتي قابلت الهداية الإلهية بالتمرد والعصيان والجحود والكفران () .

فلم يذكر تفسيرها للمأثور باليهود والنصارى ولم يشير إلى حديث ولا أثر .

ومن الأحاديث القليلة التي ذكرها في تفسيره قوله عند كلامه عن السحر :

الأمر الثاني : أن عمل السحر واستعماله كفر أو يؤدي إلى الكفر ﴿ وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا ﴾ () ... وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ قال : “ من أتى عرافا أو كاهنا فقد كفر بما أنزل على محمد ” . ()

ودلالة الحديث في الحقيقة لا تتطابق مع ما ذكره قبله .

وهو غالبا يذكر الأحاديث مع التخريج والدرجة () ، وأغلبها من الصحيح () مثل قوله :

١	٤	١	٦	() التيسير ٢٠/١ .
١	٤	١	٧	() الشرح : ٤
١	٤	١	٨	() الزخرف : ٤٤ .
١	٤	١	٩	() انظر التيسير ٤٣٩/٦ .
١	٤	٢	٠	() الفاتحة : ٧
١	٤	٢	١	() التيسير ٢٠/١ .
١	٤	٢	٢	() البقرة : ١٠٢
١				() أخرجه الحاكم في المستدرک - كتاب الإيمان ٨/١ عن أبي هريرة وفيه : “ فصدقه فيما يقول ... ” وقال : صحيح على شرطهما جميعا ... ولم يخرجاه . وسكت الذهبي . وقال الألباني : صحيح (صحيح الجامع ٥٨١٥)
١	٤	٢	٤	() التيسير ١٢٢/١ .
١	٤	٢		() انظر التيسير ١/١٥٠ ، ١٣٠ ، ٢٢١ ، ١٩٩ ، ٣٧٨ .

كما جاء في الحديث الذي خرجه الترمذي في سننه ووصفه بأنه حديث حسن صحيح عن أبي هريرة
 ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " الحمد لله أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني " . ()
 وقوله روى الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : " يقول الله تعالى :
 قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ... " الحديث ()
 وقوله : روى الإمام مسلم عن أبي أمامة الباهلي ... ()
 وانظر أيضا أحاديث صحيحة () في فضل ليلة القدر وتحريمها .
 ومن الأحاديث الضعيفة التي ذكرها قوله تحت آية ﴿ لم تحرم ما أحل الله لك ﴾ ()
 "أدبني ربي فأحسن تأديبي" ()
 وقوله ﴿ إن مع العسر يسرا ﴾ () قال قتادة : ذكر لنا أن رسول الله ﷺ بشر أصحابه بهذه الآية
 فقال : " لن يغلب عسر يسرين " ()
 وبالنسبة لأسباب النزول () لا يتعرض لها إلا ضمناً مثل قوله :
 ﴿ إن الصفا والمروة من شعائر الله ... ﴾ () قال : يتحدث كتاب الله عن السعي بين الصفا والمروة
 ويؤكد تقرير الإسلام لحرمته كل منهما بصفتهما من شعائر الله وذلك إزالة لمخاوف المسلمين الذين توقفوا
 في أمرهما ظناً منهم أنه يسري عليهما حكم الإسلام في منع كثير من مظاهر الجاهلية وتقاليدها . ()
 وربما ذكر سبب النزول ومن ذلك قوله :

() التيسير ٢٠/١ . أخرجه البخاري - كتاب التفسير - باب ﴿ ولقد آتيناك سبعا من المثاني ﴾ الحجر : ٨١/٨

() التيسير ٢١/١ . والحديث في صحيح مسلم - كتاب الصلاة - باب قراءة الفاتحة في كل ركعة رقم ٣٩٥ .

() التيسير ٢٢/١ ٨ ٢ ٤

() التيسير ٤٤٨/٦ . ٩ ٢ ٤

() التحريم : ١ ٣ ٤

() التيسير ٢٦٢/٦ . والحديث قال فيه ابن تيمية : معناه صحيح ، ولكن لا يعرف له إسناد ثابت . وقال الألباني

: ضعيف (انظر السلسلة الضعيفة رقم ٧٢) وذكره الشوكاني في الفوائد المجموعة رقم ١٠١٩

() الشرح : ٦ ٢ ٣ ٤

() التيسير ٤٤١/٦ . مرسل ضعيف وقد أخرجه ابن جرير ٢٣٦/٣٠ وأخرج نحوه أيضا من مرسل الحسن البصري .

وقد ضعفه الألباني (انظر الضعيفة ٥٩٣/٣) وذكره السخاوي في المقاصد الحسنة رقم ٨٧٧

() وانظر أيضا في أسباب النزول : التيسير ١٩٩/١ ، ١٢٣ . ٣ ٤

() البقرة : ١٥٨ ٥ ٣ ٤

() التيسير ٩٩/١ . ٦ ٣ ٤

فقد جاء في صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه قال : كانت عكاظ ومجنة وذو الحجاز أسواقا في الجاهلية فتأثموا في الإسلام أن يتجروا فيها _ أي خافوا أن ينالهم إثم التجارة فيها - فنزلت الآية ﴿ ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم ﴾ () يعني في موسم الحج . ()

وقوله : هذه السورة نزلت ردا على المشركين الذين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا محمد انسب لنا ربك . فأنزل الله تعالى ﴿ قل هو الله أحد ﴾ () ()

وعندما فسر سورة العلق لم يتطرق لشيء من أسباب النزول مع كونها لصيقة جدا بالمعنى ولا يتضح بدونها وأضرب صفحا عن تفسير عدة آيات منها لأجل ذلك. ()

ويتعرض لفضائل القرآن بدون ضابط فهو مثلا لم يذكر شيئا مما ورد في فضل آية الكرسي () ولكنه ذكر فضل غيرها ومن ذلك ماتقدم ذكره من أحاديث في فضل الفاتحة ، وذكر حديثا واحدا في فضل سورة البقرة وهو قوله صلى الله عليه وسلم : “ اقرءوا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة ” ()

كما ذكر فضل أواخر البقرة . ()

خامسا : موقفه من تفسير القرآن بأقوال السلف :

ومن مواضع نقوله القليلة قوله :

﴿ في جيدها جبل من مسد ﴾ () قال مجاهد : أي في جيدها طوق من حديد . وقال سعيد بن المسيب : كانت لها قلادة فاخرة فقالت لأنفقنها في عداوة محمد فأعقبها الله عنها جبلا في جيدها من مسد النار . ()

() البقرة : ١٩٨

() التيسير ١/١٢٠ . والحديث في صحيح البخاري - كتاب التفسير - باب ﴿ ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم ﴾ ١٨٦/٨

() الإخلاص : ١ ، التيسير ٦/٤٧٧ .

() الحديث أخرجه أحمد ١٣٣/٥ والترمذي - كتاب تفسير القرآن - باب ومن سورة الإخلاص ٤٥١/٥ وابن جرير ٢٢١/٣٠ والحاكم ٥٤٠/٢ والواحد في أسباب النزول ص ٣٤٦ وقال الحاكم : صحيح الإسناد ولم يخرجاه وسكت الذهبي .

() التيسير ٦/٤٤٦ .

() التيسير ١/١٦٧ .

() التيسير ١/٢٢ ذكر المصنف أنه أخرجه مسلم وقد تقدم تحريجه .

() التيسير ١/٢٠٠ .

() المسد : ٥

﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾ () قال ابن عباس : الكوثر هو الخير الكثير الذي أعطاه الله إياه . وقيل لسعيد بن جبير : إن ناسا يزعمون أنه نهر في الجنة ، فقال سعيد : النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله إياه . وروي عن أنس وأبي العالية ومجاهد وغير واحد من السلف أن الكوثر نهر في الجنة. () ويقول : وبآية ﴿إن الذين يكتُمون ما أنزلنا من البينات والهدى﴾ () استشهد عثمان عندما قال: لأحدثنكم حديثا لولا آية من كتاب الله عز وجل ماحدثتكموه.

وإليها استند أبو هريرة إذ قال : إن الناس يقولون أكثر أبو هريرة ! والله لولا آية في كتاب الله ماحدثت شيئا . ()

ويقول : وهكذا تم التوجه إلى بيت المقدس في بدء الهجرة بأمر نبي كريم صدر عن اجتهاده عليه السلام كما حكاه القرطبي في تفسيره عن عكرمة وأبي العالية والحسن البصري رضوان الله عليهم . () وهذا الكلام فيه نظر لأن التوجيه إلى بيت المقدس كان بأمر من الله ويدل عليه قوله تعالى ﴿وما جعلنا القبلة التي كنت عليها﴾ () وهو قول الجمهور كما حكاه القرطبي أيضا . ()

وهناك نقول أخرى عن جماعة من السلف ومنهم :

ابن عباس () وعلي () وابن مسعود () والشعبي () وعبيدة السلماني وأبو العالية. ()

١	٤	٤	٦	() التيسير ٦/٤٧٦ .
١	٤	٤	٧	() الكوثر : ١
١	٤	٤	٨	() التيسير ٦/٤٧٣ .
١	٤	٤	٩	() البقرة : ١٧٤
١	٤	٥	١٠	() التيسير ١/١٠٢ .
١	٤	٥	١١	() التيسير ١/٩٢ .
١				() البقرة : ١٤٣ وثبت أيضًا عن ابن عباس عند الطبري وغيره قوله : أمره الله أن يستقبل بيت المقدس . وهذا قال فيه ابن حجر : يرد قول من قال إنه باجتهاد . الفتح ١/٥٠٢
١	٤	٥		() انظر الجامع لأحكام القرآن ١/٥٣٣
١	٤			() التيسير ١/٩٣ ، ١٨٩ ، ١٤٢ ، ٣٠٨ ، ٣٨٦ ، ٣٨٣ ، ٣٤٧ .
١	٤	٥	٥	() التيسير ١/٢٠٠
١	٤	٥	٦	() التيسير ١/١٠٩
١	٤	٥	٧	() التيسير ١/٣٠٩ .
١	٤	٥	٨	() التيسير ١/٣٠٩

سادسا : موقفه من السيرة والتاريخ وذكر الغزوات :

يتعرض المكّي الناصري للسيرة أثناء دروسه التفسيرية باختصار وبدون سوق للأحداث مثل قوله :
ومن هنا ينتقل كتاب الله إلى الحديث بالخصوص عن يوم أحد وماجبلت فيه بعض المواقف من متاعب
للمسلمين خصوصا ماوقع فيه من أولى المشركين لرسول الله ﷺ ويبين بالأخص أسباب الهزيمة في هذا
اليوم () .

وقوله :

والغم الثالث غم الدعاية الكاذبة التي روجها المشركون عن المسلمين وفحواها أن الرسول قد قتل في
المعركة مما يدخل في حرب الأعصاب () .

وقوله :

﴿إن شانئك هو الأبتر﴾ () دفاع من الله عن كرامة رسوله فقد تهجم أبو لهب على مقام الرسول عليه
السلام وقال عنه : إنه قد بتر . لوفاة ابنه الذكر وكان العرب يقولون ذلك . ()
وربما ذكر بعض المشاهد المختصرة من السيرة ()

سابعا : موقفه من الإسرائيليات :

بالنسبة لقصة هاروت وماروت اكتفى بقوله :

ويشير القرآن الكريم إلى أن بني إسرائيل كانوا يذيعون بين الناس أن السحر إنما هو تراث أخذوه عن
سليمان عليه السلام كما كانوا ينسبونه إلى الملكين هاروت وماروت ومقصدهم من ذلك أن يجعلوا
للسحر سندا صحيحا مرفوعا إلى الأنبياء والملائكة مع أن السحر من الأمور التي يتحاشى منها مقام
الأنبياء ومقام الملائكة جميعا . وهكذا ينفي القرآن الكريم تهمة السحر عن سليمان كما ينفيها عن
الملكين هاروت وماروت وبذلك ينهدم الأساس المزور الذي يبني عليه بنو إسرائيل سحرهم ويثبت القرآن
الكريم في نفس الوقت أن السحر إنما هو في الحقيقة من صنع الشياطين وحدهم أولا وأخيرا . ()

١	٤	٥	٩	() التيسير ١/٢٦٧ .
١	٤	٦	٠	() التيسير ١/٢٧٥ .
١	٤	٦	١	() الكوثر : ٣ .
١	٤	٦	٢	() التيسير ٦/٤٧٤ .
١	٤	٦	٦	() التيسير ١/٢٧٥، ٢٧٨، ٤٧٦، ٥٠١/٦ .
١	٤	٦	٤	() التيسير ١/٦٥ .

ويلاحظ هنا أنه ذهب إلى اعتبار ما في قوله تعالى ﴿وما أنزل على الملكين﴾ () نافية وهو قول مرجوح^٥ يتناقض مع سياق القصة .

وقال في الربع الأخير من الحزب الرابع :

تناولت أغلب آياته الكريمة قصة تجري وقائعها بأرض فلسطين بعد مرور حقبة من الدهر انتصر فيها الفلسطينيون على بني إسرائيل ، وهزموهم هزيمة شنعاء ، واستولوا على الثابوت الذي كان بنو إسرائيل يتحصنون به من قبل في حروبهم بالتبرك بما فيه من آثار موسى وهارون ، فلما طال أمر الهزيمة على بني إسرائيل لجأوا إلى نبيهم صمويل يطلبون منه أن يختار لهم ملكا ... إلى أن قال :

وأما داود فهو الفتى الشجاع الذي أردى جالوت قتيلا بمقلعه البسيط وأحجاره الملساء ، بعد ما رأى بني إسرائيل يتساقطون كالذباب أمام جالوت العملاق ، وقد كان إقباله على هذه المغامرة بعد استئذان منه لملكه طالوت ، الذي زوجه بعد الانتصار على جالوت وجنوده ابنته مكيال مكافأة له على شجاعته التي أصبحت مضرب الأمثال ، الأمر الذي كان بعد ذلك من أقوى العوامل في ترشيح داود لملك بني إسرائيل عندما تخلى طالوت وساح في الفلوات هائما على وجهه يتلمس النجاة والتوبة . ()^٦
وواضح أننا لم نكن في حاجة لسوق مثل هذه القصة خاصة مع ضيق المقام بل إن فيها حشوا لا يمت لتفسير الآيات من قريب أو بعيد .

ثامنا : موقفه من اللغة :

لا يهتم المصنف باللغويات ولا يتعرض للإعراب كما سبق أن ذكرت ولكنه يتعرض للمفردات بقلة ومن ذلك قوله :

وقوله تعالى ﴿نقيرا﴾ () : المراد بالنقيير النقرة التي في ظهر نواة التمر ومما يتصل به لفظ القطمير والمراد به اللغافة التي على نواة التمرة ولفظ الفتيل والمراد به الحيط الذي في شق النواة وهذه الألفاظ الثلاثة كلها وردت في القرآن الكريم . ثم ذكر مواضعها ()^٧
وهو لا يتعرض للشعر إلا نادرا ومن ذلك :

قوله في ﴿ورفعنا لك ذكرك﴾ () : وفي مثل هذا المقام قال حسان بن ثابت :

١	٤	٦	٥	() البقرة : ١٠٢
١	٤	٦	٦	() التيسير ١/١٥٩، ١٥٨ .
١	٤	٦	٧	() النساء : ٥٣
١	٤	٦	٨	() التيسير ١/٣٨٦-٣٨٧ .
١	٤	٦	٩	() الشرح : ٤

أغر عليه للنبوة خاتم من الله نور يلوح ويشهد

وضم الإله اسم النبي إلى اسمه إذا قال في الخمس المؤذن أشهد ()

وربما ذكر بعض الأمثال مثل : " على نفسها جنت براقش " . ()

ومن الجاري على الألسنة : " لكل اسم من مسماه نصيب " . ()

وهو ينبه بين الفينة والأخرى على بعض النكات التفسيرية ومن ذلك :

قوله : وإنما طال الحديث عن طائفة المنافقين بما لم يطل به عن الطائفتين الأخريين لأن طائفة المنافقين ذات ألوان مختلفة وأقنعة متعددة ، والكشف عن جوهرها المعقد وعن شخصيتها المزدوجة وعن تناقض مظهرها مع مخبرها ؛ يحتاج إلى مزيد من الأضواء ... الخ () .

وقال في قوله : ﴿ ولقد آتينا موسى الكتاب ووقفينا من بعده بالرسل وآتينا عيسى ابن مريم البينات ﴾ () : ومما يستلفت النظر في هذا المقام ورود اسم عيسى المسيح إلى جانب اسم موسى الكليم لأول مرة في سورة البقرة ، وفي ذلك تقرير لتسلسل الرسالات المنزلة من عند الله وتماسك حلقاتها وتأكيد لترابطها وتكاملها وإقامة للحجة على بني إسرائيل الذين أنكروا رسالة جميع الرسل بعد موسى منذ عيسى ابن مريم إلى محمد بن عبد الله . ()

ومع ما في هذه النكتة من نظر فإنه ليس هناك رسل منذ عيسى ابن مريم إلى محمد ابن عبد الله ﷺ وقد قال ﷺ : " أنا أولى الناس بابن مريم ... ليس بيني وبينه نبي " . ()

١	٤	٧	٠	() التيسير ٤٤٠/٦ .
١	٤	٧	١	() التيسير ١١١/١ .
١	٤	٧	٢	() التيسير ٣١٥/١ .
١	٤	٧	٣	() التيسير ٢٥/١ .
١	٤	٧	٤	() البقرة : ٨٧ .
١	٤	٧	٥	() التيسير ٥٧/١ .

() أخرجه البخاري - كتاب بدء الخلق - باب قول الله ﷻ ﴿ واذكر في الكتاب مريم ﴾ مرثم : ١٦ عن أبي هريرة

٤٧٦/٦

ومن اللطائف التفسيرية : ()

قال : ومن لطائف التفسير ما ذهب إليه الرازي أثناء تفسيره لهذه الآيات من أن كتاب الله ذكر ثلاثة

أشياء في حق داود وثلاثة أشياء في حق سليمان عليهما السلام . فذكرها ()^٨

ومن المبالغات التي وقع فيها بسبب اعتماده على التفسير الإنشائي قوله :

ويلاحظ فيما جرت حكايته على لسان بني إسرائيل أنهم بدلا من أن يقولوا : ادع لنا ربنا ، يفضلون أن

يقولوا : ادع لنا ربك ويكررونها عدة مرات بهذه الصيغة، كأنهم لا يزالون في شك من أمره ، ولا يعتبرونه

ربا لهم بقدر ما يعتبرونه ربا لموسى وحده ، وفي ذلك جحود منهم ظاهر لربوبية الله رب العالمين ، وجرأة

على مقامه الأقدس . وليس هذا بغريب عليهم فقد قالوا من قبل لموسى كما سبق في الربع الماضي ﴿ يا

موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ﴾ () .^٩

فقوله : جحود ظاهر لربوبية الله تكفير ظاهر لهم ، وهذا لم يقل به أحد ولم تدل عليه الآيات ،

ولا يساعد على هذا الفهم استمرار موسى عليه السلام معهم .

تاسعا : موقفه من القراءات :

القراءة المعتمدة كما ذكر المصنف في مقدمته هي قراءة قالون عن نافع وقد اعتمدها بالضبط المناسب

لها () . وعلى الرغم من ضيق المقام تعرض أحيانا للقراءات^٤ ومن ذلك قوله :

﴿ إن في ذلك لآيات للعالمين ﴾ ()^١ وحسب قراءة "العالمين" بفتح اللام كما في قراءة ورش عندنا يكون

المعنى أن التعرف على هذه الآيات الكونية والبشرية في متناول عموم الخلق لا يختص به فريق دون فريق

لأنه على مرأى ومسمع منهم جميعا .

وتروى فيه قراءة أخرى بكسر اللام وطبقا لهذه القراءة الثانية يكون المعنى أن الذين يدركون أسرار هذه

الآيات ويستخلصون منها النتائج القريبة والبعيدة الجامعة بين العلم والإيمان هم الذين بلغوا درجة كافية

من العلم ويشهد لهذه القراءة قوله تعالى في آية أخرى : ﴿ وما يعقلها إلا العالمون ﴾ ()^٢

() وانظر أيضا لبعض النكات واللطائف : التيسير ١/١٤٢، ١٧٠، ٣٤٧ .^٤

() التيسير ٥/١٧٧، ١٧٦ .^٨

() البقرة : ٥٥ ، التيسير ١/٥٠ .^٤

() انظر كمثل في الربع الأول قراءة ملك ، وما يخادعون ، بما كانوا يكذبون^٤

() الروم : ٢٢ .^١

() العنكبوت : ٤٣ ، التيسير ٥/٣٠-٣١ .^٨

عاشرا : موقفه من الفقه والأصول : ()

والمؤلف يتعرض للفتاوى بطريقتين إجمالية :

ومن ذلك قوله :

وإنما يباح الفطر للمسافر إذا لم ينو إقامة أربعة أيام فأكثر بالمكان الذي انتقل إليه ، فإذا نوى الإقامة به أربعة أيام فأكثر لزمه الصيام منذ وصوله ، ولم يجز له الفطر . وقد اعتبر علماء الإسلام في حكم المريض : المرأة الحامل والمرأة المرضع إذا خافتا على نفسيهما من الصيام أو خافت الأولى على حملها والثانية على رضيعها ... أما الذين فقدوا القدرة على الصيام ، كالشيخ الهرم الذي بلغ من الكبر عتيا ، والمرأة الكبيرة التي عجزت عن الإمساك ؛ فقد رخص الإسلام لهما ولمن مائلهما بالإفطار ، على أن يقوموا بإطعام مسكين واحد ، فدية عن كل يوم ، ولا قضاء عليهم بالمرة... () .

ويقول :

واتفق الإمامان مالك وأبو حنيفة رضي الله عنهما على اشتراط الصوم في الاعتكاف استنادا إلى قوله ﷺ : "اعتكف وصم" () () .

وقال : قال مالك : والتكبير في أيام التشريق على الرجال والنساء من كان في جماعة أو وحده بمنى أو بالآفاق كلها واجب وقال : "الأيام المعدودات" أيام التشريق ()

وفي حين نجد الشيخ يعتذر بسبب ضيق الوقت المخصص لتفسير الربع الثاني من الحزب الرابع من قوله ﴿يسألونك عن الخمر والميسر﴾ () إلى ﴿والوالدات﴾ () فيقول : واضح أن ضيق الوقت المخصص لحصتنا اليومية لا يتسع لإلقاء نظرات مع هذه الموضوعات جميعا فسنتصر على بعضها دون البعض على أن نتدراك الباقي في أول مناسبة قادمة فتكلم فقط عن الخمر ؛ نجد أطال في الحديث عن الزواج من الكتابية ونقل عدة آثار عن ابن عمر وابن عباس وطلحة وحذيفة وعمر بن الخطاب وشقيق بن سلمة وذلك على خلاف عادته تماما .

() وانظر من مواضع تعرضه للفتاوى : التيسير ١/٣٣٠، ٦/٢٥٧، ٢٥٦

() التيسير ١/١٠٩ .

() أخرجه أبو داود - كتاب الصوم - باب المعتكف يعوّد المريض ٢/٣٣٤ عن ابن عمر . وقال الألباني : صحيح دون قوله : وصم . وقال الشوكاني : أخرجه أبو داود ... من طريق عبد الله بن بديل ولكنه ضعيف (انظر نيل الأوطار ٤/٣٦٠)

() التيسير ١/١١٠ .

() التيسير ١/١٢٩ .

() التيسير ١/٢١٩ .

() التيسير ١/٢٣٣ .

وفي قوله تعالى ﴿ يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل ﴾ () قال : وتعليقا على كلمة تماثيل الواردة في هذه الآية وماتفيده من إباحة التصوير على عهد سليمان قال ابن العربي ما نصه : ورد على ألسنة أهل الكتاب أنه كان أمرا مأذونا فيه والذي أوجب النهي عنه في شرعنا - والله أعلم - ما كانت العرب عليه من عبادة الأوثان والأصنام فكانوا يصورون ويعبدون ، فقطع الله الذريعة وحى الباب () .

وقد تكلم عن قضية الربا وكان حديثه عنها حديثا جيدا إلا أنه صب الحديث على ربا النسئئة ولم يتعرض البتة لربا الفضل () .

كما ترك آيات () من سورة النساء وهي كلها في الموارث فلم يفسر منها حرفا .
وكذلك لم يقل شيئا عن قوله ﴿ واللاتي يأتين الفاحشة ﴾ () إلى ﴿ عذابا أليما ﴾ ()
وكذلك قوله ﴿ وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلا خطأ ... ﴾ ()
حتى آية الوضوء مر عليها مرور الكرام () .

أما موقفه من النسخ :

فيقول في قوله تعالى : ﴿ مانسوخ من آية ... ﴾ () بعد أن ذكر إنكار اليهود للنسخ:
وردا عليهم وإبطالا لنظريتهم جاءت الآية الكريمة تقول ﴿ مانسوخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ﴾ تؤكد - على عكس ما يدعون - إمكان النسخ في الشرائع
بل تثبت وقوعه فيها فعلا ثم توضح وجه الحكمة فيه ... الخ () .
وفي آية الوصية لا يرى النسخ فقال :

ولا يستغرب السامع ذكر الوالدين هنا في سياق الوصية دون الإرث فهناك من الوالدين من لاحق لهم فيه أيضا مثال ذلك الأم الكتابية التي ليست على دين ابنها المسلم والزوجة الكتابية .. الخ ()

١	٤	٩	٠	() سبأ : ١٣
١	٤	٩	١	() التيسير ١٧٦/٥ .
١	٤	٩	٢	() التيسير ١٨٨/١ - ١٩٢ .
١	٤	٩	٣	() النساء : ١١، ١٢ .
١	٤	٩	٤	() النساء : ١٥ .
١	٤	٩	٥	() النساء : ١٨ .
١	٤	٩	٦	() النساء : ٩٢، ٩٣ .
١	٤	٩	٧	() التيسير ٣٣٩/١ .
١	٤	٩	٨	() البقرة : ١٠٦ .
١	٤	٩	٩	() التيسير ٧٢/١

ومن تعرضه لبعض الأصول :

قال في قوله تعالى ﴿ ومن يشاقق الرسول... ﴾ (١) : وعلى هذه الآية نفسها اعتمد الشافعي رحمته في الحكم بحجية الإجماع وما يجب له من الاتباع (٢) .

حادي عشر : موقفه من العلوم الحديثة والرياضة والفلسفة والمعجزات الكونية :
لا يظهر على تفسير المكي الناصري تركيز على هذا الجانب أو اهتمام به إلا أنه قد تعرض لشيء من الظواهر الكونية (٣) .

ثاني عشر : موقفه من المواعظ والآداب :
هذا هو الجانب الذي اهتم به المكي الناصري اهتماما بينا وركز عليه في تفسيره وهو ملائم لكون التفسير أحاديث إذاعية تدخل بيوت عامة الناس ويرجى تأثيرها على المجتمع ، ومن القضايا الاجتماعية التي اهتم بها :

نبه على مضار الزواج في الوقت الحاضر من الكتابية مما يؤكد تأثره بأمراض المجتمع الإسلامي وتحذيره من سلبياته (٤) .

واهتم بشأن اليتامى (٥) .

وتكلم عن الاعتقادات في الجن (٦) .

وعن محاربة العنصرية والشعبوية (٧) .

وغير ذلك من القضايا الاجتماعية الكثيرة (٨) .

وقال في قوله تعالى : ﴿ اذهبوا إلى فرعون إنه طغى ﴾ (٩)

١	٥	٠	٠	() التيسير ١١٤/١
١	٥	٠	١	() النساء : ١١٥
١	٥	٠	٢	() التيسير ٣٨٣/١
١	٥	٠	٣	() انظر التيسير ٦١،٦٢/٥
١	٥	٠	٤	() التيسير ١٤٠/١
١	٥	٠	٥	() التيسير ٣١١-٣٠٨/١
١	٥	٠	٦	() التيسير ١٧٨-١٧٧/٥
١	٥	٠	٧	() التيسير ٣١/٥
١				() انظر التيسير ١/١٦٠، ١٥٢، ١٤٨، ١٧٠، ١٦١، ١٨٨، ٢١٨، ٢٥٠، ٢٢١، ٣٠٨، ٣٩٢، ٣٧٥

يستفاد منه أمران :

الأمر الأول : أن الدعوة إلى الله ينبغي أن تكون مصحوبة بالتفاؤل والرجاء لا بالتشاؤم والإيأس بحيث يكون الداعي قوي الثقة بالله قوي الثقة بفعالية الدعوة وتأثيرها في النفوس والوصول بها إلى النتيجة المرجوة .

الأمر الثاني : أن الدعوة إلى الله ينبغي أن تكون لغتها لغة مهذبة وأن يكون أسلوبها أسلوباً لنا فلا فحش ولا غلظة ولا جفوة . ونفس التوجيه الذي تلقاه موسى وهارون عليهما السلام تلقاه خاتم الأنبياء والمرسلين صلوات الله عليه ، إذ خاطبه ربه قائلاً ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾ () قال القرطبي : القول اللين هو القول الذي لا خشونة فيه وإذا كان موسى أمر بأن يقول لفرعون قولاً لنا فمن دونه أخرى بأن يقتدي بذلك في خطابه وأمره بالمعروف في كلامه قال تعالى ﴿ وقولوا للناس حسناً ﴾ . ()

() طه : ٤٣ ٩
() النحل : ١٢٥ ١
() التيسير ٤/٦٦-٦٧ والآية من سورة البقرة رقم : ٨٣ ١

تفسير أبي بكر الجزائري

من خلال كتابه أيسر التفاسير وحاشيته نهر الخير

مؤلف هذا التفسير هو الشيخ أبو بكر جابر بن موسى بن عبد القادر الجزائري وهو واعظ بالمسجد النبوي الشريف ومن المعاصرين وقد التقيت به مرارا وهو من أهل المنطقة ولد بالجزائر سنة ١٣٤٠هـ ولا زال على قيد الحياة نفع الله به (١).

التعريف بالتفسير :

وتفسيره المسمى "أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير" من التفاسير المطبوعة وقد وضع عليه حاشية مكملتها اسمها "نهر الخير على أيسر التفاسير"، والطبعة التي وقفت عليها تقع في خمس مجلدات كبار وهي الطبعة الثالثة للكتاب .

وقد ذكرت في ترجمة الشيخ الباعث على تأليفه هذا التفسير وأضيف هنا قوله :

و شاء الله تعالى أن أجلس في أواخر محرم عام ١٤٠٦هـ ، إلى فضيلة الدكتور عبد الله بن صالح بن العبيد رئيس الجامعة الإسلامية ويلهم أن يقول لي : لو أنك وضعت تفسيراً على الجلالين يحل محله في المعاهد ودور الحديث تلتزم فيه العقيدة السلفية التي خلا منها تفسير الجلالين فضرّ كثيراً بقدر ما نفع ، وصادف في النفس رغبتها فأجبت به بأن سأفعل إن شاء الله تعالى وبهذا الوعد تعينت واستعنت الله تعالى وشرعت . (٢)

المنهج العام للتفسير :

أما عن المنهج العام في هذا التفسير فقد كفانا الشيخ حفظه الله استنباطه بذكره له في المقدمة وهو تفسير وعظي شامل .

قال الجزائري : هذا وإن مميزات هذا التفسير التي بها رجوت أن يكون تفسير كل مسلم ومسلمة لا يخلو منه بيت من بيوت المسلمين فهي :

١ - الوسطية بين الاختصار المخل ، والتطويل الممل .

(١) تقدمت ترجمته في أهل المنطقة برقم ٥٣
(٢) ٥/١ .

- ٢- اتباع منهج السلف في العقائد والأسماء والصفات .
- ٣- الالتزام بعدم الخروج عن المذاهب الأربعة في الأحكام الفقهية .
- ٤- إخلاؤه من الإسرائيليات صحيحها وسقيمها إلا ما لا بد منه لفهم الآية الكريمة وكان مما تجوز روايته لحديث “ وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ” () .
- ٥- إغفال الخلافات التفسيرية .
- ٦- الالتزام بما رجحه ابن جرير الطبري في تفسيره عند اختلاف المفسرين في معنى الآية، وقد لا آخذ برأيه في بعض التوجيهات للآية .
- ٧- إخلاء الكتاب من المسائل النحوية والبلاغية والشواهد العربية
- ٨- عدم التعرض للقراءات إلا نادرا جدا للضرورة حيث يتوقف معنى الآية على ذلك وبالنسبة للأحاديث فقد اقتضت على الصحيح والحسن منها دون غيرها، ولذا لم أعزها إلى مصادرها إلا نادرا .
- ٩- خلو هذا التفسير من ذكر الأقوال وإن كثرت والالتزام بالمعنى الراجح والذي عليه جمهور المفسرين من السلف الصالح حتى إن القارئ لا يفهم أن هناك معنى غير الذي فهم من كلام ربه تعالى ، وهذه ميزة جليلة وذلك لحاجة جمع المسلمين على فكر إسلامي موحد صائب سليم .
- ١٠- التزم في هذا التفسير بالخطة التي مثلتها هذه المميزات رجاء أن يسهل على المسلمين تناول كتاب الله دراسة وتطبيقا وعملا، لا هم لهم إلا مرضاة الله بفهم كلامه والعمل به ، والحياة عليه عقيدة وعبادة وخلفاء وأدبا وقضاء وحكما ، فلذا أخليت من كل ما من شأنه أن يشتت الذهن ، أو يصرف عن العمل إلى القول والجدل
- ولذا فقد جعلت الكتاب دروسا منظمة منسقة فقد أجعل الآية الواحدة درسا فأشرح كلماتها ، ثم أبين معناها، ثم أذكر هدايتها المقصودة منها للاعتقاد والعمل وقد أجعل الآيتين درسا ، والثلاث آيات والأربع والخمس ولا أزيد على الخمس إلا نادرا ، وذلك طلبا لوحدة الموضوع وارتباط المعنى به .
- وقد جعلت الآيات مشکولة على قراءة حفص وبخط المصحف وإني أطلب المسلم أن يقرأ أولا الآيات حتى يحفظها ، فإذا حفظها درس كلماتها حتى يفهمها ، ثم يدرس معناها حتى يعيه ، ثم يقرأ هداياتها للعمل بها فيجمع بين حفظ كتاب الله تعالى وفهمه والعمل به ، وبذلك يسود ويكمل ويسعد إن شاء الله تعالى . ()

وقد ذكر الشيخ أن كتابه هذا قد اعتمد فيه على مراجع أربعة وهي :

() أخرجه البخاري - كتاب أحاديث الأنبياء - باب ما ذكر عن بني إسرائيل ٤٩٦/٦ من حديث عبد الله بن عمرو .

() ٦١٧/١ .

جامع البيان في تفسير القرآن لابن جرير الطبري

تفسير الجلالين المحلي والسيوطي

تفسير المراغي

تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي

أما حاشية نهر الخير ؛ فقد ذكرت الغرض منها في ترجمة المؤلف وسوف نوقع هذه الدراسة على الكتاب وحاشيته إن شاء الله تعالى .

وهو لم يقتصر على المراجع المذكورة في المقدمة عندما صنف " نهر الخير " ولكن رجع إلى مصادر أخرى مثل : تفسير ابن كثير : ومن ذلك قوله : ذهب ابن كثير إلى أن استوى هنا مضمن معنى قصد لتعديته بإلى إذ يقال : " استوى على كذا " إذا كان بمعنى العلو والارتفاع ، " واستوى إلى كذا " قصده ، ويكون المعنى ثم قصد إلى السماء أي السموات فخلقهن سبع سموات ، ولفظ السماء اسم جنس تحته أفراد لذا قال : ﴿فسواهن﴾ () بالجمع . ()

تفسير القرطبي : ومن ذلك قوله : ذكر القرطبي في تفسيره أن السجود الذي أمرت به الملائكة هو أن يسجدوا لله تعالى مستقبلين وجه آدم وعليه فهو كصلواتنا خلف المقام ، الصلاة لله والاستقبال للمقام . () وسياقي غير ذلك من المراجع مثل التحرير والتنوير .

المنهج التفصيلي للمؤلف :

أولاً : أسماء السور وعدد الآيات والوقوف وبيان المناسبات :

يذكر الجزائري أسماء السور ومكية أم مدنية وعدد آياتها

كقوله : سورة الفاتحة وهي مكية وآياتها سبع ثم قال : ولها أسماء كثيرة منها أم القرآن والسبع المثاني وأم الكتاب ثم شرح تلك الأسماء في حاشيته نهر الخير . ()

وهو يتعرض لذكر المناسبات بين الآيات ومن ذلك قوله عن تفسير ﴿ يا أيها الناس اعبدوا ربكم ﴾ () وجه المناسبة أنه تعالى لما ذكر المؤمنين المفلحين ، والكافرين الخاسرين ذكر المنافقين وهم بين المؤمنين الصادقين

١	٥	١	٦	() البقرة : ٢٩
١	٥	١	٧	() ٣٩/١ .
١	٥	١	٨	() ٤٣/١ .
١	٥	١	٩	() ٩١٠/١ .
١	٥	٢	١٠	() البقرة : ٢١ .

والكافرين الخاسرين ، ثم على طريقة الالتفات نادى الجمع بعنوان الناس ، ليكون نداء عاما للبشرية جمعاء في كل مكان وزمان ، وأمرهم بعبادته ليقوا أنفسهم من الخسران ، معرفا لهم نفسه ليعرفوه بصفات الجلال والكمال فيكون ذلك أدعى لاستجابتهم له، فيعبدونه عبادة تنجيهم من عذاب وتكسبهم رضاه وجنته. ()

ثانيا : موقفه من العقيدة :

وهو يقرر عقيدة السلف في القدر عند قوله ﴿سواء عليهم ءأنذرتهم أم لم تنذرهم﴾ () فقال في نهر الخير :
 قد يقال : ما دام قد علم الله تعالى أن بعضا لا يؤمنون فلم يندرون ؟ إذ إنذارهم مع العلم بأنه لا ينفعم ،
 تكليف بالمحال والجواب : أن دعوة النبي ﷺ لكل أحد وهو ﷺ لم يعلم من كتب الله تعالى عليه الشقاء ممن
 كتب له السعادة ؛ فلذا هو يدعو وينذر ، ومن كان من أهل السعادة أجاب الدعوة، ومن لم يكن من أهلها
 رفضها ولم يجب . ()

ويقول : ذهب المعتزلة - أذهب الله ربحهم - إلى أن الجنة التي هبط منها آدم وحواء كانت بستانا في الأرض
 في مرتفع منها ، وهو قول باطل لا يسمع له ولا يلتفت إليه ، إذ كل سياق القرآن دال على أنها الجنة دار النعيم
 لأولياء الله في الآخرة .

ويقول في الشفاعة : الشفاعة ضم جاه إلى جاه ليحصل النفع للمشفوع له ، والشفعة ضم ملك إلى ملك،
 والشفع الزوج مقابل الوتر ، ولا تقبل شفاعة أحد يوم القيامة إلا بشرطين اثنين الأول : أن يكون الشافع قد
 أذن الله تعالى له في الشفاعة ، والثاني : أن يكون المشفوع له ممن رضي الله قوله وعمله وهو المؤمن
 الموحد. ()

ويقول في السحر : اختلف هل للسحر حقيقة أو هو مجرد خداع لا أصل له ؟ أهل السنة والجماعة على أن
 له حقيقة . وهو أنواع عديدة ، وحكمه : أن من تعاطاه إذا أضر به فأفسد عقلا أو قتل فإنه يقتل بذلك وإلا
 فإنه يعزر حتى يتوب منه ، ويشهد لمذهب الجمهور أن النبي ﷺ سحره لبيد بن الأعصم وأنزل الله تعالى سورة
 الفلق فرقاه بها جبريل فشفني وقال : إن الله شفاني . والحديث في البخاري وغيره . ()

١ () ٣٣/١ . ١

١ () البقرة : ٦ . ٢

١ () ٢٣/١ . ٣

١ () ٥٢/١ . ٤

١ () ٩٢/١ . وانظر : صحيح البخاري - كتاب الطب - باب السحر ٢٢١/١٠ عن عائشة . وليس فيه الرقية

بسورة الفلق إنما جاءت الرقية بها وبسورة الناس في رواية سفيان بن عيينة للحديث في تفسيره وقال ابن حجر : صحيح

(انظر تلخيص الحبير ٤٠/٤)

ويقول في خلق القرآن : روي أن أحمد استدل على كفر من قال بخلق القرآن بهذه الآية: ﴿من بعد ما جاءك من العلم﴾ () وهو القرآن ، فمن قال بخلق القرآن قال بخلق علم الله تعالى وهو كفر صريح . ()
ويقول في معية الله لخلقه في صلب الكتاب :

﴿فثم وجه الله﴾ () : هناك الله تعالى ، إذ الله عز وجل محيط بخلقه فحيثما أتجه العبد شرقا أو غربا شمالا أو جنوبا وجد الله تعالى ، إذ الكائنات كلها بين يديه وكيف لا يكون ذلك وقد أخبر عن نفسه أن الأرض قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه ، فليس هناك جهة تخلو من علم الله تعالى وإحاطته بها وقدرته عليها ويقرر هذا قوله إن الله ﴿واسع عليم﴾ ، إنه واسع الذات والعلم والفضل والجلود والكرم عليهم بكل شيء لأنه محيط بكل شيء . ()

ويقول ﴿وسع كرسیه السموات والأرض﴾ () لكمال ذاته ثم ذكر في نهر الخير قوله : أورد ابن كثير عن ابن عباس رضي الله عنها قوله : الكرسي موضع القدمين ، والعرش

لا يقدر أحد قدره . رواه الحاكم وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . ()
وفي بعض الآيات المشككة مثل قوله : ﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة﴾ () أكتفى فيها بقوله : ما ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وعند ذلك يؤمنون ، ومثل هذا الإيمان الاضطراري لا ينفع حيث يكون العذاب لزاما بقضاء الله العادل . () ولم يذكر شيئا في الحاشية .

ثالثا : موقفه من تفسير القرآن بالقرآن :

وهو غير مكثر في ذلك ويتعرض له في الحاشية مثل قوله ﴿الذين أنعمت عليهم﴾ () هم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون . ثم قال في الحاشية : ورد هذا البيان في قوله تعالى من سورة النساء ﴿ومن

١	٥	٢	٦	() آل عمران : ٦١ .
١	٥			() ١٠٦/١ . وانظر في ذلك كتاب : "الرد على من يقول القرآن مخلوق" للنجاد .
١	٥	٢	٨	() البقرة : ١١٥ .
١	٥	٢	٩	() ١٠٢/١ .
١	٥	٣	٠	() البقرة : ٢٥٥ .
١	٥			() ٢٤٥/١ . وانظر المستدرک - كتاب التفسير ٢/٢٨٢ وسكت الذهبي .
١	٥	٣	٢	() البقرة : ٢١٠ .
١	٥	٣	٣	() ١٨٨/١ .
١	٥	٣	٤	() الفاتحة : ٧ .

يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ﴿ () ﴾
ومثل قوله : ﴿ ثم يقول للملائكة ﴾ وهم أمامهم تقريراً للمشركين وتأنيباً ﴿ أهؤلاء إياكم كانوا
يعبدون ﴾ ﴿ فتتبرأ الملائكة من ذلك . ثم قال في الحاشية : هذا كقوله تعالى ﴿ وإذ قال الله يا عيسى
ابن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله ﴾ ﴿ ... الخ . () ﴾^٨ ^٧

رابعا : موقفه من تفسير القرآن بالسنة :

لا يذكر الأحاديث كثيرا في صلب الكتاب وربما يذكرها في الحاشية ومن ذلك قوله في صلب الكتاب : وفي
الحديث “ الدعاء هو العبادة ” ثم ذكر في الحاشية قوله : رواه

أصحاب السنن وصححه الترمذي عن النعمان بن بشير رضي الله عنه . ()^٩

وفي موضع آخر يقول عند قوله تعالى ﴿ بل أحياء ولكن لا تشعرون ﴾ ﴿ () ﴾ أما الآية فقد تضمنت نهيته تعالى
لهم أن يقولوا معتقدين : إن من قتل في سبيل الله ميت إذ هو حي في البرزخ وليس بميت بل هو حي يرزق في
الجنة كما قال رسول الله ﷺ : “ أرواح الشهداء في حواصل طيور خضر تسرح في الجنة حيث شاءت ثم تأوي
إلى قناديل معلقة تحت العرش ” رواه مسلم . ()^٤

وقوله في في هداية الآيات : فضيلة الاسترجاع عند المصيبة وهو قول : إنا لله وإنا إليه راجعون ، وفي الصحيح
يقول ﷺ : “ ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول اللهم أجري في مصيبي وأخلف لي خيرا منها إلا أجره الله في
مصيبته وأخلف له منها ” . رواه مسلم . ()^٢

ويقول تحت قوله تعالى ﴿ كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرا الوصية ﴾ ﴿ () ﴾^٣

يقول رسول الله ﷺ : “ فلا وصية لوارث ” ﴿ () ﴾ . ونسخ الوجوب وبقي الاستحباب ولكن لغير الوالدین
والأقربین الوارثين إلا أن يجيز ذلك الورثة وأن تكون الوصية ثلثا فأقل فإن زادت وأجازها الورثة جازت لحديث

١	٥	٣	٥	() النساء : ٦٩
١	٥	٣	٦	() سبأ : ٤٠
١	٥	٣	٧	() المائدة : ١١٦
١	٥	٣	٨	() ٣٢٨/٤
١	٥			() ١٥/١ . وانظر سنن الترمذي - كتاب الدعاء - باب ماجاء في فضل الدعاء ٤٥٦/٥
١	٥	٤	٠	() البقرة : ١٥٤
١				() ١٣٤/١ وانظر صحيح مسلم - كتاب الإمارة - باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة ١٥٠٢/٣
١	٥			() ١٣٥/١ ، وانظر صحيح مسلم - كتاب الجنائز - باب ما يقال عند المصيبة ٦٣٣/٢
١	٥	٤	٣	() البقرة : ١٨٠

ابن عباس عند الدارقطني : “لا تجوز الوصية لوارث إلا أن يشاء الورثة” () ودليل استحباب الوصية حديث سعد في الصحيح حيث أذن له الرسول في الوصية بالثلث ، وقد تكون الوصية واجبة على المسلم وذلك إن ترك ديونا لازمة ، وحقوقا واجبة في ذمته فيجب أن يوصي بقضائها واقتضاها بعد موته لحديث ابن عمر في الصحيح : “ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده” ()

أسباب النزول :

يكثر المصنف من ذكرها في الأصل والحاشية () ، ومن ذلك قوله في نهر الخير : ذكر ابن كثير في سبب نزول قوله تعالى ﴿وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة﴾ () أن عكرمة قال : خاصمت اليهود رسول الله ﷺ فقالوا : لن ندخل النار إلا أربعين ليلة وسيخلفنا فيها آخرون يعنون محمدا وأصحابه فقال رسول الله ﷺ بيده على رؤوسهم : “بل أنتم خالدون لا يخلفنكم فيها أحد” فأنزل الله عز وجل ﴿وقالوا لن تمسنا النار الآية﴾ . ()

وقوله : روى الترمذي في سبب نزول ﴿قل من كان عدوا لجبريل﴾ () الآية أن اليهود قالوا للنبي ﷺ : إنه ليس نبي من الأنبياء إلا يأتيه ملك من الملائكة من عند ربه بالرسالة وبالوحي فمن صاحبك حتى نتبعك؟ قال جبريل قالوا : ذلك الذي ينزل بالحرب وبالقتال ذلك عدونا لو قلت : ميكائيل الذي ينزل بالقطر والرحمة تابعناك فأنزل الله الآية إلى قوله ﴿للكافرين﴾ . ()

ويقول في الأصل : ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى﴾ () هذه الآية نزلت في حين من العرب كان أحد الحيين يرى أنه أشرف من الآخر فلذا يقتل الحر بالعبد ، والرجل بالمرأة تطاولا

() سبق تخريجه انظر ص ٨٥٥ .

() انظر سنن الدارقطني ٩٦/٤ وأخرجه أيضا البيهقي ٢٤٣/٦ من طريق عطاء عن ابن عباس وقال : عطاء هذا هو الخراساني لم يدرك ابن عباس ولم يره . وقال الألباني : منكر (ضعيف الجامع رقم ٦٢١١ ، إرواء الغليل ٩٦/٦)

() ١٥٨/١ . والحديث أخرجه البخاري - كتاب الوصايا - باب الوصايا وقول النبي ﷺ ... الخ ٣٥٥/٥ ، ومسلم - كتاب الوصية ١٢٤٩/٣

() انظر أيضا ١٢٥/١ ، ٧٢٦ ، ١٦٧ ، ١٦٥ ، ١٩٥ ، ١٩٨ ؛

() البقرة : ٨٠ .

() ٧٥/١ . والأثر أخرجه ابن جرير ٣٨٢/١ وهو ضعيف لإرساله .

() البقرة : ٩٧ .

() ٨٥/١ . وانظر سنن الترمذي - التفسير - سورة الرعد رقم ٣١١٧ وقال : حسن غريب وقال الألباني : صحيح (صحيح سنن الترمذي ٢٤٩٢)

() البقرة : ١٧٨ .

وكبرياء فحدث بين الحيين قتل وهم في الإسلام فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ فنزلت هذه الآية تبطل
 ذحل () الجاهلية، وتقر مبدأ العدل والمساواة في الإسلام فقال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم
 القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى ﴾ فلا يقتل بالرجل رجلاً ، ولا بالمرأة رجلاً ولا
 امرأتان، ولا بالعبد حر ولا عبدان . ()
 ويقول : روي أن بعض الصحابة رضوان الله عليهم سألوا رسول الله ﷺ قائلين : ما بال الهلال يبدو دقيقاً ، ثم
 يزيد حتى يعظم ويصبح بدرًا ، ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما كان أول بدئه ؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية
 ﴿يسألونك عن الأهلة ﴾ () وأمر رسول الله ﷺ أن يقول لهم : ﴿ هي مواقيت للناس ﴾ . ()

فضائل السور والآيات :

يتعرض لها في نهر الخير مثل قوله :

الحمد لله أعظم سورة في القرآن لحديث البخاري عن أبي سعيد بن المعلى أن النبي ﷺ قال له : “لأعلمنك
 أعظم سورة في القرآن ، وقوله له ما أنزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في القرآن مثلها” . ()
 وقوله : ورد وصح في فضل سورة البقرة قوله ﷺ : “اقرأوا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا
 يستطيعها البطلة” ()

ويقول : صح أن النبي ﷺ قال : “ يا أبا المنذر _ أبي بن كعب _ أتدري أي آية من كتاب الله معك
 أعظم؟” قال : قلت الله لا إله إلا هو الحي القيوم فضرب في صدري وقال : “ ليهنك العلم يا أبا
 المنذر” . ()

وروى أحمد أن آية الكرسي تعدل ربع القرآن وأن الزلزلة والكافرون والنصر كل واحدة تعدل ربع القرآن وأن
 الصمد تعدل ثلث القرآن . ()

() الدُّخْل : الثَّأْر (لسان العرب ٣/١٤٩٠)

() ١٥٥/١، ١٥٦ . وقد أخرج ابن جرير معناه ١٠٣/٢ من مرسل قتادة .

() البقرة: ١٨٩

() ١٧١/١ . أخرجه ابن عسَّاكر عن ابن عباس بمعناه وقال السيوطي : بسند ضعيف (الدر ١/٢٠٣)

() ١٣/١ . أخرجه البخاري^٧ - كتاب التفسير - باب ماجاء في فاتحة الكتاب ١٥٦/٨ .

() ١٨/١ . والحديث سبق تخريجه ص ٧٢٨ .

() ٢٤٤/١ . والحديث أخرجه مسلم - كتاب صلاة المسافرين - باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي ٥٥٦/١

() ٢٤٤/١ . والحديث في المسند ٢٢١/٣ وفي إسناده سلمة بن وردان قال الحافظ : ضعيف (التقريب رقم ٢٥١٤

خامسا : موقفه من تفسير القرآن بأقوال السلف :

والمصنف لا ينسب شيئا من الأقوال للمفسرين من السلف في صلب الكتاب أما في الحاشية فربما نسب بعض ذلك مثل قوله :

قال رجل لابن عباس رضي الله عنهما : إنا نصيب في العمد من أموال أهل الذمة الدجاجة والشاة ونقول ليس علينا في ذلك بأس فقال له : هذا كما قال أهل الكتاب ﴿ ليس علينا في الأميين سبيل ﴾^(١) إنهم إذا أدوا الجزية لا تحل لكم أموالهم إلا عن طيب أنفسهم^(٢) .
وقد مر وسوف يأتي في النقول الآتية روايات منسوبة لبعض الصحابة والتابعين .

سادسا : موقفه من السيرة والتاريخ وذكر الغزوات

وهو يتعرض للسيرة أثناء الآيات المتعلقة بالغزوات مثل غزوة بدر وأحد وتبوك والأحزاب وغيرها .
ومن مواضع ذلك عند قوله تعالى ﴿ وآخرون اعترفوا بذنوبهم ﴾^(٣) ذكر قصة أبي لبابة ومن معه^(٤) .
وعند قوله تعالى ﴿ والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا ﴾^(٥) ذكر قصة مسجد الضرار وما كان من أبي عامر الفاسق^(٦) .

وعند قوله تعالى ﴿ لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار ﴾^(٧) ذكر قصة توبة كعب بن مالك ومن معه باختصار^(٨) .

ومن تحريه لبعض المسائل التاريخية قوله : ذهب الشيخ محمد الطاهر بن عاشور صاحب تفسير التحرير والتنوير إلى أن القائل لبني إسرائيل: ﴿ ادخلوا هذه القرية ﴾^(٩) .
الآية هو موسى عليه السلام وأنه أرسل جواسيس يكتشفون أمر العدو ويقدرون قوته قبل إعلان الحرب عليهم فرجعوا وهم يهولون من شأن العدو وقوته وينشرون الفرع والرعب في بني إسرائيل ما عدا اثنين منهم

١	٥	٦	١	() آل عمران: ٧٥
١	٥	٦	٢	() ٣٣٤/١
١	٥	٦	٣	() التوبة: ١٠٢
١	٥	٦	٤	() ٤٢٠/٢
١	٥	٦	٥	() التوبة: ١٠٧
١	٥	٦	٦	() ٤٢٥/٢
١	٥	٦	٧	() التوبة: ١١٧
١	٥	٦	٨	() ٤٣٤/٢
١	٥	٦	٩	() البقرة: ٥٨

وهما: يوشع بن نون قريب موسى ، وطالب بن قته الذين ذكرا في سورة المائدة ﴿ قال رجلان ﴾ () الآية وخالف في هذا جمهور المفسرين وادعى الغلط لهم ، وما حمله على ذلك سوى أن السياق ما زال مع موسى وقومه مع أن الله تعالى لم يذكر موسى بل قال : ﴿ وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية ﴾ () والرسول ﷺ في حديث البخاري قال : قيل لبني إسرائيل . ولم يقل : قال موسى لبني إسرائيل ونص الحديث : “ قيل لبني إسرائيل : ادخلوا الباب سجدا وقلوا حطة يغفر لكم خطاياكم فبدلوا وقالوا : حنطة حبة في شعرة ” () . والأمير لهم حقيقة هو الله تعالى على لسان يوشع ، إذ هو الذي قاد الحملة ونصره الله ، ودخل بيت المقدس ، وأحاديث الرسول ﷺ شاهدة . ()

سابعا : موقفه من الإسرائيليات :

تقدم ما ذكره المصنف في المقدمة عن موقفه من الإسرائيليات لكنه لم يلتزم به وذكر منها طرفا في الحاشية ومن ذلك :

قوله : اشتهر بين علماء السلف أن ما تتلوه الشياطين على عهد سليمان كان سببه أن مردة من الشياطين كتبوا كتابا ضمنوه الكثير من ضروب السحر والشعوذة والأباطيل ونسبوه إلى كاتب سليمان - وهو أصف - ودفنوه تحت كرسي سليمان حين ابتلي بنزع ملكه، ولما مات سليمان أخرج الكتاب شياطين الجن بالتعاون مع شياطين الإنس، وأعلنوا في الناس أن سليمان كان ساحرا ، وما غلب الجن والإنس إلا بالسحر فصدقهم أناس وكذب آخرون، ولما بعث محمد ﷺ وكفر به اليهود وتنكروا للتوراة لاتفاقها مع القرآن أنزل الله تعالى قوله ﴿ واتبعوا ما تتلوا الشياطين ﴾ () فبرأ سليمان وكفر اليهود .

وكذا قوله : الملكان - وهما هاروت وماروت - ذكر قصتهما علماء السلف ورواها مثل أحمد وعبد الرزاق وابن أبي حاتم وابن جرير وخلق كثير ولم يصح فيها حديث عن النبي ﷺ ولكنها مروية عن ابن عمر ، وابن عباس وعلي رضي الله عنهم ولعلها مروية عن كعب الأحبار ، وفي الآيات عبارة وإشارة ولا مانع شرعا ولا عقلا من هذه القصة، ومفادها أن الملائكة أنكروا على بني آدم ما يرتكبون من الذنوب والمعاصي ويعجبون من ذلك فأمرهم تعالى أن يختاروا ملكين منهم ويركب فيهم غرائز بني آدم ويكافئهم وينزلهم إلى الأرض يعبدون الله كعبي آدم ثم ينظرون هل يعصون الله أولا يعصونه فلما نزلوا إلى الأرض ارتكبا كبائر الذنوب فخيروا بين

١	٥	٧	٠	() المائدة: ٢٣
١	٥	٧	١	() البقرة: ٥٨
١	٥	٧	٢	() سبق تخريجه ص ٧٢٦ .
١	٥	٧	٣	() ٥٨/١ .
١	٥	٧	٤	() البقرة: ١٠٢

عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا فجعلوا في بابل يعلمان الناس السحر فإذا أتاهما من يريد ذلك نصحا له بأن تعلم السحر كفر فإذا أصر وجهاه إلى شيطان فأتاه فعلمه كيفية السحر وما يصل إليه إلا بعد أن يكفر أفضع أنواع الكفر .

وقوله : ﴿ولا تقربا هذه الشجرة﴾ () قال : الشجرة شجرة من أشجار الجنة وجائز أن تكون كرما أو تينا أو غيرها وما دام الله تعالى لم يعين نوعا فلا ينبغي السؤال عنها . ()

وقوله في الحاشية ﴿ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم﴾ () قال : ذكر القرطبي أن اسم هذه القرية دارودان وهي من نواحي شرق واسط بينهما فرسخ . ()

وقوله في الحاشية أيضا ﴿إذ قالوا لنبي لهم﴾ () قال : هو شمویل بن بآل بن علقمة هكذا ذكره القرطبي في تفسيره ويقال فيه : شمعون أيضا ويعرف بابن العجوز لأن أمه كانت عجوزا فسألت الله الولد فوهبها إياه بعد عقم كبر سن . ()

﴿وقال لهم نبينهم﴾ () شمویل ()

وقال : وأما كيفية حمل الملائكة للتابوت فإن الأخبار تقول إن العمالقة تشاءموا بالتابوت عندهم إذ ابتلوا بمرض البواسير وبآفات زراعية وغيرها ، ففكروا في أن يردوا هذا التابوت لبني إسرائيل ، وساق الله أقدارا لأقدار ، فجعلوه في عربة يجرها بقرتان أو فرسان ووجهوها إلى جهة منازل بني إسرائيل فمشت العربة فساقتها الملائكة حتى وصلت بها إلى منازل بني إسرائيل فكانت آية وأعظم آية وقبل بنو إسرائيل بقيادة طالوت ، وبسم الله تعالى قادهم . ()

وقال : لم يقص الله تعالى علينا شيئا عن كيفية قتل داود لجالوت لعدم الفائدة الكبيرة منها وخلصتها كما يلي :

١	٥	٧	٥	() البقرة: ٣٥
١	٥	٧	٦	() ٤٥/١ .
١	٥	٧	٧	() البقرة: ٢٤٣
١	٥	٧	٨	() ٢٣١/١ .
١	٥	٧	٩	() البقرة: ٢٤٣
١	٥	٨	١٠	() ٢٣٤/١ .
١	٥	٨	١١	() البقرة: ٢٤٨
١	٥	٨	٢	() ٢٣٥/١ .
١	٥	٨	٣	() ٢٣٦/١ ، ٢٣٧ .

كان والد داود في جيش طالوت وله ستة أبناء معه واسمه إيشا ، وكان داود أصغرهم وكان يرعى الغنم ، وكان
لنبيهم درع وأوحى الله أن من استوت عليه درعك هو الذي يقتل جالوت ، فاستوت على داود . وقبل البراز
قال طالوت : من قتل جالوت أشاطره ملكي وأزوجه ابنتي ، وكان داود قد مر بحجر فناداه أن خذي يادود
وقاتل بي، فجعله في مخلاته واحتفظ به ، فلما برز لجالوت جعل الحجر في مقلعه وكان راميا فرمى جالوت
فقتله . وهذه بداية أمره عليه السلام . ()

ثامنا : موقفه من اللغة :

يهتم الجزائري بشرح المفردات في كل مجموعة من الآيات من غير تعرض لشواهد شعرية ثم يبين في حاشيته
اشتقاق الكلمة ويسوق بعض الشواهد الشعرية ومثال ذلك قوله : السورة : قطعة من كتاب الله تشتمل على
ثلاث آيات فأكثر .

ثم يقول في حاشيته : لفظ السورة مشتق إما من سور البلد لارتفاعها الخ ثم قال : ويشهد لذلك قول الشاعر :

ألم تر أن الله أعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب ()

وكتفوله : الرب السيد المالك المصلح المعبود بحق جل جلاله

ثم قال في نهر الخير : مما شهد لإطلاق لفظ الرب على المعبود قول الشاعر :

أرب يبول الثعلبان برأسه لقد هان من بالت عليه الثعالب ()

ويتعرض في الحاشية إلى كثير من القضايا النحوية والبلاغية ومن ذلك قوله :

﴿ومن الناس﴾ () خير، والمبتدأ : ﴿من يقول﴾ ، والسر في تقديم الخبر هنا هو إخفاء المخبر عنه لأنه ذو
صفات ذميمة . ()

وقوله في ﴿أنؤمن كما آمن السفهاء﴾ () الاستفهام هنا إنكاري . ()

وقوله : أصل لقوا : لقيوا نقلت الضمة إلى القاف وحذفت الياء لالتقاء الساكنين .

١	٥	٨	٤	() ٢٣٩/١ .
١	٥	٨	٥	() ٩/١ .
١	٥	٨	٦	() ١٢/١ .
١	٥	٨	٧	() البقرة : ٨
١	٥	٨	٨	() ٢٤/١ .
١	٥	٨	٩	() البقرة : ١٣
١	٥	٩	٠	() ٢١٦/١ .

وقوله : عدي فعل خلوا بـ إلى ولم يعد بالباء إذ يقال خلا بكذا لأن خلوا هنا بمعنى ذهبوا وانصرفوا . ()
ومن مواضع تعرضه للمتشابه اللفظي :

قال في قوله ﴿ ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ﴾ () يلاحظ : تقديم الشفاعة في النداء الثاني على
أخذ العدل وتأخير الشفاعة في هذا النداء وتقديم العدل وما هو إلا
تفنن في الأسلوب إذهابا للسامة . وهذا شأن الكلام البليغ . ()
وقال في الإعجاز القرآني البياني :

بلاغة القرآن الكريم إذ كان حكماء العرب في الجاهلية يقولون : القتل أنفلققتل ، فقال القرآن : ﴿ ولكم في
القصص حياة ﴾ () فلم يذكر لفظ القتل بالمرّة فنفاه لفظا وواقعا . ()
وقد يرجح الشيخ خلاف قول الجمهور في بعض الآيات ومن ذلك قوله : الجمهور على تفسير الضمير في
﴿ وإنما لكبيرة ﴾ () بالصلاة وخالفتهم في ذلك لوجود من قال : إنها ما أمرأوا به ونهوا عنه وهو أعم من
الصلاة . ()

تاسعا : موقفه من القراءات :

اعتمد قراءة حفص كما في ذكر في المقدمة وربما ذكر شيئا من القراءات في نهر الخير مثل قوله قرأ حفص ﴿
مالك ﴾ () باسم الفاعل وقرأ نافع ﴿ ملك ﴾ بدون ألف وهما قراءتان سبعيتان . والله حقا هو الملك
المالك . ()

قرأ نافع ﴿ يومنون ﴾ بتخفيف الهمزة جمعا وإفرادا في كامل القرآن وقرأها حفص مهموزة في كل القرآن .
()

قرأ نافع والجمهور ﴿ وما يخادعون ﴾ () بألف بعد الخاء وقرأ حفص يخدعون بسكون الخاء ()

١	٥	٩	١	() ٢٧/١ .
١	٥	٩	٢	() البقرة: ١٢٣
١	٥	٩	٣	() ١٠٨/١ .
١	٥	٩	٤	() البقرة: ١٧٩
١	٥	٩	٥	() ١٥٧/١ .
١	٥	٩	٦	() البقرة: ٤٥
١	٥	٩	٧	() ٥١/١ .
١	٥	٩	٨	() الفاتحة: ٣
١	٥	٩	٩	() ١٣/١ .
١	٦	٠	٠	() ١٨/١ .

ومن تعرضه للقراءات في أصل الكتاب قوله : ﴿ ولا تسأل عن أصحاب الجحيم ﴾ () ولا تسأل قرئ^٣
 بالتاء للجمهور ولا نافية والفعل مرفوع ، وقرئ بالبناء للمعلوم ولا ناهية والفعل مجزوم () . ثم علق عليها^٤
 في النهر بأن القراءة الثانية لنافع وحده .

عاشرا : موقفه من الفقه والأصول :

كما أنه يتعرض لبعض الأحكام الفقهية كقوله :

حكم الاستعاذة : يسن لكل من يريد قراءة شيء من القرآن سورة فأكثر أن يقول أعوذ بالله من الشيطان
 الرجيم ، ثم يقرأ . ثم بين في نهر الخير الدليل فقال : لقوله تعالى ﴿ فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان
 الرجيم ﴾ () ()

كما تكلم عن حكم البسملة فقال : مشروع للعبد ومطلوب منه أن يبسم عند قراءة كل سورة من كتاب
 الله تعالى إلا عند قراءة سورة التوبة . ()

وفي نهر الخير يستطرد أكثر فيقول مثلا عند قوله تعالى ﴿ قال إنه يقول إنها بقرة لا فارض ولا بكر ﴾ ()
 الآيات

استدل الجمهور بهذه الصفات المذكورة للبقرة على جواز بيع السلم في الحيوان كما استدلوا بقول الرسول ﷺ
 في الصحيح : “ لا تنعت المرأة المرأة لزوجها ، كأنه ينظر إليها ” () وخالف أبو حنيفة وقال بعدم صحة
 السلم في الحيوان () وعند قوله : ﴿ فقلنا اضربوه ببعضها ﴾ () وفي هذه الآية شاهد لمالك في أن الجريح
 إذا أخرج عن جرحه ومات أن إخباره يعد لوثا وتجري في الحادث القسامة وخالف الجمهور وقالوا : إخبار

١	٦	٠	١	() البقرة: ٩
١	٦	٠	٢	() ٢٤/١ .
١	٦	٠	٣	() البقرة: ١١٩
١	٦	٠	٤	() ١٠٤/١ .
١	٦	٠	٥	() النحل: ٩٨
١	٦	٠	٦	() ١١/١ .
١	٦	٠	٧	() ١٢/١ .
١	٦	٠	٨	() البقرة: ٦٨
١				() أخرجه البخاري بنحوه - كتاب النكاح - باب لا تبأثر المرأة المرأة ٣٣٨/٩ عن ابن مسعود .
١	٦	١	٠	() ٦٩/١ .
١	٦	١	١	() البقرة: ٧٣

القتيل لا يكفي في وجود اللوث المقتضي للقسامة ولرأي مالك شاهد من السنة وهي الجارية التي رض اليهودي رأسها كما في البخاري . ()

وكقوله أجمع العلماء على أن للمرأة ثلاثة أحكام في رؤيتها الدم السائل من فرجها ، فإن كان أسود خائرا تعلقه حمرة فذلك الحيض ويجرم عليها الصوم والصلاة ويجرم وطؤها ، وتقضي الصوم ولا تقضي الصلاة للأحاديث الصحيحة في ذلك ، وأكثر الحيض خمسة عشر يوما وأقله لا حد له على الصحيح وأقل الطهر أيضا خمسة عشر يوما ليكمل الشهر حيضا وطهرا ، وإن كان الدم زائدا على مدة الحيض فهو الاستحاضة وتصلي معه وتصوم وتوطأ أيضا والحكم الثالث دم النفاس وأكثره أربعون يوما وأقله يوم وليلة وحكمه حكم الحيض ()

وقد يخالف قول الجمهور ومن ذلك :

قوله : ﴿وعلى الوارث﴾ () : الوارث هو الرضيع نفسه إن كان له مال وإلا فعلى من يكفله من عصبته . ثم قال في النهر : الجمهور على أن المراد بالوارث ، ورثة الرضيع إذا هلك من نساء ورجال ذكره القرطبي في تفسيره وقال غيره : إن الوارث هو الرضيع إذا مات والده وترك مالا أجرة الموضع من ماله فإن كان لا مال له فمن مال وارثه هو ولا تضار هي في واجب نفقتها ولا الوالد أو وارثه في أدائها وما فسرنا به الآية واضح ومستقيم والحمد لله رب العالمين . ()

وهو يتميز باختيار القول الراجح في مواضع عدة مع الإضراب عن القول المرجوح مثل قوله في هداية الآية : ﴿ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن﴾ () حرمة نكاح المشركات أما الكتابيات فقد أباحهن الله تعالى بآية المائة إذ قال ﴿والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم﴾ () وفي هداية آية ﴿فأتوهن من حيث أمركم الله﴾ ()

قال : حرمة نكاح المرأة في دبرها لقوله تعالى ﴿فأتوهن من حيث أمركم الله﴾ وهو القبل . ()

١	٦	١	٢	() ٧١/١ .
١	٦	١	٣	() ٢٠٥/١ .
١	٦	١	٤	() البقرة: ٢٣٣
١	٦	١	٥	() ٢٢١/١ .
١	٦	١	٦	() البقرة: ٢٢١
١	٦	١	٧	() المائة: ٥
١	٦	١	٨	() البقرة: ٢٢٢
١	٦	١	٩	() ٢٠٧/١ .

وفي هداية آية ﴿الشهر الحرام بالشهر الحرام﴾ () يقول : نسخ القتال في الشهر الحرام بدليل قتال الرسول ﷺ هو وزن وثقيف في شوال وأول القعدة وهما من الأشهر الحرم ()

كما أنه يتعرض للقضايا الأصولية تارة في الكتاب مثل تفصيله في قضية النسخ تحت قوله تعالى ﴿ ما ننسخ من آية ﴾ () فقال : يخبرنا تعالى رادا على الطاعنين في تشريعه الحكيم الذين قالوا : إن محمدا يأمر أصحابه اليوم بأمر وينهى عنه غدا ، أنه تعالى ما ينسخ من آية تحمل حكما شاقا على المسلمين إلى حكم أخف كنسخ الثبوت لعشرة في قتال الكافرين إلى اثنين ، أو حكما خفيفا إلى شاق زيادة في الأجر كنسخ يوم عاشوراء بصيام رمضان ، أو حكما خفيفا إلى حكم خفيف مثله كنسخ القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة ، أو حكما إلى غير حكم آخر كنسخ صدقة من أراد أن يناجي رسول الله ﷺ فإن الحكم رفع ولم يشرع حكم آخر بدلا عنه ، أو نسخ الآية بإزالتها من التلاوة ويبقى حكمها كآية الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله فقد نسخ اللفظ من التلاوة وبقي الحكم ، أو بنسخ الآية وحكمها وهذا معنى قوله : أو ننسخها وهي قراءة نافع ، فقد ثبت أن قرآنا نزل وقرأه رسول الله ﷺ وبعض أصحابه ثم نسخه الله تعالى لفظا ومعنى فمحاها من القلوب بالمرّة فلم يقدر على قراءته أحد ، وهذا مظهر من مظاهر القدرة الإلهية () .

وتارة في الحاشية مثل قوله عن تفسير ﴿ قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ﴾ () في الآية دليل على بطلان التقليد وهو قبول قول الغير بلا دليل وفي الآية أن من ادعى شيئا نفيا أو إثباتا يطالب بالدليل وإلا بطلت دعواه ()

وقوله ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا ﴾ () في هذه الآية دليل على صحة الإجماع ووجوب الحكم به لعدالة الأمة بشهادة ربها فإذا اجتمعت على أمر وجب الحكم به وفي أي عصر من العصور إلى قيام الساعة. ()

١	٦	٢	٠	() البقرة: ١٩٤
١	٦	٢	١	() () البقرة: ١٠٦
١	٦	٢	١	() ٩٦/١ .
١	٦	٢	١	() البقرة: / ١٩٩ .
١	٦	٢	٢	() البقرة: ١٠٦
١	٦	٢	٣	() ٩٦/١ .
١	٦	٢	٤	() البقرة: ١١١
١	٦	٢	٥	() ٩٩/١ .
١	٦	٢	٦	() البقرة: ١٤٣
١	٦	٢	٧	() ١٢٥/١ .

وفي قوله: ﴿وإذا قيل لهم اتبعوا﴾ () استدلل بهذه الآية على حُرمة التقليد في العقائد مطلقاً ، أما في الفروع فهو أهون والتقليد هو قبول الحكم بلا دليل ولا حجة . ()

حادي عشر : موقفه من العلوم الحديثة والرياضة والفلسفة والمعجزات الكونية :
لم يظهر لي اهتمام للشيخ بهذا المجال ولعل السبب في ذلك ما شرطه على نفسه في مقدمة التفسير .

ثاني عشر : موقفه من المواعظ والآداب :

وقد تفرد كتاب الشيخ بذكر ما سماه هداية الآيات : ويسوق تحتها ما يستفاد من الآية بأسلوب دراسي وعظي وهو الغرض الأصلي من تفسيره كما بين في المقدمة مثل قوله في تفسير ﴿إن الذين كفروا سواء عليهم﴾ () من هداية الآيتين :

١- بيان سنة الله تعالى في أهل العناد والمكبرة والإصرار بأن يجرمهم الله تعالى الهداية وذلك بتعطيل حواسهم حتى لا ينتفعوا بها فلا يؤمنوا ولا يهتدوا .

٢- التحذير من الإصرار على الكفر والظلم والفساد الموجب للعذاب العظيم .

٣- تقديم السمع على البصر في عدة آيات من القرآن يفيد أن حاسة السمع أنفع من حاسة البصر وهو كذلك والعقل أعظم من ذلك . ()

ويقول : ومما يؤسف ويحزن أن المسلمين لما ابتلاهم الله باستعمار النصارى لهم كانوا كلما استقل شعب أو إقليم طلب قانون الكافرين فحكم به المسلمين ، وبنو إسرائيل لما استقلوا على يد موسى ذهب بقانون الرب ليحكم به . ()

ويقول في نهر الخير : يتساءل البعض هل آدم ارتكب بأكله من الشجرة كبيرة وهل يجوز في حق الأنبياء ارتكاب الكبائر ؟ والجواب: أن آدم ما نبي إلا بعد أن هبط إلى الأرض ، إذ هي دار التكليف أما وهو في السماء فما كان قد نبي بعد وأكله من الشجرة لم يترتب عليه عقاب أكثر من الخروج من الجنة لأنها ليست

١	٦	٢	٨	() البقرة: ١٧٠
١	٦	٢	٩	() ١٤٥/١ .
١	٦	٣	٠	() البقرة: ٦
١	٦	٣	١	() ٢٣/١ .
١	٦	٣	٢	() ٥٥/١ .

دار إقامة لمن يخالف فيها أمر الله تعالى ، أما الأنبياء فلا يجوز في حقهم ارتكاب الكبائر ولا الصغائر لعصمة الله تعالى لهم لأنهم محل أسوة لغيرهم ()

ويقول : مواطن الصبر ثلاثة : صبر على الطاعة فلا تفارق ، وصبر عن المعصية فلا ترتكب ، وصبر على المصائب فلا يجزع منها ولا يتسخط ، ولكن يصبر ، ويسترجع أي : يقول : إنا إليه راجعون .
ويقول : من الأوقات التي يرحى فيها استجابة الدعاء : ما بين الأذان والإقامة ، والسحر ، ووقت الفطر ، وحال السفر ، والمرض ، وفي السجود ، ودبر الصلوات ، وعند اشتداد الكرب من ظلم وغيره ، فقد ورد من الأحاديث والآثار ما يصدق هذا ويؤكدده . ()

١ ٦ ٣ ٣ () ٤٥/١ .
١ ٦ ٣ ٤ () ١٦٥/١ .

المبحث الثاني : أمثلة الرأي المذموم

تفسير هود بن محكم الهواري

الإباضي

من خلال كتابه تفسير كتاب الله العزيز

مؤلف هذا التفسير هو هود بن محكم الهواري إباضي من علماء النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة والنصف الأول من القرن الثالث جزائري من أهل المنطقة () .

التعريف بالتفسير :

وتفسير الكتاب العزيز من التفاسير المطبوعة حديثا ، تمت طباعته في أربعة مجلدات بدار الغرب الإسلامي الطبعة الأولى ١٩٩٠ م ، بتحقيق الحاج بن سعيد الشريفي وهو إباضي أيضا () .

() تقدمت ترجمته في أهل المنطقة برقم ٢٤٠ .

() محقق الكتاب واضح جدًا أنه إباضي المذهب كما يظهر من ثنائيه العطر على صاحبه وعلى الإباضية عامة ويكفي في بيان ذلك وصفة عبد الوهاب الرستمي مؤسس الدولة الرستمية بالامام عبد الوهاب رضي الله عنه . ١٧/١ وقد ذكر في شيوخه علي بن يحيى بن معمر صاحب كتاب الإباضية في موكب التاريخ ٨/١ كما ذكر أنه أبدى ملاحظاته لأستاذه المرحوم إبراهيم بيوض وهو إباضي عن علاقة تفسير هود بن محكم بتفسير يحيى بن سلام فقال : ما كنا نعلم هذا ولا سمعنا به ٢٣/١

ويقول في تعليقه على السعي بين الصفا والمروة : وذهب بعض الإباضية إلى أنه سنة يلزم تاركه دم ... ورجح بعض المحققين من الأصحاب فرضيته فلا يتم حج أو عمرة لمن تركه عمداً ١٦١/١ .

ويقول المحقق أيضا : فإن الراجح عند الأصحاب وعند إمامنا جابر بن زيد أن الصلاة الوسطى هي صلاة الصبح ، وهو قول روي أيضاً عن عمر ومعاذ وجابر بن عبد الله وغيرهم . ٢٢٨/١

وقد وصف المحقق محمد إطفيش بأنه قطب الأئمة ٢٤٩/٢ ، كما أن تعليقه على آية الحجر رقم ٢ إذ يقول : "ومسألة الخلود - أي للعصاة في النار - كما تعلم من مسائل الخلاف بين الإباضية وبين بعض الفرق الإسلامية " ٣٤١/٢ يؤكد ما ذهبت إليه .

ولقد ظل هذا التفسير أكثر من أحد عشر قرناً منسياً مغموراً إلى أن ظهرت مخطوطاته المتفرقة في بعض الخزائن الخاصة ، وهي خزائن لعلماء من القرون الأربعة الأخيرة يحتفظ بها أبناؤهم وحفدتهم وهي موجودة في وادي ميزاب جنوب الجزائر بمدن العطف ، وبني يسجن ، والقرارة ، وفي جزيرة جربة ، بالبلاد التونسية (١) .

إن المصادر الإباضية القديمة هي وحدها التي أشارت إلى هذا التفسير وأول مصدر مطبوع ذكره هو كتاب السير للبدر الشماخي وبعد ذلك بقليل ذكره موتلانسكي (٢) في بحث له أورد فيه قائمة بأسماء كتب للإباضية لمؤلف مجهول وهي لأبي القاسم البرادي الإباضي .

وقد ذكر محقق تفسير كتاب الله العزيز أن هناك صلة وثيقة بين تفسير هود وبين تفسير يحيى بن سلام البصري وبينهما قرن من الزمان ، ويؤيد ذلك بكثرة الروايات فيه عن علماء البصرة صحابة وتابعين ، ثم عقد مقارنة بينهما تثبت العلاقة الوثيقة (٣) .

ثم قال : واليوم وبعد أكثر من عشر سنوات من التحقيق والمقارنة والاستقراء ، أستطيع أن أقول بدون تردد أن الشيخ هوداً الهواري اعتمد اعتماداً كثيراً إن لم أقل اعتماداً كلياً ، على تفسير ابن سلام البصري . ولو جاز لي أن أضع للكتاب عنواناً غير الذي وجدته في المخطوطات لكان العنوان هكذا : تفسير الشيخ هود الهواري مختصر تفسير ابن سلام البصري ، لأن تفسير ابن سلام أصل لتفسير الشيخ هود الهواري ما في ذلك شك ، وهذا هو عين الحقيقة والصواب . والأمانة العلمية تقتضي أن أجلو هذا وأبينه في تقديمي للكتاب (٤) .

وقد يكون الهواري رحل إلى القيروان طلباً للعلم فتلقاه مباشرة من محمد بن يحيى بن سلام أو من أبي داود العطار تلميذ يحيى ، والذي أضافه هو تحريف عقيدة ابن سلام السلفية في تفسيره إلى عقيدة الإباضية . وقال البدر الشماخي - وهو إباضي - عن هذا التفسير : وهو كتاب جليل في تفسير كلام الله لم يتعرض فيه للنحو والإعراب بل هو على طرق المتقدمين (٥) .

وقد كان له منزلة كبيرة في قومه ؛ ذكر الشيخ ميمون حمودي أن رجلين اختصما على تفسير هود بن محكم الهواري حتى بلغ تشاجرهما قبيلتيهما ، وحتى كادت الثورة تقوم بينهم . وتصاف الفريقان ، وكاد

(١) انظر مقدمة التحقيق ١/٥

(٢) كان موتلانسكي ترجمانياً عسكرياً بملحقة غرداية بعد إلحاق وادي ميزاب سنة ١٨٨٢م واخضاعه للنظام العسكري الفرنسي . انظر المرجع السابق ٦/١

(٣) ٢٢،٢٣/١ (٩)

(٤) ٤٢/١ (٥)

(٥) السير ص ٣٨١ .

الشر يقع بينهم . فلما رأى ذلك أبو محمد جمال نزع المصحف (التفسير) من بينهم فقسمه نصفين ،
فوافق قرطاسًا بين النصفين لم يكتب ، وأعطى لكل نصفًا ، وزال الشر واصطلحوا . ()

نبذة عن الإباضية وعلاقتهم بالتفسير : ()
سبق أن ذكرت في التمهيد أصل الخوارج ودخولهم المنطقة وانقسامهم إلى فرق عدة، () وقد دخل
المغرب منهم فرقتان فقط هما : الإباضية والصفيرية ، وكان ظهورهما في مطلع القرن الثاني .

وتنسب فرقة الإباضية إلى عبد الله بن إباح المري () ، ومن أهم مبادئهم : تكفير مخالفيهم من
المسلمين كفر النعمة ، وتكفير مرتكب الكبيرة وخلوده في النار ، ونفي رؤية الله في الآخرة ، والقول بخلق
القرآن، وتأويل صفات الله عز وجل ، وإنكار الشفاعة لمرتكب الكبيرة ، وتكفير بعض الصحابة . وهم
يكثر من التأويلات الباطلة كتأويل الميزان بأنه العدل ، وتأويل الصراط بأنه الدين القيم . وهم أفضل
من غيرهم من فرق الخوارج في بعض الأمور ومنها تحريم دماء مخالفيهم من المسلمين وعدم جواز سبي
ذرائعهم ، واعتبار دارهم دار توحيد إلا معسكر السلطان ، وتجويزهم مناكلتهم وموارثتهم ، وهذا
ما جعلهم أقدر من غيرهم على الاستمرارية في المجتمعات السنية .

وفي تاهرت انقسم الإباضيون على أنفسهم ، ، وظهرت فرقة النكار الذين أنكروا إمامة عبد الوهاب بن
عبد الرحمن بن رستم ، ومن زعمائهم : أبو يزيد صاحب الثورة الشهيرة ضد العبيديين ، وقد كان له
منكرات لا يفعلها حتى أعداء الدين ؛ لأن مذهبه تكفير أهل السنة واستباحة أموالهم ونسائهم () .

وقد نقل محقق تفسير هود عن ناصر المرموري ما نصه : كان علماء الإباضية يهابون تفسير القرآن . قال
لي الإمام غالب رواية عن بعض مشايخه : إن الشيخ أبا نبهان جاعد بن خميس حاول ذلك فبدأ من
سورة الناس ، فلما بلغ سورة الحاقة عند قوله تعالى : ﴿ ولو تقول علينا بعض الأقاويل ، لأخذنا منه
باليمين ، ثم لقطعنا منه الوتين ، فما منكم من أحد عنه حاجزين ﴾ () قطع أوراقه وترك التفسير
هيبة وخوفًا . ()

- ١ () انظر المقدمة ١٩/١ ٢
١ () انظر في ذلك : التفسير والمفسرون ٣٠٠/٢-٣١٩ ، إجتاهات التفسير في القرن الرابع عشر ٢٨١/١-٣٠٣
١ () انظر ص ٥٣ . ٤
١ () الفرق بين الفرق ١٠٣ . ٥
١ () انظر : المؤنس ٥٧ ، رحلة التجاني ٣٢٨ ، مدرسة الحديث ٩٦/١-٩٨
١ () الحاقة: ٤٤-٤٧ ٧
١ () ٣٤/١ ٨

ولا يعرف من مفسري الإباضية في منطقتنا - بل على الإطلاق - غير قلة سبق ترجمتهم في المفسرين من أهل المنطقة ، وليس لهم تراث تفسيري باق ولا لغيرهم من الخوارج ؛ سوى هذا التفسير الذي بين أيدينا، والتفاسير الثلاثة التي ألفها إطفيش من القرن الرابع عشر ، وقد قام بدراسة منهج تفسير إطفيش الدكتور حسين الذهبي (١) والدكتور فهد الرومي (٢) وها أنا أقدم دراسة لهذا التفسير والله المستعان .^{٦٥}

المنهج العام للتفسير : ()

لا شك أن منهج هذا التفسير أثري إذ كان مختصراً لتفسير ابن سلام كما قدمت ، لذا فمنهجه هو نفس منهج ابن سلام (٣) ، لا يختلف عنه إلا في تدخل هود في المواضع التي يريد فيها تأييد مذهبه اعتقاداً وفقهاً .

والملاحظ على هذا التفسير أنه ينتقل كثيراً عن علماء الإباضية في روايات كثيرة جاءت منسوبة إلى جابر بن زيد وإلى عبيدة بن مسلم خاصة وإلى عامة علماء الإباضية وفقهائهم الذين يصفهم بقوله أصحابنا. (٤)

المنهج التفصيلي للمؤلف :

وأما في تفصيل المنهج الذي سار عليه هود فسأكتفي بقليل من الأمثلة لأنه هو نفسه منهج ابن سلام (٥) ، إلا أنني سوف أركز على مفارقاته لمنهج ابن سلام لاختلافهما في العقيدة ، ولكون هذه النقطة هي التي نقلت تفسير هود بن محكم من مصاف التفاسير الأثرية السلفية إلى التفاسير المذمومة التي يجب التحذير منها وإظهار عوارها .

وقد قدم المؤلف لكتابه بمقدمة حوت بعضاً من علوم القرآن وقد فقد أولها لأن المخطوطات الموجودة اتفقت على عدم وجود بداية المقدمة مثل أول ما نزل وآخر ما نزل ونزول القرآن على سبعة أحرف وقراء القرآن في عهده ﷺ وعدد سور القرآن والمكي والمدني وفي القول في القرآن بغير علم وما يلزم من تكلم في التفسير من علوم وفضل ابن عباس في التفسير .

- () انظر التفسير والمفسرون ٣١٩/٤
() انظر اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر ٣٠٣/١
() تكلم عن منهج هود في تفسيره بالحاج شريقي في تقديمه للكتاب ٣٨-٣٢/١
() انظر دراسة تفسير ابن سلام المتقدمة ص ٦١٩
() انظر المقدمة ٢١/١ ٣
() ينظر ص ٦٢٠-٦٤٤ من الرسالة .

ويورد في ذلك كله آثارا فقط يبدوها بقوله ذكروا ، ذكروا ويسندها لصاحبها بدون ذكر سنده إليه () ومن ذلك قوله :

ذكروا أن رسول الله ﷺ دعا لابن عباس : “اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل” () .

وهذا هو منهجه في سائر الكتاب .

وهو يعتبر بحق أول مختصر لتفسير ابن سلام وقد حفظه في صورته الكاملة أو القريبة من الكمال فهو أقرب زمنًا من المؤلف من ابن أبي زمنين كما أنه حوى من الآثار والأخبار ما لا يوجد فيه . ()

وهناك آيات أغفل تفسيرها المصنف جملة مثل ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ () وكذا لم يفسر قوله :

﴿وإذ أخذنا ميثاقكم لاتسفكون دمائكم﴾ () إلى قوله ﴿تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان﴾ ()

ومما لم يفسره ﴿والوزن يومئذ الحق﴾ () وهي موجودة في مختصر ابن أبي زمنين ويبدو أنه أعرض عنها لأنها تورطه في إثبات الميزان .

كما يلاحظ أنه يسرد الأقوال دون ترجيح . ()

وله بعض التفسيرات غير الوجهية . ()

المنهج التفصيلي للمؤلف :

أولا : لا يهتم بعد الآي ، ولكنه يذكر المكي والمدني . ()

وبالنسبة لأسماء السور يتعرض لها وقد تفرد فيها بغريبة من الغرائب حيث قال في سورة التوبة : ذكر بعضهم قال : كانت هذه السورة تسمى جاهرة أي : جهرته وبعضهم يقول : حافرة ، أي حفرت ذنوب

() ٦١/١ - ٧٢

() سبق تخريجه في ترجمة ابن عباس في الوافدين على المنطقة .

() انظر مقدمة المحقق ص ٣٨

() الفاتحة: ٥ .

() البقرة: ٨٤ .

() البقرة: ٨٥ ، ١٢٢/١ .

() الأعراف: ٧ .

() انظر كمثل ١٧٧ / ٢ .

() انظر كمثل ٢ / ٣٤٢ ، ٢٢٧ .

() انظر كمثل ١ / ١١١ ، ٧٤ ، ٥٠ .

القوم ، يعني المنافقين . وقال بعضهم : كانت هذه السورة تسمى فاضحة المنافقين لأنها أنبتت بمقاتلتهم وأعمالهم . وقال الحسن : كانت تسمى حافرة ، أنبأت بما في قلوب المنافقين يعني سورة التوبة . ()

ثانيا : موقفه من العقيدة :

ووقوف الهواري ضد من يقول بالإرجاء شيء بارز في ثنايا الكتاب ولكنه يرد على إرجاء أهل السنة وليس إرجاء المرجئة ويقرر عقيدة الخوارج بطريقة غير جائزة .

قال ابن سيرين في الخوارج : إنهم عمدوا إلى آيات الوعيد النازلة في المشركين فوضعوها على المسلمين فجاءوا ببدعة القول بالتكفير بالذنب . ()

عندما يقول ابن سلام مثلاً في قول الله تعالى ﴿ولا تتخذوا أيمانكم دخلاً بينكم﴾ () قال الحسن : كما صنع المنافقون ، فلا تصنعوا كما صنع المنافقون ، فتظهروا الإيمان وتسروا الشرك ، والدخل إظهار الإيمان وإسرار الشرك . يقول الهواري : ﴿دخلا بينكم﴾ أي : خيانة وغدرًا كما صنع المنافقون الذين خانوا الله إذا نقضوا الإيمان فقالوا ولم يعملوا ، وتركوا الوفاء بما أقروا الله به والدخل الخيانة .

وإذا قال ابن سلام في قوله تعالى ﴿وارتابت قلوبهم﴾ () أي شكت في الله عز وجل وفي دينه () قال الهواري : أي : وشكت قلوبهم في أن لا يعذبهم الله بالتخلف عن الجهاد بعد إقرارهم بالله وبالنبي ... ولم يكن ارتيابهم شكًا في الله وإنما كان ارتيابهم وشكهم في أن لا يعذبهم الله بتخلفهم عن نبي الله بعد إقرارهم وتوحيدهم . ()

ويقول ابن سلام في تفسير قول الله تعالى ﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾ () أي التوحيد ﴿والعمل الصالح يرفعه﴾ التوحيد ، لا يرتفع العمل إلا بالتوحيد . يزيد الهواري : ولا التوحيد إلا بالعمل ، كقوله تعالى : ﴿وسعى لها سعيها وهو مؤمن﴾ () والإيمان قول وعمل ، لا ينفع القول دون العمل . ()

١	٦	٦	٥	() ١٤٦/٢ .
١	٦	٦	٥٠/١	() انظر التحرير والتنوير
١	٦	٦	٧	() النحل: ٩٤
١	٦	٦	٨	() التوبة: ٤٥
١	٦	٦	١٢٧	() كما جاء في مختصر ابن أبي زمنين ق
١	٦	٧	٠	() ٣٥/١
١	٦	٧	١	() فاطر: ١٠
١	٦	٧	٢	() الإسراء: ١٩
١	٦	٧	٣	() ٣٦/١

وأحياناً نجد الهواري يضيف زيادات لتأكيد هذا المعنى ، ويجمل الآية ما لا تحتمل . فقال في قوله تعالى : ﴿ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين﴾^(٤) فهو يرى في معنى التكذيب الذي ورد في الآية رأياً خاصاً . قال : وقال بعضهم : هم المنافقون وليس تكذبيهم هذا تكذيباً بالبعث ، ولكنه بالعمل الذي لم يكملوه ، ولم يتموا فرائضه . ومن قال إنها في المنافقين فيقول : التكذيب تكذبان : تكذيب بالبعث الذي فيه جزاء الأعمال ، وهو تكذيب المشركين ، والمنافقون منه برآء . وتكذيب آخر ، هو تكذيب المنافقين وهو ترك الوفاء وانتقاص الفرائض التي لا يكون أهلها مؤمنين إلا باستكمالها فالمنافقون مكذبون بهذه الجهة ، وبهذا المعنى لا على الإنكار والجحود ، لكن على ترك الوفاء واستكمال الفرائض كان تكذبيهم .

والحق أن من تدبر هذه الآية من سورة الأنعام يدرك أنها لاتعني المنافقين بالمعنى العام للنفق ، الذي نقرأ صوراً عنه في سورة براءة مثلاً ، فإن السورة هنا مكية . وسياق الآيات قبلها وبعدها يوحي بأنها نزلت في مشركي قريش الذين ينكرون نبوة محمد ﷺ ورسالته ، وينكرون البعث ويكذبون به ، ولكن هوذا يرى في هذا التكذيب هنا معنى انتقاص الفرائض ، ويسمي أصحابه منافقين ، وهو معنى بعيد متكلف أملاه عليه فكره المنحرف .

ومن كلامه في تقرير عقيدة الخوارج قوله :

ثم ذكر الله صنفاً آخر من الناس ، يعني المنافقين فقال : ﴿ومن الناس من يقول ءامنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين﴾^(٥) يقول : أقروا لله بألسنتهم وخالفتم أعمالهم وما هم بمؤمنين ، أي : حتى يستكملوا دين الله ويوفوا بفرائضه ﴿وإبراهيم الذي وفى﴾^(٦) أي الذي أكمل الإيمان وأكمل الفرائض . قوله : ﴿يخادعون الله والذين آمنوا﴾^(٧) أي بما أعطوهم من الإقرار والتصديق ، وأعطوا الحقوق من الزكاة ، يخادعون بذلك رسول الله ﷺ والمؤمنين ، فجعل الله مخادعتهم رسوله والمؤمنين كمخادعة منهم لله . وهو كقوله : ﴿إن الذين يباعدونك إنما يباعدون الله﴾^(٨) . والإيمان بالنبي عليه السلام إيمان بالله ، والكفر به هو كفر بالله ، وكذلك مخادعة الله قال : ﴿وما يخادعون إلا أنفسهم﴾^(٩) أي : إن ذلك يرجع إليهم عذابه وثواب كفره . وتفسير خدعة الله إياهم في سورة الحديد ، وما يشعرون أي : أن ذلك يصير عليهم .

١	٦	٧	٤	() الأنعام: ٢٧
١	٦	٧	٥	() البقرة: ٨
١	٦	٧	٦	() النجم: ٣٧ .
١	٦	٧	٧	() البقرة: ٩ .
١	٦	٧	٨	() الفتح: ١٠ .

ثم قال : ﴿ في قلوبهم مرض ﴾ () يعني بذلك النفاق . يقول : في قلوبهم نفاق ، فنسب النفاق إلى القلب كما نسب الإثم إليه ، كقوله في الشهادة : ﴿ ومن يكتمها فإنه آثم قلبه ﴾ () قال : ﴿ فزادهم الله مرضاً ﴾ أي الطبع على قلوبهم بكفرهم . ﴿ ولهم عذاب أليم ﴾ : يعني عذاباً موجعاً . ﴿ بما كانوا يكذبون ﴾ مخففة ؛ أي : بقولهم : إنا مؤمنون وليسوا بمؤمنين إذ لم يستكملوا فرائض الله ولم يوفوا بها . فهذا تفسير من قرأها بالتخفيف . ومن قرأها بالثقل : ﴿ بما كانوا يُكذِّبون ﴾ فهو يريد : بعض العمل أيضاً تكذيب ؛ إن التكذيب تكذبيان : تكذيب بالقول ، وتكذيب بالعمل . ومثله في اللغة أن يقول القائل للرجل إذا حمل على صاحبه فلم يحقق في حملته : كذب الحملة ، وإذا حقق قالوا : صدق الحملة . فمن قرأها بالتخفيف فهو يريد الكذب على معنى ما فسرناه أولاً . وأخت هذه الآية ونظيرتها التي في براءة : ﴿ فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعده و بما كانوا يكذبون ﴾ () يقول : أعقبهم ، بالخلف والكذب الذي كان منهم ، نفاقاً في قلوبهم إلى يوم يلقونه . ومن قرأها بالثقل فهو بالمعنى الآخر الذي وصفناه آخرًا ، ولا يعني به جحدًا ولا إنكارًا ، لأن مرض النفاق غير مرض الشرك ، وكذلك كفر النفاق غير كفر الشرك .

قوله : ﴿ وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض ﴾ () بالعمل بالمعصية ﴿ قالوا إنما نحن مصلحون ﴾ يزعمون أنهم بمعصية الله والفساد في الأرض مصلحون . قال الله تعالى : ﴿ ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون ﴾ أي : لا يشعرون أن الله يعذبهم في الآخرة ولا ينفعهم إقرارهم وتوحيدهم . وهذا يدل على أن المنافقين ليسوا بمشركين .

قوله : ﴿ وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس ﴾ () يعني : وإذا قال لهم النبي ﷺ والمؤمنون آمنوا كما آمن الناس أي : أكملوا إيمانكم بالفعل الذي ضيعتموه . كما آمن الناس أي : كما آمن المؤمنون المستكملون القول والعمل ﴿ قالوا ﴾ يقول بعضهم لبعض ﴿ أنؤمن كما آمن السفهاء ﴾ أنؤمن كما آمن سفیه بني فلان وسفیه بني فلان ممن آمن ووفى ، يعيبتهم بالوفاء والكمال ، ولم يعلنوا ذلك للنبي عليه السلام . قال الله : ﴿ ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون ﴾ إنهم سفهاء في تفسير الحسن . وفي تفسير السدي : ولا يعلمون أن الله يخبر نبيه بقولهم .

١	٦	٧	٩	() البقرة : ١٠ .
١	٦	٨	٠	() البقرة : ٢٨٣ .
١	٦	٨	١	() التوبة : ٧٧ .
١	٦	٨	٢	() البقرة : ١١ .
١	٦	٨	٣	() البقرة : ١٣ .

والذي جاء في تفسير ابن أبي زمنين : ﴿وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض﴾^(٤) يعني لا تشركوا .
 ﴿قالوا إنما نحن مصلحون﴾ أي أظهروا الإيمان ﴿ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون﴾^(٥) أن الله
 يعذبهم في الآخرة . وهذا تفسير ابن سلام ولا شك . وما جاء من تغيير في التأويل أو من زيادة فهو لهود
 الهواري .

ومن تحريفه حتى يوافق عقيدته قوله في الشفاعة: ﴿ولا تنفعها شفاعة﴾^(٦) أي لا ينفع لها أحد عند
 الله لأنه لا تكون الشفاعة إلا للمؤمنين خاصة .^(٧)

وقوله : ﴿ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا﴾^(٨) وهو المنافق الذي يقر بالإيمان ولا يعمل
 بالفرائض ﴿ويشهد الله على ما في قلبه﴾ أي من ترك الوفاء بما أقر به ﴿وهو ألد الخصام﴾ أي : كذاب .
 إذ لم يوف لله بما أقر به إذ لم يعمل بفرائضه .^(٩)

وقد خالف في هذا الموضع يحيى بن سلام تأييدا لمذهبه الباطل وأما ابن سلام فقد قال: وهو المنافق الذي
 يقر بالإيمان في العلانية ﴿ويشهد الله على ما في قلبه﴾ من الكفر والجحود بما أقر به في العلانية ﴿وهو
 ألد الخصام﴾ أي كاذب القول .^(١٠)

وقوله : ﴿بما كانوا بآياتنا يظلمون﴾^(١١) أي : أنفسهم وهو ظلم فوق ظلم وظلم دون ظلم . فالآية
 محتملة لظلم الشرك وظلم النفاق .^(١٢)

﴿وما كانوا بآياتنا يحدون﴾^(١٣) يعني أنه ليس أصحاب النار كلهم جاحدين يقول: ﴿وما كانوا﴾ أي:
 ولم يكونوا أي أهل النار جميعا بآياتنا يحدون . أي إن من أهل النار الجاحد بآياتنا وغير الجاحد . وهذا
 حقيقة التأويل ، لأنه قد دخلت النار بغير الجحود دخلها أكلة الربا وراكبوا الزنا ، وقاتلوا الأنفس ،
 وآكلوا أموال اليتامى وأموال الناس بالباطل وغير ذلك من الكبائر الموبقة . والآية جامعة لجميع الكفار

١	٦	٨	٤	() البقرة: ١١ .
١	٦	٨	٥	() البقرة: ١٢ .
١	٦	٨	٦	() البقرة: ١٢٣ .
١	٦	٨	٧	() ١٤٢/١
١	٦	٨	٨	() البقرة: ٢٠٤ .
١	٦	٨	٩	() ١٩٤/١
١	٦	٩	٠	() ١٩٤/١
١	٦	٩	١	() الأعراف: ٩
١	٦	٩	٢	() ٧/٢
١	٦	٩	٣	() الأعراف: ٥١ .

من كافر مشرك ، وكافر منافق على المعنى الذي فسرنا . فمن قال : إن أهل النار كلهم جاحدون أكذبه الوجود ، فقد دخلها بغير جحود من وصفنا . ومن قال : إنهم جميعا غير جاحدين لقول الله ﴿وما كانوا بآياتنا يجحدون﴾ ، أي : إنهم جميعا لم يكونوا جاحدين أكذبه الوجود أن أهل الجحد والإنكار من أهل النار . قال الله : ﴿وما كانوا بآياتنا يجحدون﴾ ، فانقطعت قصة أهل الجنة وأهل النار هاهنا . ()
وهذا تحريف واضح فإن "ما" هنا مصدرية وليست نافية .

وقال أيضا : وقال بعضهم : الآية جامعة محتملة لفسق الشرك والنفاق ، يقول : ﴿والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ () أي لا يكونون بالفسق مهتدين عند الله ، من فاسق مشرك أو منافق ؛ وهو فسق فوق فسق ، وفسق دون فسق . ()

ويقول : وفي هذه الآية دليل على أهل الفراق أن هؤلاء الذين وعدوا بالعذاب ممن ناداهم الله بالإيمان ، وسماهم بما قبلهم من خصال الإيمان كلما قيل المؤمنون فقال : ﴿إلا تنفروا﴾ () أنتم الذين نودوا بالإيمان وسماهم به ، ﴿يعذبكم عذابا أليما﴾ () فلا يجوز لواصل أن يصف الله أنه يعذبهم إن لم ينفروا كما استنفرهم وهم مؤمنون ()

قوله : ﴿وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك﴾ () أي : إلا ما سبقهم به الذين دخلوا قبلهم . وذكر هاهنا ما افترت الفرقة الشاكة من أن قوما يدخلون النار ، ثم يخرجون منها بالشفاعة ؛ فإن هذا موضعه وموضع الرد عليهم . ()

ومن المواضع التي سلك فيها مسلك التأويل قوله ﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله﴾ () يوم القيامة ﴿في ظلل من الغمام والملائكة﴾ أي وتأتيهم الملائكة ﴿وقضي الأمر﴾ يعني الموت ﴿وإلى الله ترجع الأمور﴾

١	٦	٩	٤	() ٢٢/٢ .
١	٦	٩	٥	() التوبة: ٨٠ .
١	٦	٩	٦	() ١٢١/٢ .
١	٦	٩	٧	() التوبة: ٣٩ .
١	٦	٩	٨	() الفتح: ١٦ .
١	٦	٩	٩	() ١٣٢/٢ .
١	٧	٠	٠	() هود: ١٠٨ .
١	٧	٠	١	() ٢٥٠/٢ .
١	٧	٠	٢	() البقرة: ٢١٠ .

يعني عواقبها . قال بعض المفسرين ﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله﴾ أي بأمره ﴿في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الأمر﴾ أي الموت .

ثالثا : موقفه من تفسير القرآن بالقرآن () :

يقول : ﴿صراط الذين أنعمت عليهم﴾ () يعني بالإسلام . قال بعضهم : الذين أنعمت عليهم هم الأنبياء ، وهو كقوله : ﴿أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين .. إلى آخر الآية﴾ () والإسلام يجمعهم جميعا . ()

ويقول :

﴿الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه﴾ () وهو الميثاق الذي أخذ عليهم في صلب آدم . وتفسيره في سورة الأعراف . ()

وقد تقدم شيء من ذلك أيضا فيما سبق .

رابعا : موقفه من تفسير القرآن بالسنة :

وقد قام الهواري بحذف كثير من الأحاديث والأخبار الواردة في تفسير ابن سلام . والتي لا تتفق وأصول مذهبه . ومن ذلك :

حذف أحاديث في تفسير قوله تعالى ﴿ لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا﴾ () وهي أحاديث في الشفاعة .

حذف أحاديث متتابعة في تفسير قوله تعالى ﴿ ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين﴾ () وهي أحاديث الجهنميين ، أو عتقاء الرحمن .

١	٧	٠	() وانظر أيضا في تفسير القرآن بالقرآن ٥،٦/٢
١	٧	٠	() الفاتحة ٧: ٤
١	٧	٠	() مريم: ٥٨ ٥
١	٧	٠	() ٧٧/١ ٦
١	٧	٠	() البقرة: ٢٧ ٧
١	٧	٠	() ٩١/١ ٨
١	٧	٠	() مريم: ٨٧ ٩
١	٧	١	() الحجر: ٢ ٠

كما اختصر هود أغلب سلاسل الإسناد أو حذفها ، واكتفى بذكر الصحابي الذي روى الحديث عن رسول الله ﷺ .

ومن الأحاديث التي تفرد بذكرها أو وهم فيها :

قال : ذكر أبو زيد قال : كنت مع النبي ﷺ ليلة نمشي في بعض طرق المدينة ويدي في يده ، إذ مررنا برجل يتهدج من الليل وهو يقرأ فاتحة الكتاب ، فذهبت أكلم النبي عليه السلام فأرسل يدي من يده وقال : صه ، وجعل يستمع . فلما فرغ الرجل منها قال لي رسول الله ﷺ : ما في القرآن مثلها . ()

وهو يذكر أحاديث لا أصل لها ومن ذلك تكراره لحديث نسبه لرسول الله ﷺ قال : السنة سنتان ، وما سوى ذلك فريضة : سنة في فريضة ، الأخذ بها هدى وتركها ضلالة ، وسنة في غير فريضة ، الأخذ بها فضيلة وتركها ليس بخطيئة . ()

ومن ذلك قوله : ذكر بعضهم أن رسول الله ﷺ قال : “العقل على العصبه والدية على الميراث” . ()
ومن ذلك قوله :

﴿وأتموا الحج والعمرة لله﴾ () قال بعض المفسرين : قال رسول الله ﷺ : “إنما هي حج وعمرة فمن قضاها فقد قضى الفريضة أو قضى ما عليه ، فما أصاب بعد ذلك فهو تطوع” . ()

قوله : ذكر بعضهم أن رسول الله ﷺ قال : “لاتدفعوا حتى يدفع الإمام فإنها السنة” . ()
ومما انفرد به أيضا قوله :

ويذكر أن النبي عليه السلام قال لثابت بن قيس : “شاطرها الصداق وطلقها” . ()
يعني حين اختلعت منه زوجته .

() ٧٥/١ ولم أقف على هذا الحديث .

() قال المحقق : لم أجد هذا القول حديثاً مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ ، وسيتكرر وروده في هذا التفسير وأقرب ما وجدته من ذلك قول نسب إلى مكحول بلفظ “ السنة سنتان : سنة أخذها هدى وتركها ضلالة ، وسنة أخذها حسن وتركها لا بأس به ” ٨٢/١

() ١٦٩/١

() البقرة: ١٩٦ .

() ١٨٣/١

() ١٨٩/١

() ٢٢١/١

وفي قوله تعالى : ﴿ فضرب بينهم بسور ﴾ (١) . ذكروا أن رسول الله ﷺ قال : “ إن أحداً جبل يُجبننا ونخبه . وإنه يمثل يوم القيامة بين الجنة والنار ، يحشر عليه أقوام يعرفون كلا بسيماهم ، هم إن شاء الله من أهل الجنة ” . (٢)

وهو يهتم بذكر أسباب النزول وانظر ذلك عند قوله ﴿ قد نرى تقلب وجهك في السماء ﴾ (٣) ، ﴿ وما كان الله ليضيع إيمانكم ﴾ (٤) ، ﴿ والله المشرق والمغرب ﴾ (٥)

وفي قوله ﴿ يسألونك عن الشهر الحرام ﴾ (٦) قال : قال بعض المفسرين : ذكر لنا أن واقد ابن عبد الله التيمي وكان من أصحاب النبي ﷺ قتل عمرو ابن الحضرمي رجلاً من المشركين في أول يوم من رجب فعير المشركون أصحاب النبي عليه السلام فأنزل الله ﴿ يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله ﴾ يقول الصد عن سبيل الله والكفر بالله أشد من القتل في الشهر الحرام وإخراج أهله - يعني محمداً ﷺ وأصحابه - أكبر عند الله . وذكر روايات كثيرة بعدها . (٧)

ومن تركه لبعض الروايات الباطلة إهماله لقصة ثعلبة بن حاطب التي يذكرها المفسرون تحت قوله تعالى ﴿ ومنهم من عاهد الله ﴾ (٨) . (٩)

وأما فضائل القرآن فسوف يأتي في أقوال السلف التعرض لشيء من فضائل الفاتحة .

خامسا : موقفه من تفسير القرآن بأقوال السلف :

وقد حذف هود أسانيد الروايات أيضا من تفسير ابن سلام وعلقها عن أصحابها أو ذكرها بدون نسبة . وكان يبدأ الكلام أحيانا بقوله : قال بعضهم ، أو : ذكر عن بعضهم ... وربما قال أحيانا : بلغني كذا وكذا فيظن القارئ أن العبارة من قوله هو ، ولكن عند المقارنة يتبين أن العبارة لابن سلام . وهذا خطأ

١	٧	١	٨	(الحديد : ١٣ .)
١	٧	١	٩	(٢٠/٢ .)
١	٧	٢	٠	(البقرة: ١٤٤ .)
١	٧	٢	١٥٥-١٥٣/١ ، ١٤٣	(البقرة: ١٤٣ ، ١٥٣/١ - ١٥٥)
١	٧	٢	٢ . ١٣٩/١ ، ١١٥	(البقرة: ١١٥ ، ١٣٩/١ . ٢)
١	٧	٢	٣	(البقرة: ٢١٧ .)
١	٧	٢	٤	(٢٠٣/١ ، ٢٠٤)
١	٧	٢	٥	(التوبة: ٧٥)
١	٧	٢	٦	(١٥٥/٢ .)

منهجي ما كان ينبغي أن يقع فيه الهواري خاصة وهو يؤلف في عهد كان فيه الإسناد والرواية من العلوم التي يعني بها عناية بالغة . ()

ومن مواضع نقله للآثار قوله : ﴿يوم الدين﴾ () هو يوم الحساب في تفسير مجاهد والحسن . وقال بعضهم : يوم يدين الله الناس فيه بأعمالهم . وقولهم جميعاً في هذا واحد . ()
ومن كلامه معلماً على الآثار قوله في الفاتحة : غير واحد من العلماء قال : السبع المثاني هي فاتحة الكتاب وإنما سميت السبع المثاني لأنهن يثنين في كل قراءة يعني في كل ركعة . ()

سادسا : موقفه من السيرة والتاريخ وذكر الغزوات () :
يذكر هود بعض مواقف السيرة وذلك مثل قوله في تفسير ﴿أتحدثونهم بما فتح الله عليكم...﴾ () وقال مجاهد : هذا حين شتمهم النبي وقال : “يا إخوان القردة والخنازير” ()
وقال في قوله ﴿فقليلًا ما يؤمنون﴾ () : وقال بعض المفسرين لا نعلم أحداً من اليهود أسلم على عهد النبي إلا رجل واحد . والحسن يذكر آخر، ولا ندري من هو .
وقال في قوله تعالى : ﴿الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون﴾ () ذكروا عن رفاعة القرظي في قوله ﴿الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون﴾ قال : نزلت في عشرة من اليهود ... بعد ما أسلم الرجال اللذان ذكر بعض أهل التفسير، فيكونون تمام اثني عشر كما قال كعب . والله أعلم . ()

١	٧	٢	() انظر مقدمة المحقق ٤٧/١
١	٧	٢	() الفاتحة : ٤
١	٧	٢	() ٧٦/١
١	٧	٣	() ٧٥/١
١	٧	٣	() وانظر أيضا في السيرة ٧٣،٧٧،٨٤،١٢٢/٢
١	٧	٣	() البقرة ٧٦ .
١	٧	٣	() ١١٩/١
١	٧	٣	() البقرة : ٨٨ .
١	٧	٣	() القصص : ٥٢
١	٧	٣	() ١٢٤/١

سابعاً : موقفه من الإسرائيليات () :

لقد تبع هود الهواري ابن سلام في سوق الإسرائيليات فملاً كتابه منها . وأكثرها عن الكلبي ومن ذلك قوله :

وفي تفسير الكلبي قال : خلق الله كل شيء قبل آدم عليه السلام ، فجعل الملائكة هم عمار السماوات . وفي كل سماء ملائكة . ولكل أهل سماء دعاء وتسبيح وصلاة . وكل أهل سماء فوق سماء أشد عبادة وأكثر دعاء وتسبيحاً وصلاة من الذين تحتهم . فكان إبليس في جند من الملائكة في السماء الدنيا : قال : وكانوا أهون أهل السماوات عملاً .

وكان الجن بنو الجان الذي خلقه الله من مارج من نار عمار الأرض ؛ وهو عند الحسن : إبليس . وقال الكلبي : فلما وقع بينهم التحاسد والفتن اقتتلوا . فبعث الله جنداً من السماء الدنيا فيهم إبليس ، وهو رأسهم . فأمروا أن يهبطوا إلى الأرض فيجلوا منها الجن بني الجان . فهبطوا فأجلوهم عن وجه الأرض ، فهان عليهم العمل فيها ، وأحبوا المكث فيها . ثم أحب الله تبارك وتعالى أن يخلق آدم عليه السلام وذريته ، فيكونوا هم عمار الأرض فقال للملائكة الذين كانوا في الأرض ، يعني إبليس وأصحابه ، إني جاعل في الأرض خليفة ورافعكم منها . فوجدوا من ذلك وقالوا : أتجعل فيها من يفسد فيها كما أفسدت الجن ، ويسفكوا الدماء كما سفكوا ، ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ؟ قال : إني أعلم ما لا تعلمون . وقد علم أنه سيكون من بني آدم من يسبح بحمده ويقدم له ويطيع أمره . فخلق آدم وصور جسداً ينظرون إليه ويعجبون منه ، ولم يكونوا رأوا فيما خلق الله شيئاً يشبهه . ()^٨ وقوله :

ذكر بعضهم قال : أول ما خلق الله في الأرض طير وحيوت ، فجعل الطير يخبر الحوت خبر السماء ، وجعل الحوت يخبر الطير خبر الأرض . فلما خلق الله آدم جاء الطير إلى الحوت فقال : لقد خلق الله اليوم خلقاً كذا وكذا . فقال الحوت للطير : فإن كنت صادقاً ليستنزلنك من السماء وليستخرجني من الماء قال الكلبي : فأشفق إبليس عدو الله منه وقال : إني لأرى صورة مخلوق سيكون له نبأ . فقال لأصحابه : رأيتم هذا الذي لم تروا على خلقه شيئاً من الخلق إن فضل عليكم ما تفعلون ؟ قالوا : نطيع ربنا ونفعل ما يأمرنا به . قال إبليس في نفسه : إن فضل علي لا أطيعه . وإن فضلت عليه لأهلكه . فلما نفخ الله الروح في آدم جلس فعطس فقال : الحمد لله رب العالمين . فكان أول شيء تكلم به . فرد الله عليه عند ذلك : يرحمك الله ، لهذا خلقتك ؛ لكي تسبح باسمي وتقديس لي . ذكر بعضهم قال : لما

() وانظر أيضا في الإسرائيليات ٢/٦٥، ٣٨، ٣٤، ٢٢٥ ٣

() ١-٩٤-٩٥ ٨ ٣ ٧ ١

نفخ في آدم الروح فعطس فحمد ربه قال الله له : يرحمك ربك ، فكانت هي الرحمة التي سبقت لآدم عليه السلام . ()

ومن الإسرائيليات أيضا كلام الكلبي في قصة خاتم سليمان والسحر عند قوله : ﴿واتبعوا ما تتلوا الشياطين﴾ () وفي قصة هاروت وماروت . ()

ثامنا : موقفه من اللغة :

ومن كلامه في اللغويات :

قوله : ﴿مثلا ما﴾ () قال : "ما" هاهنا كلمة عربية ليس لها معنى زيادة في الكلام . وهو في كلام العرب سواء : بعوضة فما فوقها ، وما بعوضة فما فوقها . ()

وقلما يتعرض المؤلف إلى وجوه الإعراب في تفسيره ومن ذلك قوله عند قوله تعالى ﴿وقولوا حطة﴾ () ويقولوا حطة وهو كقولك : احطط عنا خطايانا . وإنما ارتفعت لأنها حكاية قال : قولوا : كذا وكذا . ()

ومن التفسيرات اللغوية الغربية قوله : ﴿قردة خاسئين﴾ () : الخاسئ الذي لا يتكلم . ()

وقال في قوله : ﴿وإن من الحجارة لما يتفجر منه﴾ () اللام هنا صلة . وقال في قوله ﴿وإن منها لما يهبط﴾ واللام هنا صلة . ()

() ٩٦-٩٥/١ وانظر أمثلة لأخبار الكلبي الإسرائيلية (٩٨/١ ، ١٠١ ، ١٠٥ ، ١٠٨ ، ١١٠) وإسرائيليات أخرى ٢٣٣/١ - ٢٣٦ ، ٢٤٢ ، ٢٤٥

١	٧	٤	٠	() البقرة : ١٠٢ .
١	٧	٤	١	() ١٣٢-١٢٩/١
١	٧	٤	٢	() البقرة : ٢٦ .
١	٧	٤	٣	() ٩٠/١
١	٧	٤	٤	() البقرة : ٥٨
١	٧	٤	٥	() ١٠٩/١
١	٧	٤	٦	() البقرة : ٦٥
١	٧	٤	٧	() ١١٤/١
١	٧	٤	٨	() البقرة : ٧٤ .
١				() ١١٧/١ - ١١٨ والصواب أنها لام الابتداء وتسمى المرحلقة . وتفيد تأكيد مضمون الجملة ^٧ .

وهناك جانب نقص آخر في أسلوب هود وهو التكرار الممل أحياناً ، أو وجود بعض عبارات في التفسير بلغت من الركاسة والقلق حدًا () لا يليق بمستوى تفسير كتاب الله . وهو يتعرض للمعرب في القرآن :

ففي قوله ﴿ متبر ما هم فيه ﴾ () قال بعضهم : بلغنا إنها نزلت بالسريانية . ()

تاسعا : موقفه من القراءات وتوجيهها :

وبالنسبة للقراءات يتعرض لها أحياناً ويوجهها ومن ذلك قوله

﴿ مالك يوم الدين ﴾ () ذكروا أن رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر كانوا يقرأونها

﴿ ملك يوم الدين ﴾ وتفسيرها على هذا المقراً مالكة الذي يملكه، من قبل الملك . وبعضهم يقرأها " مالك يوم الدين " يجعلها نداء . وتفسيره على الدعاء : يا مالك يوم الدين . ويوم الدين هو يوم الحساب في تفسير مجاهد والحسن . وقال بعضهم : يوم يدين الله الناس فيه بأعمالهم . وقولهم جميعاً في هذا واحد. ()

قال الله : ﴿ ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما يعملون ﴾ () وهي تقرأ على ثلاثة أوجه : بالتاء جميعاً : تردون وتعملون ، والوجه الآخر بالياء ؛ يقول للنبي : يردون ويعملون . والوجه الثالث يقوله لهم : فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون جميعاً . ()

قوله تعالى ﴿ إلا من اغترف غرفة بيده ﴾ () قال : قال بعض المفسرين : وهي تقرأ على وجهين بفتح الغين ورفعها : ﴿ عَرَفَةٌ ﴾ و ﴿ عُرْفَةٌ ﴾ فمن قرأها عَرَفَةٌ فهو يعني الغرفة التي اغترف مرة واحدة

١	٧	٥	() انظر : ٢٣، ٤٣/٢ ، ١٩٧
١	٧	٥	() الأعراف: ١٣٩
١	٧	٥	() ٤١/٢ . وانظر أيضا ٢٤٢/٢
١	٧	٥	() الفاتحة: ٣
١	٧	٥	() ٧٦/١
١	٧	٥	() البقرة: ٨٥
١	٧	٥	() ١٢٢/١
١	٧	٥	() البقرة: ٢٤٩

كما تقول : إلا من فعل الفعلة . ومن قرأها عُرفه فهو يعني الغرفة بعينها ملء اليد وبعضهم يقرأها بمقرأ
ثالث : إلا من اغترف غرفة يقول : إلا من فعل فعلة اغترف اغترافاً . ()^٨

ويذكر القراءات الشاذة مثل ﴿قالوا نعبد إلهك وإله آبائك﴾ ()^٩ قال : ذكروا عن الحسن أنه كان يقرأها
وإله أبيك . ()^{١٠}

عاشرا : موقفه من الفقه والأصول :

ومن المواضع الفقهية في تفسيره - وهو مما يؤكد سطوه على تفسير ابن سلام - قوله : ﴿ومما رزقناهم
ينفقون﴾ ()^{١١} يعني الزكاة المفروضة على ما سن رسول الله ﷺ في الذهب والفضة ، والإبل والبقر
والغنم ، والبر والشعير ، والتمر والزبيب . وفي قول الحسن وغيره من أصحابنا : وما سوى ذلك فليس فيه
زكاة حتى يباع فتكون فيه زكاة الأموال يزكيه مع ماله إذا زكى إذا كان له مال . وبعض أصحابنا يجعل
الذرة مع البر والشعير . وقد فسرنا ذلك في أحاديث الزكاة .

ولا يعرف لهود الهواري كتاب في الحديث ويبدو أن هذه الجملة من تفسير ابن سلام نقلت حرفياً وأراد
بما كتبه الجامع الذي صنفه في الحديث وقد رجح ذلك المحقق ()^{١٢}.

وفي قوله تعالى : ﴿ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين﴾ ()^{١٣} أضرب صفحاً عن ذكر شيء من الآثار
التي تنهى عن قتل النساء والصبيان لأن الخوارج يرون جواز ذلك فقال : ﴿ولا تعتدوا﴾ أي في حربكم
فتقتلوا من لا يقاتلونكم ، وتقتلوا من قد آمنتموه وتحرم بجمتكم ﴿إن الله لا يحب المعتدين﴾ ثم أمر
بقتالهم في سورة براءة فقال : ﴿فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم﴾ ()^{١٤}

ومن مواضع ترجيحه لمذهبه كلامه في الصلاة لغير القبلة . ()^{١٥}

وأما موقفه من النسخ فإيجابي فهو يقول في قوله تعالى ﴿قل قتال فيه كبير﴾ ()^{١٦} وهذا منسوخ كان
قبل أن يؤمر بقتالهم عامة . ()^{١٧}

١	٧	٥	٨	() ٢٣٦/١
١	٧	٥	٩	() البقرة: ١٣٣ .
١	٧	٦	١٠	() ١٠٥/١
١	٧	٦	١١	() البقرة: ٣ .
١	٧	٦	١٢	() ٨٢/١
١	٧	٦	١٣	() البقرة: ١٩٠ .
١	٧	٦	١٤	() التوبة: ٥ .
١	٧	٦	١٥	() ١٤٠-١٣٩/١

وفي الختام نذكر شيئاً من غرائبه في تفسيره وقد تقدم بعضها () :

قال : ﴿إنما يعمر مساجد الله﴾ () يعني الكعبة لأنها مسجّد جميع الخلق ، إليها يؤمّون ﴿من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وءاتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين﴾ وعسى من الله واجبة . ()

ومن الفوائد الاستطردادية التي ذكرها قوله :

وسئل بعض السلف عن الرجل العالم الفقيه الذي قد اتخذه المسلمون سلفاً وإماماً ، فاستقل بأمر المسلمين والنظر في حوائجهم ، وهو فقير ، هل ينظر المسلمون له نظراً يغنونه عن المسألة ويفضلونه على من سواه ممن لم يحتل من أمور المسلمين ما احتل ؟ فقال : نعم وهل ينبغي للمسلمين إلا هذا ؟ وهل يجوز لهم أن يحتاج فيهم مثل هذا ؟ وقد كان عمر بن الخطاب يفضل أهل الفضل في الإسلام ويخصهم من الصدقة والفيء بما لا يخص به غيرهم لما يحتلمون من المسلمين ، ويشغلون أنفسهم بحوائج المسلمين عن حوائجهم ، فأهل أن يفضلوا ، وأهل أن يشرفوا ، وأهل أن ينظر لهم المسلمون بما يسعهم ويقوتهم ويقوت عيالهم () .

-
- () البقرة : ٢١٧ . ٦ ٦ ٦
- () (٢٠٣/١ ، وانظر أيضا في النسخ ٦٨/٢-١٠٧) ٦ ٦ ٦
- () (وانظر أيضا : ١١٩،١٤٦،٢٤٩/٢) ٦ ٦ ٦
- () (التوبة : ١٨ . ٩ ٦ ٦
- () (١١٩/٢ . ٠ ٦ ٦
- () (١٤٥/٢ . وذلك تحت قوله تعالى ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين...﴾ التوبة : ٦٠ ٦ ٦ ٦

تفسير ابن حيون

الشيعة

من خلال كتابه أساس التأويل وتأويل الدعائم



مؤلف هذا التفسير هو أبو حنيفة النعمان بن محمد بن منصور ابن حيون القاضي المغربي الشيعي الباطني الإسماعيلي ت ٣٦٣هـ ، ويعرف في تاريخ أدب الدعوة الإسماعيلية المستعلية بسيدنا قاضي القضاة وداعي الدعوة النعمان بن محمد ، وقد يختصره المؤرخون فيقولون (القاضي النعمان) تميزا له عن أبي حنيفة صاحب المذهب الحنفي ، وهو من أهل المنطقة ولد بالقيروان ونشأ بها وتوفي بالقاهرة .

تعريف مختصر بالإمامية الإسماعيلية :

هي فرقة من فرق الشيعة الإمامية يرون أن الإمامة بعد جعفر الصادق انتقلت إلى ابنه إسماعيل نسا من أبيه ثم إلى ابنه محمد المكتوم وهو أول الأئمة المستورين وبعده تتابع أئمة مستورون إلى أن ظهر بالدعوة عبد الله المهدي رأس الفاطميين ، ولهم أسماء عدة منها الباطنية والقرامطة . (١)
وهؤلاء يبطلون الشريعة جملة وتفصيلا ، ويعتقدون أن لها بواطن غير هذه الظواهر ، ويستحلون المحرمات . واعتقادهم في الله والأنبياء من أبطل الباطل وينكرون القيامة والمعاد ، ويعادون الإسلام وأهله أشد العداوة ، وقد قتلوا الحجيج وألقوهم في بئر زمزم ، وسرقوا الحجر الأسود . وهم دائما عون لأعداء الإسلام عليه ، واتفق العلماء على كفرهم وخروجهم من الملة . (٢)
وأصول مذهبهم مبنية على :

القرآن : ويتأولونه حسب أهوائهم .

الحديث المروي عن رجالهم : وجله موضوع أو مؤول على غير وجهه .

اجتهاد الأئمة : فالإمام عندهم هو المصدر الثالث للتشريع ، وكما أن الرسول مختص بعلم الظاهر فالأئمة مختصون بعلم الباطن . (٣)

(١) انظر التفسير والمفسرون ٩/٤ .

(٢) انظر لتفاصيل ذلك الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة ص ٧٧-١٠١ ، كتاب الحركات الباطنية في العالم الإسلامي .

(٣) انظر تفاصيل ذلك في المدارس الكلامية ٢١٩-٢٩٢ ، مدرسة الحديث في القيروان ١/١٧٠ .

والمصادر الرئيسية عند الفاطميين هي خمسة كتب :

أولاً : دعائم الإسلام للنعمان بن محمد قاضي قضاة المعز لدين الله الفاطمي .

ثانياً : تأويل الدعائم للنعمان بن محمد أيضاً .

ثالثاً : راحة العقل لداعي دعاة الفاطميين أحمد حميد الدين بن عبد الله الكرمانى في عهد الحاكم بأمر الله .

رابعاً : الأنوار اللطيفة في الحقيقة للداعي اليماني طاهر بن إبراهيم الحارثي .

خامساً : المجالس المؤيدية ، وملخصها "جامع الحقائق" لداعي دعاة الفاطميين هبة الله بن موسى المؤيد في عهد الخليفة المستنصر بالله .

ومن الكتب الهامة الأخرى كتاب الذخيرة وكنز الولد وأسرار النطقاء وسرائر النطقاء وقد نشر منها كتابان : دعائم الإسلام وراحة العقل .

أما أعلام الدعوة وأئمة المذهب عند الفاطميين فهم ثلاثة :

أولاً : صاحبنا قاضي قضاة المعز لدين الله النعمان بن محمد المغربي .

ثانياً : أحمد بن عبد الله حميد الدين الكرمانى .

ثالثاً: داعي دعاة الفاطميين في عهد الخليفة المستنصر بالله هبة الله بن موسى المؤيد الشيرازي .

ويدعي بعض المؤرخين أن الحركة الإسماعيلية نشأت سنة ١٢٨ هـ في العراق وفاس كحركة دينية أوجدها الإمام جعفر الصادق ١٤٨ هـ تحولت فيما بعد إلى حركة عقلية تدل على أصحاب مذاهب دينية مختلفة وأحزاب سياسية واجتماعية متعددة وآراء فلسفية وعلمية متنوعة () .

غير أن بعض الإسماعيليين يرجعون بحركتهم إلى ما قبل هذا التاريخ ، إلى عهد إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما السلام ، ويستدلون على ذلك بنظريات فلسفية وعقائدية . واشتط بعضهم في الغلو فقال : إن دعوتهم قديمة قدم الوجود () .

التعريف بالتفسير :

وتفسير أساس التأويل تفسير شيعي باطني وهو مطبوع بتحقيق عارف ثامر بدار الثقافة بيروت ، وكذلك كتاب تأويل دعائم الإسلام مطبوع .

وكتاب " أساس التأويل " للنعمان يعتبر أساس المذهب الباطني ، كما أن كتاب دعائم الإسلام له يعتبر أساس للفقه والشريعة عند الإسماعلية () .

- () تاريخ الدعوة الإسماعلية ١٢/٩ .
- () تاريخ الدعوة الإسماعلية ١٥/٦ .
- () انظر عن الاتجاه الباطني^٧التفسير واتجاهاته ص ٤٠١

وتأويل دعائم الإسلام هذا هو العنوان المتداول لهذا الكتاب ولكن اسمه : "تربية المؤمنين بالتوفيق على حدود باطن علم الدين" . وهو تأويل الدعائم المعروف والكتاب في جزأين في التأويل الباطني للأحكام التي جاءت في كتاب دعائم الإسلام نشرته دار المعارف بالقاهرة ، وإن كان النعمان لحقته المنية قبل إتمام الكتاب وهو يعد ثاني كتاب هام بعد الدعائم .

ولا يزال هذا الكتاب هو الوحيد الذي يسيطر على حياة طائفة البواهر : أتباع الخلفاء الفاطميين في شبه القارة الباكستانية الهندية ، واليمن وحضرموت في الهند والباكستان وغيرها . وعليه المعول في أحوالهم الشخصية وأحكام الأسرة ، ومن عجب أن التشريع الإسلامي بالهند الآن يحافظ على شيء من القوانين التي كانت تطبق بمصر في عهد الفاطميين .

والتأويل عند الإسماعيلية كما قال عارف تامر في مقدمة تحقيقه للكتاب : هو باطن المعنى أو رمزه أو جوهره ، وهو حقيقة مستورة وراء لفظة لا تدل عليها ، وما سمي التأويل عند الإسماعيلية مقصور على أئمتهم دون غيرهم () .

وقد جعلوا محمدا ﷺ صاحب التنزيل ، فالتنزيل اختص به الناطق في حياته . وهو علم الظاهر وأحكام الشريعة والعلم المصريح بتعليمه وتبينه واعتناقه لطبقات العامة. والباطن اختص به الإمام أو الأساس ، وهو علم التأويل والحقيقة ومرموزاتها وتعاليمها التي لا يمكن الإفصاح عنها إلا لجنود الدعوة المخلصين الذين تدرجوا في مراتبها وتربعوا في مناصبها وهم طبقات الخاصة . ()

المنهج العام للتفسير : ()
لم يتناول ابن حيون في تفسيره القرآن كله ، بل أخذ بعض الآيات التي ظهر له أنها تؤيد المذهب الذي يدعو إليه .

وقد تعرض في كتابه تأويل الدعائم لتأويل كم هائل من الآيات والأحاديث .
وتجدر الإشارة إلى أن التأويل عند الإسماعيلية يختلف عن التفسير بمعناه الشرعي الصحيح لدى أغلب الفرق الإسلامية الأخرى ، فهو تأويل غريب لا يتلاءم مع مفهوم اللغة والشرع والعقل ، ولذا فسوف أكتفي بعرض بعض النماذج التي لا أزمة لها وهي تبين عن نفسها .

١ () تاريخ الدعوة الإسماعيلية ١٢/٩ .

١ () مقدمة المحقق ٥/١ .

١ () ومن تكلم عن منهج ابن حيون في تفسيره : عبد السلام الكنوني في المدرسة القرآنية ١٧١/١-١٧٤ ، ووسيلة بلعيد في التفسير واتجاهاته ص ٤٠٢-٤٠٤

قال في أساس التاويل :

في قوله تعالى ﴿وَأَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِينَاهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾^(١) ، قال :
الطريقة هي النبي الناطق في زمانه ، والإمام في أوانه من بعده ، والماء الغدق هو العلم الغزير^(٢) .
وفي تأويل قوله جل ذكره ﴿لَوْ كَانَ فِيهَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾^(٣) قال : فصاحب العصر سواء كان
نبيا أو إماما يدعى ناطقا ، لأنه ينطق بالظاهر ، ويقوم به ، وحجته يدعى صامتا لأنه صامت عن
الظاهر قائم بالباطن .

فالإمام والحجة يتعاقبان تعاقب الليل والنهار ... وفي ذلك قال الله تعالى : ﴿وجعلنا الليل والنهار
آيتين﴾^(٤) ، إن آيات الله في الباطن حجج على خلقه ، وهم الذين افترض عليهم طاعتهم^(٥) .

وفي تأويل آيات الفاتحة قال :

﴿اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾^(٦) :
والصراط في اللغة : الطريق . ممثل هنا بالطريق لأن من لزم الطريق يصل ، وكذلك من لزم الإمام يصل ،
والمراد ههنا بالطريق الإمام لا الطريق المسلوك في الأرض .
وقد أثبت النعمان وجود الظاهر والباطن في القرآن مستشهداً بقوله تعالى ﴿ومن كل شيء خلقنا زوجين
لعلكم تذكرون﴾^(٧) ويقول تعالى ﴿وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة﴾^(٨) .
ويقول : إن من معجزات القرآن أن يأتي بالشيء الواحد ، وله معنى في ظاهره ومعنى في باطنه ، وبذلك
كان ظاهره معجزة الرسول ، وباطنه معجزة الأئمة من أهل بيته^(٩) .
وقال في قوله تعالى ﴿ألم نشرح لك صدرك﴾^(١٠) قال : عنى به شرح الظاهر^(١١) .

١	٧	٨	١	() الجن : ١٦ .
١	٧	٨	٢	() مقدمة المحقق ص ٣٩ .
١	٧	٨	٣	() الأنبياء : ٢٢ .
١	٧	٨	٤	() الإسراء : ١٢ .
١	٧	٨	٥	() الفاتحة : ٧ .
١	٧	٨	٦	() الذاريات : ٩٤ .
١	٧	٨	٧	() لقمان : ٢٠ .
١	٧	٨	٨	() أساس التاويل ص ٣٣ .
١	٧	٨	٩	() الشرح : ١ .

ويؤول قوله تعالى ﴿ محمد رسول الله والذين معه ﴾ () بأنهم الأئمة ، ثم قال : وقد بينا في غير موضع

أن اسم الإيمان يقع على الرسول والأسس والأئمة وجميع المؤمنين المتصلين بهم . ()

وذكر أنهم الذين اتبعوه بالحقيقة وآمنوا به وصدقوه بظاهره وباطنه وقاموا بأمره في حياته وبعد مماته من

أسبابه الذين كانوا في عصره والأئمة من بعده منهم ﴿ معه ﴾ باتباعهم إياه وتمسكهم بأمره واتصالهم به

لأنهم في نظام واحد معه ، فهم حبل الله المتصل طرفه بيد الله وطرفه بيد العباد كما وصفه رسول الله ﷺ

فالرسول هو أول حدّ من الحبل في العالم السفلي والأساس متصل به ، والأئمة يتصلون بالأساس واحدا

بعد واحد ، والطرف الأدنى الذي هو بيد العباد إمام كل زمان في زمانه فمن تمسك به فقد تمسك بحبل

الله ، وكل واحد منهم في زمانه هو العروة الوثقى التي لا انفصام لها ، كالسلسلة ، كل عروة منها متصلة

بالأخرى فمن تمسك بأدناها فقد تمسك بها كلها وبعضها مع بعض وذلك قول الله عزّ وجلّ : ﴿ محمد

رسول الله والذين معه ﴾ ()

وذكر في تأويل قوله تعالى ﴿ فصلّ لربك وانحر ﴾ () أن معناها :

أقم الدعوة لله باطنا ، وهي باطن الصلاة وأقمها في الظاهر ولا الظاهر دون الباطن ﴿ وانحر ﴾ أي خذ

عهد الأساسية على أساسك ونصبه للبيان تتصل ذريتك الباطنة ويكثر المستجيبين لدعوتك وينتبر أمر

شانتك وقائل ذلك فيك . فكان كما وعد الله جل ذكره ، والنحر إنما يكون للجمال وهي أمثال الأئمة

، والذبح للغنم وهي أمثال المؤمنين ، والبقر أمثال الحجج ، فضرب مثل أساس إبراهيم بالكبش وأساس

موسى بالبقر وأساس محمد بالبعير وذلك الذي ذكره من قول إبراهيم لأساسه إسماعيل . ()

وقال في قوله تعالى ﴿ ولقد آتيناك سبعا من المثاني ﴾ () أي الأئمة السبعة () ، أئمة الإسماعيلية .

وقال في تأويل قوله تعالى ﴿ فإن مع العسر يسرا ﴾ () مع التنزيل الظاهر بيان باطني يوضحه ويسره

لمن عسر عليه أمره بالبيان الذي هو التأويل () .

() أساس التأويل ص ٣٤٣ :

() الفتح : ٢٩ ١

() أساس التأويل ص ٣٤٥ ٢

() الفتح : ٢٩ ٣

() الكوثر : ٢ ٤

() أساس التأويل ص ٣٤٧ ٥

() الحجر : ٨٧ ٦

() أساس التأويل ص ٢٦٨ ٧

() الشرح : ٥ ٨

وقال في تأويل قوله تعالى ﴿والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم﴾^(١) فالشهداء الأئمة والصديقون هم أيضا .^٨

ومن ذلك قول الله عز وجل ﴿وجيء بالنبیین والشهداء وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون﴾^(٢) وقوله تعالى ﴿أيها الصديق﴾^(٣) ، وقوله ﷺ : “اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله”^(٤) يعني الإمام^(٥)

ويقول في تأويل الدعائم :

كذلك يرفض المؤمن المستجيب ما كان عليه من ظاهر أهل الباطن ويتمسك بظاهر أهل الحق وباطنهم ومثل ما يترك من سرته عند قطعها ويربط ويكوى طرفه إلى أن يجف ويسقط مثل ما يترك المستجيب عليه من توحيد أهل الظاهر الذي هو إلى الشرك أقرب كما قال تعالى : ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾^(٦) فيترك على ذلك في وقت الأخذ عليه إلا أنه يعرف أنه سيوقف على حقيقة توحيد الله وتنزيهه عن كل مثل وضد لئلا يعتقد ما كان عليه من ذلك من التشبيه والشرك وذلك مثل ربط السرة وحسمها فإذا عرف حقيقة توحيد الله وتبين له ذلك سقط عنه ما كان يعتقد من افتراء المبطلين على الله في ذلك وهذا مثل سقوط سرّة المولود بعد أيام من ولادته .^(٧)

ويقول :

وقد سمعتم فيما بسط لكم من الأصول وقرئ عليكم من حد الرضاع في الباطن أن لكل جنس من الحيوان أمثالا من الناس يرمز في الباطن بهم لهم ويكنى عنهم بذكرهم في القرآن وفي الكلام ومن ذلك قول الله : ﴿وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من

١	٧	٩	() أساس التأويل ص ٤٣٨ . ٩
١	٨	٠	() الحديد : ١٩ . ٠
١	٨	٠	() الزمر : ٦٩ . ١
١	٨	٠	() يوسف : ٤٦ . ٢
١			() أخرجه الترمذي - كتاب التفسير - باب ومن سورة الحجر ٢٩٨/٥ وقال الترمذي : حديث غريب . وقال الألباني : ضعيف (ضعيف الجامع رقم ١٢٧) وانظر أيضا الموضوعات ٧٤/١
١	٨	٠	() أساس التأويل ص ٣٤١ . ٤
١	٨	٠	() يوسف : ١٠٦ . ٥
١	٨	٠	() تأويل الدعائم ص ٤٨ . ٦

شيء﴾ () فأخبر تعالى جل من مخبر أن جميع الدواب والطيور أمثال للعباد الآدميين فضرب^٨ من ذلك أمثالا كثيرة قد سمعتم بعضها وتسمعون من ذلك ما يأتي في موضعه إن شاء الله تعالى وقد سمعتم أن أمثال حشرات الأرض وخشاشها وهوام أمثال الحشو والرعاغ من الناس وأن النحل أمثال المؤمنين .

ومن ذلك الحديث المأثور () : "المؤمنون كالنحل لو علمت الطير ما في بطونها لأكلتها" كذلك المؤمن لو علم الكافر ما فيه من الفضل والعلم والحكمة لقتله حسدا له والزنابير أمثال حشو أهل الباطل الذين يتشبهون بأهل الإيمان كما أن الزنبور يشبه النحل ويحكي صنعة بيتها الذي تصنعه بالشمع فيبنيه الزنبور بالطين وليس فيه عسل كذلك أمثاله من حشو أهل الباطل لا خير عندهم وإن تشبهوا بأهل الحق ، والضرب أحد الحشرات فضرب ﷺ جحر الضب وخشرم الدبر والدبر جماعة الزنابير كما قلنا مثلا لدعوة أشرار الناس وأوباشهم وأخبر الأمة أنهم سيسلكون في أتباعهم أمثالهم مسلك من تقدمهم من الأمم وقد فعلوا واتبعوا السفلة والأشرار وأوباش الخلق واثموا بهم وكذبوا عليه ﷺ فزعموا أنه قال : "أطع إمامك فعلوا وإن كان أسود مجدعا" () فائتموا بالسودان والعبدان والأوباش والأشرار ونصبوهم أئمة من دون أولياء الله فهذا تأويل الحديث ومنه قول يعقوب ليوسف : ﴿ وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ﴾ () فأما جحر الضب وخشرم الدبر فليس مما يدخله الناس ولا يصح القول بذلك في الظاهر وقول الله تعالى : ﴿ ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط ﴾ () له تأويل سيأتي ذكره في موضعه إن شاء الله تعالى . ()

ويقول :

والصلاة مثلها مثل إبراهيم ﷺ وهو الذي بنى البيت الحرام ونصب المقام فجعل الله البيت قبلة والمقام مصلى وحكى قوله تعالى : ﴿ إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين ﴾ () وكان هذا القول هو افتتاح الصلاة للمصلين ، والزكاة مثلها مثل موسى ﴿ إذ ناداه ربه

() الأنعام : ٣٨

() قد يكون مأثورا عن علي^٧ أو جعفر الصادق أو غيرهما ، وليس ذلك صريحا في نسبه لرسول الله ﷺ كما يتبين من كلامه لمن تأمله .

() حديث صحيح أخرجه البخاري - كتاب الأذان - باب إمامة العبد والمولى ١٨٤/٢ عن أنس بلفظ : اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل حبشي كأن رأسه زبيبة . وأخرجه مسلم - كتاب المساجد - باب كراهية تأخير الصلاة ٤٤٨/١ عن أبي ذر بلفظ : إن خليلي ﷺ أوصاني أن أسمع وأطع وإن كان عبدا حبشيا مجدع الأطراف .

() يوسف : ٦

() الأعراف : ٤٠

() تأويل الدعائم ص ٥٠

() الأنعام : ٧٩

بالواد المقدس طوى اذهب إلى فرعون إنه طغى فقل هل لك إلى أن تزكى ﴿ (٤) فكان أول ما أمره الله أن يدعوه إليه أن يزكى ، والصوم مثله عيسى عليه السلام وهو أول ما خاطب به أمه أن تقول لمن رأته من البشر وهو قوله الذي حكاه تعالى عنه لها : ﴿فإما ترين من البشر أحدا فقولي إني نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيا﴾ (٥) وكان هو كذلك يصوم دهره ولم يكن يأتي النساء كما لا يجوز للصائم أن يأتيهن في حال صومه والحج مثله مثل محمد ﷺ وهو أول من أقام مناسك الحج وسن سنته وكانت العرب وغيرها من الأمم تحج البيت في الجاهلية ولا تقيم شيئا من مناسكه كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله : ﴿وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية﴾ (٦) ... وكان الحج خاتمة الأعمال المفروضة وكان هو ﷺ خاتم النبيين فلم يبق بعد الحج من دعائم الإسلام غير الجهاد وهو مثل سابع الأئمة الذي يكون سابع أسبوعهم الأخير الذي هو صاحب القيامة ...

قال : فضله الله بذلك على سائر من تقدمه من المرسلين وجعل له دوهم فضيلتين ومثلين الحج والجهاد وإذا كان الذي مثله مثل الجهاد من أهل دعوته وشريعته وأحد أولاده وأئمة دينه فلذلك قام هو أيضا بالجهاد مع إقامة الحج ، والجهاد ليس من أصل الأعمال إنما هو دعاء إلى اتباع الشريعة وقتل من امتنع من ذلك وكذلك مثله الذي هو خاتم الأئمة لا يكون في وقته عمل كما أخبر تعالى عن ذلك بقوله : ﴿يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا﴾ (٧) ...

قال : وكذلك يجري هذه الأمثال في أسابيع الأئمة يكون أول كل أسبوع منهم مثله مثل الولاية لأنه أول من افترض الله منهم ولايته والثاني مثله مثل الطهارة والثالث مثله مثل الحج على ما تقدم من أمثال النطقاء والسادس منهم يسمى متما كما سمي محمد ﷺ خاتم النبيين ويكمل به أمر الأسبوع ويكون السابع أقواهم ويتم الأمر به ومثله مثل الجهاد على ما تقدم به القول . فهذه أمثال السبع الدعائم التي هي دعائم الإسلام وأمثالها الذين هم النطقاء والأئمة كذلك هم دعائم الدين التي استقر عليها فافهموا الأمثال أيها المؤمنون تكونوا من العالمين فإن الله يقول : ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون﴾ (٨) . (٩) .

١	٨	١	٤	() النازعات : ١٦-١٨
١	٨	١	٥	() مريم : ٢٦
١	٨	١	٦	() الأنفال : ٣٥
١	٨	١	٧	() الأنعام : ١٥٨
١	٨	١	٨	() العنكبوت : ٤٣
١	٨	١	٩	() تأويل الدعائم ص ٥١-٥٣

ويقول : وكل ما أظهر من الباطن على السنة الأنبياء والأئمة صار ظاهرا وكان قبل ذلك باطنا ولا يزال ذلك حتى يقوم آخر قائم من أئمة محمد صلى الله عليه وعلى آله الأئمة من ذريته الذي هو صاحب القيامة فيكشف الباطن كله ويرتفع الظاهر والعمل كما قال تعالى : ﴿ لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا ﴾ () وكما قال تعالى ﴿ يوم يكشف عن ساق ﴾ () والساق من الباطن لأنها مما يستر ولا يكشف ﴿ ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون ﴾ يعني أنه قد ارتفع العمل والانتفاع بالطاعة فلا يستطيع ذلك . ()

ويقول :

والعرب في لغتها والمعروف من لسانها تسمى الشيء باسم ما صحبه ولاءمه وألفه ومن ذلك أيضا كان الكتاب مثل الإمام لأن القرآن هو أليف كل إمام وبه يعمل وعليه يعول وعنده علمه قال الله لرسوله ﷺ: ﴿ قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب ﴾ () يعني وصية عليا صلى الله عليه الذي أودعه ذلك والأئمة من ولده الذين انتقل ذلك عنه إليهم ، والعرب تسمى الكتاب إماما قال أصحاب التفسير في قول الله : ﴿ وكل شيء أحصيناه في إمام مبين ﴾ () قالوا : يعني في كتاب . ()

ويقول :

قول الله تعالى : ﴿ إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راعون ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون ﴾ () وإنما خاطب الله عز وجل بهذا الخطاب المؤمنين جميعا وكذلك قال تعالى ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ﴾ () وقد ذكرنا أن الولاية دعامة من دعائم الإسلام وأمر الله في كتابه بطاعة أولي الأمر وقرن ولايتهم بولاية رسوله بقوله : ﴿ إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا ﴾ () وذلك فرض فرضه الله عز وجل على المؤمنين ، والولاية أصلها السمع والطاعة ، فلو كان القول في ذلك ما قالته العامة ؛ من أن المراد بالولاية ها هنا وبالمؤمنين

١	٨	٢	٠	(الأنعام : ١٨٥)
١	٨	٢	١	(القلم : ٤٢)
١	٨	٢	٢	(تأويل الدعائم ص ٥٥)
١	٨	٢	٣	(الرعد : ٤٣)
١	٨	٢	٤	(يس : ١٢)
١	٨	٢	٥	(تأويل الدعائم ص ٦١)
١	٨	٢	٦	(المائة ٥٥-٥٦)
١	٨	٢	٧	(التوبة : ٧١)
١	٨	٢	٨	(المائة : ٥٥)

جميع من آمن بالله ورسوله ، لم يدر من المأمور منهم بالسمع والطاعة ، ومن يجب ذلك له من جميعهم ، ولكانت طاعة جميعهم واجبة على جميعهم ، وأهواؤهم مختلفة وقلوبهم وآراؤهم شتى ، ومنهم المطيع والعاصي والمؤالف والمخالف . وقد علم الله ذلك منهم فلم يكن سبحانه ليوجب من ذلك ما لا يعرف حقيقته ولا يصح أمره ولا يثبت واجبه ، ولكن اسم الإيمان يقع على جميع من آمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله من أنبيائه وأئمة دينه وجميع أوليائه وجميع من صدق بذلك وأصل الإيمان التصديق قال الله تعالى ﴿وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين﴾ (١) أي ما أنت بمصدق لنا وإن صدقنا ومعلوم في لسان العرب الذي نزل به القرآن وخوطبوا منه بما يعرفون في لغاتهم ولسانهم أن الخطاب قد يكون عاما عندهم ويراد به الخاص كما قال الله تعالى ﴿الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم﴾ (٢) فأراد أن بعض الناس قال ذلك وأنه أراد أن بعض الناس هم الذين جمعوا لهم وذلك ما لا يجوز غيره لأن القائلين ذلك والمخاطبين به هم من الناس فلا يجوز أن يراد بقوله ﴿قال لهم الناس﴾ جميع الناس والذين جمعوا لهم هم جميع الناس والذين جمعوا لهم من الناس فهذا مما ظاهره يقع على العموم وباطنه يراد به الخاص دون العام وهو كثير في القرآن وفي كلام العرب وما يجري منه بين الناس ويتداولونه بينهم كما يقول القائل منهم لقيت العلماء ورأيت الملوك وسمعت كلام الناس وركبت الخيل وشاهدت الأعمال وأشبه ذلك من القول وهو لم يرد بذلك الجميع وإنما أراد البعض ممن لقيه ورآه وشاهده فكذلك قول الله ﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا﴾ (٣) ولم يرد به جميع المؤمنين لأن الخطاب بذلك لمن أوجب عليه ولاية من أوجب ولايته منهم وإنما أراد بالمؤمنين ها هنا الأئمة الذين قرن الله طاعتهم بطاعته وطاعة رسوله بقوله : ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾ (٤) كما قرن ولايتهم بولايته وولاية رسوله وقد تقدم البيان فيما سمعتموه أن اسم الإيمان يقع على جميع من آمن بالله ورسوله قال الله عز وجل حكاية عن موسى ﷺ : ﴿سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين﴾ (٥) وقال : ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله﴾ (٦) وقال ﴿وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب﴾ (٧) ومن ذلك قول الله تعالى :

١	٨	٢	٩	(يوسف : ١٧)
١	٨	٣	٠	(آل عمران : ١٧٣)
١	٨	٣	١	(المائة : ٥٥)
١	٨	٣	٢	(النساء : ٥٩)
١	٨	٣	٣	(الأعراف : ١٤٣)
١	٨	٣	٤	(البقرة : ٢٨٥)
١	٨	٣	٥	(الشورى : ١٥)

﴿والذين آمنوا بالله ورسوله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم﴾ (١) وقد أخبر الله أن الشهداء إنما هم واحد في كل أمة بقوله : ﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا﴾ (٢) وقال : ﴿وجيء بالنبیین والشهداء﴾ (٣) فليس كل من آمن بالله ورسوله يكون صديقا وشهيدا بل أكثرهم وإن آمنوا في الظاهر فقد أشركوا كما أخبر تعالى عن ذلك بقوله : ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾ (٤) والمراد بالصديقين والشهداء من المؤمنين الأئمة منهم وكذلك قوله : ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض﴾ (٥) فالأئمة أولياء من دونهم من المؤمنين ، وولايتهم مفترضة على سائر من دونهم من المؤمنين وهم أولياء المؤمنين الذين ولايتهم فرض عليهم ، وبعض الأئمة أولياء بعض لأنه لم يكن منهم إمام يستحق الإمامة إلا من بعد أن كان مأموما وكان من قبله إمامه والرسول إمام جميع الأئمة ووليهم فهذا معنى قول الله : ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض﴾ وولاية من له الولاية منهم من يولي منهم عليه واسم الإيمان كما ذكرنا يجمعهم والخطاب وإن جمعهم في الظاهر فإنه يخص بعضهم دون بعض في الباطن وقوله تعالى : ﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾ (٦) وكل المؤمنين القائمين بما افترضه الله عليهم يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويركعون في الظاهر وقد نص الله على ولاية من وصفه بهذه الصفة ودل بها عليه فلو حمل ذلك أيضا على ظاهره لرجع إلى المعنى الذي بينا فساده ، ولكن الصلاة والزكاة كما بينا ذلك في كتاب الدعائم من الإيمان وما يوجبه وهما مفروضتان مع سائر الفرائض على الأئمة وعلى كافة المؤمنين ، ولكن المراد هنا بالذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون الأئمة صلى الله عليهم وسلم لأنهم هم الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة بالحقيقة ظاهرا وباطنا فأما في الظاهر فإن الصلاة الظاهرة التي هي الركوع والسجود والقيام والقعود والتشهد أفضلها ما كان في جماعة ومنها ما لا يجزى إلا كذلك كصلاة الجمعة والعيدين ، ولا تكون جماعة إلا بإمام ، فالأئمة هم الذين يقيمون الصلاة بالحقيقة وإيتاؤهم الزكاة هو أن العباد قد تعبدوا بدفع ما يلزمهم منها إليهم وتعبدوهم بإيتائها من تحب له وصرفها في وجوهها فهم الذين يؤتون الزكاة بالحقيقة من يستحقها وركوعهم طاعتهم لله ورسوله والصلاة في

١	٨	٣	٦	(الحديد : ١٩)
١	٨	٣	٧	(النساء : ٤١)
١	٨	٣	٨	(الزمر : ٦٩)
١	٨	٣	٩	(يوسف : ١٠٦)
١	٨	٤	١٠	(التوبة : ٧١)
١	٨	٤	١١	(المائدة : ٥٥)

الباطن هي الدعوة فهم صلى الله عليهم وسلم يقيمونها والمال في الباطن هو العلم وإخراج الزكاة منه في الباطن هو إخراج ما أوجب الله على أهله الذين هم أئمة دينه أن يبذلوه لمستحقه .

ومن ذلك قول النبي ﷺ : “ لكل شيء زكاة وزكاة العلم نشره ” () فهم المقيمون الصلاة والمؤتون الزكاة والراكون بالحقيقة ظاهرا أو باطنا وإياهم عنى الله بذلك .

وقد روت العامة أن هذه الآية نزلت في علي ﷺ وذلك قالوا : إنه تصدق بخاتمه على سائل مر به وهو راع .

وقد جاء في كتاب الدعائم عن محمد بن علي ﷺ أنه سئل عن قول الله : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾ () من عنى بالذين آمنوا ؟ فقال : إيانا عنى بذلك وأنه سئل عن قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ () في مواضع كثيرة من القرآن من مثل هذا مما لا يجوز أن يعنى بها جميع المؤمنين وقال : إيانا عنى بذلك . وقال في بعضها : وعلي ﷺ أولنا وأفضلنا وأخيرنا بعد رسول الله ﷺ . فكان ذلك من قوله مما يؤيد ما ذكرناه من أن الأئمة هم الذين عنى الله بقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ فيما يرتفع من حدود المؤمنين دونهم وأن اسم الإيمان يجمعهم وإياهم وكذلك المعينون صلى الله عليهم بكثير من القول في القرآن مما قد ادعته العامة لأنفسها مثل قوله تعالى ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ () ومثل قوله : ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾ () ومثل قوله ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَوَدُّوا الْأَمْثَالَ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾ () ومثل قوله ﴿ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ () ومثل قوله ﴿ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ () ومثل قوله : ﴿ الصَّادِقُونَ وَالشُّهَدَاءُ ﴾ () ومثل قوله : ﴿ وَلِكُلِّ

() لم أجده كاملا والمشهور في كتب الأحاديث الضعيفة والمؤسوعة حديثان : لكل شيء زكاة وزكاة الجسد الصوم ، لكل شيء زكاة وزكاة البيت دار الضيافة . (انظر كمثل العلل المتناهية في الأحاديث الواهية رقم ٨٢٥،٨٨٥)

١	٨	٤	٣	(المائدة : ٥٥)
١	٨	٤	٤	(آل عمران : ٢٠٠)
١	٨	٤	٥	(البقرة : ١٤٣)
١	٨	٤	٦	(العنكبوت : ٤٣)
١	٨	٤	٧	(النساء : ٥٨)
١	٨	٤	٨	(التوبة : ١١٩)
١	٨	٤	٩	(الحج : ٧٨)
١	٨	٥	٠	(الحديد : ١٩)

قوم هاد) () ومثل قوله : «والراسخون في العلم» () ومثل قوله «ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا» () ومثل هذا كثير . ()

ويقول : فالمراد بالعلم في ذلك العلم المأثور عن أولياء الله وأنبيائه وأئتمته صلى الله عليهم والمراد بالعلماء هم صلى الله عليهم ومن تعلم منهم فهو يعد من العلماء على سبيل المجاز باتباعه لهم وتوليه إياهم كقوله تعالى : «فمن تبعني فإنه مني» () وقوله : «ومن يتولهم منكم فإنه منهم» () فهم العلماء بالحقيقة صلى الله عليهم وقد يقع اسم العلماء على المجاز على كل عالم بشيء ما كان ، فليس أولئك وإن وقع عليهم اسم العلماء ممن يعني بالعلماء في الحقيقة ...

قال : ومن ذلك قوله تعالى : «بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم» () يعني أولياءه ولا يكون أهل العلم ها هنا كل من علم شيئاً ما كان وكذلك قوله : «يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات» () وإنما عنى بالعلم ها هنا العلم الحقيقي الذي قد قدمنا ذكره المأثور عن أولياء الله. ()

قال : ومما ذكرناه من أن العلماء بالحقيقة هم أولياء الله ما جاء في كتاب الدعائم عن رسول الله ﷺ أنه قال : “تعلموا من عالم أهل بيتي أو ممن تعلم من عالم أهل بيتي تنجوا من النار” . ()

قال : ومنه قول نوح ﷺ : «ولمن دخل بيتي مؤمناً» () وقد ذكرنا أن لسان العرب يسمى فيه الشيء باسم ما صحبه ولاءمه فمثل صلى الله عليه بيته الذي هو دعوته بأهل بيته القائمين بها والمعنى الذي أراد تمثيل دعوته بدعوة نوح هو أنه كما هلك من تخلف عنها ، كذلك يهلك من تخلف عن

١	٨	٥	١	() (الرعد : ٧)
١	٨	٥	٢	() (آل عمران : ٧)
١	٨	٥	٣	() (فاطر : ٣٢)
١	٨	٥		() (تأويل الدعائم ص ٦١-٦٥)
١	٨	٥	٥	() (إبراهيم : ٣٦)
١	٨	٥	٦	() (المائدة : ٥١)
١	٨	٥	٧	() (العنكبوت : ٤٩)
١	٨	٥	٨	() (المجادلة : ١١)
١	٨	٥		() (تأويل الدعائم ص ٦٥-٦٦)
١				() (تأويل الدعائم ص ٦٧ ، وهذا الحديث لم أقف له على أصل لا صحيح ولا ضعيف ولا موضوع .
١	٨	٦	١	() (نوح : ٢٨)

دعوته ، وكما نجا من دخلها كذلك ينجو من دخل دعوته ، لأن نوحا أول أصحاب الشرائع وأول أولي العزم ومحمد ﷺ آخر أصحاب الشرائع وآخر أولي العزم . ()

ويقول :

﴿ كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ﴾ () وقال : ﴿ هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين ﴾ () فالكتاب في الظاهر هاهنا كتاب الله ، والحكمة ما بينه رسول الله ﷺ وجاء من عنده والكتاب في الباطن الإمام كما ذكرنا والحكمة في الباطن التأويل الباطن فعلمهم رسول الله ﷺ ذلك ظاهرا وباطنا على درجاتهم ومنازلهم والواجب لأهل كل طبقة منهم ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ﴾ () وهذا من أعظم نعمه فلم يكن الرسول ﷺ يعلمهم من ذلك ظاهرا دون الباطن ولا باطنا دون ظاهر بل أسبغ الله عليهم به كما أخبر نعمه ظاهرة وباطنة ، فعلمهم مما علمه الله تعالى ظاهر العلم وباطنه بأن علمهم تنزيل الكتاب وأخبرهم بواجب السنة وأوقفهم على إمام زمانهم من بعده وعلى واجب الإمامة للصفوة من ولده وأودع علم التأويل من أقامه مقامه لهم ليكون معجزة له وبأن ينقله كذلك واحد من بعد واحد منهم فيمن يخلفه للأمة ويقوم فيها مقامه من بعده . ()

ويقول :

والطهارة في الباطن التطهر بالعلم وبما يوجبه العلم من أحداث النفوس قال الله : ﴿ وأنزلنا من السماء ماء طهورا ﴾ () وقال ﴿ وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام ﴾ () وقد تقدم القول بأن الماء مثله مثل العلم فكما يطهر الماء الظاهر من أحداث الأبدان الظاهرة ، كذلك يطهر العلم من أحداث النفوس الباطنة وأفاعيلها الرديئة الموبقة

١	٨	٦	() تأويل الدعائم ص ٦٩
١	٨	٦	() البقرة : ١٥١
١	٨	٦	() الجمعة : ٢
١	٨	٦	() لقمان : ٢٠
١	٨	٦	() تأويل الدعائم ص ٧١
١	٨	٦	() الفرقان : ٤٨
١	٨	٦	() الأنفال : ١١

وكذلك يكون الطهور بما يوجبه العلم من الواجبات قال تعالى ﴿ خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم ﴾ ()... ()

وقال :

وقال تعالى : ﴿ وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئاً وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود ﴾ () فلم يسكنه إلا الصفوة^١ من ولد إسماعيل عليه السلام ولما تغيرت الأمور من بعده وسكن الحرم المشركون وبعث الله نبيه صلى الله عليه وسلم كان فيما أنزله عليه قوله : ﴿ إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا ﴾ () فنفاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحرم فكان طهور البيت إسكان أولياء الله فيه وإخراج أعدائه منه ولم يكن ذلك بالماء في الظاهر هو كما يكون الطهور الظاهر وقال الله تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ يأأيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر ﴾ () فكان أول ما افترض عليه بعد إنذاره أن يبدأ بتطهير ثيابه والثياب في التأويل الظاهر لأن الثياب ظاهرة فأمره الله بإقامة ظاهر الشريعة وتطهيره من أنجاس الكفرة الجاهلية وما كانت تعبدته وتذهب إليه في ظاهر ماتتدين به وكذلك يجب كما ذكرنا على المؤمنين أن يبدأ ويتدئى به من يعلمه الإيمان بإقامة ظاهره وتطهيره مما كان يذهب إليه من ظاهر أهل الباطن وقد فسر ذلك كثير من المفسرين من العامة على غير الطهر الظاهر المتعارف عندهم الماء فقال بعضهم قوله : ﴿ وثيابك فطهر ﴾ () أي طهر نفسك من الذنوب فكفى عنها بثيابه . وقال آخرون : أراد أن لا تلبس ثيابك على كذب ولا فجور ولا إثم ، البسها وأنت طاهر من ذلك . وقال آخرون : أي قصرها . وقال آخرون : العرب تقول ألبست فلانا ثوب خزية وعار ، إذا ألبسته ذما ونقيصة . فكلهم تأولوا ذلك على غير الطهارة من أنجاس الأبدان في الظاهر بالماء ومن أنجاس الأرواح في الباطن بالعلم . ()

ويقول :

فالإيمان على ضربين براءة من الباطل وأهله ودخول في الحق وأهله ، وقد ذكرنا أن مثل الصلاة مثل البراءة من الباطل وأهله والصلاة تدعى إيماناً وقد جاء أن القبلة لما صرفت إلى جهة الكعبة قال المسلمون

١	٨	٦	٩	() التوبة : ١٠٣
١	٨	٧	٠	() تأويل الدعائم ص ٧٢
١	٨	٧	١	() الحج : ٢٦
١	٨	٧	٢	() التوبة : ٢٨
١	٨	٧	٣	() المدثر : ١-٤
١	٨	٧	٤	() المدثر : ٤
١	٨	٧		() تأويل الدعائم ص ٧٢-٧٣

لرسول الله ﷺ : يا رسول الله أفيزهد ثواب صلاتنا من قبل ؟ فأنزل الله : ﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم﴾

() يعني صلاتكم () فسمى صلاتكم إيماناً وكذلك هي في الباطن إيماناً لأن الدعوة جماع الإيمان. ()

ويقول :

وقد جاء أن عورة الرجل ما بين السرة والركبتين وأن المرأة عورة كلها فباطن ذلك أن أمثال الرجال كما ذكرنا أمثال المفيدين وهم الذين يفيدون من دوتهم من المؤمنين العلم والحكمة ، وهم في ذلك على طبقات بعضها فوق بعض فكل مفيد مثله مثل الذكر وكل مستفيد مثله مثل الأنثى ، والمستفيد يجب عليه ستر جميع ما يفيد المفيد فمثله في ذلك مثل المرأة التي يجب سترها كلها والمفيد لا ينبغي له كشف جملة ما عنده من ذلك لمن يفيد وإنما ينبغي له أن يفيد أطرافاً من الحكمة والعلم ويكشف من ذلك لكل من يفيد بقدره ويكون عنده من ذلك ما يستر عمن دونه ليستحق به الفضل عليه وكان الذي يجب ستره على الرجل ثلاثة أشياء من بدنه فخذه وفرجاء وفكاه ومن ذلك قوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم﴾ () فعني بالذين آمنوا هاهنا : المفيدين ، وبالذين ملكت أيمانكم : المستفيدين منهم غير المأذون لهم ، وبالذين لم يبلغوا الحلم : المحرمين المستفيدين والمأذونين الذين لم يبلغوا حد الإطلاق . فأمر المفيد أن يستروا عنهم من هذه الثلاث العورات كلها فلا يفتحوهم بما في حدودها من العلم حتى يجب ذلك لهم. ()

ويقول :

مثل الصلاة مثل أول قائم بالدعوة التي افترضت فيها وهو محمد ﷺ وهذا مما ذكرنا أن الشيء يسمى باسم ما صاحبه ولاءمه وأن الطهارة مثلها مثل أساسه وهو علي ﷺ وقيل إن ذلك يدل عليه حروفهما فقيل صلاة أربعة أحرف ومحمد أربعة أحرف وطهر كذلك ثلاثة أحرف وعلي ﷺ ثلاثة أحرف فلا يصح إقرار نبوة محمد ﷺ إلا لمن أقر بأن علياً ﷺ وصيه من بعده وكذلك لا تكون صلاة في الظاهر من مصلى إلا بطهارة ومن ذلك أيضاً قولهم الوضوء مفتاح الصلاة كذلك لا يولي النبي إلا من قبل وصيه كما قال

() البقرة : ١٤٣

() لم يأت سبب النزول بهذا اللفظ والذي ورد في معناه أخرجه البخاري عن البراء - كتاب الإيمان - باب الصلاة من الإيمان ٩٥/١

() تأويل الدعائم ص ٧٥

() النور : ٥٨

() تأويل الدعائم ص ٨٣

رسول الله ﷺ : "أنا مدينة العلم وعلي ﷺ بابها فمن أراد العلم فليأت الباب" () ومنه قوله تعالى :
﴿وأتوا البيوت من أبوابها﴾ ()... ()

ويقول :

فالقابلة في التأويل مثلها مثل الحجة لأهل دعوة الباطن وأساس الشريعة وهو وصي النبي ﷺ ومن ذلك
قوله تعالى لمحمد ﷺ : ﴿قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها﴾ () يعني عليا ﷺ
ونصبه للحجة وأساسا لإمامة من بعده وأمر الناس بالتوجه إليه وأن يوليه رسول الله ﷺ شطر المسجد
الحرام وهو وجهه الذي قال فيه ﴿فول وجهك شطر المسجد الحرام﴾ () وقد ذكرنا أن مثل المسجد
الحرام مثل الناطق ودعوته وحجة الناطق وهو وجهه الذي يتوجه إلى الناس به في التأويل وتوليته شطر
المسجد الحرام هو توليته باطن الدعوة وهي نصفها لأنها دعوتان ظاهرة وباطنة ، فظاهر الدعوة تكون
للناطق يقيم بها ظاهر الدين وأحكامه. وباطنها وهي الدعوة الباطنة يقيم بها حجته ويقوم الحجة لها
نقباءه ودعائه يدعون إليها فهذا تأويل قوله : ﴿فول وجهك شطر المسجد الحرام﴾ أي ول أمر وصيك
أمر الدعوة الباطنة ثم قال لجميع المؤمنين : ﴿وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره﴾ أي حيث ما كنتم
فاقبلوا على دعوة الحق . ()

وقال :

الوفد في اللغة جمع وافد وهو الذي يأتي الملك عن القوم فكذلك الأئمة هم الذين يفدون إلى الله بأهل
أزمانهم وهم الشهداء عليهم كما قال جل من قائل : ﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد﴾ ()
وقال : ﴿وجيء بالنبين والشهداء﴾ () وقال : ﴿أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم﴾ ()
وكذلك الدعاة هم وفود أهل زمانهم إلى أئمتهم عندهم بأعمالهم التي طلوعوا فيها عليهم . ()

() أخرجه الحاكم - كتاب معرفة الصحابة ١٢٦/٣ وقال : صحيح الإسناد . فتعقبه الذهبي بقوله : قلت : بل
موضوع وأبو الصلت قال : ثقة مأمون قلت : لا والله لا ثقة ولا مأمون . وقال : قلت : العجب من الحاكم وجرأته في
تصحيحه هذا وأمثاله من البواطيل وأحمد هذا دجال كذاب . اهـ وقال الألباني : موضوع (انظر ضعيف الجامع رقم

١٤١٦) وذكره الذهبي في ترتيب الموضوعات ٢٨٧/١

١	٨	٢	() البقرة : ١٨٩
١	٨	٣	() تأويل الدعائم ص ٨٦
١	٨	٤	() البقرة : ١٤٤
١	٨	٥	() البقرة : ١٤٩
١	٨	٦	() تأويل الدعائم ص ٢٣٧
١	٨	٧	() النساء : ٤١
١	٨	٨	() الزمر : ٦٩

وبلاحظ فيما ذكرنا من النقول ما يقوم عليه تأويل هؤلاء من جعل كل شيء في الأئمة ودعوتهم وطاعتهم ومن هذا المنطلق يصلون لربط الشريعة ككل بما يمليه عليهم أئمتهم وهذا هو الأساس الذي هدموا به الدين وانسلخوا منه كلية والعياذ بالله ومن أراد الاستزادة عن المراحل التالية لتلك المرحلة وما وصل إليه الأمر عندهم عليه بمراجعة كتاب الحركات الباطنية في العالم الإسلامي .

١	٨	٨	٩	() الحديد: ١٩
١	٨	٩	٠	() تأويل الدعائم ص ٢٣٩

تفسير ابن برجان الصوفي من خلال كتابه الإرشاد



مؤلف هذا التفسير هو أبو الحكم عبد السلام بن عبد الرحمن بن أبي الرجال محمد ابن برجان اللخمي الإفريقي الإشبيلي الصوفي من الوافدين على المنطقة ت ٥٣٦ هـ بمراكش . ()^١
وقد ذكرت في ترجمته أنهم عابوا عليه الإمعان في علم الحرف واستخدامه إياه في التفسير وقرروا أنه مبتدع.

نبذة عن موقف الصوفية^(١) من التفسير: ()^٢
قال الحافظ ابن الصلاح رحمه الله عندما سئل عن كلام الصوفية في القرآن :
وجدت عن الإمام أبي الحسن الواحدي المفسر أنه قال : صنف أبو عبد الرحمن السلمي "حقائق التفسير" فإن كان قد اعتقد أن ذلك تفسير فقد كفر . قال ابن الصلاح : وأنا أقول : الظن بمن يوثق به منهم أنه إذا قال شيئاً من أمثال ذلك أنه لم يذكره تفسيراً ولاذهب مذهب الشرح للكلمة المذكورة من القرآن العظيم فإنه لو كان كذلك كانوا قد سلكوا مسلك الباطنية ، وإنما ذلك منهم تنظير لما ورد به القرآن فإن النظر يذكر بالنظر ... ومع ذلك فياليتهم لم يتساهلوا في مثل ذلك لما فيه من الإبهام والإلباس . ()^٣

وقد قسم الدكتور حسين الذهبي التفسير الصوفي إلى قسمين :

() تقدمت ترجمته في الوافدين^١ بقرم ٣٢
() الصوفية : اختلف أهل العلم في نسبتهم ومنشئهم ومنهم الغلاة الذين مرقوا من دين الإسلام وقالوا بوحدة الوجود وأغرقوا في الفلسفة ، ومنهم المعتدلون الذين اعتبروا التصوف مرادفاً للزهد والعزوف عن الدنيا كما كان أهل الصدر الأول ، ولكن هذا القسم يكاد يكون منعماً وتحول أمر مدعيه إلى جنون وجذب وخرافات وطبل وزمر وموالد ، وينظر للاستفاضة : هذه هي الصوفية وصوفيات كلاهما لعبد الرحمن الوكيل ، الرد على القائلين بوحدة الوجود لعلي سلطان قاري ، التصوف بين الحق والخلق لمحمد فهد شقفة ، حوار مع الصوفية لأبي بكر العراقي .
() انظر : التفسير والمفسرون^٢ ٣/٣٣٨ ، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر ١/٣٥٧^٣
() الفتاوى ص ٢٩^٤

التفسير الصوفي النظري : وهو ما بني على مباحث نظرية وتعاليم فلسفية وهو يقوم على مذهب وحدة الوجود .

التفسير الصوفي الفيضي أو الإشاري : وهو تأويل لآيات القرآن على خلاف الظاهر بمقتضى إشارات خفية تظهر لمن يطلق عليهم أرباب السلوك ، ويفترض فيه إمكانية التطبيق بينه وبين الظواهر المرادة. ()

وهذا الأخير له شروط عند من قبله وقد تقدم شيء من ذلك في كلام ابن باديس رحمه الله إلا أن تلك الشروط لا تكاد تنطبق عند النقد .

وأضيف هنا قسما ثالثا :

وهو التفسير الصوفي الحرفي : وهو استعمال الحروف وأسرارها التي هي من وحي الشياطين في تفسير كتاب الله تعالى ، وتفسير ابن برجان من هذا النوع ، وأما النوع الأول فسوف نتعرض له في تفسير ابن عربي ، والنوع الثاني سوف نتعرض له في تفسير ابن عجيبة ، نسأل الله السلامة .

التعريف بالتفسير :

وتفسيره المسمى "الإرشاد" من التفاسير المخطوطة وقد ذكر الزركلي أنه لم يكمله وأن أكثر كلامه فيه على طريق الصوفية ، وفي كشف الظنون أنه ذكر فيه من الأسرار والخواص ما هو مشهور فيما بين أصحاب هذا الشأن .

وقد وقفت على نسخة على الميكروفيلم بمكتبة الجامعة الإسلامية جاء عليها :

النصف الأول من تفسير القرآن العظيم للشيخ الإمام العارف الرباني أبي الحكم عبدالسلام بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن اللخمي عن السليمانية بتركيا ١/٨٩٥١-٢ ، وهي التي اعتمدها في دراسة الكتاب ، وهي من سورة الفاتحة إلى سورة الكهف .

وقد افتتح المؤلف الكتاب بخطبة ثم عقد فصلا يدل على انحراف فكره قال فيه :

ثم قد يكشف الله جل جلاله لبصائر بعض عباده المؤمنين فيرون بما ما غاب عن أبصار رءوسهم ... فأروا بنور الإيمان وحقيقة الإيقان ما ليس بشخص ولا جوهر ولا عرض ولا هو من قبيل ذلك .. ثم قد يرون أيضا ما ليس كالأجسام المعهودة ... مرآئي روحانية يصورها مصور العقل في باطن الذكر ... وكذلك يزيل الوقر عن أسماع قلوبهم فيسمعون بما ما غاب عن آذان رءوسهم ... إلى أن قال : وأما

الإلهام ... الخ

وأما التوسم ... الخ

فلم يكن الله جل جلاله ليجعل كلامه الكريم ظاهرا كله للحكمة والحكم اللذين في كلامه ولئلا يصل إلى فهم رفيع خطابه إلا من صرف همته إليه... ثم ذكر الظاهر والباطن .

ثم شرع في الحديث عن البسمة .

وهذا التفسير في الجملة تفسير صوفي يركز على الحرف وشيء من الإشارة وأنواع من الهديان ، وهو لا ينقل عن أحد سبقه البتة ، ولا يهتم باللغويات والنحو .

ويبدأ بذكر اسم السورة كقوله سورة البقرة... ولا يذكر مكة أو مدينة ولا عدد آي ولا مناسبات

.....

وربما خالف ذلك مثل قوله سورة الأنعام مكة غير تسع آيات نزلت هذه السورة ليلا المنسوخ منها أربع عشرة آية () .

ويتعرض للكلام في العقائد فقال تحت قوله تعالى : ﴿ إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ﴾ () بعد أن ذكر كلاما كثيرا عن المسيح والمسيح الدجال تطرق للكلام عن علي بن أبي طالب وقال : وحتى هذا اعتقد قوم أنه حي وأنه تكون منه رجعه فيفعل ما يفعل الوصي فإنهم ادعوا أن رسول الله ﷺ جعله وصيا وهذا لم يثبت وإنما يكون في نسله ومنهم يكون الرجل الصالح المهدي المبشر به فهذا أوقع أولئك في هذيانهم من قولهم بالرجعة () .

وهو يذكر الآيات القرآنية بكثرة في نسق واحد وفي الغالب يكون لا تعلق لها بالآية المراد تفسيرها أو تعلقها طفيف جدا وربما ذكر تفسيرها مقبولا لآية بآية كما هو منهج المفسرين ومثل ذلك قوله : ﴿ أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار ﴾ () ذكر بعض المفسرين في ذلك أنه على المال ولهذا نظير قوله تعالى : ﴿ الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا ﴾ () ثم استطرد بآيات على طريقته فقال : ومثله قوله تعالى : ﴿ إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا .. لا يبصرون ﴾ () وقوله ﴿ أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الأغلال في أعناقهم ... خالدون ﴾ () . ()

١	٨	٩	٦	() ٢١٣/أ
١	٨	٩	٧	() آل عمران : ٥٥
١	٨	٩	٨	() ١٤٧/ب
١	٨	٩	٩	() البقرة : ١٧٤
١	٩	٠	٠	() النساء : ١٠
١	٩	٠	١	() يس : ٨
١	٩	٠	٢	() الرعد : ٥
١	٩	٠	٣	() ١٠٢/ب

وقد يذكر بعض الأحاديث الصحيحة كقوله :

جاء في الصحيح المأثور أن جبريل ورسول الله صلوات الله وسلامه عليهما () كانا قاعدين معا إذ سمع جبريل نقيضا في السماء . () فذكر الحديث في فضل الفاتحة وأواخر البقرة .

وقال : فصل :

فذكر فيه حديث أبي بن كعب فقال قال رسول الله ﷺ لأبي بن كعب رضي الله عنه : “ يا أبي إني لأرجو أن لا تخرج من المسجد الخ ” () الحديث في فضل الفاتحة .

ومن الأحاديث غير الصحيحة قوله :

قال رسول الله ﷺ : “ إن الله جزأ القرآن ثلاثة أجزاء فجعل قل هو الله أحد جزءا ” وفي أخرى “ فجعل سورة يس جزءا ” () . ()

وقد يتعرض لأسباب النزول :

ومن ذلك قوله : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى ﴾ ()

قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه : صنع لنا عبد الرحمن بن عوف طعاما فدعانا وسقانا الخمر فأخذت منا وحضرت الصلاة فقدموني فقرأت : ﴿ قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ﴾ () ونحن نعبد ما تعبدون فأنزل الله ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى ﴾ () ()
وأما السيرة والتاريخ فمن مواضع تعرضه لها :

قال في قوله ﴿ واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا ﴾ () : اختلف الناس فيمن هو المعني بهذا المعنى فقال قوم : هو بلعام بن باعوراء وقيل : باعر وقال آخرون : هو البسوس عابد من بني إسرائيل قالوا : كانت

() ٧/أ

() أخرجه مسلم - كتاب صلاة المسافرين - باب فضل الفاتحة ١/٥٥٤ عن ابن عباس

() سبق تخريجه .

() الرواية الأولى صحيحة أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب صلاة المسافرين - باب فضل قراءة قل هو الله أحد ١/٥٥٦ عن أبي الدرداء ، وأما رواية يس فلم أقف لها على أصل إلا أنه روي أن من قرأها فكأنما قرأ القرآن . أخرجه عبد الرزاق في المصنف ٣/٢٧٣ عن قتادة عن رجل مرفوعا .

() ١٢/ب

() النساء: ٤٣

() الكافرون: ٢، ١

() النساء: ٤٣

() ١٧٦/أ

له ثلاث دعوات استفذهن على ما ذكره في امرأة والله أعلم أكان ذلك أم لا ؟ وقال قوم : هو أمية بن أبي الصلت وقال قوم : نزلت في راهب بن صيفي وقال قوم : إنها نزلت مثلا في اليهود والنصارى وكل من آتاه الله من آياته وعلمه كتابه فانسلخ من ذلك فهو المعنى بهذا ثم اختلفوا في القصص عن هؤلاء المذكورين وأنا ذاكر طرفا من قصص أمية بن الصلت لقرب طريقه وتارك ذكر قصص ما قص في شأن أولئك لبعده الطريق وتعذر الوقوف على صحته وسقمه فذكر طرفا وذكر شعرا كثيرا له في التوحيد. ()

والعجيب أنه عندما أتى على قصة موسى والخضر اختصرها اختصارا شديدا ولم يتعرض لا لماهية الخضر ولا لحقيقة العلم اللدني الذي كان من المتوقع إسهابه فيه ولم يزد عن ذكر القصة مختصرة وبدأها بقوله : العلم اللدني هو خاص الخاص من العلم ولما سأله الصحبة وأعلمه سبب رحلته إليه قال يا موسى أنت على علم ملكه الله لا أعلمه أنا وأنا على علم علمنيه الله لا تعلمه أنت الخ
ومما ذكره قبل سوقه للآيات عن سبب القصة قوله :

رأى ﷺ أنه أوتي العلم دون أهل الأرض إذ لم يعلم في الأرض رسولا غيره فأراد الله أن يكشف له عن علم هو أرفع من علم الرسالة التي هي للبشر فأعلمه بصاحبه. ()

وأما الإسرائيليات فقد انفرد برأي غريب بالنسبة لهاروت وماروت فقال :
وكان الغالب ما أنزل عليهما ما هو من سبيل علم الأسماء وما يقتضيه وما يكون دواء من السحر وعلى الأقرب فالأقرب من معانيها وخاصة كل اسم منها في منفعه إلى أن قال : وكلاهما من عند الله جل وعز ومن رسله وملائكته لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون فافهم مرسل الله من فضله فكانا عليهما السلام لأجل ذلك يقولان للمتعلمين منهما إنما نحن فتنة فلا تكفر أي لا تزغ ولا تعدل عن الطريق فيعدل بك ... فمن آمن منهم واتقى الله أعلم رقية العلم ونال ذروة شرفه ونجا من الفتنة ووصف الله عز وجل المتعلمين منهم على السبيل المذمومة أنهم إنما كانوا يتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه بدل الذي يوجب الألفة وكرم الوداد في الله ثم ما يتبع ذلك لا محالة مما يضاذه الخ ()

وأما اللغويات :

فربما تعرض لشرح المفردات مثل قوله :

١	٩	١	٣	() الأعراف: ١٧٥
١	٩	١	٤	() ٢٦٥/ب، ٢٦٦/أ
١	٩	١	٥	() ٤١٨/ب
١	٩	١	٦	() ٦٢/أ، ب

الهداية : التسديد والإرشاد وإتمام النعمة على المهدي . ()

ويتعرض للقراءات أحيانا مثل قوله :

قريء الحمد لله بالنصب على المصدر والحمد لله بضم الدال واللام على الاتباع وبالكسر أيضا .
فذكر القراءات المتواتر منها والشاذ عن جعفر الصادق وثابت البناني وأيوب السختياني والمخالف منها
لرسم المصحف .

كما ذكر القراءات في الملكين في قوله ﴿ على الملكين ببابل ﴾ ()

وذكر القراءات في ﴿ مانسوخ من آية أو ننسها ﴾ ()

ونذكر هنا مثالا لأسلوبه في معالجة الآيات الفقهية يقول :

قوله تعالى : ﴿ كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ... ﴾ () إلى آخر
المعنى أعلم الله جل ذكره عباده بكتب الصيام عليهم مجملا لا يدري من لفظ الصيام ماهو قدره إلا ما
قال الله ﴿ كما كتب على الذين من قبلكم ﴾ () فتوجه على المسلمين أن يصوموا صيام من كان قبلهم
فكانوا يصومون ويفطرون قبل غروب الشمس كصيام أهل الإنجيل فبين الله جل جلاله هذا الجمل بقوله
ثم أتموا الصيام إلى الليل وكانوا يصومون إذا أفطروا فرغ أحدهم يده عن الطعام أو نام عنه لم يرجع إليه
إلى مثلها فضر ذلك بعضهم فبين الله جل جلاله بقوله وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من
الخيط الأسود من الفجر وكانوا لا يمسون النساء ولا يجامعوهن في الصيام وكانوا مع ذلك يتهافتون فيه
ويخرجهم ذلك فبين الله جل ذكره ذلك بقوله ﴿ أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم ... ﴾ () إلى
أن قال : وليس من القرآن في هذا كله شيء منسوخ ... ثم قال ﴿ ومن كان مريضا أو على
سفر ﴾ () فعليه أن يصوم عدة ما أفطر أياما آخر من غيره وفي الخطاب ﴿ وعلى الذين يطيقونه فدية
طعام مسكين ﴾ () فوجب على المريض والمسافر عدة أيام آخر وبقي على المطيقين وهي الحامل إذا
خافت على ما في بطنها أفطرت وأطعمت وإن كانت هي مطيقة للصوم وكذلك المرضع إذا خافت على

١	٩	١	٧	() ١٦/أ
١	٩	١	٨	() البقرة: ١٠٢
١	٩	١	٩	() البقرة: ١٠٦
١	٩	٢	٠	() البقرة: ١٨٣
١	٩	٢	١	() البقرة: ١٨٣
١	٩	٢	٢	() البقرة: ١٨٧
١	٩	٢	٣	() البقرة: ١٨٥
١	٩	٢	٤	() البقرة: ١٨٤

رضيعها أفطرت وأطعمت وأما الهرماء والزمنى الذين لا ترجى صحتهم فهم يطعمون ولا يكلفون صوما
لعذرهم الدائم وفيه فمن تطوع خيرا..... الخ ()
﴿ أحل لكم ﴾ قال : وقد تقدم ذكر هذه الثلاثة الأحوال أنها نسخت بالقرآن العزيز فالمنسوخ بالقرآن
هو شرع من كان قبلنا وكتابهم كما قال تعالى ﴿ كتب عليكم قبلكم ﴾ فكان ذلك شيء للكتاب
المتقدم لا نسخا للقرآن . ()^١

وقد تكلم عن النسخ عند قوله تعالى : ﴿ ما ننسخ من آية ... ﴾ ()^٢
ومما قاله : وماورد في القرآن العزيز من ناسخ ومنسوخ فمعلوم وهو قليل قد يسر الله جل ذكره ناسخه
عند منسوخه كنسخ الصدقة عند مناجاة الرسول بالآية التي أعقبها بها فذكرها ثم بين أن ذلك
ليس نسخا وإنما إنساء .

وقد ظهر أنه يرجح عدم وجود النسخ في القرآن وفسر الآية تفسيراً جديدا وربطها بقصة هاروت
وماروت فقال : وإن كان الكلام في نسخ القرآن ما أنزل على الملكين عليهما السلام فتقديره ﴿ ما نسخ
من آية ﴾ مما أنزل عليهما ﴿ نأت بخير منها ﴾ أي أعظم مثوبة وأبعد من الفتنة وأقرب إلى السلامة . ()^٣

هذا عرض شبه تفصيلي لمنهج المفسر وهو يشم منه الانحراف عن الجادة ونقل هنا بعض النقول التي
تحدثت عن نفسها في بيان انحراف هذا التفسير فمن ذلك :

ذكر كلاما كثيرا به تخطيط وتخييط يشتمل على أحاديث كثيرة صحيحة وآيات قرآنية بعضها في محلها
وبعضها ليس في محلها ليقرر أن الفاتحة سبعة فصول تنفصل هذه السبعة فصول إلى مائة فصل عدد
أسمائه جل ذكره وعددها عدد درجات الجنة عنها انفصل العلم كله وإليها رجع .

قال : وهذه الفصول الأربعة للقرآن شبيهة بالفصول السبعة للأسماء وقد تقدم ذكرها في شرح الأسماء
(يعني كتابه الذي ألفه في شرح الأسماء الحسنى) وهي أيضا شبيهة بالأيام السنة سابعها يوم الجمعة وهو
جامعها وموضع فريدها ، عنه انفصلت وإليه ترجع على نحو ما تقدم من العبرة في اسم الشهيد وهذه
الفصول السبعة وما تفصلت إليه ترجع كلها إلى فصلين فصل الإلهية وفصل النبوة ويرجعان معا إلى فصل
الإلهية ، الأعلى ينتظم الأسفل . ()^٤

١	٩	٢	٥	() ١٠٤/أ، ب
١	٩	٢	٦	() ١٠٦/أ
١	٩	٢	٧	() البقرة: ١٠٦
١	٩	٢	٨	() ٦٤/ب
١	٩	٢	٩	() ١٢/ب

ثم يقول : إنباه إياي أعني ونفسي أخاطب أين يذهب بك أيها اللاعب المتلاهي والبطال المتغافل أغفلت حظك ولهيت عن فوزك رب العالمين الرحمن الرحيم ذو العرش العظيم يدرك ويثني كلامه على تلاوتك..... إلى أن قال : إنا لله وإنا إليه راجعون وعند الله نحتسب غفلة التخلف ﴿وكأين من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون ، وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ، أفأمنا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله﴾ () ﴿إن ربنا لغفور شكور﴾ () .

وقال في تفسير كلمة ﴿الرحيم﴾ ()

فصل : كان الله جل جلاله ولا شيء قبله ولا موجود سواه ولما كتب في الذكر كل شيء ثم أوجد أوائل ما كتبه فكان ذلك ثناء لفردانيته ثم استوى على العرش فحمد كل شيء باستوائه على العرش إذ حيي باستوائه ذلك العبد الكلي واستوى أي كمل وتم كما شاءه المستوي العلي الكبير فهو جل ذكره لا يعزب عنه من موجودات عبده الكلي والجزئي مثقال ذرة في العلو ولا في المنتهى ولا ما هو أصغر من ذلك ولا أكبر فكان مقتضى اسمه الرحمن شامل للجمله ومقتضى اسمه الرحيم عام للمطيعين . ()

ويقول في ﴿إياك نعبد﴾ () وهي كلمة مركبة من أربعة أحرف هن حروف المعرفة الهمزة والباء والألف والكاف والهمزة صادرة من ذات المخاطب إلى الكاف التي هي لمواجهة المخاطب والياء والألف سبيل إلى ذلك وعماد له أشار بها السر المخاطب بالاخلاص للعبادة على حكم التوحيد المحض .. الخ .

ويقول : ﴿الم﴾ () ثلاثة حروف مرسومة ظاهرة وأربعة رءوس وستة توالي دخلت لضرورة النطق بالرءوس المرسومة الرءوس ولما كانت الهمزة إنما دخلت لضرورة النطق بالألف لحقت بالتوالي إذا سبعة والمرسومة ثلاثة فهي عشرة كانت هذه التوالي إلى أن قال :

فصل فالهمزة يعطي معناها هاهنا كلما ما أفهمته من معنى وما أعلمته من معلوم وكذلك الألف وكذلك اللام إذ هي أوائل المعاني في كل ما دخلت عليه كل صحيح معتبر الخ ()

فذكر في الحروف حوالي خمس صفحات :

١	٩	٣	٠	(يوسف : ١٠٥-١٠٧)
١	٩	٣	١	(١٤/ب ، فاطر : ٣٤)
١	٩	٣	٢	(الفاتحة : ٣)
١	٩	٣	٣	(١٥/ب)
١	٩	٣	٤	(الفاتحة : ٥)
١	٩	٣	٥	(البقرة : ١)
١	٩	٣	٦	(١٧/أ)

قال فيها : وعلى هذا السبيل تأولها حبر العرب عبد الله بن عباس رضي الله عنه حيث قال : ﴿الم﴾ أنا الله أعلم ،
 ﴿الر﴾ () أنا الله أعلم وأرى .^٧ ولإمعانه في العلم بالحروف^٢ لما سئل عن تفسير قوله جل وعز
 ﴿كهيعص﴾ () قال : لو أخبرتكم بتفسيرها لكفرتوني وفي أخرى لكفرتكم أي بتكذيبكم الحق .^٩
 وقال : وأما دلالة الميم المتأخرة الموجودة في حرف لام وحرف الميم فنقول هو الله لا إله إلا هو الحليم
 الحكيم.... الماضي والمضاء والتمادي والأمر النافذ والتدبير المبرم هكذا ويدخل في الاعتبار والأحكام
 والقصاص.... الخ ()

ورجع للحروف مرة أخرى بعد أن تكلم عن نزول القرآن على سبعة أحرف .

وعقد عدة فصول تحت قوله ﴿الذين يؤمنون بالغيب﴾ ()

قال في بعضها : ومصدق هذا قول الله عز وجل ﴿ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا﴾ () وأخبر
 جل جلاله أن ذلك من أمره أنزله إلينا وأعظم اليسر ما يفتحه الله
 عز وجل على بواطن المتقين وينزله عليهم من فتوحاته وإلهامه.... الخ ()

قال : ثم درجة أخرى منها تترقى إليها إن سمت بك همة وهي ستة معالم احتوت على معارف أحكام
 الملكوت التي أطلع الله جل ثناؤه عليها خصوص عباده وكلفهم تعلم علمها..... الخ () فذكر قرابة
 عشرين صفحة في الغيب .

وعندما مر بقوله تعالى ﴿إن الصفا والمروة﴾ () تركه ومضى ولم يفسره إلى أن جاء قوله تعالى ﴿إن
 في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار﴾ () فأسهب فيه فذكر قرابة اثنتين وخمسين
 صفحة () وتكلم عن الفلك والظواهر الكونية فأطال جدا .^٤

١	٩	٣	٧	() يونس : ١
١	٩	٣	٨	() مريم : ٢
١	٩	٣	٩	() ١٨/أ
١	٩	٤	٠	() البقرة : ٣
١	٩	٤	١	() الطلاق : ٤
١	٩	٤	٢	() ٢٦/أ
١	٩	٤	٣	() ٢٧/ب
١	٩	٤	٤	() البقرة : ١٥٨
١	٩	٤	٥	() آل عمران : ١٩٠
١	٩	٤	٦	() ٧٢/أ-٩٨/ب

٤

٧

وقال في قوله تعالى: ﴿ولكم في القصاص حياة﴾ ()

أحد وجهي الخطاب معناه وهو الأظهر إرادة التشديد والزجر في حرمة للدماء بقتل القاتل من كان وهو الحق والصواب والحكمة .

والوجه الثاني وهو الأظهر في آخر الآية : القصاص من الأنفس قوله ﴿لعلكم تتقون﴾ إنه القصاص من الأنفس وتلك سنة أولي الألباب من كانت ذنوبه بكثرة الضحك يقاص منها بكثرة البكاء ومن سهر في البطالة فليسهر في العبادة والاجتهاد... الخ ()

٤

٨

١	٩	٤	٧	() البقرة: ١٧٩
١	٩	٤	٨	() ١٠٣/ب

تفسير ابن عربي الصوفي
من خلال التفسير المنسوب إليه
وكتابه فصوص الحكم والفتوحات المكية



مؤلف هذا التفسير هو محيي الدين محمد بن علي بن محمد ابن عربي الحاتمي الأندلسي الصوفي ت
٦٣٨هـ وهو من الوافدين على المنطقة ، دخل سبته وبجاية وغيرها (١٩٤٤).

التعريف بالتفسير :

وتفسيره المنسوب إليه تفسير باطني صوفي اتحادي فلسفي لا علاقة له بالتفسير ، وهو تفسير مطبوع
باسم تفسير القرآن الكريم لابن عربي ويقع في مجلدين من منشورات دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة
والنشر ط.١ بيروت ١٣٨٧هـ ويؤيد اتجاهه فيه النقول التفسيرية التي سوف نذكرها من الفصوص
والفتوحات المكية ، وكلاهما له بلا جدال .

المنهج العام للتفسير :

بذكر المصنف في هذا التفسير مجموعة من الآيات يقوم بتفسيرها بناء على فكرة وحدة الوجود وكل همه
منصب على تقرير تلك الفكرة الإلحادية التي ليست بمعزل عن منهج ابن عربي العام ، لذا فإن الطعن في
نسبة الكتاب له لا أرى لها وحها حيث إن المنهج واحد والأفكار متشابهة .
وربما ذكر حديثا أو تعرض لشيء من اللغوبات وأبيات الشعر .
وأنقل هنا نصا من الفتوحات قرر فيه ابن عربي عقيدته ومنها يكون الانطلاق للحديث عن النصوص
التفسيرية :

يقول : فقلنا : العزة الإنسانية كالحضرة الإلهية لا بل هي عينها . (١٩٥٤)

() تقدمت ترجمته في الوافدين^٩ برقم ٨١ ٤
() الفتوحات ٢٤١/١ . ٥

وبعد أن ذكر عقيدة تقارب عقيدة المسلمين وأشهد على نفسه باعتقادها قال : فهذه عقيدة العوام من أهل الإسلام أهل التقليد وأهل النظر ... ثم أتلوها إن شاء الله بعقيدة الناشئة الشاذية ثم أتلوها بعقيدة خواص الله من أهل طريق الله _ من المحققين _ أهل الكشف والوجود

وأما التصريح بعقيدة الخلاصة فما أفردتها على التعيين لما فيها من الغموض ... فمن رزقه الله الفهم فيها يعرف أمرها ... فإنها العلم الحق والقول الصدق ... ويستوي فيها البصير والأعمى تلحق الأبعاد بالأداني وتلحم الأسافل بالأعالي والله الموفق لا رب سواه . (١٩٥١)

وكما سبق في شبيهه النعمان بن حيون الباطني أقول هنا فلندع النصوص تحدث عن نفسها :

في الفتوحات يقول في قوله تعالى : ﴿ مرج البحرين يلتقيان فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾ (١٩٥٢) هل بالبحر الذي أوصله به فأفناه عن الأعيان ؟ أو بالبحر الذي فصله عنه وسماه بالأكوان ؟ أو بالبرزخ الذي استوى عليه الرحمن ؟ ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾

يخرج من بحر الأزل اللؤلؤ ، ومن بحر الأبد المرجان ، ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾ ﴿ وله الجوار ﴾ (١٩٥٣) الروحانية ﴿ المنشئات ﴾ من الحقائق الأسمائية ﴿ في البحر ﴾ الذاتي الأقدس ﴿ كالأعلام فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾ (١٩٥٤) .

يسأله العالم العلوي على علوه وقدسهِ والعالم السفلي على نزوله ونجسه كل خطرة في شأن الخ ويقول : فهكذا لو اعتبر القرآن لما اختلف اثنان ولا ظهر خصمان ولا تناطح عنزان فتدبروا آياتكم ولا تخرجوا عن ذاتكم (١٩٥٤) ويقول :

واعلموا أن بسملة سورة براءة هي التي في سورة النمل فإن الحق سبحانه وتعالى إذا وهب شيئاً لم يرجع فيه ولا يرده إلى العدم فلما خرجت رحمة براءة وهي البسملة حكم التبري من أهلها برفع الرحمة عنه فوقف الملك بما لا يدري أين يضعها فقال تعالى أعطوا هذه البسملة للبهائم التي آمنت بسليمان الخ (١٩٥٤)

ويقول تحت فصل بدو العالم ومناله الهباء والحقيقة المحمدية :

١	٩	٥	١	() الفتوحات ١/١٧٣ .
١	٩	٥	٢	() الرحمن : ١٩-٢١
١	٩	٥	٣	() الرحمن : ٢٤
١	٩	٥	٤	() الرحمن ٢٤-٢٥
١	٩	٥	٥	() (١/٢٧١-٢٧٢ .
١	٩	٥	٦	() (١/٣٥٥ .

فلما أراد تعالى وجود العالم وبدأه على حد ما علمه بعلمه بنفسه انفعَل عن تلك الإرادة المقدسة بضرب
تجل من تجليات التنزيه إلى الحقيقة الكلية نقول انفعَل عنها حقيقة تسمى الهباء وهذا أول موجود
في العالم وقد ذكره علي بن أبي طالب رضي الله عنه وسهل بن عبد الله التستري رحمه الله وغيرهما من
أهل التحقيق أهل الكشف والوجود ثم إنه سبحانه تجلى بنوره إلى ذلك الهباء أصحاب الأفكار
الهيولي الكلي قال تعالى ﴿مثل نوره كمشكاة فيها مصباح﴾^(١٩٥٧) فُتَبِه نوره بالمصباح فلم
يكن أقرب إليه تعالى قبولاً في ذلك الهباء إلا حقيقة محمد ﷺ بالعقل فكان سيد العالم بأسره وأول
ظاهر في الوجود فكان وجوده من ذلك النور الإلهي ومن الهباء والحقيقة الكلية وفي الهباء وجد عينه
وعين العالم من تجليه وأقرب الناس إليه علي بن أبي طالب وأسرار الأنبياء . (١٩٥٨)

ومن تفسيره نقل هذه المقاطع :

قال :

﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به﴾^(١٩٥٩) إشارة إلى أن الشقاوة العلمية الاعتقادية مخلدة لا تتدارك أبدا
دون العملية أي لا يستر بوجوده ولا يفنى بذاته من يثبت غيره في الوجود^(١٩٦٠)

قال :

﴿ولو أنا كتبنا عليهم﴾^(١٩٦١) أي فرضنا عليهم ﴿أن اقتلوا أنفسكم﴾ بقمع الهوى الذي هو حياتها
وإفناء صفاتها ﴿أو اخرجوا من دياركم﴾ مقاماتكم التي هي الصبر والتوكل والرضا وأمثالها لكونها حاجبة
عن التوحيد كما قال الحسين بن منصور قدس الله روحه لإبراهيم بن أدهم رحمه الله لما سأله عن حاله
وأجابه بقوله : أدور في الصحاري وأطوف في البراري حيث لا ماء ولا شجر ولا روض ولا مطر هل
يصح حالي في التوكل أم لا ؟ فقال : إذا أفنيت عمرك في عمران بطنك فأين الفناء في التوحيد^(١٩٦٢)

قال :

١	٩	٥	٧	() النور : ٣٥
١	٩	٥	٨	() ٢٢٦/٢ - ٢٢٧ .
١	٩	٥	٩	() النساء : ٤٨
١	٩	٦	٠	() ٢٦٤/١
١	٩	٦	١	() النساء : ٦٦
١	٩	٦	٢	() ٢٧٥/١

﴿وإذا ضربتم في الأرض...﴾^(٢) وإذا سافرتم في أرض الاستعداد بالطريق العلمي لطلب اليقين فليس عليكم جناح أن تقصروا من الأعمال البدنية وأداء حقوق العبودية من الشكر والحضور لقوله عليه الصلاة والسلام “من أوتي حظه من اليقين فلا يبالي بما انتقص من صلاة وصوم”^{(٤) ١٩٦٤}

وقال :

﴿فآمنوا بالله ورسوله﴾^(٤) بالجمع والتفصيل ولا تقولوا ثلاثة بزيادة الحياة والعلم على الذات فيكون الإله ثلاثة أشياء ويكون عيسى جزء من حياته بالنفخ أو بالفرقة بين ذات الحق وعالم النور وعالم الظلمة ويكون عيسى متولدا من نوره بل قولوا بالكل من حيث هو كل فيكون العلم والحياة عن الذات وكذا عالم النور والظلمة ويكون عيسى فانيا غير موجودا بوجوده حيا بحياته عالما بعلمه وذلك وحدته الذاتية المعبر عنها بقوله ﴿إنما الله إله واحد سبحانه﴾^{(٤) ١٩٦٤} نزهة أن يكون موجود غيره فيتولد منه وينفصل ويجانسه بأنه موجود مثله بل هو الموجود من حيث هو موجود^{(٤) ١٩٦٤}.

وقال : ﴿لن تراني﴾^(٤) إشارة إلى استحالة الاثنية وبقاء الإنية في مقام المشاهد كقوله

إذا تغيبت بدا وإن بدا غيبي^{(٤) ١٩٦٤}

وعند قوله تعالى ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسول...﴾ إلى قوله كأنهم لا يعلمون﴾^{(٤) ١٩٧٠} يقول :

والظاهر أن جبرئيل هو العقل الفعال وميكائيل هو روح الفلك السادس وعقله المفيض للنفس الحيوانية الكلية الموكلة بالحيوانات وعزرائيل هو روح الفلك السابع الموكل بالأرواح الإنسانية كلها يقبضها بنفسه أو بالوسائط التي هي أعوانه ويسلمها إلى الله تعالى .^{(٤) ١٩٧٠}

١	٩	٦	٣	(النساء : ١٠١)
١	٩	٦		(٢٨١/١ . وهذا الحديث ثم أقف له على أصل .)
١	٩	٦	٥	(النساء : ١٧١)
١	٩	٦	٦	(النساء : ١٧١)
١	٩	٦	٧	(٣٠١/١)
١	٩	٦	٨	(الأعراف : ١٤٣)
١	٩	٦	٩	(٤٤٩/١)
١	٩	٧	٠	(البقرة : ٨٧)
١	٩	٧	١	(٥١/١)

قال :

﴿ق﴾^(٧٤) إشارة إلى القلب المحمدي الذي هو العرش الإلهي المحيط بالكل كما أن ﴿ص﴾^(١٩٧٣) إشارة إلى صورته على ما رمز إليه ابن عباس في قوله: ﴿ص﴾ جبل بمكة كان عليه عرش الرحمن حيث لاليل ولا نهار . ولكونه عرش الرحمن قال : “قلب المؤمن عرش الله”^(٩٧٤). وقال : “لا يسعني أرضي ولا سمائي ويسعني قلب عبدي المؤمن”^(١٩٧٤)

قال :

﴿قل أعوذ برب الناس﴾^(١٩٧٤) رب الناس هو الذات مع جمع الصفات لأن الانسان هو الكون الجامع الحاصر لجميع مراتب الوجود فربه الذي أوجده وأفاض عليه كماله هو الذات باعتبار جميع الأسماء بحسب البداية المعبر عنها بالله ولهذا قال تعالى ﴿مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدي﴾^(١٩٧٢) بالمتقابلين من الصفات كاللطف والقهر والجمال والجلال الشاملين لجميعها^(١٩٧٨)

وهذه أمثلة لبعض نقوله الأثرية خلا ما تقدم في كلامه :

قال :

﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً﴾^(٧٤) ولهذا قال أمير المؤمنين عليه السلام : لا بد للناس من إمام بر أو فاجر . قال رسول الله ﷺ : “من فارق الجماعة قيد شبر لم ير محبوبحة الجنة”^(٩٨٤). وقال : “الله مع

-
- ١ () ق : ١ ٢ ٦ ٩
- ١ () ص : ١ ٣ ٧ ٩
- ١ () موضوع . انظر الموضوعات للصغاني ٧٠/١ ، كشف الخفا رقم ١٨٨٦ ٩
- ١ () ٥٢٦/٢ . والحديث المذكور لا أصل له . انظر : سلسلة الأحاديث التي لا أصل لها ٣/١ ، وانظر أيضا أحاديث القصاص ١/١
- ١ () الناس : ١ ٦ ٧ ٩
- ١ () ص : ٧٥ ٧ ٧ ٩
- ١ () ٨٧٣/٢ ٨ ٧ ٩
- ١ () آل عمران : ١٠٣ ٩ ٧ ٩
- ١ () أخرجه الترمذي - كتاب الفتن - باب ماجاء في لزوم الجماعة ٤/٤٦٥ عن عمر مرفوعا بلفظ : من أراد محبوبحة الجنة فليزم الجماعة . وقال : حسن صحيح غريب .

الجماعة”^(١٩٨) ولما نزل قوله تعالى ﴿وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا سَبِيلَهُ﴾ ^(١٩٨) خط رسول الله ﷺ خطأ فقال : “هذا سبيل الرشده” ثم خط عن يمينه وشماله خطوطا فقال : “هذه سبيل الشيطان يدعوهُ إليه”^(١٩٨٤)

قال :

عن أنس عن النبي ﷺ أنه قال “أسست السموات السبع والأرضون السبع على قل هو الله أحد” . وهو معنى صمديته . ^(١٩٨٤)

ومن مواضع ذكره للشعر قوله :

لأن المتوكل على الله الصابر على بلائه المستعين به لا بغيره ظافر في طلبته الخ كما قال الشاعر

من استعان بغير الله في طلب فإن ناصره عجز وخذلان^(١٩٨٤)

وقوله تحت قوله ﴿وليمحص ما في قلوبكم﴾ ^(١٩٨٤) وقال رسول الله ﷺ بيانا لفضله : “ما أودى نبي مثل

ما أوديت”^(١٩٨٤) . ولقد أحسن من قال

لله در النائبات فإنها صدأ اللثام وصيقل الأحرار

وهذه النقول من الفصوص والفتوحات على نفس الأسلوب المتقدم في معالجة التفسير :

يقول في قوله تعالى في شأن إدريس عليه السلام : ﴿ورفعناه مكانا عليا﴾ ^(١٩٨٨)

١ () المرجع السابق عن ابن عباس مرفوعا بلفظ : يد الله مع الجماعة . وقال الترمذي : حسن غريب .

١ () الأنعام : ١٥٣ ٢ ٨ ٩

١ () ٢٠٨/١ والحديث أخرجه أحمد في مسنده رقم ٤١٤٣،٤٤٣٧ عن ابن مسعود مرفوعا بنحوه . وقال أحمد شاكر : إسناده صحيح .

١ () ٨٧١/٢ والحديث لا يصح أنظر : أسنى المطالب ١/١٨٦ وهو مروى عن كعب الأحبار من قوله بنحوه رواه عنه ابن جرير ٣٤٧/٣٠ وغيره (انظر الدر ٦/٤٦٥)

١ () ٢١٦/١ ٥ ٨ ٩

١ () آل عمران : ١٥٤ ٦ ٨ ٩

١ () أخرجه ابن حبان في صحيحه - باب ذكر البيان بأن المصطفى قد أودى . . . ١٤/٥٩ عن أنس بلفظ : لقد أوديت في الله وما يؤذى أحد .

١ () مريم : ٥٧ ٨ ٨ ٩

وأعلى الأمكنة المكان الذي تدور عليه رحى عالم الأفلاك وهو فلك الشمس وفيه مقام روحانية إدريس وتحتة سبعة أفلاك وفوقه سبعة أفلاك وهو الخامس عشر ثم ذكر الأفلاك التي تحتها والتي فوقه ثم قال :
وأما علو المكانة فهو لنا أعنى المحمدين كما قال تعالى : ﴿ وَأنتم الأعلىون والله معكم ﴾^(١٩٤) هذا العلو وهو يتعالى عن المكان لا عن المكانة .

ويقول في قوله تعالى ﴿ ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه ﴾^(١٩٥) وقوله عند ربه العامل في الظرف في طريقنا ، قوله ومن يعظم أي من يعظمها عند ربه ، أي في ذلك الموطن كان خيرا له ... والمؤمن إذا نام على طهارة فروحه عند ربه ، فيعظم هناك حرمة الله ، فيكون الخير الذي له في مثل هذا الموطن المبشرة التي تحصل له في نومه أو يراها له غيره . والمواطن التي يكون العبد فيها عند ربه كثيرة فيعظم فيها حرمات الله على الشهود .^(١٩٦)

وفي قوله تعالى ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه ﴾^(١٩٧) يقول :

فعلماء الرسوم يحملون لفظ قضى على الأمر ، ونحن نحمله على الحكم كشفا ... وهو الصحيح ؛ فإنهم اعترفوا أنهم ما يعبدون هذه الأشياء إلا لتقربهم إلى الله زلفى ، فأنزلهم منزلة النواب الظاهرة بصورة من استنابهم ، وما ثم صورة إلا الألوهية فنسبوا إليهم . ولهذا يقضى الحق حوائجهم إذا توسلوا بها إليه غيرة منه على المقام أن يهتضم ، وإن أخطأوا في النسبة فما أخطأوا في المقام ، ولهذا قال : ﴿ إن هي إلا أسماء سميتوها ﴾^(١٩٨) أي أنتم قلمت عنها : إنها ألهة ... وإلا فسموهم ، فلو سموهم لقالوا : هذا حجر ، أو شجر ، أو ما كان ، فتتميز عندهم بالاسمية ؛ إذ ما كل حجر عبد ولا اتخذ إله ، ولا كل شجر ، ولا كل جسم منير ، ولا كل حيوان . فله الحجة البالغة عليهم بقوله : ﴿ قل سموهم ﴾^(١٩٩)

وإنما الخطأ في إثبات الغير وهو القول بالشرك ، فهذا القول بالعدم : لأن الشريك ليس ثم ، وذلك لا يغفره الله ، لأن الغفر الستر ، ولا يستر إلا من له وجود ، والشريك عدم فلا يستر ... فهي كلمة تحقيق ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ﴾^(٢٠٠) لأنه لا يجده . فلو وجد له لصح وكان للمغفرة عين تتعلق بها ، وما في الوجود من يقبل الأضداد إلا العالم من حيث ما هو واحد ، وفي هذا الواحد ظهرت الأضداد ، وما

١	٩	٨	٩	() محمد : ٣٥
١	٩	٩	٠	() الحج : ٣٠
١	٩	٩	١	() الفتوحات ١١٥/٤
١	٩	٩	٢	() الإسراء : ٢٣
١	٩	٩	٣	() النجم : ٢٣
١	٩	٩	٤	() الرعد : ٣٣
١	٩	٩	٥	() النساء : ٤٨

هي إلا أحكام عين الممكنات في عين الوجود التي بظهورها علمت الأسماء الإلهية المتضادة وأمثالها .
١٩٩(٢)

وفي تفسيره لقوله تعالى ﴿فادخلي في عبادي وادخلي جنتي﴾^(٧) يقول :

وادخلي جنتي التي هي ستري وليست جنتي سواك فأنت تسترني بذاتك الإنسانية فلا أعرف إلا بك كما أنك لا تكون إلا بي فمن عرفك عرفني أنا لا أعرف فأنت لا تعرف ، فإذا دخلت جنته دخلت نفسك فتعرف نفسك معرفة أخرى غير المعرفة التي عرفتها حين عرفت ربك بمعرفتك إياها فتكون صاحب معرفتين معرفة به من حيث أنت ومعرفة بك من حيث هو لا من حيث أنت ، فأنت عبد أنت رب ، وأنت رب لمن فيه أنت عبد ، وأنت رب وأنت عبد لمن في الخطاب عهد ... الخ^(٨) ١٩٩(٨)

ونحنم تلك النقول بما ذكره في قوله تعالى ﴿ إن الذين كفروا سواء عليهم ءأندرتهم أم لم تنذرهم ...﴾^(٩) يقول :

يا محمد ﴿ إن الذين كفروا ﴾ ستروا محبتهم فيّ دعهم فسواء عليهم ءأندرتهم بوعيدك الذي أرسلتك به ، أم لم تنذرهم لا يؤمنون بكلامك فإنهم لا يعقلون غيري ، وأنت تنذرهم بخلقي وهم ما عقلوه ولا شاهدوه ، وكيف يؤمنون بك وقد ختمت على قلوبهم فلم أجعل فيها متسعا لغيري ، وعلى سمعهم فلا يسمعون كلاما في العالم إلا مني ، وعلى أبصارهم غشاوة من بهائي عند مشاهدتي، فلا يبصرون سواي ، ولهم عذاب عظيم عندي .. أردهم بعد هذا المشهد السني إلى إنذارك وأحجبهم عني ، كما فعلت بك بعد قاب قوسين أو أدنى قربا ... أنزلتك إلى من يكذبك ، ويرد ما جئت به إليه مني في وجهك ، وتسمع في ما يضيق له صدرك ، فأين ذلك الشرح الذي شاهدته في إسرائيل ؟ فهكذا أمنائي على خلقي الذين أخفيتهم رضاي عنهم .^(١٠) ٢٠٠(١٠)

وهذا التفسير الذي ذهب إليه ابن عربي في فتوحاته قد خالفه في كتاب آخر سلك فيه منهج التفسير الظاهر وهو إيجاز البيان في الترجمة عن القرآن وهو مخطوط منه نسخة مصورة على الميكروفيلم بالجامعة

١	٩	٩	٦	() الفتوحات ١١٧/٣
١	٩	٩	٧	() الفجر: ٢٩،٣٠
١	٩	٩	٨	() الفصوص ١٩١/١
١	٩	٩	٩	() البقرة: ٦
٢	٠	٠	٠	() الفتوحات ١١٥/١

الإسلامية قد رجعت إليها وهي تقع في ثمانية أجزاء وخطها جميل واضح ١٥٨ ورقة تنتهي عند قوله ﴿تلك الرسل....﴾^(١) منقولاً من أصل بخط المؤلف ١٣٢٣هـ فقال :

قوله : ﴿إن الذين كفروا﴾^(٢) الآية يقول : بكل ماتقدم ذكره ، الكافر هو السائر للحق والساترون للحق على قسمين قسم يسترون الحق مع معرفتهم بأنه الحق فلا يمكن أن يستروه عن نفوسهم بل ستروه عن الغير بما يوردونه من الشبه المضلة والتشكيكات الصارفة عن ظهوره وهو قوله ﴿يعرفونه كما يعرفون أبناءهم﴾^(٣) فهؤلاء جاحدون . والقسم الآخر هو الذي ستر الحق عن نفسه بما ظهر له من الشبه فقامت له ستر بينه وبين الحق فيسمى أيضا بهذا كافرا لأنه ماوفى النظر حقه في الأدلة فالأول معاند والثاني مفرط قال الله لنبيه عليه السلام : ﴿سواء عليهم﴾^(٤) ولم يقل : عليك ، ﴿أنذرتهم﴾ يقول : خوفتهم وأعلمتهم بأسباب السعادة والشقاء ﴿أم لم تنذرهم﴾ يقول : أو سكت عنهم ﴿لا يؤمنون﴾ يقول : لا يصدقون إما عنادا وجحدا وإما جهالة.... الخ^(٥) ٢٠٠٤

ويبدو أن الرجل متخبط أو متظاهر بموافقة أهل العلم في التفسير بالظاهر وقت الاحتياج إلى ذلك ، ويكتب ما يكتب من القول بالباطن لمن هو على شاكلته وقد قدمت في ترجمته ما يمكن أن يبرر له ذلك فقد كان علماء مصر قد أفتوا بإراقة دمه ولم ينح إلا بصعوبة .

٢	.	.	١	(البقرة : ٢٥٣)
٢	.	.	٢	(البقرة : ٦)
٢	.	.	٣	(البقرة : ١٤٦)
٢	.	.	٤	(البقرة : ٦)
٢	.	.	٥	(١٢/أ)

تفسير ابن عجيبة الصوفي

من خلال كتابه البحر المديد



مؤلف هذا التفسير هو أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي ابن عجيبة الأنجري الصوفي الفاسي ت
١٢٢٤هـ من أهل المنطقة وتوفي ببلدته أنجرة () .

التعريف بالتفسير :

وتفسيره هذا المسمى "البحر المديد في تفسير القرآن المجيد" من التفاسير المخطوطة وقد طبع قديما بدار
الثناء للطباعة بمصر سنة ١٣٧٣هـ جزء من أوله ينتهي عند قوله تعالى ﴿إِن فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَإِخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ ()
والكتاب تحت الطبع الآن في دار الكتب المصرية . وقد اعتمدت في هذه الدراسة الجزء المطبوع .

المنهج العام للتفسير :

وتفسير البحر المديد تفسير صوفي إشاري لا يغفل التفسير بالظاهر وطريقة مؤلفه فيه أنه يقسم السورة إلى
مقاطع ثم يقوم بتفسير كل مقطع حسب مايقنضيه الظاهر ويتبع ذلك بالنفسير الإشاري .
وقد ذكرت في ترجمة المصنف السبب الباعث له على تأليف هذا التفسير ، ومما قاله في مقدمته :
...فإن علم تفسير القرآن من أجل العلوم ، وأفضل ما ينفق فيه نتائج الأفكار وقرائح الفهوم ولكن
لا يتقدم لهذا الخطر الكبير إلا العالم النحرير ، الذي رسخت أقدامه في العلوم الظاهره عربية وتصريفها ،
ولغة وبيانا وفقها وحديثا وتاريخا يكون أخذ ذلك من أفواه الرجال ثم غاص في علوم التصوف ذوقاً
وحالا ومقالا ، بصحبة أهل الأذواق من أهل الكمال ، وإلا فسكوته عن هذا الأمر العظيم أسلم ،
واشغاله بما يقدر عليه من علم الشريعة الظاهرة أتم ، واعلم أن القرآن العظيم له ظاهر لأهل الظاهر
وباطن من لأهل الباطن ، وتفسير أهل الباطن لا يذوقه إلا أهل الباطن ، ولا يفهمه غيرهم ولا يذوقه
سواهم ، ولا يصح ذكره إلا بعد تقدير الظاهر ثم يشير إلى علم الباطن بعبارة رقيقة وإشارة دقيقة ، فمن

() تقدمت ترجمته في أهل المنطقة برقم ٣٨

() آل عمران : ١٩٠ : ٧

لم يبلغ فهمه لذوق تلك الأسرار ، فليسلم ولا يبادر بالإنكار ، فإن علم الأذواق من وراء طور العقول ، ولا يدرك بتواتر النقول . قال في لطائف المنن : اعلم أن تفسير هذه الطائفة - يعني الصوفية - لكلام الله وكلام رسوله ﷺ بالمعاني الغريبة ليس إحالة للظاهر عن ظاهره ولكن ظاهر الآية مفهوم منه ما جاءت الآية له عليه في حرف اللسان وشم أفهام باطنه تفهم من الآية والحديث لمن فتح الله قلبه . وقد جاء أنه عليه السلام قال : لكل آية ظاهر وباطن ، وحد ومطلع - فلا يصدنك عن تلقى المعاني الغريبة منهم أن يقول لك ذو جدل ومعارضة : هذا إحالة لكلام الله عز وجل وكلام رسوله ﷺ فليس ذلك بإحالة وإنما يكون إحالة لكلام الله لو قالوا لا معنى للآية إلا هذا ، وهم لا يقولون ذلك ، بل يقرون الظواهر على ظواهرها ومراداتها وموضوعاتها ويفهمون عن الله ما أفهمهم .^٨

وهو ينقل في هذا التفسير عن أساتذة التصوف ومشاهيره مثل أبي العباس المرسي^(٩) والقشيري^(١٠) وأبي الحسن النوري^(١١) ، وابن الفارض ويقول ﷺ^(١٢) ، والحلاج ويقول ﷺ^(١٣) ، وأبي يزيد البسطامي^(١٤) ، وشيخ المشايخ القطب الجيلاني^(١٥) ، وأبي الحسن الشاذلي^(١٦) ، ومحي الدين ابن عربي^(١٧) ، والجنيد^(١٨) ، وذو النون^(١٩) ، وابن الفارض^(٢٠) ، ورابعة العدوية^(٢١) ، والحارث المحاسبي^(٢٢) ، ابن أبي مدين^(٢٣) ، صاحب الحكم العطائية^(٢٤) ، الششتري^(٢٥) ، وغيرهم .

٢	.	.	٨	() ص ٤-٥
٢	.	.	.	() ص ٩٢، ١٤، ٢٣، ٥٣، ٩١
٢	.	١	.	() ص ١١٢، ١١٦، ٣٦، ٧٥
٢	.	١	١	() ص ٣٨، ٤١، ٥٤
٢	.	١	٢	() ص ٥١
٢	.	١	٣	() ص ٥٣
٢	.	١	٤	() ص ٥٦
٢	.	١	٥	() ص ٥٦
٢	.	١	٦	() ص ٩٢، ١٣٣، ٧٨
٢	.	١	٧	() ص ٨٥
٢	.	١	٨	() ص ١٠، ٨٥
٢	.	١	٩	() ص ٩٠
٢	.	٢	.	() ص ١٣٢
٢	.	٢	١	() ص ١٣٣
٢	.	٢	٢	() ص ١٣٤
٢	.	٢	٣	() ص ١٧٥، ١٨
٢	.	٢	٤	() ص ٢٣

ومن المصادر التي يجيل عليها من التفاسير تفسير الفاتحة الكبير له () وينقل عن الرازي () ،
 والبيضاوي () والواحدي والإقليشي^٨ () وابن جزري () ، والمحشي الفاسي () ،
 والزخشري () ، وابن عطية () ، والثعلبي () ، والسيوطي () . كما ينقل عن الغزالي () ، وابن
 البنا () ، وغيرهما

المنهج التفصيلي للمؤلف :

أولاً : أسماء السور وعدد الآيات والوقوف وبيان المناسبات :

يتعرض ابن عجيبة لعد الآي قوله : قال سيدنا علي كرم الله وجهه : أول سورة نزلت بالمدينة سورة البقرة
 ، وفيها ستة آلاف ومائة وإحدى وعشرون كلمة ، ومائتان وستة وثمانون آية ، وقيل سبع وثمانون . ()
 وقد ذكر أسماء الفاتحة وعدد الآيات عند الشافعي ومالك .

وهو يحاول الربط بين الآيات بمناسبات مختصرة

مثل قوله :

ولما أراد الله تعالى أن يتكلم على الحج قدم الكلام على الأحوال لأنها سبب في وجوبه والوصول
 إليه . ()

٢	.	٢	٥	() ص ١٣٧ .
٢	.	٢	٦	() ص ٥٦ ، ٥ .
٢	.	٢	٧	() ص ٨ .
٢	.	٢	١١٠ ، ٩٧ ، ٨ ، ١١ ، ١١٥ ^٨ ، ١١٨ ، ١٣٧ .	() ص ١١ ، ٨ ، ٩٧ ، ١١٠ ، ١١٥ ^٨ ، ١١٨ ، ١٣٧ .
٢	.	٢	٩	() ص ٦ .
٢	.	٣	١٢ ، ١٢٧ ، ٧ .	() ص ٧ ، ١٢٧ ، ١٢ .
٢	.	٣	١	() ص ١١٢ .
٢	.	٣	٢	() ص ١٥٢ .
٢	.	٣	٣	() ص ١٥٧ ، ١٧٧ .
٢	.	٣	٤	() ص ١٥٢ .
٢	.	٣	٥	() ص ١٥٣ .
٢	.	٣	٦	() ص ٧ .
٢	.	٣	٧	() ص ٦٨ .
٢	.	٣	٨	() ص ٢٠ .
٢	.	٣	٩	() ص ١٥٤ .

وقال :

ولما أراد الحق تعالى أن يتكلم عن أحكام الحج قدم الكلام على الهلال لأنه معتبر في الحج أداء وقضاء ()

ثانيا : موقفه من العقيدة :

هذا هو الباب الأساسي في زيع هذا التفسير فانظر مثلا إلى قوله في حديثه عن الفاتحة : حمد نفسه بنفسه ، ومجد نفسه بنفسه ، وعظم نفسه بنفسه ، ووجد نفسه بنفسه ، ولله در السعدوى حيث قال :

ما وحد الواحد من واحد إذ كل من وحده جاحد

توحيد من ينطق عن نعته عارية أبطلها الواحد

توحيده إياه توحيده ونعت من ينعته لاحد

فقال في تمجيد نفسه بنفسه مترجما نفسه بنفسه : ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ () . ()

وهذا انحراف عقدي خطير إن لم يكن كفرا والعياذ بالله لأن "ما" النافية مع "من" تفيد الاستغراق وتنكير لفظة "واحد" تدل على شمول ذلك للرسل صلوات الله عليهم وهم قد وحدوا الله حق توحيده . أما توحيد هؤلاء فلاشك أن الرسل لم يوحدوا به الله لأنه عين الشرك وقد قال تعالى ﴿ ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين بل الله فاعبد وكن من الشاكرين ﴾ () وقال تعالى عن رسله ﴿ أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ﴾ ()

وقال أيضا مما يوحي بتأثره بوحدة الوجود وهو ما يظهر كثيرا في كلامه وإن خالفه غيره :

لا عبرة بظواهر الأشياء وإنما العبرة بالسر المكنون وليس ذلك إلا بظهور الحق وارتفاع عطاياه ، وزوارل أستاره وخفاياه ، فإذا تحقق ذلك التجلى والظهور ، استولى على الأشياء الفناء والدثور ، وانقشعت الظلمات بإشراق النور ، فهناك يبدو عين اليقين ، ويحق الحق المبين ، وعند ذلك تبطل دعوى المدعين ، كما يفهم العامة بطلان ذلك يوم الدين ، حين يكون الملك لله رب العالمين . وليت شعري أي وقت

٢	.	٤	.	() ص ١٥٥ .
٢	.	٤	١	() الفاتحة : ٢
٢	.	٤	٢	() ص ١٠
٢	.	٤	٣	() الزمر : ٦٥-٦٦
٢	.	٤	٤	() الأنعام : ٩٠

كان الملك لسواه حتى يقع التقييد ﴿الملك يومئذ لله﴾ () وقوله : ﴿والأمر يومئذ لله﴾ () لولا
الدعاوي العريضة من القلوب المريضة . ()

ويقول :

الطريق المستقيم الذي أمرنا الحق بطلبه ، هو طريق الوصول إلى الحضرة ، التي هي العلم بالله على نعت
الشهود والعيان ، وهو مقام التوحيد الخاص الذي هو أعلى درجات في التوحيد ، وليس فوقه إلا مقام
توحيد الأنبياء والرسل ، ولا بد فيه من تربية على يد شيخ كامل عارف بطريقة السير ، قد سلك
المقامات تذوقا وكشفا ، وجاز مقام الفناء والبقاء ، وجمع بين الجذب والسلوك ، لأن الطريق عويص ،
قليل خطاره ، كثير قطاعه ، وشيطان هذه الطريق فقيه بمقاماته ونوازله ، فلا بد فيه من دليل وإلا ضل
سالكه عن سواء السبيل . ()

أقول : والحمد لله الدليل هو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، والصراط الذي أمرنا بطلبه هو صراط النبيين
والصديقين والشهداء والصالحين ، لا الأقطاب والأغواث والمجازيب !!!

ويقول :

ثم افتتح السورة برموز رمز بها بينه وبين حبيبه فقال : ﴿الم﴾ () وقد حارت العقول في رموز الحكماء ،
فكيف بالأنبياء ؟ فكيف بالمرسلين ؟ فكيف بسيد المرسلين ؟ فكيف يطمع أحد في إدراك حقائق رموز
رب العالمين ؟ قال الصديق رضي الله عنه : في كل كتاب سر وسر القرآن فواتح السور اه فمعرفة أسرار
هذه الحروف لا يقف عليها إلا الصفوة من أكابر الأولياء ، وكل واحد يلتمس له على قدر صفاء شربه .
قال : قلت : والأظهر أنه حروف تشير للعوالم الثلاثة : فالألف لوحدة الذات في عالم الجبروت ، واللام
لظهور أسرارها في عالم الملكوت ، والميم لسريان أمدادها في عالم الرحمت ، والصاد لظهور تصرفها في
عالم الملك وكل حرف من هذه الرموز يدل على ظهور أثر تصرف الذات في عالم الشهادة فالألف يشير
إلى سريان الوحدة في مظاهر الكوان ، واللام يشير إلى فيضان أنوار الملكوت من بحر الجبروت ، والميم
يشير والميم يشير إلى تصرف الملك في عالم الملك .

٢	٠	٤	٥	() الحج : ٥٦
٢	٠	٤	٦	() الإنفطار : ١٩
٢	٠	٤	٧	() ص ١٠
٢	٠	٤	٨	() ص ١٧
٢	٠	٤	٩	() البقرة : ١

قال جعفر الصادق : لقد تجلى الله تعالى لخلقه في كلامه ولكن لا يشعرون . وقال أيضا وقد سأله عن حالة لحقته في الصلاة حتى خر مغشيا عليه ، فلما سرى عنه قيل له في ذلك فقال : ما زلت أردد الآية على قلبي حتى سمعتها من المتكلم بما فلم يثبت جسمي لمعاينة قدرته اه فدرجات القراءة ثلاث : أدناها: أن يقرأ العبد كأنه يقرأ على الله تعالى واقفا بين يديه ، وهو ناظر له ومستمتع منه فيكون حاله السؤال والتملق والتضرع والابتهاج ، والثانية : أن يشهد بقلبه كأن الله تعالى يخاطبه بألفاظه ، ويناجيه بإنعامه وإحسانه ، فمقامه الحياء والتعظيم والإصغاء والفهم ، والثالثة : أن يرى في كلام المتكلم ، فلا ينظر إلى نفسه ولا إلى قراءته ، بل يكون فانيا عن نفسه ، غائبا في شهود ربه ، لم يبق له عن نفسه إخبار ، ولا مع الله غير قرار . فالأولى لأهل الفناء في الأفعال ، والثانية في أهل الفناء في الصفات ، والثالثة لأهل الفناء في الذات ، رضي الله تعالى عنهم ، وحشرنا على مناجيهم ، آمين .

فلا ترضى بغير الله حبا
وكن أبدا بعشق واشتياق
ترى الأمر المغيب ذا عيان
وتحظى بالوصول وبالتلاقي

يامن غرق في بحر الذات وتيار الصفات ، ذلك الكتاب الذي تسمعه من أنوار ملوكتنا وأسرار جبروتنا ، لا ريب فيه أنه من عندنا ، فلا تسمعه من غيرنا ﴿فإذا قرأناه فاتبع قرآنه﴾ () فهو هاد لشهود ذاتنا ، ومرشد للوصول إلى حضرتنا لمن اتقى شهود غيرنا ، وغرق في بحر وحدتنا . ()

ويقول :

وقيل لأبي الحسن النوري : ماهذه الأماكن والمخلوقات الظاهرة ؟ فقال : عز ظاهر، وملك قاهر ، ومخلوقات ظاهرة به ، وصادرة عنه ، لا هي متصلة به ، ولا منفصلة عنه ، فرغ من الأشياء ولم تفرغ منه ، لأنها تحتاج إليه وهو لا يحتاج إليها .

كيف تنكرون ظهور نور الحق في الأكوان وتبعدون عن حضرة الشهود والعيان ، وقد كنتم أمواتا بالغفلة وغم الحجاب ، فأحياكم باليقظة والإياب ، ثم يميتكم بالفناء عن شهود ماسواه ، ثم يحييكم بالرجوع إلى شهود أثره بالله ، ثم إليه ترجعون في كل شيء ، لشهود نوره في كل شيء ، وقبل كل شيء ، وبعد كل شيء ، وعند كل شيء ، كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما عليه كان .

وفي بعض الكتب المنزلة يقول الله تعالى يا عبدي إنما منحتك صفاتي لتعرفني بها فإن أدعيتها لنفسك سلبتك الولاية ولم أسلبك صفاتي ، يا عبدي أنت صفتي وأنا صفتك فارجع إلي أرجع إليك ، يا عبدي فيك للعلوم باب مفتاحه أنا ، وفيك للجهل باب مفتاحه أنت فاقصد أي البابين شئت ... الخ .

() القيامة : ١٨

() ص ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣

ويقول : اعلم أن الروح القائمة بهذا الآدمي ، هي قطعة من الروح الأعظم ، التي هي المعاني القائمة بالأواني ، وهي آدم الأكبر ، والأب الأقدم ، وفي ذلك يقول ابن الفارض :
وإني وإن كنت ابن آدم صورة فلي فيه معنى شاهد بأبوتي
ويقول :

وقال بعض العارفين : الحق تعالى منزه عن الأين والجهة والكيف والمادة والصورة ومع ذلك لا يخلو منه أين ولا مكان ولا كم ولا كيف ولا جسم ولا جوهر ولا عرض لأنه للطفة سار في كل شيء ، ولنوريته ظاهر في كل شيء وإطلاقه وإحاطته متكيف بكل كيف غير متقيد بذلك فمن لم يعرف هذا ولم يذقه ولم يشهده فهو أعمى البصيرة ، محروم من مشاهدة الحق تعالى وهذه الإشارات لا يفهمها إلا أهل الأذواق من أهل المعاني تذوق أسرارهم وتفهم إشاراتهم وإلا فحسبك أن تعتقد كمال التنزيه وبطلان التشبيه وتمسك بقوله تعالى : ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾^(١) وسلم للرجال في كل حال .

وأقول : الأولى أن يقول : وسلم للمحال بكل حال ، ومن هم هؤلاء الرجال ؟ وما الضابط الذي يضبط لنا من نسلم له ممن لا نسلم له ؟ أهو السير عريانا في الشوارع أمثال سيدهم إبراهيم العريان؟^(٢)
أم إتيان الحمامة على قارعة الطريق بمرأى الناس أمثال سيدهم علي وحيش؟^(٣)
ويقول :

اعلم أن الأماكن والجهات وكل مآظهم من الكائنات قائمة بأنوار الصفات ممحوة بأحدية الذات كان الله محق الآثار بإجلاء الأنوار وامتحت الأنوار بأحدية الأسرار وانفرد بالوجود الواحد القهار والله در القائل :
مذ عرفت الإله لم أر غيرا وكذا الغير عندنا ممنوع
فمن كحل عين بصيرته بإثم الخاص لم يقع بصره إلا على الحق ولا يعرف إلا إياه ، ورأى الأشياء كلها قائمة بالله ، بل لا وجود لها مع الله ومن فتح الله سمع قلبه ، لم يسمع إلا من الحق ولا يسمع إلا به كما قال القائل :

أنا بالله أنطق ومن الله أسمع

(١) الشورى : ١١
(٢) انظر ترجمته وما جاء فيها في الطبقات الكبرى ص ٥٩٥
(٣) انظر ترجمته وما جاء فيها في الطبقات الكبرى ص ٦٠٦-٦٠٧

وقال الجنيد رحمه الله : لي أربعين سنة أناجي الحق ، والناس يرون أنني أناجي الخلق فالخلق محذوفون عند أهل العلم بالتحقيق ، مثبتون عند أهل الجهل والتفريق يقولون: ﴿لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية﴾ () مع أنه يكلمهم في كل وقت وساعة .

وينقل عن ابن عربي قوله :

من رأي الخلق لا فعل لهم فقد فاز ومن رآهم لا صورة لهم فقد جاز ومن رآهم بين العدم فقد وصل () وانظر أيضا () وقال : قال بعض العارفين : لو كُلفت أن أرى غيره لم أستطع فإنه لا غير معه حتى أشهده . ()

ويقول في مقامات التوحيد التي ذكرها تحت قوله تعالى ﴿والهكم إليه واحد﴾ () :

واعلم أن توحيد الخلق لله تعالى على قدرته درجات ، الأولى توحيد العامة وهو الذي يعصم النفس والمال وينجو به من الخلود في النار وهو نفي الشركاء والأنداد والصاحبة والأولاد والأشباه والأضداد ، الثانية توحيد الخاصة وهو أن يرى الأفعال كلها صادرة من الله وحده ويشاهد ذلك بطريق الكشف لا بطريق الاستدلال فإن ذلك حاصل لكل مؤمن وإنما مقام الخاصة يقين في القلب بعلم ضروري لا يحتاج إلى دليل وثمره هذا العلم الانقطاع إلى الله والتوكل عليه وحده فلا يرجو إلا الله ولا يخاف أحدا سواه إذ ليس يرى فاعلا إلا الله فيطرح الأسباب وينبذ الأرباب الدرجة الثالثة ألا يرى في الوجود إلا الله ولا يشهد معه سواه ، فيغيب عن النظر إلى الأكوان في شهود المكون وهذا هو مقام الفناء فإن رد إلى شهود الأثر بالله سمي مقام البقاء . ()

ومما يلحظ في هذا التفسير استخدام اسم الحق لله سبحانه وتعالى عند الكلام على التفسير سواء في الظاهر وفي الباطن وأخشى أن يكون ذلك تأثراً بالاتحادية الصوفية فإنهم يعتبرون أن كل ما في الوجود باطل والحق هو الله وحده ولم ألاحظ استخدام هذا الاسم من أحد المفسرين المتقدمين . ()

وهو يقول بأن الإنسان خليفة لله في الأرض فيقول في قوله تعالى : ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾ () : يخلفني في أرضي وتنفيذ أحكامي . ()

() البقرة: ١١٨

() ص١٠٠ .

() ص١٠١ .

() ص١٥٦ .

() البقرة: ١٦٣

() ص١٣١ .

() انظر كمثال : ص ٨، ٩، ٢٩، ٢٨، ١٣، ١٢ .

وانظر في وحدة الوجود () وذكره الشعر في ذلك . ()

ومن غلوه في طريقته يقول تحت قوله تعالى ﴿ لتكونوا شهداء على الناس ﴾ () :
ثم إن العلماء بأحكام الله ، إذا لم يحصل لهم الكشف عن ذات الله يكونون حجة على العامة يشهدون
على الناس ، والأولياء يشهدون على العلماء فيكون من يستحق التزكية ، ويردون من لا يستحقها لأن
العارفين بالله عالمون بمقامات العلماء أهل الظاهر . لا يخفي عليهم شيء من أحوالهم ومقاماتهم بخلاف
العلماء لا يعرفون مقامات الأولياء ولا يشمون لها رائحة كما قال القائل :

تركنا البحور الزاخرات وراءنا فممن أين يدري الناس أين توجهنا . ()

وله ردود سريعة على بعض الفرق ومن ذلك :

قوله في ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ () قال : قال ابن جزى : أي نطلب العون منك على العبادة
وعلى جميع أمورنا فهذا دليل على بطلان قول القدرية والجبرية وأن الحق بين ذلك . ()
ويقول : أما القرآن العظيم فلا بد من الإيمان أنه منزل على نبينا محمد ﷺ فمن اعتقد أنه منزل على غيره
كالروافض فإنه كافر بالإجماع () .

ثالثا : موقفه من تفسير القرآن بالقرآن :

ومن تفسيره القرآن بالقرآن وهو قليل قوله :

﴿ فتلقى ﴾ () أي أخذ ﴿ آدم من ربه كلمات ﴾ وهي ﴿ ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن
من الخاسرين ﴾ ()

٢	.	٦	٢	() البقرة : ٣٠
٢	.	٦	٣	() ص ٤٠ .
٢	.	٦	٤	() ص ٩٧ .
٢	.	٦	٥	() ص ٩٨
٢	.	٦	٦	() البقرة : ١٤٣
٢	.	٦	٧	() ص ١١٦ .
٢	.	٦	٨	() الفاتحة : ٤
٢	.	٦	٩	() ص ١٢ .
٢	.	٧	١٠	() ص ٢٤
٢	.	٧	١١	() البقرة : ٣٧

رابعا : موقفه من تفسير القرآن بالسنة :

وهو يذكر الأحاديث بكثرة إلا أنه لا يعتني بصحة الحديث من عدمها ومن ذلك ذكره أحاديث كثيرة في

التأمين ومن مصادره ابن ماجه وابن خزيمة وأبو داود ()

وقوله: وروى الترمذي الحكيم عن ابن عمر رضي الله عنهما يرفعه إلى رسول الله ﷺ قال : “أمتي كالمطر

لا يدري أوله خير أم آخره” . ()

وفي قوله تعالى ﴿ فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم ﴾ () قال : وقد كتب على اليهود القصاص

وحده وعلى النصارى العفو مطلقا وخيركم أيها الأمة المحمدية بين أخذ الدية والقصاص فمن اعتدى بعد

أخذ الدية وقتل فله عذاب أليم في الدنيا والآخرة في الدنيا بأن يقتل لا محالة لقوله عليه السلام : “لا

أعافي أحدا قتل بعد أخذ الدية” () .

ومن الأحاديث التي يذكرها بدون تحريج : “أولياء الله إذا رءوا ذكر الله” . ()

وانظر مثالا لحديث أخطأ فيه . ()

وانظر أمثلة أخرى للأحاديث ()

ومن الأحاديث الموضوعية التي ذكرها قوله :

وفي حديث طويل عن عائشة رضي الله عنها في قصة الحولاء امرأة من الأنصار قال لها رسول الله ﷺ :

“مامن امرأة حملت من زوجها حين تحمل إلا لها من الأجر مثل القائم ليله الصائم نهاره والغازي في

سبيل الله وما من امرأة يأتيها الطلق إلا كان لها بكل طلقة عتق نسمة وبكل رضعة عتق رقبة ، فإذا

فطمت ولدها ناداها مناد من السماء قد كفيت العمل فيما مضى ، فاستأنفي العمل فيما بقي” قالت

عائشة رضي الله عنها : قد أعطى النساء خيرا كثيرا ، فما لكم يامعشر الرجال ، فضحك النبي ﷺ ثم

() ص ٤٣ ، الأعراف : ٢٣ ٢

() ص ١٩ . ٣

() ص ٩٢ . والحديث أخرجه الترمذي (وهو غير الحكيم) - كتاب الأمثال ١٥٢/٥ بنحوه عن أنس وقال : حسن غريب . وأما حديث ابن عمر فهو عند الطبراني وانظر (المقاصد الحسنة رقم ٩٩٧)

() البقرة : ١٧٨ ٥

() سبق تحريجه . ٦

() الحديث أخرجه الحكيم الترمذي عن أنس بلفظ : “أفضلكم الذين إذا ...” وقال الألباني: ضعيف (ضعيف الجامع رقم ١١٤٨) . وانظر أيضا ص ٦٥ ، ١٢٦ .

() انظر ص ١٣١ . ٨

() ص ١٧٩ ، ١٤٣ ، ١٤٢ ، ١٣٨ ، ٧٠ ، ٨١ ، ٨٣ ، ١٧٩ . ٧

قال : “ممن رجل مؤمن يأخذ بيد امرأته يراودها إلا كتب الله له حسنة، وإن عانتها فعشر حسنات ، وإن ضاجعها فعشرون حسنة ، وإن أتاها كان خيرا من الدنيا وما فيها ، فإذا قام ليغتسل لم يمس الماء شعرة من على جسده إلا محي عنه سيئة ، ويعطى له درجة ، وما يعطى بغسله خير من الدنيا وما فيها ، وإن الله تعالى يباهي الملائكة فيقول : انظروا إلى عبدي قام في ليلة قرء يغتسل من الجنابة يتيقن بأني ربه، اشهدوا أني قد غفرت له” () .

وقوله :

روي عن علي كرم الله وجهه عن النبي ﷺ أنه قال : “عليكم بالعدس فإنه مبارك مقدس وإنه يرقق القلب ويكثر الدمعة ، وإنه بارك فيه سبعون نبيا آخرهم عيسى ابن مريم” () .

وانظر أمثلة أخرى للأحاديث الضعيفة والموضوعة . ()

وربما ذكر لفظ الحديث ولا ينص على أنه حديث مثل قوله : فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذي أمروا به وقالوا مكان حطة : حنطة حبة في شعرة . ()

وهو يذكر أسباب النزول بدون دقة ولا عزو في كثير من المواضع . ()

ويتعرض لفضائل السور والآيات ومن ذلك قوله :

وقال رسول الله ﷺ : “إن لكل شيء سناما ، وإن سنام القرآن البقرة ، من قرأها في بيته نهاراً لم يدخله شيطان ثلاثة أيام ، ومن قرأها في بيته ليلاً لم يدخله شيطان ثلاث ، وفيها سيدة القرآن وهي آية الكرسي” () وإنما كانت سنام القرآن أي ذروته لأنها اشتملت على جملة ما فيه من أحوال الإيمان وفروع الإسلام .

وقال ﷺ : “أعطيت سورة البقرة من الذكر الأول ، وأعطيت طه والطواسين من ألواح موسى ، وأعطيت فاتحة الكتاب وخواتيم البقرة من تحت العرش” () .

() أخرجه ابن الجوزي في الموضوعات ٢/٢٧٠ ، وذكره السيوطي في اللآلئ المصنوعة ٢/١٦٩

() أخرجه السيوطي في اللآلئ المصنوعة ٢/٢١٢ ونقل عن ابن المبارك قوله لما سئل عنه : لا ولا على لسان نبي واحد وإنه لمؤذ ينفخ .

() ص ١٩، ٣٢، ٥٩، ١٢٠، ١٥٢ .

() ص ٥٦ .

() وانظر : ص ٢٩، ٨٤، ٨٩، ٩٣، ٩٥، ١٣٨، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٨، ١٥٧، ١٧٩ .

() أخرجه ابن حبان ٢/١٠٩ والعقيلي في الضعفاء ٦/٦ وله شواهد وقد صححه ابن حبان. وانظر موسوعة فضائل سور وآيات القرآن ١/١٠٦-١٠٩

() سبق تخريجه .

خامسا : موقفه من تفسير القرآن بأقوال السلف :

لا يتعرض ابن عجيبة لسوق الآثار إلا قليلا وفيها بواطيل مثل ماتقدم عن علي وأبي بكر وجعفر الصادق .

وقد نقل عن ابن عباس نقولا كثيرة منها قوله : ﴿إياك نعبد﴾ (٧) ﴿نعبدك ولا نعبد غيرك﴾ (٨) وذكر آثارا عن علي ، والنخعي ، و الزهري ، وعائشة . (٩)

وعن الحسن (١٠) ، وابن زيد (١١) ، ومالك (١٢) ، وعبد الواحد بن زياد (١٣) ومقاتل (١٤)

سادسا : موقفه من السيرة والتاريخ وذكر الغزوات :

نظرا لكون القسم المطبوع محدود لم أقف إلا على شيء يسير من تعرض المصنف للسيرة ومن ذلك ذكره لسرية عبد الله بن جحش في شهر جمادى وقتلهم لعمر بن الحضرمي في أول يوم من رجب وماحصل بناء على ذلك تحت قوله تعالى ﴿يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه﴾ (١٥)

كما ذكر عن الواقدي قصة خروجه ﷺ إلى أحد وبعض الأحداث تحت قوله تعالى ﴿وإذ غدوت من أهلك تبوء المؤمنون مآعدا للقتال﴾ (١٦) ، واسترسل في ذكر أحداث الغزوة في الآيات التالية (١٧)

سابعا : موقفه من الإسرائيليات (١٨) :

وابن عجيبة من المفسرين الذين يذكرون الإسرائيليات بغير تحييص ويتزبدون في ذكرها ومن ذلك :

٢	٠	٨	٧	٤	() الفاتحة :
٢	٠	٨	٨	١٠	() ص ١٠ ، وانظر أيضا ص ٣٢٨ ، ٨١ ، ١٠٧ ، ١٣٧ .
٢	٠	٨	٩	١٤٦ ، ١٤٧	() ص ١٤٦ ، ١٤٧ .
٢	٠	٩	٠	١٦٦	() ص ١٦٦ .
٢	٠	٩	١	٩٦	() ص ٩٦ .
٢	٠	٩	٢	١٠٨	() ص ١٠٨ .
٢	٠	٩	٣	٨٨	() ص ٨٨ .
٢	٠	٩	٤	١٣٧	() ص ١٣٧ .
٢	٠	٩	٥	٢١٧	() البقرة : ٢١٧
٢	٠	٩	٦	١٢١	() آل عمران : ١٢١
٢	٠	٩	٩	٣٢٢-٣٢٥ ، ٣٣٢-٣٤١ ، ٣٣٦-٣٤٣	() ص ٣٢٢-٣٢٥ ، ٣٣٢-٣٣٦ ، ٣٤١-٣٤٣
٢	٠	٩	٩	١١٢ ، ٣٩	() وانظر في الإسرائيليات أيضا ص ٣٩ ، ١١٢ .

ما نقله تحت قوله ﴿ العالمين ﴾ عن الفخر الرازي قال : روي أن بني آدم عشر الجن، وبني آدم والجن عشر حيوانات البر ، وهؤلاء كلهم عشر الطيور وهؤلاء كلهم عشر حيوانات البحار ، وهؤلاء كلهم عشر ملائكة الأرض الموكلين ببني آدم ، وهؤلاء عشر ملائكة السماء الدنيا ، وهؤلاء كلهم عشر ملائكة السماء الثانية ، ثم على هذا الترتيب إلى ملائكة السماء السابعة ، ثم الكل في مقابلة ملائكة الكرسي نزر قليل ، ثم هؤلاء عشر ملائكة السرادق الواحد في سرادقات العرش التي عددها مائة ألف ، طول كل سرادق وعرضه كذلك إذا قبلت السماوات والأرض وما فيها وما بينها يكون شيئاً يسيراً ونزراً قليلاً ، وما من موضع شير إلا وفيه ملك ساجد أو راعع أو قائم وله زجل بالتسبيح والتهليل ، ثم هؤلاء في مقابلة الذين يحولون حول العرش كالقطرة من البحر ولا يعلم عددهم إلا الله تعالى . ()^٩

وقال وهب بن منبه رضي الله عنه : قوائم العرش ثلاثمائة وست وستون قائمة ، وبين كل قائمة وقائمة ستون ألف صحراء ، وفي كل صحراء ستون ألف عالم ، وكل عالم قدر الثقلين . ()

وقد ذكر قصة هاروت وماروت وقال : ذكرها المنذري في شرب الخمر وقال في حديثها : رواه أحمد وابن حبان في صحيحه من طريق زهير بن محمد وقد قيل إن الصحيح وقفه على كعب وقال ابن حجر : قصة هاروت وماروت بسند حسن خلافاً لمن زعم بطلانها كعياض ومن تبعه . ()

ثم قال فإن قلت : الملائكة معصومون فكيف يصح هذا مع هاروت وماروت قلنا : لما ركب الله فيما الشهوة انتسخت من حكم الملائكة لحكم البشرية ابتلاء من الله تعالى لهما فلم يبق لهما حكم الملائكة من العصمة . ()^٢

وقال أيضاً : والأسباط أولاد يعقوب عليه السلام وهم : روبين وشمعون ولاوى ويهوذا ويشسوخور وزبزلزن وزوانا وأمهم ليا ثم خلف على أختها راحيل فولدت له يوسف وبنيامين . وولد له من سريتين تفتونا وكوذا وأوشير . قال ابن حجر اختلف في نبوتهم فقليل كانوا أنبياء وقيل لم يكن فيهم نبي وإنما المراد بالأسباط قبائل بني إسرائيل . فقد كان منهم من الأنبياء كثير ومن صرح بنفي نبوتهم عياض وجمهور المفسرين . انظر المحشي الفاسي .

وفي تفسير المبهمات يقول ﴿ ولا تقربا هذه الشجرة ﴾ () العنب أو التين أو الحنطة^٣ ويقول : فدخل إبليس خفية أو في فم الحية . ()^٤

٢	٠	٩	٩	() ص ٨ .
٢	١	٠	٠	() ص ٩ .
٢	١	٠	١	() ص ٨٧ .
٢	١	٠	٢	() ص ٨٨ .
٢	١	٠	٣	() البقرة : ٣٥ .

ويقول : واسم فرعون الذي كان في زمن موسى مصعب بن ريان وقيل اسمه الوليد ()

ثامنا : موقفه من اللغة :

أما معاني المفردات فهو يتعرض لها بدون عزو كلما بدأ تفسير أحد المقاطع مثل قوله :
اللقاء : المصادفة بلا قصد .

والخلو بالشيء أو معه : الإنفراد به

والشيطان : فيعال من شطن إذا بعد أو فعلان من شاط إذا بطل .

والاستهزاء بشيء : الاستخفاف بحقه

والعمه في البصيرة : كالعَمى في البصر . ()

ويتعرض أيضا للغويات مثل اشتقاق اسم وتعلق الباء ومذهب البصريين والكوفيين . ()

ومن ذلك أيضا كلامه عن أصل كلمة رب واشتقاقها . ()

وأحيانا يتعرض للإعراب مثل قوله ﴿ الحمد لله ﴾ () : قلت الحمد مبتدأ ولله خبر وأصله النصب وقرئ

به ()

ويقول : ﴿ سواء ﴾ () خبر مقدم . و ﴿ أأنذرهم ﴾ مبتدأ لسبقه بمحذوف التسوية ، أي

الإندار وعدمه سواء في حق هؤلاء الكفرة ، والجملة خبر إن و ﴿ غشاوة ﴾ () مبتدأ والجار قبله خبره ،

والغشاوة ما يغشى الشيء ويغطيه كنى به عن تعاميمهم عن الإيمان .

ويقول : ﴿ استوقد ﴾ () السين والتاء يحتمل أن يكون للطلب ، أو زائدة بمعنى أوقد ولما شرطية .

وذهب جواب ، وإذا كان لفظ الموصول مفردا واقعا على جماعة يصح في الضمير مراعاة لفظه فيفرد

ومعناه فجمع ، فأفرد في الآية أولا وأجمع ثانيا ، ويقال : أضاء يضيء ، ضاء يضيء : ضوء . ()

٢	١	٠	٤	() ص ٤٢ .
٢	١	٠	٥	() ص ٥٠ .
٢	١	٠	٦	() ص ٢٩ .
٢	١	٠	٧	() ص ٦ .
٢	١	٠	٨	() ص ٧ .
٢	١	٠	٩	() الفاتحة : ١
٢	١	١	٠	() ص ٦ .
٢	١	١	١	() البقرة : ٦
٢	١	١	٢	() البقرة : ٧

والصيب المطر فيفعل من صاب المطر إذا نزل ، وهو على حذف مضاف أي أو كذا صيب ، وأصله صيوب كسيد ، قلبت الواو ياء وأدغمت ، ولا يوجد هذا إلا في المعتل كهيب ولين وضيق وطيب بالتشديد .

وربما استدل عل وجوه الإعراب من ألفية ابن مالك . ()
وهو يكثر من الاستدلال بالشعر وجله في الإشارات وقد تقدم طرف من ذلك وعندما استدل في التفسير الظاهر أتى بيتين صوفيين وهما قول الشاعر :

ياتائها في مهمه عن سره انظر تجد فيك الوجود بأسره

أنت الكمال طريقة وحقيقة ياجامعا سر الإله بأسره ()

ومن الأشعار أيضًا في تفسيره للظاهر قوله :

فلا ترضى بغير الله حبا وكن أبدا بعشق واشتياق

ترى الأمر المغيب ذا عيان وتحظى بالوصول وبالتلاقي

وهي صوفيات أيضا () .

ومن استدلالاته القليلة بالشعر على المعاني () قوله والفوم قيل الحنطة والأصح أنه الثوم قال الشاعر :
وأنتم أناس لئام الأصول طعامكم الفوم والحوقل ()

وهو يتعرض لأساليب البلاغة أحيانا وينبه على النكات التفسيرية ومن ذلك :

قوله : لم قدم الرحمن على الرحيم والقياس الترفي من الأدنى للأعلى ؟ فقال : لتقدم رحمة الدنيا ولأنه صار كالعلم من حيث إنه لا يوصف به غيره . ()

وقوله ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ () :

٢	١	١	٣	() البقرة : ١٧
٢	١	١	٤	() ص ٣١ .
٢	١	١	٥	() انظر ص ١٣٦ ، ١٤٠ .
٢	١	١	٦	() ص ٧ .
٢	١	١	٧	() ص ٢٣ .
٢	١	١		() وفي استدلاله بالشعر على معاني الكلمات : انظر ١٣٥ ، ١٥٢ . وانظر أيضا في الشعر ص ١٧ ، ٣٤ ، ٤٨ .
٢	١	١	٩	() ص ٥٨ .
٢	١	٢	١٠	() ص ٧ .
٢	١	٢	١١	() الفاتحة : ٤

قال : وكرر الضمير ولم يقل إياك نعبد ونستعين . لأن إظهاره أبلغ في إظهار الاعتماد على الله ، وأمدح
 ألا ترى أن قولك بك أنتصر وبك أحتمي وبك أنال مأربي ، أبلغ وأمدح من قولك بك أنتصر وأحتمي
 الخ . وقدم العبادة على الاستعانة لتوافق رءوس الآي ، وليعلم منه أن تقديم الوسيلة على طلب الحاجة
 أدعى إلى الإجابة ، فإن من تلبى لخدمة الملك وشرع فيها بحسب وسعه ، ثم طلب منه الإعانة عليها
 أجيب إلى مطلبه ، بخلاف من كلفه الملك بخدمته فقال : أعطني ما يعينني عليها ، فهو سوء أدب ،
 وأيضا من استحضر الأوصاف العظام ما أمكنه إلا المسارعة إلى الخضوع والعبادة وأيضا لما نسب المتكلم
 العبادة إلى نفسه ، أوهم ذلك تبجحا واعتدادا منه بما يصدر عنه فعقبه بقوله : وإياك نستعين دفعا
 لذلك التوهم. ()

ومن كلامه عن الالتفات قوله :

ومن عادة العرب التفتن في الكلام والعدول عن أسلوب إلى آخر تطرية وتنشيطا للسامع ، فتعدل من
 الخطاب إلى الغيبة إلى التكلم قوله تعالى : ﴿ حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح ﴾ () ولم يقل بكم
 وقوله : ﴿ أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه إلى بلد ﴾ () أي ولم يقل فساقه ... ، والالتفات هنا في
 قوله إياك نعبد ولم يقل إياه نعبد لأن الظاهر من قبل الغيبة ، وحسنه أن الموصوف تعين وصار حاضرا.
 وقال أيضا : فإن قلت : الريب في القرآن قد وقع من الكفار قطعا فكيف عبر بإن الدالة على الشك
 والتردد ؟

قلت : لما كان ريبهم واقعا في غي محله ، إذ لو تأملوا أدنى تأمل لزال ريبهم لوضوح الأمر وسطوع البرهان
 كان ريبهم كأنه مشكوك فيه ومتردد في وقوعه. ()

تاسعا : موقفه من القراءات () :

وهو يتعرض للقراءات وتوجيهها وربما ذكر القراءات الشاذة ومن ذلك :

قوله : وقرئ الحمد لله باتباع الدال للام وبالعكس () .

٢	١	٢	٢	() ص ١٠ .
٢	١	٢	٣	() يونس : ٢٢
٢	١	٢	٤	() فاطر : ٩
٢	١	٢	٥	() ص ١٢ .
٢	١	١	١٣٧ ، ١٣٥ ، ١٠٤ ، ١٣٧ ، ١٤٠ ، ١٤٨ ، ١٧٩ .	() وانظر في القراءات أيضا ط ١٠٤ ، ١٣٥ ، ١٣٧ ، ١٤٠ ، ١٤٨ ، ١٧٩ .
٢	١	٢	٧	() ص ٦ .

وقال : ﴿مالك﴾ قراءة الجماعة بغير ألف من الملك بالضم وقرأ عاصم والكساني بالألف من الملك بالكسر ثم أخذ يوجهها . ()

ومن ذلك قوله : وجبرئيل فيه ثمان لغات أربع قرئ بهن وهي : جبرئيل كسلسبيل، وجبرئيل كجحمرش ، وجبريل بفتح الجيم بلا همز ، وجبريل بكسرهما . وأربع شواذ جبرال وجبرائيل وجبرائل وجبرين بالنون. ()

وقوله : ﴿واتخذوا﴾ () على قراءة الأمر محكى بقول محذوف أي : وقلنا اتخذوا وعلى قراءة الماضي معطوف على جعلنا أي جعلناه مثابة واتخذه الناس مصلى .

﴿فإنما يقول له كن فيكون﴾ () قال : وقرأ ابن عامر بنصب المضارع ولحنه بعضهم لأن المنصوب في جواب الأمر لا بد أن يصح جوابا لشرطه تقول اضرب زيدا فيستقيم أي إن تضربه يستقيم ولا يصح أن تقول إن يكن يكن وقد يجاب لعله على المعنى والتقدير إن قلت كن يكن . ()

ويتعرض للرسم مثل قوله في بسم : حذف الألف لكثرة الاستعمال ()

عاشرا : موقفه من الفقه والأصول :

وأما تعرضه للفقهيات فضئيل جدا وليس هناك نقول عن المذاهب واختلافات الفقهاء ومن ذلك : كلامه عن البسملة ، وهل هي آية من كل سورة أم لا وحكمها في الصلاة . () وقال ﴿وعلى الذين يطيقونه...﴾ ()

وعلى الذين يطيقونه بلا مشقة إن أرادوا أن يفطروا فدية وأن تصوموا أيها المطيقون للصيام خير لكم إن كنتم تعلمون ما في الصيام من الأسرار والخير المدرار ثم نسخ بقوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه ()

٢	١	٢	٨	() ص ٨ .
٢	١	٢	٩	() ص ٨٣ .
٢	١	٣	٠	() البقرة : ١٢٥ .
٢	١	٣	١	() مريم : ٣٥ .
٢	١	٣	٢	() ص ٩٩ .
٢	١	٣	٣	() ص ٦ .
٢	١	٣	٤	() ص ٥ .
٢	١	٣	٥	() البقرة : ١٨٤ .

﴿ولتكبروا الله على ما هداكم﴾ () ووقت التكبير عند مالك من حيث يخرج إلى المصلّي بعد الطلوع إلى مجيء الإمام إلى الصلاة . ()

وقال في تفسير قوله تعالى ﴿ولاتقاتلوهم عند المسجد الحرام﴾ () ابتداء ﴿حتى يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم﴾ فيه ﴿فاقتلوهم﴾ فيه وفي غيره ﴿كذلك جزاء الكافرين﴾ . ()
هكذا اقتصر في تفسير الآية مع ما فيها من كلام كثير لأهل العلم .

وكذلك قال في قوله ﴿فإن أحصرتم فما استيسر من الهدي﴾ () فإن أحصرتم ومنعتم من إتمامها فتحللوا منهما وعليكم ما استيسر من الهدي وذلك شاة ﴿ولا تحلقوا رؤوسكم﴾ أي لا تحللوا ﴿حتى يبلغ الهدي محله﴾ أي حيث يحل ذبحه وهو محل الإحصار عند الشافعي فيذبح فيه بنية التحلل ويفرق ، ومنى أو مكة عند مالك فيرسله فإذا تحقق أنه وصل ودُبح حل وحلق . ()

وقوله تحت تفسير ﴿يسألونك عن الخمر والميسر﴾ () والميسر قال ابن عباس والحسن : كل قمار ميسر من شطرنج ونرد ونحوه حتى لعب الصبيان بالجوز والكعباب إذا كان بالفلوس وسمي ميسرا ليس صاحبه بالمال الذي يأخذه وأما إذا كان بغير عوض إنما هو لعب فقط فلا بأس قاله ابن عرفة () .

ويقول :

يقول الحق جل جلاله : يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ ﴿كتب عليكم القصاص﴾ () في شأن القتلى في العمد فاستسلموا للقصاص فالحر يقتل بالحر ولا يقتل بالعبد بل يغرم قيمته لسيدة ودليله قوله عليه السلام : “لا يقتل مسلم بكافر ولا حر بعبد” والعبد يقتل بالعبد إن أراد سيد المقتول قتله فإن استحياه خير سيدة بين إسلامه وفدائه بقيمة العبد وكذلك إن قتل الحر ، خير أولياؤه بين قتله أو استرقاقه فإن استحيوه خير سيدة بين إسلامه وفدائه بدية الحر العمد والأنتى تقتل بالأنتى والذكر بالذكر يقتل بالأنتى

٢	١	٣	٦	() ١٤٨-١٤٩ .
٢	١	٣	٧	() البقرة: ١٨٥ .
٢	١	٣	٨	() ١٤٩ .
٢	١	٣	٩	() البقرة: ١٩١ .
٢	١	٤	١٠	() ص ١٥٨ .
٢	١	٤	١١	() البقرة: ١٩٦ .
٢	١	٤	١٢	() ص ١٦٠ .
٢	١	٤	١٣	() البقرة: ٢١٩ .
٢	١	٤	١٤	() ص ١٧٩ .
٢	١	٤	١٥	() البقرة: ١٧٨ .

وتخصيص الآية بالمساوي قال مالك : أحسن ما سمعت في هذه الآية أنه يراد بها الجنس أي جنس الحر والذكر والأنثى فيه سواء ، وأعاد ذكر الأنثى تأكيداً لرد ما كان يفعله الجاهلية من عدم القود فيها ثم قال الحق جل جلاله : ﴿ فمن عفي له ﴾ من دم ﴿ أخيه شيء ﴾ ولو قل فقد سقط القتل فالواجب اتباع القاتل بالدية بالمعروف من غير تعنيف ولا تعنيت وأداء من القاتل بإحسان من غير مطل ولا بنحس ذلك الذي شرعت لكم من أمر العفو والدية تخفيف من ربكم ورحمة بكم. ()^٦

ومن دعوة أهل التصوف إلى ترك الجهاد وسائر العبادات يفرض علينا مفسرنا ببعض فيوضاته في تفسيره لقوله تعالى ﴿ كتب عليكم القتال ﴾ ()^٧ فيصف القتال بأنه جهاد أصغر وأن مجاهدة النفس جهاد أكبر ويبين أن المراد هو تجلي الحق لهم وهذا هو ثمرة الجهاد الأكبر .

ويقول : أما الجهاد الأصغر فلا يحصل شيئاً من هذا ، فلذلك كان مفضولاً عند أهل الجهاد الأكبر فيتركونه لما هو أرجح منه كما قال الششتري رحمته الله :

دع السيف والسبحة والسجاد واعقد سكيراً من خمرة الأفراد ()^٨
وربما تعرض لشيء من الأصول ومن ذلك :

كلامه عن تأخير البيان عن وقت الحاجة والفرق بينه وبين تأخير البيان لوقت الحاجة . ()^٩
وقال عند قوله تعالى ﴿ وإذ قتلتم نفساً ﴾ ()^{١٠}

واستدلّت المالكية بالقصة على التدمية الحمراء وهي قبول قول القاتل قبل موته بأن فلانا قتله ، وفيه نظر لأن هذا حبي بعد موته فلا يتطرّقه الكذب ، واستدلّت أيضاً على حرمان القاتل من الإرث ، وفيه نظر لأن هذه شريعة من قبلنا يطرقها النسخ لكن ثبت في الحديث أنه لا يرث . ()^{١١}

ومن كلامه في النسخ قوله في آية الوصية :

وهذه الآية منسوخة في وصية الوالدين محكمة في الأقربين غير الوارثين ، فإذا كان

٢	١	٤	٦	() ص ١٤٥ .
٢	١	٤	٧	() البقرة : ٢١٦ .
٢	١	٤	٨	() ص ١٧٧ .
٢	١	٤	٩	() ص ١٥٢ .
٢	١	٥	١٠	() البقرة : ٧٢ .
٢	١	٥	١١	() ص ٦٤ .

الوالدين غير وارثين كالكافرين أو العبدین فهي محكمة () .
وقوله :

والنسخ إنما يكون في الأوامر والنواهي دون الأخبار ، لأنه يكون كذبا ومعنى النسخ انتهاء العمل بذلك الحكم ، ونقل العباد من حكم إلى حكم لمصلحة فلم يلزم عليه البدء كما قالت اليهود - والنسخ عندنا ثلاثة أقسام : نسخ اللفظ والمعنى كما كان يقرأ لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم ثم نسخ - ونسخ اللفظ دون المعنى كالشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة ثم نسخ لفظه وبقي حكمه وهو الرجم - ونسخ المعنى دون اللفظ كآية السيف بعد الأمر بالمهادنة مع الكفار ، والله تعالى أعلم () .

حادي عشر : موقفه من العلوم الحديثة والرياضة والفلسفة والمعجزات الكونية :

لا يتعرض لشيء من ذلك سوى الفلسفة وهي فلسفة التصوف الكامنة في كلام ابن عربي وابن الفارض ونحوهما وقد قدمنا شيئا من ذلك عند الحديث عن موقف المصنف من العقيدة وسوف يأتي تكميل لنفس الموضوع في الفقرة التالية .

ثاني عشر : موقفه من المواعظ والآداب :

نظرا لكون الكتاب صوفي إشاري فإنه يتضمن شيئا من الزهديات والوعظ مع ما يحمل في طياته من انحراف منهجي واضح ولذا فسوف أتكلم في هذه الفقرة عن صوفيات هذا التفسير ومظاهر انحرافه . فمن الصوفيات التي أقحمها المصنف في تفسير الظاهر على الرغم من كون ذلك مخالفا لمنهجه الذي ذكره قوله :

﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ () فإن قلت : إذا كان العبد ذاهبا على هذا المنهاج المستقيم ، فكيف يطلب ماهو حاصل ؟ فالجواب : أنه طلب التثبيت على ماهو حاصل ، والإرشاد إلى ماهو ليس بحاصل ، فأهل مقام الإسلام الذي هو حاصل ، يطليون الترقى إلى مقام الإيمان الذي ليس بحاصل ، على طريق الصوفية الذين يخصون العمل الظاهر بمقام الإسلام ، والعمل الباطن بمقام الإيمان ، وأهل الإيمان يطلبون الثبات على الإيمان الذي هو حاصل ، والترقى إلى مقام الإحسان الذي ليس بحاصل ، وأهل مقام الإحسان يطلبون الثبات على الإحسان والترقى إلى مالا نهاية له من كشوفات العرفان

٢	١	٥	٢	() ص ١٤٧ .
٢	١	٥	٣	() ص ٩١ .
٢	١	٥	٤	() الفاتحة : ٦ .

﴿وفوق كل ذي علم عليم﴾ () وقال الشيخ أبو العباس المرسي رحمته : ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾^١
 بالثبوت فيما هو حاصل والإرشاد بما ليس بحاصل . ثم قال : عموم المؤمنين يقولون اهدنا الصراط
 المستقيم أي بالثبوت فيما هو حاصل والإرشاد لما ليس بحاصل ، فإنه حصل لهم التوحيد ، وفاتهم
 درجات الصالحين والصالحون يقولون : ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ معناه نسألك الثبوت فيما هو حاصل
 ، والإرشاد إلى ما ليس بحاصل فإنهم حصل لهم الصلاح وفاتهم درجات الشهداء . والشهداء يقولون :
 ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ أي بالثبوت فيما هو حاصل ، والإرشاد ما ليس بحاصل ، فإنهم حصلت لهم
 الشهادة ، وفاتهم درجات الصديقين . والصديقون يقولون : ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ أي بالثبوت فيما
 هو حاصل والإرشاد إلى ما ليس بحاصل ، فإنهم حصل لهم درجات الصديقين ، وفاتهم درجات القطب .
 والقطب يقول : ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ بالثبوت فيما هو حاصل ، والإرشاد إلى ما ليس بحاصل ، فإنه
 حصل له رتبة القطبانية وفاته علم ما إذا شاء الله أن يطلعه عليه .

وليت شعري في أي آية في كتاب الله ذكرت درجة القطب هذه أم في أي حديث صحيح ؟ وليس بعد
 الصديقين إلا الأنبياء ، وهل كان أبو بكر قطبا أم كان عمر أم عثمان أم علي ؟ وهل أخفى ذلك عنا
 رسول الله ﷺ أم الصحابة رضي الله عنهم ؟
 ويقول :

والشكر على ثلاث درجات : درجة العوام الشكر على النعم ودرجة الخواص الشكر على النعم والنعم
 وعلى كل حال ، ودرجة خواص الخواص أن يغيب عن رؤية النعم بمشاهدة المنعم . قال رجل لإبراهيم بن
 أدهم رحمته : الفقراء إذا أعطوا شكروا ، وإذا منعوا صبروا ، فقال إبراهيم : هذه أخلاق الكلاب ولكن
 القوم إذا منعوا شكروا وإذا أعطوا آثروا .

ومأدري أكلام هذا مقدمه أم كلام منزل الكتاب ؟ قال تعالى ﴿الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله
 وأنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون﴾ () وقال : ﴿والصابرين
 على ما أصابهم﴾ () وقال : ﴿والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك
 هم المتقون﴾ () وقال ﴿واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور﴾ () ولم يقل : شكروا ،
 والشاكرين ، واشكر !!

٢	١	٥	٥	(يوسف : ٧٦)
٢	١	٥	٦	(البقرة : ١٥٦-١٥٧)
٢	١	٥	٧	(الحج : ٣٥)
٢	١	٥	٨	(البقرة : ١٧٧)
٢	١	٥	٩	(لقمان : ١٧)

ومأدري أكلام هذا نقدمه أم كلام الذي أنزل عليه الكتاب من رب الأرباب ؟ يقول النبي ﷺ : “عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له” . ()

فهل هو مؤمن بنص حديث رسول الله ﷺ : أم كلب من الكلاب بنص ...؟

ولاشك أن هذا منهج سلوكي مصادم للفطرة ، فإن الذي يشكر على المصيبة إنسان غير سوي ، ويتضمن هذا الكلام نفي أصل العبادة وأنها وهو الدعاء لأن الذي يشكر على المصائب كيف يدعو برفعه ؟ وفي ذلك حط من شأن الأنبياء الذين جابهوا المصائب بالدعاء بكشفها لا بالشكر عليها ، وهذا التنطع معارضة للشريعة السمحة التي أعطت كل ذي حق حقه .

أما الإيثار فهو من دلائل الشكر على النعمة فليس ثمة تعارض أصلا .

وأما إشارياته فنتركها نتحدث عن نفسها وهي جلها منصبة على أهل خصوصية والمنكرين عليهم من أهل العلم أو العوام فهو يجعل فريق المؤمنين يراد به أهل الخصوصية وفريق الكافرين أو المنافقين يراد به أهل العلم أو عوام الناس . ()

وقد صرح بذلك في قوله :

اعلم أن قاعدة تفسير أهل الإشارة هي أن كل عقاب توجه لمن ترك طريق الإيمان وأنكر على أهله ، يتوجه مثله لمن ترك طريق مقام الإحسان وأنكر على أهله وكل وعيد توعد به أهل الكفر حسي بدني ، وعذاب أهل الحجاب معنوي قلبي ، فنقول فيمن رضي بعيبه ، وأقام على مرض قلبه ، وأنكر الأطباء ووجود أهل التربية : بثما اشتروا به أنفسهم وهو كفرهم بما أنزل الله من الخصوصية على قلوب أوليائه بغيا وحسدا ، أو جهلا وسوء ظن أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده ، فباءوا بغضب الحجاب على غضب البعد والارتياب ، أو بغضب سقم القلوب ، على غضب الإصرار على المساويء والعيوب من لم يتغلغل في علمنا هذا مات مصرا على الكبائر وهو لا يشعر كما قال الشاذلي رحمه الله ولا يصح يتغلغل فيه إلا بصحبة أهله وللكافرين بالخصوصية عذاب الطمع وسجن الأكوان وهما شجرتا الذل والهوان ، وإذا قيل لهم : آمنوا بما أنزل الله من أسرار الحقيقة وأنوار الطريقة ، قالوا : نؤمن بما أنزل علينا من ظواهر الشريعة ، ويكفرون بما وراءه من أسرار ككشف أسرار الذات ، وأنوار الصفات . ()

أقول : وقد شابه هؤلاء في منهجهم ذلك الرافضة الذين جعلوا كل آية ذم في أبي بكر وعمر والصحابة رضوان الله عليهم ، وكل آية ثناء في علي وآل البيت ، فبئس الشبيه وبئس المشبه به .

() أخرجه مسلم - كتاب الزهد والرفائق - باب المؤمن أمره كله خير ٢٢٩٥/٤ عن صهيب مرفوعا .

() انظر كمثل ص ١٢٠، ١٦٢، ٢٩٠، ٣٠٠، ٣٣٠، ٦٨٠، ٦٩٠، ٧٧٠، ٧٩٠، ٩٠٠ .

() ص ٧٨ .

قال :

والأحسن أن يقال : ﴿غير المغضوب عليهم﴾ () هم الذين أوقف بهم^٢ عن السير أتباع الحظوظ والشهوات ، فأوقعتهم في مهاوي العصيان والمخالفات ﴿ولا الضالين﴾ الذين حبسهم الجهل والتقليد ، فلم تنفذ بصائرهم إلى إخلاص التوحيد ، فنكصوا عن توحيد العيان إلى توحيد الدليل والبرهان ، وهو ضلال عند أهل الشهود والعيان ، ولو بلغ في الصلاح غاية .
وما أسوأ أحسنه !!

ويقول في قوله : ﴿سواء عليهم ءأندرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون﴾ () : فسبحان من حجب العالمين بصلاحتهم عن مصلحتهم ، وحجب العلماء بعلمهم عن معلومهم ، واختص قوما بنفوذ غرائبهم إلى مشاهدة ذات محبوبهم ، فهم في رياض ملوكته يتنزهون ، وفي بحار جبروته يسبحون ﴿لمثل هذا فليعمل العاملون﴾ () .

ويقول في قوله : ﴿وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون﴾ () وإذا قيل لمن يشتغل بالتعويق عن طريق الله ، والإنكار على أولياء الله : أقصر من هذا الإفساد ، وارجع عن هذا الغي والعناد ، فقد ظهرت معالم الإرشاد لأهل المحبة والوداد ، قال : إنما أنا مصلح ناصح ، وفي أحوالي كلها صالح ، يقول الحق جل جلاله : بل أفسدت قلوب عبادي . ورددتهم عن طريق محبتي وودادي ، وعوقفتهم عن دخول حضرتي ، وحضرتهم شهود ذاتي وصفاتي ، سددت بأحبائي ، آيستهم من وجود التربية ، وتحكمت على القدرة الأزلية ، ولكنك لا تشعر بما أنت فيه من البلية ، ولقد صدق من سبقت له العناية ، وأتحف بالرعاية والهداية حيث يقول :

فهذه طريقة الإشراق كانت وتبقى ما الوجود باق

وأنكروه ملاً عوام لم يفهموا مقصوده فهاموا

فتب أيها المنكر قبل الفوات واطلب من يأخذ بيدك قبل الممات لئلا تلقي الله بقلب سقيم ، فتكون في الحضيض الأسفل من عذابه الأليم ، فسبب العذاب وجود الحجاب ، وإتمام النعم النظر لوجهه الكريم ، منحنا الله الحظ الأوفر في الدنيا والآخرة ، آمين . ()

ويقول :

٢	١	٦	٣	() الفاتحة : ٧
٢	١	٦	٤	() البقرة : ٦
٢	١	٦	٥	() الصافات : ٦١
٢	١	٦	٦	() البقرة : ١١
٢	١	٦	٧	() ص ٢٧ .

اعلم أن كثيرا من الناس يعتمدون على صحبة الأولياء ، ويطلقون عنان أنفسهم في المعاصي والشهوات ، ويقولون :سمعنا من سيدي فلان يقول : من رأنا لا تمسه النار ، وهذا غلط وغرور ، وقد قال عليه السلام لبنته : يفاطمة بنت محمد ، لا أغنى عنك من الله شيئا ، اشترى نفسك من الله ، وقال للذي قال : ادع الله أن أكون رفيقك في الجنة ، قال له : أعني على نفسك بكثرة السجود . نعم هذه المقالة إن صدرت من ولي متمكن مع الله فهي حق ، لكن بشرط العمل ممن رآه بالمأمورات ، وترك المحرمات ، فإن المأمول من فضل الله ببركة أوليائه ، أن يستقبل الله منه أحسن ما عمل ، ويتجاوز عن سيئاته ، فإن الولياء المتمكنين اتخذوا عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده ، وهو أن من تعلق بهم وتمسك بالشرعية شفَعوا فيه والغالب على من صحب الأولياء المتمكنين الحفظ وعدم الإصرار ، فمن كان كذلك لا تمسه النار ، وفي الحديث إذا أحب الله عبدا لم يضره ذنب - يعني يلهم التوبة سريعا كما قيل لأهل بدر : افعلوا ما شئتم فقد غفرت لكم . وقال في القصد : يبلغ الولي مبلغا يقال له : أصحابك السلامة ، وأسقطنا عنك الملامة فاصنع ما شئت ، ومصداقه قوله تعالى في حق سليمان عليه السلام : ﴿ هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب ﴾ () هذا إن كان نبيا لأجل العصمة ، فمن كان من الأولياء في مقام الإمامة قسط من أجل الحفظ ، والله تعالى أعلم ، ولا يتخذ عند الله العهد إلا أهل الفناء والبقاء ، لأنهم بالله فيما يقولون ، فليس لهم عند أنفسهم إخبار ، ولا مع الله قرار . ()

وأقول : سبحان الله ! ما هذه الجرأة الوقحة التي توصل صاحبها إلى أن يقول : من رأنا لا تمسه النار . ولا أظن رجلا صالحا فضلا عن ولي لله يقول : من رأني لا تمسه النار ، بل لا يقول ذلك إلا فاسق جريء على ربه وقد وصف الله عباده الصالحين بقوله ﴿ إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون ﴾ () ... إلى أن قال : ﴿ والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم يرجعون أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون ﴾ () وقال : ﴿ فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون ﴾ () وكان أبو بكر الصديق سيد الأولياء والعارفين يقول : لو أن إحدى قدمي بالجنة والأخرى خارجها مأمنت مكر الله . وكان سميه عمر يقول : لو نادى مناد يوم القيامة أن ادخلوا جميعا الجنة إلا واحدا لفرقت أن أكون هو . بل إن

٢	١	٦	٨	() ص: ٣٩
٢	١	٦	٩	() ص: ٧٠ .
٢	١	٧	٠	() المؤمنون: ٥٧
٢	١	٧	١	() المؤمنون: ٦٠
٢	١	٧	٢	() الأعراف: ٩٩

سيد الخلق ﷺ قال : "والله ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل بي" (١) . وهو مصداق لقوله تعالى ﴿وما أدري ما يفعل بي ولا يكم﴾ (٢)

وقد غفل صاحبنا عن مصيبة وليه واشتغل بالمريد المسكين الملبس عليه .
وليت شعري من الذي يقول للولي : أصحابك السلامة وأسقطنا عنك الملامة فاصنع ماشئت أهو رسول موحى إليه مثل الذي قال لأهل بدر ماقال ؟ أم أنه هو عين القائل لسليمان ﴿فامنن أو أمسك بغير حساب﴾ (٣) وما أظن الذي قال للولي المزعوم ذلك إلا إبليس عليه لعنة الله .
ومن إشارته النادرة المقبولة لا لكونها تفسيراً إشارياً إنما لكونها يشملها عموم اللفظ قوله تحت آية ﴿أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم﴾ (٤) :

كل من أشار إلى مقام لم يبلغ قدمه إليه ، فهذا التوبيخ متوجه إليه وكل من ذكر غيره بعيب لم يتخلص منه ، قيل له : أتأمر الناس بالبر وتنسى نفسك خالية منه ، فلا يسلم من توبيخ هذه الآية إلا النادر في الصفاء والوفاء . قال البيضاوي : المراد بها حث الواعظ على تركية النفس ، والإقبال عليها بالتكميل ليقوم فيقيم غيره ، لا منع الفاسق عن الوعظ ، فإن الإخلال بأحد الأمرين المأمور بهما لا يوجب الإخلال بالآخر فانظر . وتأمل قول القائل :

ياأيها الرجل المعلم غيره هلا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذي السقام وذي الضنى كيما يصح به وأنت سقيم
وأراك تلقح بالرشاد عقولنا نصحا وأنت من الرشاد عديم
ابدأ بنفسك فإنهما عن غيرها فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يقبل إن وعظت ويقتدى بالقول منك وينفع التعليم
لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم (٥)

وأردف هذه الإشارة بإشارة أخرى وبدون تعليق إلا أن أقول : اشتهر عن هذه الطائفة قولهم : إذا رأيت شيخك على فاحشة فظن به خيرا ، وقد ذكر صاحب سلوة الأنفاس فيما ذكر من الكرامات أن فلانا من الأولياء كان يفعل في حمارة في الطريق فقيل له في ذلك فقال : أصلح السفينة... ويسوق القصة التي

(١) أخرجه البخاري - كتاب مناقب الأنصار - باب مقدم النبي ﷺ وأصحابه المدينة ٢٦٤/٧ عن أم العلاء .
(٢) الأحقاف : ٩
(٣) ص : ٣٩
(٤) البقرة : ٤٤
(٥) ص ٤٧ .

تدلل على إصلاح سفينة معطلة في عرض البحر فجأة بعد أن أعيت أصحابها في نفس اللحظة الجنسية الشاذة. ()

قال مفسرنا تحت قوله ﴿أو كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم﴾ () بعد أن قرر عدم جواز حل المرید عقده مع شيخه لينتقل إلى شيخ آخر : وصحب تلميذ شيخا فرآه يوما قد زنا بامرأة !! فلم يتغير من خدمته، ولا أحل في شيء من مرسومات شيخه، ولا ظهر منه نقص احترامه وقد عرف الشيخ أنه رآه فقال له يوما : يا بني قد عرفت أنك رأيتني حين فسقت بتلك المرأة !! وكنت أنتظر فراقك عني من أجل ذلك فقال له التلميذ : ياسيدي إن الإنسان معرض لمجاري أقدار الله عليه ، وإني من الوقت الذي دخلت فيه إلى خدمتك ما خدمتك على أنك معصوم وإنما خدمتك على أنك عارف بكيفية السلوك عليه الذي هو طلبي وكونك تعصي شيء بينك وبين الله عز وجل لا يرجع شيء من ذلك علي ، فما وقع منك ياسيدي شيء يوجب نفاري وزوالي عنك وهذا هو عقدي فقال له الشيخ : هكذا وإلا فلا ، فربح ذلك التلميذ وجاء منه ماتقر به العين من حسن الحال وعلو المقام . ()

ومن الفوائد التي تضمنها التفسير وهي استطراد منه على كل حال قوله :

﴿وبشر الصابرين﴾ () قال ابن جزري: فائدة ورد ذكر الصبر في القرآن في أكثر من سبعين موضعا وذلك لعظم موقفه في الدين قال بعض العلماء كل الحسنات لها أجر معلوم إلا الصبر فإنه لا يحصر أجره لقوله تعالى : ﴿إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾ () وذكر الله للصابرين ثمان من الكرامات... فذكرها . ()

() ذكر الشعراي نحو هذه القصة بدون سفينة ثم قال : وقد أخبرت عنه سيدي محمد عنان رضي الله عنه فقال :

هؤلاء يخيلون للناس هذه الأفعال وليس لها حقيقة . انظر الطبقات الكبرى ص ٦٠٧

٢	١	٧	٩	() البقرة : ١٠٠
٢	١	٨	٠	() ص ٨٥ .
٢	١	٨	١	() البقرة : ١٥٥
٢	١	٨	٢	() الزمر : ١٠
٢	١	٨	٣	() ص ١٢٧ .

الفهرس

الصفحة	الموضوع
	دراسة أمثلة للتفسير بالمأثور بالمنطقة
٤	تفسير يحيى بن سلام من خلال تفسيره ومختصره لابن أبي زمنين
٢٨	تفسير بقي بن مخلد من خلال نقول من تفسيره وكتابه في الحوض والكوثر
	دراسة أمثلة للتفسير بالرأي بالمنطقة
	المبحث الأول : أمثلة الرأي المحمود
٣٨	تفسير المهدي من خلال كتابيه التفصيل والتحصيل
٦٦	تفسير مكّي بن أبي طالب من خلال كتبه الهداية ومشكل الإعراب وتفسير المشكل
٩٢	تفسير ابن ظفر من خلال كتابه ينبوع الحياة
١١١	تفسير ابن بزينة من خلال كتابه البيان والتحصيل
١٢٢	تفسير ابن عرفة من خلال تقييد الأبي والبسيلي
١٥١	تفسير التعالي من خلال كتابه الجواهر الحسان
١٧٤	تفسير ابن باديس من خلال مجالس التذكير
١٨٩	تفسير ابن عاشور من خلال كتابه التحرير والتنوير
٢١٧	تفسير المكّي الناصري من خلال كتابه التيسير
٢٣٥	تفسير أبي بكر الجزائري من خلال كتابه أيسر التفاسير وحاشيته نحر الخير
	المبحث الثاني : أمثلة الرأي المذموم
٢٥٣	تفسير هود بن محكم الهواري الإباضي من خلال كتابه تفسير كتاب الله العزيز
٢٧٢	تفسير ابن حيون الشيعي من خلال كتابيه أساس التأويل وتأويل الدعائم
٢٩٠	تفسير ابن بركان الصوفي من خلال كتابه الإرشاد
٣٠٠	تفسير ابن عربي الصوفي من خلال التفسير المنسوب إليه وكتابه فصوص الحكم والفتوحات المكية
٣٠٩	تفسير ابن عجيبة الصوفي من خلال كتابه البحر المديد